

ندوات

مركز الأبحاث العقائدية

المجلد الخامس

تأليف

مركز الأبحاث العقائدية



(٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢) في رحاب القرآن

تمهيد

الطائفة الأولى

الطائفة الثانية

الطائفة الثالثة

الأسئلة والأجوبة

بداية النوبة ٦٠

تمهيد :

الأسئلة والأجوبة

بداية النوبة ٦١

الشروط الأول

الشروط الثاني

الشروط الثالث

الوصف الأول

الوصف الثاني

الشروط الرابع

الشروط الخامس

بداية النوبة ٦٢

(٦٣) صلح الإمام الحسن (عليه السلام)

تمهيد

الأسئلة والأجوبة

(٦٤ . ٦٥) البداء

تمهيد

معنى البداء لغة واصطلاحاً

أول من اتهم الشيعة بعقيدة البداء

البداء عقيدة عامّة المسلمين

تاريخ ظهور عقيدة البداء

الإشكال المطروح على البداء عند الشيعة
الروايات الواردة في البداء عند الشيعة
الروايات الدالة على أنّ البداء لا يستلزم الجهل
حدود البداء ومدى سعته
وجود تعرض بين روايات البداء
قراءة روايات القدر
عودة إلى روايات البداء
الأسئلة والأجوبة
بداية النوبة ٦٥
تمهيد

النقطة الأولى في أنّ الله تعالى حكيم
النقطة الثانية إنّ أفعال الله تعالى مقوّرة
النقطة الثالثة الدعاء يغيّر قدر الإنسان
النقطة الرابعة التغيير في التقدير لا يستلزم الجهل
نتيجة المقدمات الأربعة الآتية
النقطة الخامسة وفيها الإجابة عن بعض التسؤلات
الأسئلة والأجوبة

(٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩) التقليد في أصول الدين

تمهيد
كلام العلامة الحلّي
تنبيه لا بدّ منه
معنى عدم جواز التقليد في أصول الدين
مناقشة الاحتمال الأوّل
الاحتمال الثاني لمعنى التقليد في أصول الدين
مناقشة الاحتمال الثاني
الاحتمال الثالث لمعنى التقليد في أصول الدين
الاحتمال الرابع لمعنى التقليد في أصول الدين

الكلام في الفرق بين العلم والاعتقاد
بيان بعض المصطلحات والفرق بينها
مؤيدات للتغاير بين العلم واليقين والتصديق وبين الاعتقاد

بحث في الآية : ﴿ وَجَحَنُوا بِهَا . . . ﴾

الاحتمال الثاني في التقليد

الأسئلة والأجوبة

بداية النوبة ٦٧

ما هو المراد من الاعتقاد في أصول الدين ؟

تحرير محل النزاع

نتيجة البحث

عودة إلى أصل البحث

الأدلة التي استدلت بها على عدم جواز التقليد

الدليل الأول

مناقشة الدليل الأول

الدليل الثاني على وجوب المعرفة

التقريب الأول

التقريب الثاني للقاعدة

مناقشة الدليل الثاني بكلا تقويبيه

الدليل الثالث

ملاحظات لتوضيح الاستدلال

توبيان لتوسعة الدليل الأول

التقريب الأول

التقريب الثاني

النقطة الثانية

النقطة الثالثة

الأسئلة والأجوبة

بداية النوبة ٦٨

تلخيص ما تقدّم

الدليل الرابع على وجوب المعرفة

التعليق على الدليل الرابع

جواب الاشكال الأوّل

استدلال الأشاعرة على وجوب المعرفة

ما هي المعرفة الواجبة

القسم الأوّل

القسم الثاني

القسم الأوّل

القسم الثاني

الكلام حول تقسيم الشيخ الأنصاري

الدليل الثاني

أهميّة البحث

النتيجة

مناقشة الأدلّة السمعية

خلاصة البحث

هل يوجب الخروج من المذهب

الأسئلة والأجوبة

بداية النوبة ٦٩

فذلكة البحث المتقدّم

بيان الأدلّة الدالّة على شوطية معرفة المعاد في الإيمان

وأما الاستدلال بالأخبار

خلاصة ما تقدّم

ما هو المقصود من الإيمان ؟

ضروريات الدين

كلام الشيخ الطوسي حول وجوب المعرفة

يمكن استفادة عدّة أمور من كلام الشيخ الطوسي

الرأي الصحيح

اعتراض على الرأي الذي توصلنا إليه

(٧٠) توثيق فقه الإمامية من الصحاح والسنن

حوار بين الأستاذ المحاضر وأحد علماء السنّة

دعوة إلى البحث

المحور الأوّل : المدوّنين

المحور الثاني : فقه الأنصار

المحور الثالث : رواية الفضائل

المحور الرابع : الذين شهوا عليّاً حروبه

أثر البحث التلخيخي على الـ!

(٧١) دور النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في تثبيت العقيدة ووء الشبهات

وظيفة النبي والإمام (عليهم السلام)

الغفلة عن دور النبي والإمام (عليهما السلام) الباطنية واستواض بعض الأمتلة

من مسؤوليات النبي والإمام (عليهما السلام) الشهادة على أعمال أمهم

الشاهد الأوّل

الشاهد الثاني

الشاهد الثالث

الشاهد الرابع

بيان الآيات القوانية الدالة على شمول الشهداء لغير الأنبياء (عليهم السلام)

الشهادة على أعمال الناس تتوقف على أمرين

الآية الثانية الدالة على شمول الشهادة لغير الأنبياء

ما هو العواد من المؤمنين الذين يرون أعمال العباد ؟

خاتمة البحث

الأسئلة والأجوبة

(٧٢) دور فاطمة الزهراء (عليها السلام) في تثبيت العقيدة ووء الشبهات

وإثبات ذلك للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

في بيان معنى الحجية

أن الزهراء (عليها السلام) حجة وعصمتها من الأصول العقائدية
كيف يحتجّ الله تعالى لإثبات صحّة الديانة الإسلامية لغير النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ؟
نور المرأة في الإسلام

عودة إلى الموضوع السابق

فاطمة الزهراء (عليها السلام) وآية التطهير

استعراض مناقب أخرى للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

وهناك مقامات أخرى لفاطمة الزهراء (عليها السلام)

الأسئلة والأجوبة

(٧٣) دور الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تثبيت العقيدة وبراء الشبهات

تمهيد وفيه بيان ثلاث نقاط :

معاني القياس

ذكر بعض الأمثلة التي خولف فيها النصّ لأجل القياس

استعمالية منهج الاجتهاد مقابل النصّ إلى يومنا هذا

الاجتهاد المقبول في الشريعة

ما هو الدليل على الإمامة التي تقول بها الشيعة ؟

وفي مقام الجواب نقول : هناك ثلاثة فروض وكلّها باطلة

في إثبات العصمة

البعض ينكر نور الأئمة في حفظهم للدين

الأسئلة والأجوبة

(٧٤) دور الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في تثبيت العقيدة وبراء الشبهات

مقدمة تمهيدية :

كلمات الإمام الحسن في القرآن وأبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)

بيان صلح الإمام الحسن (عليه السلام) والدفاع عنه

بيان وظيفة الإمام (عليه السلام)

الأسئلة والأجوبة

هل المصالحة تنزل عن الإمامة ؟

وهل المصالحة تدعم نظرية فصل الدين عن السياسة ؟

ما هي المناشئ الحقيقية لخدلان أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) ؟

ما هو ردكم على الأكاذيب التي نسجها المستشرقون وبعض كتاب المسلمين على الحسن (عليه السلام) ؟

هل تعود الإمام وقيامه باختيار منه أم بتقدير من الله سبحانه وتعالى ؟

عظة للإخوة المغتربين

نوات مركز الأبحاث العقائدية

المجلد الخامس

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية

مركز الأبحاث العقائدية :

أ | إوان . قم المقدسة . صفائية . ممتاز . رقم ٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)

أ | العواق . النجف الأشرف . شلوع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

شلوع السور جنب مكتبة الإمام الحسن (عليه السلام)

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)

أ | الموقع على الإنترنت : www . aqaed . com

أ | البريد الإلكتروني : info @ aqaed . com

شايك (دمك) :

نوات مركز الأبحاث العقائدية / المجلد الخامس

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية

الطبعة الأولى . ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع : ١٤٣٤ هـ

المطبعة : سنزرة

* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

(٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢) في رحاب القرآن

الشيخ محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين .

(1) يصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) القرآن فيقول : «فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق»⁽¹⁾ ،
القرآن صامت وناطق ، صامت لمن لا يعيه ولمن لا يفقهه ولمن لا يستطيع أن يعي ويفقهه ، وناطق لمن يعي ويفقه هذا الكتاب ،
فهو شاهد صادق ، القرآن شاهد وليس بغائب ، شاهد يعني حاضر وليس بغائب ، شاهد صادق ، والحاضر يشهد ، يشهد
للإنسان ، وعلى الإنسان ، شاهد حاضر ، شاهد صادق ، يشهد للناس ، وعلى الناس ، إذا استقام الناس على هدي القرآن يشهد
لهم ، وإذا تخلف الناس عنه يشهد عليهم .

فالقرآن يوم القيامة شاهد في المحكمة الكبرى ، القرآن شاهد ، يشهد للذين استقاموا على هدي القرآن ، ويشهد على الذين
اختلفوا في القرآن ، وهو كما عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «شافع مشفع وماحل مصدق»⁽²⁾ .
القرآن يوم القيامة يشهد ويشفع ويمحل ، يشهد للذين استقاموا ، ويشهد على الذين تخلفوا ، شاهد صادق هذا الشاهد
بالضرورة صادق وشافع .

كذلك القرآن يشفع يوم القيامة للذين اهتوتوا بهداه ، شافع مشفع ، المشفع يعني الذي تقبل شفاعته يوم القيامة في المحكمة
الكبرى ، الله عز وجل يتقبل شفاعته القرآن ، شافع مشفع وماحل مصدق ، الماحل يعني الساعي ، الشخص الذي

1- الكافي ٨ : ٣٩١ .

2- الكافي ٢ : ٥٩٩ ، الجامع الصغير ٢ : ٣٦٤ .

يسعى بشخص إلى الحاكم ويشكوه عنده ، يسعى عليه يسمى ماحلاً ، القرآن شافع ، الماحل ضد الشافع ؛ لأن الماحل بمعنى
الساعي الذي يسعى على أحد عند الحاكم ، يسعى عليه عند الحاكم .

هذا السعي نقوله مقابل الشفاعته وضدها ، شافع مشفع وماحل مصدق .

الساعي إذا كان مصدق في سعيه تقبل المحكمة سعائته ، القرآن شافع مشفع وماحل مصدق ، يعني ساعي ، والله عز وجل

أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : «صامت ناطق» ، القَوَان له خطاب في حياة الناس وله جواب ، القَوَان عنده خطاب ، يخاطبنا القَوَان ، وللقَوَان جواب ، الخطاب غير الجواب ، الجواب عند السؤال والخطاب أوسع من الجواب ، القَوَان يخاطب البشرية والإنسانية والمؤمنين والناس جميعاً ، فللقَوَان خطاب ، وكذلك للقَوَان جواب ، لذلك الإمام يقول : «صامت ناطق» ، القَوَان عنده نطق ، عنده خطاب ، نطق يعني خطاب ، ويقول الإمام : «ذلكم القَوَان فاستنطقوه» .

عندما تريدون جواب على مشاكلكم وشؤونكم تطلبون من القَوَان جواباً ، إسألوا القَوَان وهو يجيبكم .

(فاستنطقوه) يعني يجيبكم القَوَان .

فإذن في القَوَان خطاب وفي القَوَان جواب .

وَأَلَّا : للقَوَان خطاب ، القَوَان له خطاب وسوف أتحدث عن ثلاث نقاط :

النقطة الأولى : كيف ينطق القَوَان ؟ صامت ناطق كيف ينطق القَوَان ؟

النقطة الثانية : لمن ينطق القَوَان ؟

النقطة الثالثة : لماذا ينطق القَوَان ؟

فإذن محور هذا الحديث ثلاثة .

أما النقطة الأولى : كيف ينطق القَوَان ؟

القَوَان عنده خطاب للبشرية وخطاب للذين آمنوا ، القَوَان يأمر ، القَوَان

الصفحة 9

يوجر ، القَوَان يوقع الأسماع ، القَوَان يستهزئ ، القَوَان يخاصم ، القَوَان يجادل ، القَوَان ينذر ، القَوَان يبشّر .

إذن القَوَان عنده خطاب بكلّ أبعاد الخطاب ونقواً بعض خطابات القَوَان قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (1) ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ (2) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ (3) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِنُوا الْكَافِرِينَ أَولِيَاءَ ﴾ (4) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (5) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (6) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ رَضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ (7) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (8) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زُلُوفَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (9) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (10) .

إذن خطاب القَوَان فيه توبيخ ، وفيه تبشير ، وفيه إنذار ، وفيه أمر ، وفيه زجر ، وفيه نهر ، وفيه ردع ، وفيه خصام ،

وفيهِ جدال .

- 1- آل عمران : ١٠٢ .
- 2- النساء : ٥٩ .
- 3- النساء : ١٢٥ .
- 4- النساء : ١٤٤ .
- 5- الأنفال : ٢٤ .
- 6- الأنفال : ٢٧ .
- 7- التوبة : ٣٨ .
- 8- الصف : ١٠ .
- 9- الحج : ١ .
- 10- الصف : ٢ .

القَوَان خطاب الله للإنسان ، والقَوَان جواب كذلك ، ليس خطاباً فقط ، القَوَان جواب ، عندما يعرض الإنسان أو البشرية في أي دهر وأي وهة من الزمان مشكلتهم على القَوَان فسيجيبهم القَوَان فالقَوَان خطاب ، والقَوَان جواب . هذا المحور الأول من الحديث .

المحور الثاني : لمن ينطق القَوَان ؟

الجواب : لمن يُحسن أن يستنطق القَوَان ، الذي يعرف أن يستنطق القَوَان يجد عند القَوَان جواباً لكل سؤال ، ما يعرض الإنسان على القَوَان إلاّ ويجد في القَوَان جواباً لذلك السؤال ، ما نعوض على القَوَان داءً إلاّ ونجد في القَوَان شفاءً لذلك الداء ، علاجاً لذلك الداء ، علاجاً لذلك المرض .

ما نعوض على القَوَان مشكلة من مشاكلنا الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والعقائدية والفكرية إلاّ نجد في القَوَان حلاً لتلك المشكلة ، ولكن لمن ينطق القَوَان ؟ ومن الذي يأخذ الجواب من القَوَان ؟

من يعرف أن يستنطق القَوَان . هذه المسألة جداً مهمة أن نعرف أن نستنطق القَوَان . وليس كل شخص يعرف أن يستنطق القَوَان ، الإمام (عليه السلام) يقول : «ذلك القَوَان فاستنطقوه»⁽¹⁾ ، إذا تعرفون تستنطقون ، يعني تأخذون القَوَان إلى النطق إذا عرفتم أن تستنطقوا القَوَان تجدون الجواب عند القَوَان لمشاكلكم .

هذه الجملة من كلام الإمام : «ذلك القَوَان فاستنطقوه» نتوقف عندها ، القَوَان كتاب الله المنون ، والله تعالى كتابان ، كتاب التكوين وهو عبارة عن الكون كُله وكتاب الله التدويني ، كتاب مدونّ الله تعالى ، وهو القَوَان .

وهذان الكتابان متطابقان ، القَوَان يطابق الكتاب التكويني في الكون ، الكون ناطق وليس بصامت ، ولكن لمن ينطق الكون

؟

للذي يعرف أن يستنطق الكون ، القَوَان يقول : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ﴾

1- نهج البلاغة ٢ : ٥٤ ، خ (١٥٨) .

بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ⁽¹⁾ .

إذن هذا الكون كون ناطق ، وليس كلّ الناس يفقهون تسبيح الكون هذا الكون يسبح بحمد الله ، يذكرنا بجلال الله ، يذكرنا بجمال الله ، ولكن ليس كلّ أحد يفقه تسبيح الكون . يعني هذا الكون يشهد لنا بتتويبه الله تعالى عن العجز ، هذا الكون يحمد الله بجميل صنعه .

فإنّ لهذا الكون حمد ، ولهذا الكون تسبيح ، ولكن ليس كلّ أحد يفقه تسبيح الكون . من يفهم تسبيح الكون ؟
الذي يقدر أن يستنطق الكون ، الذي يستنطق الكون يفهم تسبيح الكون وحمد الكون ، يفقه تسبيح السموات والأرضين والجبال والمعوات ، هذه المعوات والسحب الكونية والجبال والبحار تسبح بحمد الله ، والذين يفقهون تسبيح الجبال والبحار والأشجار هم قلة من الناس ، هؤلاء يعرفون كيف يحسنون أن يستنطقوا الكون ، أمير المؤمنين (عليه السلام) له كلمة يقول : «فصار كلّ ما خلق حجة له ودليلاً عليه وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة»⁽²⁾ إنّما الكون صامت للقلوب المغلقة ، أما القلوب المنفتحة والواعية فحجتها التدبير .

في كلمة أخرى الإمام يقول : «وإنّنا من ملكوت قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته»⁽³⁾ .
إنّ هذا الكون وهذه الآثار وهذه السموات وهذه الأرواح الكونية الكبيرة والمعوات والسحب الكونية ناطقة بحكمة الله سبحانه وتعالى ، وهذه الآثار . الآثار اليوم علم من العلوم علم وفن علم الآثار . والخائب لها خطاب كأثار بابل والقلاع الأثرية الموجودة اليوم والتي هي من جملة اهتمامات الإنسان .

مرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على مدائن كسوى . أنا شاهدت مدائن كسوى على

- 1- الإسراء : ٤٤ .
- 2- نهج البلاغة ١ : ١٦٣ و١٦٤ خ(٩١) ، وفي خطبة الأشباح .
- 3- نهج البلاغة ١ : ١٦٣ و١٦٤ خ(٩١) ، وفي خطبة الأشباح .

الصفحة 12

مقربة من بغداد حيث مدفن الصحابي الصالح سلمان الفارسي في بغداد معروف بمنطقة سلمان باك . وهناك طاق كسوى إلى الآن موجود طاق كسوى هذا تم إنشؤه قبل مولد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنتم إذا لم تشاهدوا الطاق لا بدّ أنكم رأيتم صورة الطاق في الآثار . مرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على طاق كسوى وكان أحد أصحابه إلى جنبه فلما نظر إلى الطاق قال : جرت الرياح على رسوم ديلهم فكانهم كانوا على ميعاد ، الإمام (عليه السلام) قال : «أفلا قلت كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين»⁽¹⁾ .

هذا خطاب الآثار فالآثار لها خطاب ، طاق كسوى له خطاب وهذا خطابه : كم تركوا من جنات أين الذين كانوا يتنعمون في هذا القصر الشامخ؟ والذي بقي طاقه بعد ما يقرب بـ ١٥٠٠ سنة الطاق قائم ، كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء لما تركوا هذه القصور وهذه الزروع وهذه الجنات واحتوتهم الأرض ، فاضجعوا في بطن الأرض ، وأهلوا عليهم التراب . تلك الوجوه المنعمّة أهلوا عليها التراب ،

كيف ما يكون ملك أو فقير فهذا التراب يُلقى عليه ، لما ألقوا عليهم التراب أخرجهم من قصورهم ونعيمهم ، وأضجعوا في قبورهم وأهبل عليهم التراب ، لابتكت عليهم السماء ولابتكت عليهم الأرض وما كانوا منظرين .
هذا خطاب الآثار . إذا أخذنا الآثار علم الآثار بخطابها بخطاب الآثار ، الآثار مفيدة نافعة وإلا إذا جردنا الآثار من هذا الخطاب ، الآثار آثار بليدة وعجماء وما فيها خطاب وما فيها وعي وكالسياحة في العالم السياحة في الغرب من جملة هويات الغربيين ، والسياحة من الأمور التي أكد عليها القوان ، ولكن

1- كنز الفوائد : ١٤٥ ، شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٠٢ ، والآيات من سورة الدخان : ٢٥ - ٢٩ .

الصفحة 13

بين السياحتين فرق كبير ، القوان ووكد فمن الناس الذين يرفعهم القوان بالسياحة [قال تعالى] : ﴿ السَّائِحُونَ الرَّاحِعُونَ ﴾

والتسايدون ﴿ السَّاجِدُونَ ﴾ والسياحة اليوم في الغرب من جملة هويات الغربيين ، ولكن شتان بين سياحة وسياحة ، تلك السياحة سياحة واعية وفيها خطاب وسياحة ناطقة وهذه السياحة سياحة بليدة ومجردة عن كل وعي وعن كل فهم .
هذا كتاب التكوين .

كتاب التكوين : وهو القوان الكريم ، كذلك فيه خطاب ، وهذا الخطاب يختص به من يعوف لغة القوان ومن يحسن أن يستنطق القوان ، أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول عن القوان : «ناطق لا يعيى لسانه ، وبيت لا تهدم أركانه ، وعز لا تغرم أعوانه»⁽¹⁾ ، القوان ناطق ، وكل ناطق يعيى ، فالتجود ناطقا لا يعيى ولا يتعب ولا يكل ولا ينغلق عليه النطق الناطق ، مهما كانت قدرته في النطق والكلام والخطاب فهو يعيى ويتعب لا محالة .

فالناطق مهما كان قارواً ومهما كان متمكناً فإن ظروف الكلام تؤثر عليه ، الحر يؤثر فيه ، والبرد يؤثر فيه ، والقلق يؤثر فيه ، والخوف يؤثر فيه ، إذا كان خائفاً الخوف يؤثر في نطقه ، وإذا كان مضطرباً اضطرابه يؤثر في نطقه إلا القوان الكريم فإنه ناطق لا يعيى ، لا يكل ، ولا يتعب ، ولا يختل له نطق ، ولا يضطرب ، ولا يقلق ، ولا يفعل ، ولا يخرج عن حالة الانفعال ، لا يفعل إلى اليمين أو اليسار ناطق لا يعيى لسانه .

وأين يجد الإنسان ناطقاً لا يعيى لسانه ، وبيت لا تهدم أركانه ؟ القوان بيت ، هذه حقيقة عظيمة إذا عرفنا أن القوان بيت ، الإنسان يؤي إلى البيت ويسكن إلى البيت ، القوان يقول البيوت سكن لكم : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ .

1- نهج البلاغة ٢ : ١٦ ، خ ١٣٢ .

الصفحة 14

سكننا ﴿ (1) ﴾ ، البيت سكن ، وهو المكان الذي يستقر فيه الإنسان ، القوان يقول : بيوتكم سكن ، يعني الإنسان يستقر في الليل وفي النهار جهد وتعب وعناء وحركة فمتى يستقر الإنسان ؟

يستقرّ بالليل فالليل سكن ، والبيت سكن ، الله عزّ وجلّ جعل في بيت كل إنسان سكناً له ، لا يشعر الإنسان بالراحة في أي مكان مهما كان ذلك المكان الذي يذهب إليه حتّى لو كان أفخم القصور فلا يوتاح الإنسان إلّا في بيته ولو كان صغيراً ، هذا معنى الاستقرار ومعنى السكن .

القوّان بيت للبشرية وسكن للبشرية ، البشرية إذا أوت إلى القوّان وجدت في القوّان سكناً واستقراراً ، عندما يؤي الإنسان إلى القوّان يجد في القوّان سكناً واستقراراً ، وعندما يخرج عن حريم القوّان فأين ما يذهب إلى الغرب أو الشرق أو إلى الحضارات الشرقية الغربية أو إلى الثقافات الغربية أو الثقافات الشرقية البابلية أو الثقافة الأكديّة أو الهندية أو الرومانية أو الثقافة الأمريكيّة أو الثقافة الملركسية فلا يجد استقراراً إلّا في القوّان الكريم ، يشعر أنه بيته القوّان ، بيت الله ، وأعد هذا البيت لاستقرار الإنسان ، يجد الإنسان في هذا البيت استقراره النفسي .

فهو بيت لا تهدم لكانه ، وعزّ لا تهدم أعوانه ، الذي يعتزّ بعزّ القوّان ، والذي يحتمي بحماية القوّان لا ينهزم ، هذه قلعة ، القلعة فيها هذه الخاصيّة ، سابقاً قبل الغزات الجوية الناس كيف كانوا يؤون ؟
يؤون في القلاع ، يسجون مدينتهم بقلعة وجدران عالية وقوية ورفيعة ، وأنتم تشاهدون آثار القلاع اليوم ، فبعد ما بينون القلاع ، بعدها أصبح لا يوجد فيها فائدة نتيجة الغزات الجوية تجتاز القلاع ، عندما كان الناس يؤون إلى القلعة ويغلقون باب القلعة وإن كان العدو يحاصوهم من كلّ الأطراف يجنون أن هذه القلعة تحميهم ، إذا فتروا باب القلعة وإذا خرجوا من القلعة يتعرّضون للأذية ،

1- النحل : ٨٠ .

الصفحة 15

ويتعرّضون للهزيمة .

القوّان عزّ لا تهزم أعوانه ، أعوان القوّان الذين يحتمون بعزّ القوّان لا ينهزمون إنّما المسلمون أصابتهم الهزائم هزيمة بعد أخرى عندما خرجوا من عزّ القوّان وعندما خرجوا من حمى القوّان ، لما خرجوا من حمى القوّان وجنوا هزيمة بعد هزيمة ، ووجنوا ذلاً بعد ذلّ ، وادارجوا إلى حمى القوّان واحتنوا به من جديد فسيستعيدون موقعهم من القوّان ، القوّان يحميهم .

فإنّ هذه الكلمة : «ناطق لا يعيى لسانه» كيف ينطق القوّان ؟ ولمن ينطق القوّان ؟

القوّان ينطق لمن يُحسن أن يستنطق القوّان ، أنا أوضّح هذا الموضوع وأقول : الناس اتجّاه القوّان ثلاث طوائف .

الطائفة الأولى

طائفة من الناس معرضون عن القوّان وهؤلاء الناس القوّان منغلّق عليهم تماماً وصامت معهم ، لا يسمعون ولا يعون للقوّان خطاباً ولا جواباً وهذه القلوب محجوبة عن القوّان ومنغلقة عن القوّان ، على آذانهم وقرّو على أبصرهم غشوة ، لا ينفذ إلى قلوبهم نور القوّان أبداً ، ولا يعون للقوّان جواباً ، ولا يعون للقوّان خطاباً ، هؤلاء اجعلوا عليهم علامة ضرب .

وطائفة واسعة من الناس ختم الله على قلوبهم ، والذي ختم الله عز وجل على قلبه ماذا تريد من عنده ؟ وماذا تتصور فيه ؟

الطائفة الثانية

الطائفة الثانية من الناس : يتعامل مع القرآن ولكن من موقع الفرقية وليس من موقع التبعية ، يحمل رأيه على القرآن يطوع القرآن لرأيه وهواه وليس العكس ، يريد أن يستنطق القرآن ولكن يحب أن يستنطق القرآن كما يحب وكما يشتهي وكما يهوى وكما تتحقق ميوله ومنافعه ، وهؤلاء طائفة ثانية من الناس القرآن ما

الصفحة 16

ينفذ إلى قلوبهم أبداً كالطائفة الأولى ، لا ينتفعون بكتاب القرآن ، ولا ينتفعون بجواب القرآن .

أنا استعرضت كلمات الإمام ، وفكرة المحاضرة القرآن في نهج البلاغة إن فكرة المحاضرة رؤية الإمام (عليه السلام) إلى القرآن ، يقول (عليه السلام) : «آخر قد تسمى عالماً» ، يسمي نفسه عالماً ، كلام الإمام دقيق ، ليس بعالم فيسموه عالماً ، يُسمي نفسه عالماً وهو ليس بعالم : «فاقتبس جهائل» أخذ نظريات وأفكار الجاهلية : «فاقتبس جهائل من جهال ، وأضاليل من ضلال ، ونصب للناس اشراكاً من حبائل غرور وقول زور ، قد حمل الكتاب على رأيه . الكتاب هو القرآن . وعطف الحق على أهوائه»⁽¹⁾ .

يعطف الإنسان هواه على الحق ، لكن هؤلاء بالعكس يعطفون الحق على أهوائهم وميولهم ومصالحهم بينما الصحيح أن يجعل الإنسان مصلحته وأهواءه ورجباته تابعة للحق ، إلا أن هؤلاء بالعكس عطفوا الحق على أهوائهم يقول : «أف عند الشبهات وفيها وقع ، هو يقول : قف عند الشبهات ، يوق القرآن يقول : قف عند الشبهات ولكن فيها وقع ويقول : «أف عند الشبهات وفيها وقع» ، ويقول : «اعتزل البدع وبينها اضطجع . هو مضطجع بين البدع ويقول اعتزل البدع . لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه»⁽²⁾ ، هؤلاء الناس لا يفقهون القرآن ولا يعون من القرآن خطاباً ولا جواباً ، هذه الطائفة الثانية .

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «خُفَّ فينا راية الحق راية الحق القرآن . من تقدّمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، ومن لم يزلها لحق»⁽³⁾ ، هذه الولاية التي يتقدمها مرق والذي يتخلف عنها زهق والذي يؤمها لاحق ، من

- 1- نهج البلاغة 1 : 153 ، خ 87 .
- 2- المصدر السابق .
- 3- نهج البلاغة 1 : 193 ، خ 100 .

الصفحة 17

تقدّمها مرق ، ومن تخلف عنها زهق ، ومن لم يزلها لحق . هذه الطائفة الثانية ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) توع الأُمويين من هؤلاء في حياته ، وواجه هذه الحالة ، حالة المروق عن القرآن ، وحالة تحميل الأهواء على القرآن في الناكثين وفي الملقين وفي القاسطين ، الملقون مسلمون ، والقاسطون مسلمون ، والناكثون مسلمون . الإمام (عليه السلام) وجد في

الناكثين والقاسطين والمارقين هذه الحالة يقول (عليه السلام). والخطاب يخصّ الخولج وهم الملقون . : «كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم»⁽¹⁾ ، كأنهم أئمة الكتاب ، يفسرون الكتاب ، يفسرون خطاب الله تعالى كما تشتهي نفوسهم ، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم . هذه الطائفة الثانية .

وهي منغلقة كالأولى عن القآن تماماً لا يجدون للقآن خطاباً ولا جواباً ، ولا ينعمون بنكهة القآن أبداً ولا يشتمون رائحة القآن ، أناس لا يشمون رائحة الجنة ولو كانوا إلى جوار الجنة ، والجنة يستنشق المؤمنون روائحها من الدنيا ، توجد بعض الروايات عبر ٥٠٠ ألف سنة ، يعني وهو في الدنيا يستنشق رائحة الجنة ، يوجد أناس في الدنيا وهو في هذه الدنيا وفي مكله الدنيا وفي عذاب الدنيا وفي عناء الدنيا وفي سجون الدنيا وفي اضطهاد الدنيا ويستنشق روائح الجنة ، ويوجد أناس إذا يذهب إلى جنب الجنة وعلى باب الجنة لا يستنشق رائحة الجنة .

وهذا زكام حادّ ماذا تعمل له ؟ كذلك القآن هناك أناس لا يستنشقون نكهة القآن أبداً .

الله ورحم أحد المشايخ الكبار لا أذكر اسمه رحمة الله عليه يقول : كنت في النجف أيام الشتاء القارسة ، سابقاً ما أظن أنتم أركتم هذا النوع من التدفئة ، التدفئة المتولية قبل أن تظهر التدفئة المركزية كانت هناك تدفئة موضعية ، موضع عليه كرسي ويغطى هذا الكرسي بغطاء ، وتحت الكرسي موقد نار يتدفئون به .

1- نهج البلاغة ٢ : ٣١ ، خ ١٤٧ .

هذا النوع من التدفئة لا زال معروفاً في بعض القوى ، وفي المدن لا يوجد . ما أظنّ بعضكم شاهد هذا النوع من التدفئة ، فكانت أيام قارسة شديدة البرد ، يقول : أنا كنت أذهب تحت هذا الغطاء إلى حنكي ، البرد شديد إتدفا بهذه التدفئة ، وأوق القآن أخذ القآن بيدي وأوق القآن ، يقول يوماً ما أتيت إلى أستاذنا السيد القاضي رحمة الله عليه وقلت له سيدنا أهل المعرفة يقولون في القآن نكهة وفي القآن نور ، وفي القآن لذة ، ينعم الإنسان بالقآن ، ويلتذّ الإنسان بالقآن ويجد في القآن لذة ونعيماً ، لكن أنا ما أجد هذه اللذة ، وأوق القآن ، وأتمعن النظر فيه إلا أنني لا ألتذّ ؟

قال لي : بلى أنت عندما تذهب تحت الغطاء وطبيعي لا تجد لذة في القآن ، قم آناء الليل وسط البرد وأقم الصلاة في البرد وقم بين يدي الله واتلو القآن حتى تجدرائحة القآن وتستنشق نكهة القآن .

فلقآن نكهة ، وللقآن نعيم ، وللقآن لذة ، والقآن قوة عيون المؤمنين ، ويجد الإنسان ما لا يجده في أي نعيم آخر ، ويجد الإنسان في القآن من النعيم واللذة ما لا يجده في أي مكان آخر .

هناك أناس لا يجدون ذلك مع أنهم يسمعون القآن ليلاً ونهاراً وبالأخص القآن يبيت في الإذاعات ومحطات التلفزيون والمجالس ، القآن يتلى علينا ليلاً ونهاراً ، ولكن هناك أناس لا يجدون للقآن لذة ولا نعيماً ، محجوبون عن القآن وان

حشروا مع القآن .

وهناك أناس يجنون في القرآن لذةً ونعيمًا هؤلاء هم الطائفة الثالثة .

الطائفة الثالثة يفقهون القرآن ويحسنون استنتاج القرآن ، هؤلاء يعرفون كيف يستنتجون القرآن ، أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول عن الإمام الحجة عجل الله فوجه عندما يظهر : «يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي

الصفحة 19

. يعطف يعني يجعله تابعاً . على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي فالفاصل - بين ثرة الإمام وحالة عصوره والظروف

التي يعيشها الناس يعطفون الهدى على الهوى ، الإمام (عليه السلام) يعطف الهوى على الهدى - ١٨٠ درجة تماماً ، فالناس يعطفون القرآن على الرأي ، يفسرون القرآن كما يشتهون وكما يحبون يعطفون الرأي على القرآن ، الإمام بالعكس يعطف الرأي على القرآن .

هذه الثرة الكونية الكبرى التي يقودها الإمام (عليه السلام) يعطف فيها الهوى على الهدى ، ويعطف الرأي على القرآن . هذه الثرة الكونية التي يقودها الإمام ، الإمام (عليه السلام) أيضاً يتحدث عن هذه الطائفة الثالثة فيقول : «قد أمكن الكتاب . يعني القرآن . من زمامه فهو قائده وإمامه ، يحلّ حيث حلّ ثقله ، ويتولّ حيث كان متولّه»⁽¹⁾ .

هؤلاء الناس يمكنون القرآن من زمامهم ، يعطون زمامه إلى القرآن فيقودهم القرآن حيث شاء ، فقائده وإمامه القرآن ، يحلّ حيث حلّ ثقله ، ويتولّ حيث يتولّ القرآن ، ويسير حيث يسير القرآن . الإمام (عليه السلام) يوجّه الناس اتجاه القرآن فيقول (عليه السلام) : «استدلوه على ربكم» استدلوا بالقرآن خنوا الدلالة من القرآن .

«واستنصوه على أنفسكم» ، استنصوا القرآن خنوا النصيحة من القرآن على أنفسكم .⁽²⁾ «واتهموا عليه لآئكم» ، إذا اختلف رأيك والقرآن ، اختلفت مشتهياتك النفسية ورغباتك النفسية مع القرآن فاتهم نفسك واستنص القرآن ، فكلّ ما وجدت من رغبة نفسية تخالف القرآن فاتهم نفسك واستنص القرآن . هذا القرآن مقياس في الحياة ، القرآن مقياس للدلالة ، ومقياس للهدى ،

1- نهج البلاغة ١ : ١٥٣ ، خ ٨٧ .
2- نهج البلاغة ٢ : ٩٢ ، خ ١٧٦ .

الصفحة 20

ومقياس للنصيحة . حاكم القرآن في حياة الإنسان ، إذا استطاع الإنسان أن يحكم القرآن في حياته وغاؤه وشهواته

واستجاباته وردعه وموقفه وحركته وسكونه فيحكم القرآن : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا رَزَاكَ**

اللَّهِ

﴿١﴾ فإذا استطاع الإنسان أن يحكم القرآن في حياته ، وأصبح القرآن حاكماً على الإنسان ، وليس الإنسان حاكماً على القرآن فسوف يجد المسلم بينه وبين الكتاب علاقة ، أما إذا رفض ذلك وحكم القرآن على هواه فتحصل عنده هذه التناهي ،

وهذه الالتواءات وهذه التأويلات ، وهذه الآراء المضطربة في تفسير القرآن ، والتي عليها المسلمون منذ الصدر الأول ، والمذاهب المتعلضة والمتخاصمة والمنقلعة والمتضربة كلّ منهم يأخذ من القرآن ، هؤلاء في الحقيقة يأخذون بالقرآن بل يأخذون من القرآن ما يوافق مصلحتهم .

وهذه مصيبة ، الإنسان يجعل القرآن تبعاً لهواه وتبعاً لرأيه ، ويعطف رأيه من الهدى إلى الهوى ، ويعطف القرآن على الرأي . هذه مصيبة المسلمين من الصدر الأول إلى اليوم والإمام (عليه السلام) بدقة يميّز مصيبة المسلمين من أنّهم يعطفون القرآن على الرأي والهوى دون الهدى .

وهذا الجواب على السؤال الثاني من أنّه كيف نستطيع القرآن ؟

لا نحكم أنفسنا على القرآن ولا نعطف القرآن على رأينا بل نقف أمام القرآن وكلّ همتنا أن نأخذ من القرآن عندئذ يعطينا القرآن ، بينما الإنسان الذي يريد أن يحمل رأيه على القرآن ويحمل فهمه على القرآن ويحمل مشتبهاته النفسية ورغباته النفسية ومصالحه على القرآن فسوف لا يجد من القرآن خطاباً وجواباً ، وسوف لا يحسن أن يستنتق القرآن ، وإنما يعرف الإنسان خطاب القرآن وجواب القرآن عندما يقف حيال القرآن مسلماً له ، يحلّ حيث حلّ القرآن ، ويقول حيث يقول القرآن ، ويتحرك حيث يتحرك ، ويسكت عندما يأمره القرآن

1- النساء : ١٠٥ .

الصفحة 21

بالسكوت ، ويتكلّم عندما يأمره القرآن بالكلام وليس لديه رأي اتّجاه القرآن .

هذا الإنسان يعرف خطاب القرآن وسمع خطاب القرآن ويجد في القرآن لذّةً ونعيماً هذا السؤال الثاني .

السؤال الثالث : بماذا ينطق القرآن ؟ ماذا نسمع من القرآن ؟

إنّ حياة الإنسان تتلخّص في ثلاث كلمات ، والقرآن يهدينا إلى هذه الكلمات الثلاث ، وهي الماضي والحاضر والمستقبل ، ولا تجد انساناً يعيش في غير هذه الأرمنة ، إمّا أن عاش وإمّا أن يعيش وأما أن يكون سوف يعيش . هذه هي الأوعية الثلاثة ، في حياة الإنسان ، القرآن الكريم ينطق للإنسان إذا استنطقه عن الماضي وعن الحاضر وعن المستقبل .

فاسمع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : «ذلك القرآن فاستنطقه ولن ينطق ، ولكن أخوكم عنه : ألا إنّ فيه علم

(1)

ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ونواء دائكم ، ونظم ما بينكم» .

إنّ القرآن يعالج مشاكل الإنسان في ثلاثة أوعية ، وعاء المستقبل «ألا إنّ فيه علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ونواء دائكم ونظم ما بينكم» ، القرآن يتحدّث عن الماضي ، والقرآن يتحدّث عن الماضي حديثاً طويلاً ، فيذكر لنا قصص الماضين سواء عن أصحاب ثمود أو أصحاب السبت وقوم فوعن وبنو إسرائيل وأصحاب الأخدود وقوم عاد وقوم لوط والأهوام

الأخرى والتاريخ ، والقرآن له عناية كبيرة بالتاريخ وله حديث واسع عن الماضي .

والقرآن يعالج مشاكل الناس في عصر البعثة ، عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

«وإنا نعلم ما بينكم» هذا أيضاً مفهوم في القرآن ، خطاب للحاضر للذين عاصروا هذا الخطاب من المسلمين في عصر الرسالة ، نظم ما بينهم وواء دائهم ، ولكن الإمام (عليه السلام) يشير إلى مسألة ثالثة وهي : «إن فيه علم ما يأتي»
القرآن

1- نهج البلاغة ٢ : ٥٤ ، خ ١٥٨ .

الصفحة 22

فيه علم ما يأتي ، بعض شواحي النهج يقولون هذا إشارة إلى مغيبات القرآن ؛ ولكن الصحيح أنه ليس فيه إشارة إلى مغيبات القرآن ، القرآن فيه مغيبات كثيرة ، ولكن ليس مقصود الإمام هنا ذلك .
«ألا إن فيه علم ما يأتي» علم المغيبات ، القرآن يسود التريخ ، وإنما يجعل من التريخ مرآة ينعكس في هذه المرآة حاضرنا ومستقبلنا هذا التريخ ، والقرآن لم يات ليسود علينا التريخ أبداً ، وإنما القرآن يعطينا سنن الله تعالى في التريخ فلما يسود التريخ كتريخ أصحاب السبب وأصحاب الأخدود وقوم عاد وقوم ثمود وبني إسرائيل فيريد القرآن أن يستخلص من خلال هذا السود سنن الله تعالى ثم يقول القرآن : ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽¹⁾ ، سنن الله لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير ، سنن الله في الفيزياء والكيمياء والتريخ كذلك ، وفي المجتمع كذلك لا يتغير ، فكما أن سنن الله في الفيزياء لا تتغير كذلك سنن الله في التريخ والمجتمع لا تتغير .

فقبل مليون سنة الماء إذا أعطيناها مائة درجة حرارية يغلي واليوم يغلي كذلك بمائة درجة حرارية يغلي ، كذلك نفس القانون لا يتغير ، هذا القانون هنا وفي الهند وفي اندونيسيا وفي أمريكا سواء ، هذا سنة لا تتغير ، سنن الله في التريخ وفي المجتمع لا تتبدل ولا تتغير .

القرآن لا يعطينا تريخ ، القرآن يكشف لنا عن سنن الله تعالى ، فلما يعرض القرآن القصص يستخلص السنن الإلهية سنة بعد سنة وقانوناً بعد قانون ، ثم يجعل من هذا القانون مرآة نعرف من خلالها حاضرنا ومستقبلنا ، لذلك : «نظم ما بينكم وواء دائكم» ليس معناه فقط الآيات التي يخاطب بها القرآن المسلمين ، الآيات التي يخاطب بها المسلمين في عصر الرسالة ، وإنما فيما يسوده القرآن من تريخ الأمم فنعرف المستقبل من خلال الماضي .

1- فاطر : ٤٣ .

الصفحة 23

عندما يتحول التريخ من سود بليد إلى فهم ووعي لسنن الله تعالى ، وعندما يتحول التريخ من ألف ليلة وليلة إلى وعي لسنن الله تعالى فلما يوق الإنسان هذا التريخ سوف يكشف سنن الله المستقبلية ، فنحن هل نقدر أن نقول الآن الجو يبرد ؟
برودة الجو لم تحصل صدفةً وإنما تحصل برودة الجو بسبب التغيرات الجوية ، ولا يمكن أن تحصل صدفة ، الآن الأنبياء الجوية قبل أيام من نزول المطر وبشكل دقيق يقولون تنزل الأمطار قبل أيام من اشتداد الورد بأن تأتي موجة من الورد من

البحر الأبيض المتوسط باتجاه الشرق ، ويحدّون المناطق قبل أيام من مرور العاصفة ، ويقولون سوف تمرّ عاصفة ويحدّونها بشكل دقيق ، والتاريخ كذلك وعلم الاجتماع كذلك .

القوّان أخرج التاريخ من حالة ألف ليلة وليلة والقصص والأساطير إلى حالة علم متماسك متّابط وسنن إلهية ، ويؤكّد القوّان على أنّ هذه السنن متّابطة ، وأنّ هذه السنن بنتائجها وآثرها تتكرّر كلّما تكرّرت هذه القصة وكلّما تكرّرت هذه الحالة ، النتائج التي ابتلي بها بنو إسرائيل لا تخصهم ، كلّ أمة سلكت مسلك بني إسرائيل تنتهي إلى الطريق المسود الذي انتهى إليه بنو إسرائيل ، لذلك نحن نستطيع أن نقوّا في القوّان حاضونا ومستقبلنا من خلال قوّاء واعية للماضي ، فالقوّان يعطينا وعي لحال الإنسان في ثلاثة أوعية ، وعاء الماضي وعاء الحاضر وعاء المستقبل .

أوّا عليكم كلام الإمام من جديد : «الا إنّ فيه علم ما يأتي . هذا المستقبل . ، والحديث عن الماضي . هذا الماضي . ، وواء دائكم ، ونظم ما بينكم . هذا الحاضر . » ، يعني لا يوجد شيء يخرج عن حريم القوّان ، الماضي الحاضر المستقبل ، القوّان مرآة لحياة الإنسان ، ونستطيع أن نبصر بالقوّان ، وننطق بالقوّان ، ونسمع بالقوّان ، الذي يأخذ من القوّان الذي يأخذ القوّان ويبصر بالقوّان وينطق

الصفحة 24

بالقوّان ويسمع بالقوّان .

أنا أذكر هذه الكلمة الأخوة للإمام (عليه السلام) وأختم هذا الحديث : «كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله»⁽¹⁾ لاحظوا تُبصر غير تبصرون به ، تنطق غير تنطقون به ، وتسمع غير تسمعون به . الإمام لا يقول كتاب الله تبصرونه وتنطقونه وتسمعونه وإنّما يقول الإمام : كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به .

متى يبصر الإنسان بالقوّان ؟

عندما الله يسلّحه ببصيرة ، وي الأشياء ببصائر القوّان ، وعندما يرى الإنسان الأشياء ببصائر الله تعالى في القوّان يرى الأشياء ويرى الأمور ويرى الأفكار مختلفة عما لو واه بغير هذه البصيرة ، لذلك الإمام يقول : إذا أردتم أن تنظروا للماضي والحاضر والمستقبل تسلّحوا ببصيرة القوّان ، فإذا تسلّحوا ببصائر القوّان عند ذلك ترون الألوان غير الألوان ، والأفهام غير الأفهام ، والآراء غير الآراء ، ترون الحقّ حقاً ، والباطل باطلاً ، ولا يختلف عليكم الحقّ أبداً ؛ لأنّ الحقّ والباطل يختلطان على الإنسان عندما يبصر الأشياء والأفكار بغير بصائر القوّان ، عند ذلك تتداخل الأفكار والمفاهيم ، ويتداخل الحقّ والباطل ولا يقدر أن يميّز الإنسان الحقّ عن الباطل إذ تعدم الرؤية ، وإذا انعدمت الرؤية عن الإنسان فلا يقدر أن يميّز الطريق .

قبل ليلتين أو ثلاث كُنّا على طريق طهوان والضباب كان مكثفاً فأنعدمت الرؤية تماما فأضطرت السيلة للتوقف ، لأنّ السائق لا يتمكن من رؤية الطريق كذلك الإنسان ، عندما يتجرّد عن بصائر الله تعالى في القوّان يختلط عليه طريق الحقّ

بالباطل ولا يتمكّن تمييز الطريق عن غير الطريق ، الهدى عن الهوى ، الجهل

عن العلم .

أما إذا تسلَّح ببصائر القَوَان عند ذلك يميِّز بوضوح الحقَّ عن الباطل ، والهوى عن الهدى ، ويعرف الأعوج عن المستقيم . وهذه الفوضى عند الناس لابتعادهم عن القَوَان ، ولو عاشوا مع القَوَان لم يختلط عليهم الحقُّ بالباطل ، لأنَّ الله تعالى لا يريد للناس الضلال .

الإمام يقول : «كتاب الله تبصرون به» ليس تبصرونه ، كُلُّ واحد يبصر كتاب الله ، كُلُّ واحد عنده هاتان العينان الجلحتان يبصر القَوَان ، لكن ليس هذا المطلوب ، بل المطلوب أن نبصر بكتاب الله . «كتاب الله تبصرون به وتتطقون به» ، إذا ترويون أن تجعلوا من نطقكم حكمةً وحقاً حتى لا تنطق بضلال وحتى تحصن نطقك وكلامك من الباطل والريغ أنطق بالقَوَان .

«وتتطقون به» وإذا تريد أن تحسِّن سمعك . والإنسان يسمع الحقَّ ويسمع الباطل وسبحان الله قد يلقي الباطل على الإنسان بأن يكون انساناً بليغاً متكلماً سآحوا يسحر السمع ، وكثروا ما هم يسحرون الأسماع فيضلونهم . فالذي يحسن السمع هو القَوَان

إذا سمع الإنسان القَوَان عند ذلك يميِّز بين ما يسمعه من الحقِّ وما يسمعه من الباطل ، ونحن نسمع حقاً ونسمع باطلاً ، واليوم عصر الإعلام علم وفنٍّ ، ونزخرفون بالباطل ويخرجون الباطل إخراجاً جميلاً سآحوا بمصطلحات جديدة مستحدثة ولطيفة وأفكار جذابة ويلقونه فيضل الناس .

وهذا علم وفنٍّ وله علماء ومتخصِّصون يسحرون سمع الإنسان ، فإذا أراد الإنسان أن يحصنَّ سمعه من الباطل حتى يميِّز بين الحقِّ والباطل فعليه أن يحصنَّ سمعه بالقَوَان .

متى يبصر الإنسان بالقَوَان ؟ ومتى ينطق الإنسان بالقَوَان ؟

هل شاهدتم نحلة العسل حيث تأخذ الرحيق من الأهار وتعطي العسل ،

النحلة إذا لم تأخذ رحيق الأهار لا تستطيع أن تعطي العسل ، وإتّما تعطي العسل ؛ لأنّها تأخذ رحيق الأهار ، كذلك الذي

يأخذ من القَوَان ، يأخذ وعيه وبصيرته وفهمه ويملاً قلبه وعقله بالقَوَان هذا الإنسان ينطق بالقَوَان ، ويبصر بالقَوَان .

نسأل الله عزَّ وجلَّ بحقِّ هذه الليالي أن يجعلنا ممن يستتير بنور القَوَان وبهدي القَوَان ، اللهم ارزقنا هدي القَوَان ، ولرزقنا

بصائر القَوَان ، واجعل حياتنا تحت ظلال القَوَان ، ولرزقنا وعي القَوَان ، ولرزقنا فقه القَوَان ، واحشونا مع القَوَان ، واجعلنا

مع القَوَان في الدنيا ، ولرزقنا شفاعة القَوَان في الآخرة .

والحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : فضيلة الشيخ دائماً يبحث عن التدبر في القرآن الكريم ، والتدبر واد منه الوصول إلى ما يحويه القرآن الكريم بين دفتيه من مفاهيم وما شاكل ذلك ، ولكن هل إذا ما تدبر الإنسان وهو لا يمتلك الأتوات الكافية لفهم القرآن ولفك مغاليقه - إن صحّ التعبير - هل يصحّ أن يستند إلى ما يصل إليه من معاني ومفاهيم ويعتوها قطعة وحتمية ونهائية أم لا ؟

الجواب : التدبر في القرآن كما ذكرتم له آليات معينة غير هذه الآليات ، ولا يتمكن الإنسان من أن يتدبر في آيات الله من دون الآليات ، ومن جملة هذه الآليات اللغة ، فهم الناسخ من المنسوخ ، والمحكم من المتشابه ، والمجمل من المبيّن ، والعام من الخاصّ . هذه الآليات ضرورية لفهم كتاب الله ، ومن جملة هذه الآليات فهم آراء المفسّرين الذين نعتمدهم مثل الشيخ الطوسي والشيخ الطوسي والسيد الطباطبائي ، المفسّرون الذين هم موضع ثقة العلماء في تزيخنا .

هذه الآليات لا بدّ منها وينبغي أن يتمّ التدبر من خلال هذه الآليات . هذا ليس فيه شك ، ولكن لا يعني ذلك نوقف فهم القرآن على هذه الآليات عندما نستمتع القرآن نتفاعل مع القرآن ، هنالك مساحات واسعة للتفاعل مع القرآن ، الله عزّ وجلّ هياً لكلّ إنسان ممن يريد أن يتأمّل في معاني القرآن ودقائق القرآن ورقائق القرآن يحتاج إلى هذه الآليات ، ولا سيّما في المجال التشريعي والمجال الفقهي وآيات الأحكام وآيات العقائد ، ففي هذه المجالات وبالأخصّ هذين المجالين بالخصوص في العقائد وفي الأحكام يحتاج الإنسان ، لأنّ المسألة تخصّ مساحة خاصة ، وهي مساحة العقائد ، ومساحة الأحكام ، فيحتاج الإنسان إلى هذه الآليات .

ولكن هناك مجالات واسعة من القرآن يتفاعل معها الإنسان المسلم ، وقد

كان المسلمون يتفاعلون كثيراً مع القرآن ، ويجدون في القرآن تشبيهاً لقلوبهم ، وهذا بسبب التمعّن في القرآن ، ومحاولة التفاعل مع القرآن ، وكأنّ الإنسان يتلقّى خطاب الله غصاً طويلاً مباحثة .

كان أحد العرفاء يقول : كنت آخذ القرآن فلا أجد لذّة فأصبحت أقرأ القرآن وكأنّما أسمع القرآن من بين شفّتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فرجّدت في القرآن لذّة كبيرة مما تصوّرت أنا أسمع القرآن غصاً طويلاً ، وقد قرأ الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنا أسمع القرآن من شفّتي رسول الله ومن فر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وجدت لذّة كبيرة في القرآن ثمّ وجدت نفسي كأنّي أسمع هذا الوحي من جيّوئيل مباحثة ، لأنّ جيّوئيل (عليه السلام) هو الذي كان يلقي الوحي على رسول الله ، ثمّ صعدت وجدت أنّ الله تعالى يخاطبني لما أسمع : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَأَ تَفْعَلُونَ ﴾ (1) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلَّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِئَةٍ تَجْعَلُونَ مِنْ عَذَابِ الْيَوْمِ ﴾ (2) ، كأنّما الله يخاطبني أنا ، أسمع خطاب الله تعالى من الله ، فرجّدت في القرآن لذّة لا أشبع منها أبداً مهما كررت هذا الخطاب .

أسأل الله تعالى لكم التوفيق ونسأل الله تعالى لكم ليالي عامرة إن شاء الله بذكر الله وبقراءة القرآن ، والحمد لله ربّ

بداية النوبة ٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيدّ المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمَ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (1) .

موضوع الحديث فضل قراءة القرآن وحمل القرآن وحفظ القرآن ، أذكر خمس روايات في ملورد في فضل قراءة القرآن وحفظ القرآن وحمل القرآن ، وقبل أن أتحدّث عن هذه الروايات أقول : إنّ للإنسان ثلاثة معراج . عروج يعني صعود . عروج في الدنيا ، وعروج في الآخرة في الجنة ، وعروج بالقرآن ، كلّما يعي ويفقه ويستوعب معاني القرآن ومفاهيم القرآن أكثر كلّما يوج بالقرآن أكثر ، فلإنسان إذن ثلاثة معراج : معراج في الدنيا ، وهو تكامل الإنسان في الدنيا ، الناس يتكاملون في الدنيا ، وكمالهم عروجهم . والعروج الثاني في الجنة ودرجاتها ، وليست درجة واحدة ، بل هي درجات ورتب وغرف بعضها فوق بعض . الجنة درجات كذلك ، والناس لهم حظوظ متفاوتة في القرآن ، حظّ بعض الناس أكثر من بعض في فقه القرآن ووعي القرآن .

إذن هناك للإنسان ثلاثة معراج ، المعراج الثاني بالمعراج الأول يعني عروج

الإنسان في الجنة يتناسب بصورة طردية دائماً مع عروج الإنسان في الدنيا ، فكلاً كان تكامل الإنسان في الدنيا أكثر كلما يكون عروجه في الجنة رُفَع ، فبين عروج الإنسان في الدنيا وعروج الإنسان في الآخرة علاقة ، عروج الإنسان في الآخرة علاقته بعروجه في الدنيا .

وهناك علاقة ثانية بين عروج الإنسان في القرآن وعروجه في الجنة ، كلّما يكون عروج الإنسان في القرآن أكثر كلما كان

عروج الإنسان في الجنة أكثر .

العلاقة بين عروج الإنسان بالقآن وعروج الإنسان في الدنيا كلما كثر حظ الإنسان في القآن كثر وعيه كان حظه في

الكمال في الدنيا أكثر .

إذا هذه المعراج الثلاثة مرتبطة بعضها ببعض ، الآن نقوأ الرواية الأولى عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال :

«إنّ النولين يوم القيامة ثلاثة : ديوان فيه النعم ، وديوان فيه الحسنات سيستغرق النعم الحسنات ، ويبقى ديوان السيئات ،

فَيُدعى بابين آدم المؤمن للحساب ، فيتقدم القآن أمامه في أحسن صورة ، فيقول يارب ، أنا القآن ، وهذا عبدك المؤمن ،

وقد كان يتعب نفسه بتلاتوتي ، ويظيل ليله بتوتيلي ، وتفيض عيناه إذا تهجد فلضه كما لرضاني .

قال : فيقول العزيز الجبار : عبدي ابسط يمينك ، فيملأها من رضوانه تعالى ، ويملاً شماله من رحمته ، ثمّ يقال : هذه

الجنة مباحة لك ، فاقوأ واصعد ، فإذا قوأ آية صعد درجة»⁽¹⁾ ، هذا الحديث يشير إلى عدّة نقاط النقطة الاولى : إنّ النولين

ثلاثة يوم القيامة ديوان النعم ، الله ماذا أعطاني ؟

ديوان الحسنات ، ماذا عملنا ؟

ديوان السيئات ماذا عمل الإنسان من السيئات وقبائح الأعمال ؟

ديوان الحسنات له مهمتان :

المهمة الأولى : أن يؤدي حق النعم ، حق النعم والشكر والحمد والطاعة ،

1- أصول الكافي ٢ : ٦٠٢ .



والذكر وعبادة الله تعالى . إذاً الحسنات تؤدّي حقّ النعم . هذه المهمة الأولى للحسنات .

المهمة الثانية للحسنات : إن الحسنات تكفر السيئات ، الله عزّ وجلّ يغفر للإنسان السيئات .

فإذاً ديوان الحسنات وهو بين الديوانين ديوان النعم من جانب وديوان السيئات من جانب . له دوران : الدور الأول أداء حقّ

الحسنات ، والدور الثاني : التكفير عن السيئات .

وأداء حقّ النعم يعني أن تكون هناك نوع من المولّنة بين حسنات الإنسان ونعم الله تعالى في حقّ الإنسان ، هذا معنى

الوفاء ، ولكن النعم تستغرق الحسنات جميعاً ، والحسنات . حسنات الإنسان . تقي بجزء من أجزاء نعم الله سبحانه وتعالى ،

النعم تغطّي حسنات الإنسان بشكل كامل ، ويبقى الكثير من النعم في ديوان النعم إلى غطاء وتبقى السيئات مكشوفة بلاغطاء ؛

لأنّ الذي يغطّي السيئات الحسنات ، الحسنات تكفر السيئات ، فإذا استغرقت النعم الحسنات تبقى السيئات مكشوفة ، عندئذ

ينادى الإنسان للحساب ، فيدخل القوّان عندئذ للشفاعة .

هنا يظهر دور القوّان ، عندما يختلّ وضع الإنسان في الحساب يدخل القوّان للشفاعة بين يدي ربّ العالمين ، فيقبل الله

تعالى شفاعة القوّان ، الله عزّ وجلّ يتقبل شفاعة القوّان ، فيملاً يمينه من رضوانه ، ويملاً شماله من رحمته ، يقولون له :

أبسط يديك ، فيبسط يديه ، فتملاً يمينه من رضوان الله وشماله من رحمة الله سبحانه وتعالى هذا الوضوان قبل الرحمة ؛ لأنّ

الرحمة بالوضوان ، الله عزّ وجلّ يرضى عن عبده ، وهو الأهمّ والأعظم ، ورضوان الله أكبر وأعظم ، شيء قبل الرحمة

وقبل الجنّة هو رضوان الله تعالى ، رضى الله عن عباده ، فتملاً يمينه بالوضوان وشماله بالرحمة ، وكلّ يأخذ من رضوان

الله ورحمة الله على قدر ما بسط يده طبعاً .

الصفحة 32

الذين يأنسون بلغة الروايات ولسان الروايات يعلمون جيّداً أنّ القوّان والروايات ، تتحدّث بلغة الومز في هذه القضايا ،

فليس معناه يفتح كفه يملأ كفه بالوضوان وكفه الشمال بالرحمة على قدر ما يحمل كفه ، وانما معناه أن كل إنسان له وعاء

رحمة الله عزّ وجلّ ، رضوان الله لا حدّ له ورحمة الله تعالى كذلك لا حدّ لها ، فما حظ الإنسان من رضوان الله ورحمة الله

تعالى ؟

حظوظ الناس مختلفة من رضوان الله ومن رحمة الله ، وما سبب اختلاف حظوظ الناس في رضوان الله ورحمته اختلاف

وأوعية الناس ، الناس أوعيتهم مختلفة وليست متساوية ، فهناك من يحمل في نفسه وعاءً واسعاً كبيراً ، وهناك من يكون وعاء

نفسه وعاءً صغيراً ، فوعية الناس مختلفة ، فكلّ يأخذ القوّان لما يشفع ويتقبل الله سبحانه وتعالى شفاعة القوّان ، فتملاً يمينه

بالوضوان وشماله بالرحمة ، كلّ يأخذ من رضوان الله ورحمة الله على قدر ما يسعه وعاء نفسه .

وأوعية الناس مختلفة في ذلك ، ثمّ يقال له : هذه الجنّة مباحة لك فاقوأ واصعد ، فإذا قرأ آية صعد درجة من رضوان الله

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى ، فيأخذ من رضوان الله بقدر ما وعى من القوّان ، وبقدر ما عرف وما قرأ من

القوّان . يأخذ من رضوان الله ومن رحمة الله .

الرواية الثانية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «يقال لصاحب القرآن إقرأ وقرأ ، ورتل كما كنت توتل في الدنيا ، فإنّ مترلتك في الدنيا عند آخر آية تقرأها»⁽¹⁾ ، عندما يدخل المؤمنون الناس الجنة مراتبهم في الجنة وورجاتهم في الجنة مختلفة ليست متساوية ، فينتزعون على درجات الجنة ومرتبات الجنة ، كل بقدر ما وعى من القرآن ، وكل بقدر ما عرف من القرآن ، فيقال له : «الذي قأته في الدنيا من القرآن أقرأه وقرأ به درجة في الجنة ، وآخر درجاتك في الجنة آخر ما قأته في الدنيا ، فإن كان آخر ما قأته في الدنيا كثراً درجاتك أكثر ، وإن كان ما قأته في الدنيا

1- مجمع البيان ١ : ٤٥ .

الصفحة 33

قليلاً فإنّ درجاتك في الجنة على قدر ما قأته في الدنيا» .

وبمضمون هذا الحديث وردت أحاديث أخرى ، وأنا أقرأ الأحاديث التي تتضمن هذا المضمون ثم أشرح هذا الحديث ، فعن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «عدد وج الجنة أي القرآن ، فإذا دخل صاحب الجنة قيل له : إقرأ وقرأ لكل آية درجة ، فلا يكون فوق حافظ القرآن درجة»⁽¹⁾ ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : «إنّ درجات الجنة على عدد آي القرآن ، فيقال لقارئ القرآن إقرأ وقرأ»⁽²⁾ .
هذه الروايات تتضمن عدّة مضامين ونقاط النقطة :

النقطة الأولى : إنّ للجنة درجات ، والجنة ليست درجة واحدة ورتبة واحدة ، الجنة **وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ**

وَالْأَرْضُ⁽³⁾

رتب ودرجات ومراحل بعضها فوق بعض ، ودرجات الجنة لا تحصى كما نصت عليه الرواية المتقدمة .

النقطة الثانية : إنّ هذه الدرجات درجة كمال الإنسان في الدنيا ، يعني درجات الجنة غير مفصولة عن كمال الإنسان ، توزيع المؤمنين على درجات الجنة يتمّ طبق أصول وضوابط ، الأصول تابعة للدرجات الدنيوية فكيفما تكون درجة الإنسان في الدنيا تكون درجته في الجنة .

إذاً هناك أناس درجاتهم متباينة في الدنيا ، ودرجة مراتبهم في الجنة أيضاً مختلفة ، ولا يمكن أن يفصل درجة الإنسان في الجنة عن درجته في الدنيا ، كيف تكون درجته في الدنيا وكيفما يكون حظّه من العبودية والذكر والطاعة العبودية في الدنيا تكون درجته في الجنة .

1- الكافي ٢ : ٦٦ ، ج ١٠ ، بحار الأنوار ٨٩ : ١٨٨ ، والرواية في البحار عن الإمام الصادق (عليه السلام) .
2- ثواب الأعمال ١ : ١٢٩ .
3- آل عمران : ١٢٣ .

الصفحة 34

النقطة الثالثة : القرآن في الدنيا سلّم كمال الإنسان ، الناس يتكاملون في الدنيا بالقرآن ، سلّم كمال الإنسان في الدنيا القرآن وكلّمًا كان حظ الإنسان من القرآن أكثر كان حظّه من الكمال أكثر ، وكلّمًا كان وعى للقرآن كلما يُكون كماله في الدنيا أكثر .

إذاً درجة الإنسان في الجنة بقدر دجوته في الدنيا هذه المعادلة الأولى ، والمعادلة الثانية درجة الإنسان في الدنيا بقدر ما وعى للقرآن الكريم .

هاتان معادلتان تلخصها الرواية المتقدمة بشكل كامل ، إن من درجة الإنسان في الجنة بقدر دجته في الدنيا . هذه الأولى ، والمعادلة الثانية : درجة الإنسان في الدنيا بقدر حظّه من القرآن ، فكُلّمًا كان حظ الإنسان من القرآن أكثر كلما يكون وعى الإنسان للقرآن أكثر .

الرواية الثالثة : عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه ، وجعله الله مع السوفة . السوفة جمع سفير . الكوام البريرة ، وكان حجزاً عنه يوم القيامة»⁽¹⁾ .
هذه الرواية أيضاً نوضحها من مجموعة نقاط :

النقطة الأولى : إن القرآن يختلط بلحم الإنسان ودمه ، ويكون جزءاً من تركيبه عقله وفكره ووجدانه وضموره وفطوته وقلبه ومن فؤاده وصوره . القرآن يدخل في تركيب الإنسان وفي طبيعته ، عندنا قانون تتحوّل بموجبه المواد اللاعضوية إلى المواد العضوية بشكل كامل ، المواد اللاعضوية كالألملاح والحديد تتحوّل إلى مواد عضوية ، هذا القانون موجود في الطبيعة ، وهو موجود في عالم الغيب كذلك .

فعندما يعي الإنسان القرآن ويتفاعل معه هذا يتحول إلى وعي قرآني ، يصير وعيه وعياً قرآنياً وفهمه فهماً قرآنياً وعقله عقلاً قرآنياً ، يتعقل القضايا بالطريقة

1- الكافي ٢ : ٦٠٣ ، ح ٤ ، الوسائل ٤ : ٨٣٣ ، بحار الأنوار ٧ : ٣٠٥ ، ٨٩ : ١٨٧ .

القرآنية وعلى المنهج القرآني . فيصبح الإنسان ويصير إنساناً قرآنياً بالمعنى الكامل للكلمة ، يعني تكوينه تكوين قرآني ، فإذا نطق ينطق بالقرآن ، وإذا سمع يسمع بالقرآن ، فيميز بين الحق والباطل فيدخل القرآن في تكوين سمعه ونطقه وبصوه ، فيبصر بالقرآن ، وينطق بالقرآن ، ويتعقل بالقرآن ، ويفهم بالقرآن .

هذا الإنسان يصير إنساناً قرآنياً بالمعنى الكامل ، قرآن يتحرك فيما بين الناس . هذا معنى كلام الإمام (عليه السلام) : «من قرأ القرآن وهو شاب اختلط القرآن بلحمه ودمه» ، وليس معنى الاختلاط أن القرآن يختلط بهذا اللحم والدم ، وإنما ، معناه ذهنية الإنسان وعقلية الإنسان وإحساسه وعواطفه وفهمه وركه وضموره ووجدانه تكون قرآنية تماماً كعملية التمثيل فيداخل وجود الإنسان .

النقطة الثانية : نتيجة هذا التمثيل القرآني في تكوين الإنسان أن الإنسان إنما حلّ يطرد الشيطان وسلطان الهوى ، فكُلّمًا حلّ القرآن في مكان استنار ذلك المكان بالقرآن ، والشيطان يعشعش في الدهايز المظلمة من النفس ، ولا يعشعش في النور ، شأنه شأن المجرمين كل عوامل الإحرام ، وشأن الحشرات الضلّة التي تؤدي إلى المناطق المظلمة ، وشأن المجرمون والسوّاق دائماً يلوون إلى النقاط المظلمة في المدن ولا يتعرّضون للنور ، المجرم لا يأتي إلى النور ، لأنه ينكشف فيختار حالة

الاختفاء دائماً في النقاط المظلمة من المجتمع ، فإذا دخل القوّان نفس الإنسان وضموره وشعره وإواكبه وإحساسه وعقله وقلبه وفؤاده طرد القوّان الشيطان من تلك المرحلة ، وخرج الشيطان من تلك النقطة من النفس ، فيحرّر القوّان الإنسان من الشيطان تماماً .

المجرمون السوّاق دائماً يدخلون البيوت في ظلمات الليل ، وفي النهار لا يدخل السرقة البيت بالأهل بالناس ، فالسرقة يختار البيت الفلّوغ ممن يعمره ويسكنه ويراقبه في أوقات الظلمات وفي آناء الليل يدخل ليسرق ، فإذا عموت الدار بسكّانها ودخلها النور لا يدخل السرقة هذا البيت ، كذلك نفس الإنسان .

الصفحة 36

النقطة الثالثة : إذا خرج الشيطان من نفس الإنسان وتحرّر الإنسان من سلطان الشيطان ومن سلطان الهوى فلا تمسّه النار ، وكان القوّان بينه وبين النار حرّاً ، حجزاً يعني حاجزاً يعني القوّان يحجّزه عن النار .

النقطة الرابعة : أفضل حالات هذا التمثيل الذي ذكرته ، قلت هذا التمثيل عندنا في الطبيعة وفي ما وراء الطبيعة ، عندنا في الطبيعة عملية التمثيل ، ففي الطبيعة تتحوّل المواد اللاعضوية إلى المواد العضوية ، كذلك عند ما يتمثّل الإنسان بالقوّان يتحول القوّان إلى تكوين الإنسان من عقله وفؤاده وشعره ومواتب إواكبه هذا عملية التمثيل ، وتتمّ في مختلف المستويات وفي كلّ مراحل عمر الإنسان ، ولكن ليس كلّ مراحل عمر الإنسان سواء .

صحيح الأرض تنبت وتعطي والأرض مبلّكة ، ولكن كلّ فصول السنة غير متساوية ، ففصل الربيع يختلف عن فصل الخريف والشتاء يختلف عن الصيف .

وما من فصل من عمر الإنسان تتمّ فيه عملية التمثيل التي شوحها النصّ المتقدّم مثل مرحلة الشباب ، مرحلة الشباب مرحلة تتمّ عملية التمثيل القوّان في أعماق النفس بصورة ناجحة وبصورة موفّقة مائة بالمائة .

والسّفوة الكوام البررة ولدة في القوّان قال تعالى : (بأيدي سّفوة * كوام بررة) ⁽¹⁾ ، وجعله الله مع السّفوة الكوام البررة ، هذا الإنسان يصير مع السّفوة مع الملائكة الذين ورد ذكرهم في سورة عبس وتولى ، هم ملائكة الوحي الذين يحملون الوحي من عند الله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى أنبياء الله ، هؤلاء هم السّفوة الكوام البررة : (بأيدي سّفوة * كوام بررة) ، هؤلاء الشباب الذين يختلط القوّان بلحمهم ودمهم ، يكونون مع السّفوة الكوام البررة ، يعني يحملون مع هؤلاء القوّان

الرواية الرابعة عن فضيل بن يسار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «الحامل

1- عبس ١٥- ١٦ .

الصفحة 37

للقوّان العامل به مع السّفوة الكوام البررة» ⁽¹⁾ ، هنا أيضاً في هذه الرواية يحوي ذكر السّفوة الكوام البررة الذين ورد

ذكرهم في سورة عبس : ﴿بأيدي سّفوة * كوام بررة﴾ ، وذلك لأنّ حملة القوّان نورهم نور السّفوة الكوام البررة ، كما أنّ

أولئك يحملون الوحي إلى الأنبياء هؤلاء يحملون الوحي إلى الناس حملة القرآن يحملون الوحي إلى الناس ، وحامل القرآن غير حافظ القرآن ، حافظ القرآن الذي يعمل بالقرآن ، هؤلاء حملة القرآن .

وفي حديث آخر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً عن حملة القرآن : «أشرف أمتي حملة القرآن»⁽²⁾ ، الحملة الذين يحملون القرآن إلى الناس والحملة غير العاملين بالقرآن ، العامل القرآن يعمل به في حدود عائلته بينما حامل القرآن يحمل وحي الله ورسالة الله إلى الناس وإلى البشرية .

أشرف أوفاد الأمة اثنين : حملة القرآن وأصحاب الليل ، أقول اثنين في الرواية غير موجود ، وحملة القرآن بالضرورة هم أصحاب الليل ، والإنسان لا يقدر أن يحمل القرآن من دون أن يكون من أصحاب الليل ، بين الإنسان وقت أداء الوسالة والقيام بمسؤولية الوسالة ودعوة الناس إلى الله إلى القرآن عادةً يكون ذلك في الليل - لا في النهار - يقوم بهذا النور الضخم ، وهو دور حمل القرآن إلى المجتمع ، من دون أن يكون من أصحاب الليل ، وإذا لم يكن من أصحاب الليل لا يستطيع أن ينهض برسالة الوحي إلى الناس .

أصعب شيء وأشق شيء في تزيخ الإنسان على الإطلاق أن يحمل القرآن إلى المجتمع ، لأن القرآن دعوة إلى مكافحة الهوى والطاغوت ومناذة الشرك ، ومن وراء هذا الهوى والطاغوت حجاب وقنات وإمكانات ومؤسّسات وأموال ، الذي يدخل في صواع لإزالة سلطان الهوى وسلطان الطاغوت في المجتمع ، هو

1- الكافي ٢ : ٦٠٢ ، ج ٢ ، أمالي الصدوق : ١١٥ .
2- أمالي الصدوق : ٢٠٥ ، الفقيه ٤ : ٣٩٩ .

رسالة الوحي ﴿ أَنْ اِعْبُوا اللَّهَ وَأَجْتَنُوا الطَّاغُوتَ ﴾⁽¹⁾ ، هذه هي رسالة الله ، فمن يحمل هذه الوسالة يحمل أشق رسالة وأصعب رسالة في تزيخ البشرية إلى الناس ، ويواجه دول وأنظمة مؤسّسات وإمكانات ضخمة وكبيرة .

هذا الإنسان لا يستطيع أن ينهض إن لم يتروّد بالليل بما يفيض الله تعالى على عباده في الليل من القوّة ومن الصبر ومن التثبيت ، لأنّ الناس صنفان : رجال الليل ورجال النهار ، وفي حياة الإنسان دولتان : دولة النهار دولة الحقّ أقصد ، وليس دولة الباطل ، دولة النهار ودولة الحقّ ، للنهار دولة ولليل دولة ، ولدولة النهار رجال أشداء ، يأمرّون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقومون بالدعوة إلى الله تعالى ، ويواجهون الطغاة والعنّاة ، ورجال دولة الليل هم الراكعون الساجدون المسبّحون الذاكرون الذين يطيلون السجود آناء الليل بين يدي الله سبحانه وتعالى ويتضوّعون ويكون .

دولة الليل ودولة النهار بعضهما يكمل البعض ، والإنسان لا يقدر أن ينجح في إداء دوره في النهار إن لم يكن من رجال دولة الليل ، ولا يقدر أن يستفيد الإنسان من دولة الليل إن لم يكن من رجال دولة النهار .

هذا التقرن موجود في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة المعروفة بخطبة المتقين : «أمّا الليل فصافون أقدامهم ، يوتلون القرآن ترتيباً ، يستثيرون بواء دائهم ، أما النهار فعلماء حلماء أوار أنقياء كأنهم القداح قد واهم

«الخوف» ، إلى الآن هناك التقرن موجود بين رجال الليل ينحصر نور المتقين ، وإنما هذا نصف نورهم وليس نورهم كامل ، فنور الليل نور عظيم ، وهو نور الأنبياء والصدّيقون هم ، ولكن ليس هو النور الكامل ، الشطر الأوّل من حياة الإنسان يتكامل بالليل وبالنهاري كذلك ، فإذا اقترن في حياة الإنسان الليل بالنهاري

1- النحل : ٣٦ .
2- نهج البلاغة : ٢ : ١٣٢ ، خ ١٩٣ .

الصفحة 39

وتكامل الليل والنهار في حياة الإنسان عندئذ يبلغ الإنسان القمّة .

الأنبياء (عليه السلام) كانوا من رجال الليل ورجال دولة الليل ومن رجال دولة النهار ، هذا الإنسان يبلغ قمّة الجمال ، هنالك رجال ليل ليس لهم في النهار حظّ في النهار يأخذون قسط الراحة الذي يستهلكونه في الليل في الدعاء وفي المناجاة ، وهناك رجال نهار ليس لهم حظّ بالليل ، هؤلاء كلّ واحد نصف كمال ، من عنده الكمال الحقيقي ، التكامل في الليل والنهار ففي سورة المزمل هذا المعنى ورد : ﴿ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا * نَصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ . ﴾⁽¹⁾ إلى آخر الآيات . هناك أيضاً في

سورة المزمل نجد التكامل ﴿ إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾⁽²⁾ .

إذاً هذا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أشرف أمتي حملة القآن وأصحاب الليل» ، لا يعني أن أشرف الناس طائفتان الطائفة الأولى حملة القآن والطائفة الثانية أصحاب الليل ، لأنّ حملة القآن لا يمكن أن يحملوا القآن دون أن يكونوا من أصحاب الليل ، أمير المؤمنين (عليه السلام) له كلمة عظيمة هذه الكلمة في صفة القآن يقول : «القآن حاملاً لمن حمّله» ، القآن يحمل من حمّله لا يقال : إنّ هذا نور ، والنور ممتنع ومستحيل إذ كيف يصبح حاملاً ومحمولاً في نفس الوقت ؟

الجواب : كلاً فلا نور في المقام وإنما هناك أوار بين القآن والإنسان ، الإنسان يحمل القآن ، والقآن يحمل الإنسان ، الإنسان يحمل رسالة القآن إلى المجتمع ، فيواجه الطغاة الجبارة والأهواء والشيطان والفساد إلى كثير من عوامل المواجهة ، فيضعف الإنسان إذ هو لحم ودم ومجموعة غوايز ، تورّقه الشوكة إذا شاكته فيضعف ولا يقوى ضعفة إلا بالقآن .

الإمام يقول : انتم احمّلوا القآن وكوّوا ضعفكم إلى القآن ، القآن يسدّد نقاط ضعفكم ، القآن يعلمكم الصبر ، القآن

يعلمكم ، القآن يعلمكم الثقة بالله

1- المزمل : ٢ ، ٣ .
2- المزمل : ٧ .

الصفحة 40

والتوكّل على الله ، القآن يعلمكم كيف تثبتون افئدتكم بذكر الله سبحانه وتعالى وعبادته ، فأنتم احمّلوا القآن وكلّوا أرواحكم

إلى القآن ، القآن يحملكم ، فالذي يحمل القآن يحمله القآن .

ومن الضروري الذي يحمل القرآن إلى المجتمع عليه أن يتخلّق بالقرآن ، ومن دون التخلّق بالقرآن لا يقدر أن يحمل القرآن ، يضعف عن طريق ذات الشوكة .

والكثير من الناس الذين تساقطوا في أثناء الطريق لأنهم لم ينتقوا بثقافة القرآن ، ولم يتخلقوا بخلق القرآن ، ولم ينتقوا بعوامل التثبيت في القرآن ، فضعفوا عن مواصلة الطريق .

الرواية الخامسة : واختم هذا الحديث في فضل القرآن ، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من قرأ ثلث القرآن فكأنما أوتي ثلث النبوة ، ومن قرأ ثلثي القرآن فكأنما أوتي ثلثي النبوة ، ومن قرأ القرآن كله فكأنما أوتي تمام النبوة ، فبرقى في الجنة بكل آية نوحه حتى يبلغ ما معه» ، لازل يصعد ويصعد ويرقى في الجنة ويرقى حتى ينفذ ما عنده من القرآن ، فمال ينفذ ما عنده من القرآن يبقى يرقى في الجنة .

إذا علمنا أن درجات الجنة لا حد لها ودرجات وعي القرآن ومعرفة القرآن وبصائر القرآن لا حد لها نعرف أن الإنسان يقدر أن يرقى في درجات الجنة ، بصورة غير متناهية ولكن المؤكّد في البين أنه لازل يرقى في الجنة حتى ينفذ ما معه من القرآن ، «إذا نفذ ما معه من القرآن توقّف عنده ، ثم يقال له : اقبض فيقبض ، ثم يقال له هل علمت ما في يدك ، فإذا في يده اليمنى الخلد وفي الأخرى النعيم» (1) .

وبنفس مضمون الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : «من قرأ القرآن فكأنما

1- مستدرك الوسائل 4 : 262 ، ج 15 .

الصفحة 41

الرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه» (1) ، وليس المقصود من القاء هذه القاءة التي نوقأها ، المقصود وعي القرآن وفقه القرآن ، المقصود أن يعي الإنسان بصائر كتاب الله وأن يتفاعل الإنسان مع كتاب الله أن يعيد الإنسان بناء عقله وضموره وقلبه وفؤاده وصوره بالقرآن ، وأن يدخل نور القرآن في كلّ وجود الإنسان فينير وجود الإنسان بالقرآن .

هذا المقصود من قوله : «من قرأ القرآن كلّهُ فكأنما ارجت النبوة كلّها» بالتمام في وجوده ، والسبب واضح لأن النبوة هي آخر مراحل كمال الإنسان ، هذا معنى النبوة والوحي ، يعني الإنسان يجد في بصائر كتاب الله كلّما ينبغي وكلما يستطيع أن يطويه الإنسان من مراحل التكامل في حياته ، فكلّ ما يستطيع الإنسان أن يطوي من مراحل التكامل في عقله وضموره وشعره ونفسه موجود في القرآن ، القرآن المنهج الكامل الذي لا نقص فيه الذي يحقق كلّ مراحل تكامل الإنسان ، الإنسان إذا سلّم نفسه للقرآن وبناه القرآن بناءً كاملاً ، ولا ينقصه شيء من عوامل الكمال في شخصية الأنبياء إلا شيء واحد وهو الوحي ؛ لأنّ القرآن كتاب تهذيب الإنسان وبناء الإنسان ، وتحقيق القرآن كلّ مراحل تكامل الإنسان .

نسأل الله تعالى في هذه الليالي المباركات أن يعمرّ قلوبنا وصدورنا وعقولنا وأفئدتنا بالقرآن اللهم هذبنا بالقرآن ، اللهم عمر قلوبنا بالقرآن ، اللهم خلقنا بأخلاق القرآن ، اللهم أدبنا بأدب القرآن ، اللهم تفقنا بثقافة القرآن ، اللهم بصونا ببصائر القرآن ، اللهم اجعل منطقنا القرآن ، واجعله شفيعاً لنا في الآخرة ، ومعلماً لنا في الدنيا .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

1- الكافي ٢ : ٦٠٤ ، ح ٥ ، الوسائل ٤ : ٨٤٤ .

الصفحة 42

الصفحة 43

الأسئلة والأجوبة

سؤال : هناك رواية تقول : إنَّ قِراءَةَ الْقَوَّانِ مستحبةٌ وليست واجبةً ، ولكن هناك رواية أخرى تقول : من هجر قِراءَةَ الْقَوَّانِ فلواجع رزقه فإنَّه من الحرام ، ما هورأيكم في هذه الرواية وما هي دلالتها ؟
الجواب : هجر القَوَّانِ ؟

السائل : لا هجر القَوَّانِ هجر القِوَاءِ ، من ترك قِراءَةَ الْقَوَّانِ ، الرواية هكذا من ترك قِراءَةَ الْقَوَّانِ ؟
الجواب : له حالتان فإنَّما أن يقصد به القِوَاءِ الواجبةً ، هناك قِراءَةُ واجبةٌ للقَوَّانِ ، وهي قِراءَةُ الْقَوَّانِ في الصلاة ، وهناك معنى آخر وهي أنَّ هجر القَوَّانِ يعني الذي يفصل نفسه عن القَوَّانِ ، هذا أيضاً حرام ، إمَّا القِوَاءِ المعمولة مثلما قلتم مستحبة

سؤال : تفضلتم بالملازمة بين درجة الكمال في الدنيا ودرجة الكمال في الآخرة ما هي الملازمة بين درجة الكمالين أو بين العمل في الدنيا أو بين الكمال في الآخرة ؟

الجواب : بين كمال الإنسان في الدنيا ودرجاته في الآخرة تلازم ، فبقدر ما يعمل الإنسان يكون كماله في الدنيا ، وبقدر ما يكتمل الإنسان في الدنيا تكتمل درجاته وتوقع درجاته في الآخرة هذه المعادلتان التي ذكروتهما .
السائل : يعني الملازمة بين الكمال وبين ؟

الجواب : بين عمل الإنسان بالقَوَّانِ وكمال الإنسان في الدنيا هذه المعادلة الأولى ، والمعادلة الثانية بين كمال الإنسان في الدنيا وكمال درجاته وارتفاع درجاته في الآخرة .
السائل : التلازم بين الكمال والعمل ؟

الصفحة 44

الجواب : نعم بقدر ما يعمل الإنسان بالقَوَّانِ تكتمل درجاته في الدنيا ، هذه المعادلة الأولى ، والمعادلة الثانية بقدر ما تكتمل درجاته في الدنيا تكتمل درجاته في الآخرة .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاللَّهُمَّ وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، اللَّهُمَّ رَحْمَنَا وَرَحْمَتَكَ الْوَاسِعَةَ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الشُّرُوفِ الْمَبْلُوكَةِ لِلذِّكْرِ وَالِدَعَاءِ وَالطَّاعَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْيَلَةِ الْقَدْرِ عَلَى أَفْضَلِ حَالٍ تَحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ وَرِضَاهَا لَكَ ، وَاجْعَلْهَا اللَّهُمَّ لَنَا خَيْرَ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ وَارزُقْنَا فِيهَا أَفْضَلَ مَا تَرْزُقُ عِبَادَكَ مِنْ رَحْمَتِكَ وَبِرَّكَاتِكَ .

بداية النوبة ٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ ، كيف نقوّ القوّان :

موضوع هذه المحاضرة كيف نقوّ القوّان ؟

قراءة القوّان فنّ وعلم ، وليس كلّ أحد يعوّف يقوّ القوّان ، قوّة القوّان فنّ يتميّز به عدد محدود من الناس ، وهم الذين

آتاهم الله هذه النعمة ، والذين يحسنون استخدام مفاتيح الرحمة والهداية الإلهية .

ولقوّة القوّان آداب وشروط وأصول أذكر بعضها :

الشروط الأولى

أن يُحسّن الإنسان صوته في قوّة القوّان ، الله سبحانه وتعالى يحبّ قوّة القوّان بالصوت الجميل ، الصوت الجميل يعيد

القلوب إلى كتاب الله ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحبّ أن يسمع قوّة ابن مسعود لأنّ ابن مسعود كان يقوّ

القوّان بصوت جميل حتّى قال له مرة : اقوّ لي القوّان .

فقال يارسول الله ، اقوّا عليك قول ؟

1- البقرة : ١٢١ .

فقال : إني أحبّ أن أسمع من غوي .

عليّ قول ولكن أنا أحبّ أسمع القوّان من غوي ، فكان ابن مسعود يقوّ القوّان وعينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم) تفيضان دمعاً وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : «من سوه أن يقوّ القوّان غضاً كما قول فليقوّاه على

قوّة ابن أم عبد» ⁽¹⁾ ، وهو عبد الله ابن مسعود .

فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : «لكلّ شيء حليّة ، وحليّة القوّان الصوت الحسن» ⁽²⁾ ، وهذا معنى

جميل ، الجميل يُحليّه الجمال ويبرز جماله أكثر ، والبرأة الحسناء تبرز الحليّة جمالها أكثر مما لو فقدت الحليّة ، والقوّان

جميل ؛ لأنّه كلام الله ، وكلام الله جميل ، والله تعالى جميل تجلّى في كتابه ، يعني جمال الله متجلّى في القوّان ، فالقوّان جميل

ويحمل جمال الله ، ولكن الصوت الحسن يبرز هذا الجمال أفضل وأجمل وأحسن ، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) الإمام زين العابدين من أحسن الناس صوتاً بالقَوَان ، فإذا قَوَّ القَوَان وقف الناس ⁽³⁾ ببابه يسمعون صوته ، وينقطع الطويق أحياناً عندما يوقُ الإمام القَوَان .

إذن من شروط قراءة القَوَان أن يوقُ القارئ بصوت حسن وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) -الحديث يرويه الدرهمي في السنن ٢ : ٤٧٤ - : «زَيَّنُوا القَوَان بأصواتكم» ، ولا يخصُّ الأمر بالقَوَان فقد كان موسى (عليه السلام) يتلقى الوحي من عند الله ، فيقول الله تعالى له : «يا موسى خاطبني واقوِّ التتراة بصوت حزين» ⁽⁴⁾ .

الشروط الثاني

ومن آداب تلاوة القَوَان أن نقوِّ القَوَان بصوت حزين ففي الحديث : «اقولوا

- 1- الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٢ ، الإصابة ٤ : ٢٠٠ .
- 2- أصول الكافي ٢ : ٦١٥ ، ح ٩ .
- 3- الكافي ٢ : ٦١٦ ، ح ١١ .
- 4- الدعوات : ٢٣ ، الكافي ٢ : ٦١٥ ، ح ٦٤ .

الصفحة 47

القَوَان بحزن فإنه قول بحزن» ⁽¹⁾ ، القَوَان قول بحزن ، حزين القَوَان ، الذي يوقُ القَوَان فيه بشلة وفيه إنذار ، وفيه تهديد ، وفيه لعاب ، وفيه تخويف ، وليس كُلُّ القَوَان حزن ، ففيه بشلة بالنعيم بنعيم الجنة ، ولكن الطابع الغالب على القَوَان أو الطابع الطاعي على القَوَان أوسع وأكثر هو لون الحزن .

تأملوا شهر رمضان أنتم تقولون القَوَان ، فتأملوا في آيات الله تجدون القَوَان مسوغاً بالحزن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ﴾ ⁽²⁾ ، الذي يعمن النظر في هذه الآية يجد أن هذه الآية تحزن حزناً كبيراً على مصير الناس : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ﴾ ، الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان وهياً له كلُّ أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ، وليس فقط السعادة في الآخرة ، يتمكّن الناس من أن يعيشوا في الدنيا أسعد عيش وفي الآخرة أسعد عيش ، ولكن هذا الإنسان يركب رأسه فيعيش في الدنيا أتعس حياة ، ويعيش في الآخرة أتعس حياة ، ولذلك هذا الإنسان في خسر : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ﴾ .

هذه الخسلة طاغية في سورة ياسين ، إقروا سورة ياسين بإمعان ودقّة تجدون طابع الحزن على هذه السورة ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ⁽³⁾ ، اللهُ عزَّ وجلَّ خلق الإنسان وأنعم عليه وهدهد وأعطاه

العقل والوعي والفهم والهداية وأرسل له الأنبياء وهياً له كلُّ أسباب الوحمة وكلُّ أسباب الهداية هذا الله عزَّ وجلَّ : ﴿فَإِذَا هُوَ

خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ .

إذا هذا الإنسان عدو خصيم لله سبحانه وتعالى ، الحزن ظاهر على الآية طاغ على الآية : ﴿وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْتَاهُ مَنْ

نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

- 1- المغني ١ : ٥٢٤ ، كنز العمال ١ : ٦٠٩ ، ح ٢٧٩٦ .
- 2- العصر : ١ - ٣ .
- 3- يس : ٧٧ .

الصفحة 48

مُبِينٌ ﴿١﴾ ، ثُمَّ يَبِينُ عَاقِبَةُ النَّاسِ : ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (1) ، هُمْ فِي خِصْمَتِهِمْ وَلَعِبِهِمْ

وفي تلاعبهم وفي خصومتهم وفي جدالهم غائبون عن مصوهم ، تأخذهم صيحة واحدة ، مرة واحدة ، ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا

صِيحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (2) .

هذا المجتمع البشري الهائل ، المجتمع الآن اكثر من ستة مليارات إنسان على وجه الأرض ، هذا الحشد البشري في لهوه

ولعبه وطيشه وعتوه وعناده ولجاجة تضربهم الصيحة مرة واحدة وتخدمهم مرة واحدة : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ

خَامِدُونَ﴾ ، ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (3) ، لَاحِظُوا طَابِعَ الْحَزْنِ

على جو هذه السورة .

القَوَانِ حَزِينٍ ، وَمِنْ أَفْضَلِ أَلْوَانِ الْقَوَاءِ وَمِنْ أَفْضَلِ أَطْوَارِ قَوَاءِ الْقَوَانِ قَوَاءُ الْقَوَانِ بَحْرِنِ ، الْقَوَاءُ الْحَزِينَةُ تَعَكْسُ

جَوْهَرَ الْقَوَانِ ، بَعَكَسُ الْقَوَاءِ الْمَطْرُوبَةِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ بَعْضِ الْقَوَاءِ الْمَطْرُوبَةِ لَا تَعَكْسُ جَوْهَرَ الْقَوَانِ بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ

الْحَرَمَةِ وَالْحَلِيَّةِ وَالصَّوْتِ وَالْأَدَاءِ الصَّحِيحِ لِلْقَوَانِ يَعْكَسُ رُوحَ الْقَوَانِ وَجَوْهَرَ وَمَعَانِي الْقَوَانِ ، وَالْأَدَاءُ غَيْرُ الصَّحِيحِ لِلْقَوَانِ

يَحْجُبُ الْقَوَانِ عَنِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ ، فَالْقَوَاءُ الْحَزِينَةُ مَفِيدَةٌ : «أَقُولُوا الْقَوَانِ بَحْرِنِ فَإِنَّهُ تَوَلَّى بَحْرِنِ» .

الشروط الثالث

ومن شروط قِوَاءِ الْقَوَانِ أَنْ يَطَهَّرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَمِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّ الْأَهْوَاءَ تَحْجُبُ

النَّفْسَ عَنِ الْقَوَانِ ، وَتَطْهِيرُ النَّفْسَ وَتَهْدِيبُ النَّفْسَ

- 1- يس : ٤٩ .
- 2- يس : ٢٢ .
- 3- يس : ٣٠ .

الصفحة 49

تَفْتَحُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ عَلَى مَعَانِي الْقَوَانِ ، النَّفْسُ الْمَلُوثَةُ بِالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ مَحْجُوبَةٌ عَنِ الْقَوَانِ ، النَّفْسُ الْمَلُوثَةُ بِالْأَهْوَاءِ

وَالشَّهَوَاتِ مَحْجُوبَةٌ عَنِ الْقَوَانِ ، بَعَكَسُ النَّفْسِ الطَّاهِرَةِ الشَّفَافَةِ فَإِنَّهَا تَتَلَقَّى الْقَوَانِ مَبَاشَرَةً ، وَيَمَسُّهَا الْقَوَانِ مَسًّا مَبَاشَرًا يَقُولُ

تَعَالَى : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (1) .

يعني معاني القوان رفيعة جليظة طاهرة تبيها سامية شريفة لا تحلّ في الأوعية القنوة والوسخة وغير الطاهرة ، القلوب المحجوبة بالمعاصي والذنوب لا يمسه القوان ، ولكي يمسه القوان قلب الإنسان ويدخل القوان قلب الإنسان ينبغي أن يكون القلب طاهراً نقيّاً مذهباً ، فإذا حجبت الذنوب القلوب لا يمسه القوان عند ذلك ولا يدخلها القوان قال تعالى : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقَوَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسَارًا ﴾ (2) . القوان هو القوان ، لا يوجد عندنا قوانين ، ولكن هذا القوان للمؤمنين شفاء ورحمة وللظالمين خسارة .

لاحظوا هذه الآيات الكريمة من سورة الواقعة : ﴿ إِنَّهُ لِقَوَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يُمَسَّهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ * نَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . أربعة أوصاف للقوان تأملوا فيها :

الوصف الأول

﴿ إِنَّهُ لِقَوَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (3) وما بعده من سورة الواقعة هذا الكتاب كريم على الإطلاق ، كريم عند الله ، عزيز عند الله ، شريف عند الله . هذا كتاب عزيز كريم محمود عند الله عزّ وجلّ ، وكريم على الناس ، يكوم الناس ، يهدي الناس ، يعطي للناس ، شفاء للناس ، رحمة للناس شفاء للمرضى رحمة لمرضى القلوب ، هداية

- 1- الواقعة : ٧٩ .
- 2- الاسراء : ٨٢ .
- 3- الواقعة : ٧٧ .

الصفحة 50

للناس ، فهو كتاب كريم على الإطلاق ، كريم عند الله وكريم عند الناس .

الوصف الثاني

﴿ إِنَّهُ لِقَوَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ ، هذا الوصف الثاني في كتاب مكنون حريز أمين محفوظ ، وفي سورة البروج يقول : ﴿ بَلْ هُوَ قَوَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (1) ، هذا القوان محفوظ في مكان مكنون حريز أمين ، لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يتحوّل : ﴿ لَا يُمَسَّهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴾ ، لا يمسه القوان إلاّ النفوس الطاهرة التركية المهدبة فهي التي تمسّ القوان ، وسائر الناس لا يمسون القوان ﴿ لَا يُمَسَّهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴾ ، فقط الإنسان الطاهر يمسه القوان ، القوان يقوّه كلّ الناس ويسمعه كلّ الناس ولكن القلوب التي تتأثر بالقوان وتتفعل بالقوان وتتعلّق بالقوان هي النفوس الطاهرة ، وسائر الناس يقوون القوان ، ولكن انفعالهم بالقوان وتأثرهم بالقوان محدود .

﴿ نَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، يعني معرف القوان لا تمسّها القلوب الملوثة بالمعاصي ، وليس كلّ أحد ينال من معرف القوان ؛ لأنّ نوع التلقي من القوان غير نوع تلقي سائر العلوم ، الفزياء يقوؤها ويفهمها الصالح والطالح ، الإنسان الصالح

يقو الفرياء ويفهم الفرياء ، والطالح والفاسق يقو الفرياء ويفهم الفرياء ، الرياضيات يقو الإنسان الصالح والإنسان

الفاقد ، أما القوان فشيء آخر ، القوان لا يتلقاه إلا ذو النفوس الطاهرة ، ولا تمسه إلا القلوب الطاهرة : ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ ۚ

الْعَالَمِينَ ﴾ ، هذا القوان تنزيل من رب العالمين .

مستوى عقول العالمين ، ومستوى عقول الناس ، وليس المقصود بالنزول النزول المكاني ، يقول من لوح المحفوظ إلى

عقول الناس وإلى قلوب الناس ، فهو تبيين من رب العالمين وتنزيل من رب العالمين ، يقصد به الله سبحانه وتعالى

1- البروج : ٢١ - ٢٢ .

الصفحة 51

تربية الناس ، لأن التنزيل الذي يأتي من رب العالمين المقصود به تربية الناس ، فالقوان إذن يقو كل أناس ولا يختلف

إنسان عن إنسان ، كل الناس ، ولكن كل أناس يستفيون من كتاب الله ، لذلك تعبير القوان في هذا الموضوع دقيق : ﴿ هَذَا

بَيَانٌ لِلنَّاسِ . ﴾ ، لكل الناس : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾⁽¹⁾ ، القوان بيان لكل الناس ، ولكن القوان

هدى وموعظة للمتقين ، بيان لكل الناس : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ تَبْصُرَةٌ وَذِكْرٌ لِّكُلِّ عِبْدٍ

مُنِيبٍ ﴾⁽²⁾ ، القوان تبصرة والقوان ذكوى ولكن تبصرة لكل عبد منيب : ﴿ وَذِكْرٌ لِّكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ، وما أكثر الناس الذين

يقوون القوان ولا يتبصرون بالقوان ولا يتذكرون بالقوان ، هذا ليس نقصاً في القوان ، هذا نقص في الوعاء الذي يقول فيه

القوان ، الإناء الذي يدخله القوان في إناء النفس ، وفي وعاء النفس فإذا كان الوعاء منيباً يدخله القوان وإلا لا يدخله القوان .

﴿ تَبْصُرَةٌ وَذِكْرٌ لِّكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ ، ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مِنْ يُنِيبٍ ﴾⁽³⁾ هذه ذكوى ، القوان ينيب إلى الله سبحانه وتعالى .

إذن من شروط تلاوة القوان طهارة القلب الذي يريد أن يتلقى كلام الله ، ويتلقى كتاب الله ، ويفتح على كتاب الله ، هذا

الإنسان ينبغي أن يطهر قلبه ويوكي نفسه ووى عندئذ أن ما يتلقاه من كتاب الله مع التهذيب والتوكية غير ما يتلقاه في غير هذه

الحالة .

الشروط الرابع

ومن شروط القاء التدبر الفهم ، فعندما نقو القوان لابد أن نتدبر في قاء القوان ، التدبر شرط في قاء القوان ،

والتدبر غير حضور القلب ، حضور القلب

1- آل عمران : ١٣٨ .

2- ق : ٨ .

3- غافر : ١٣ .

الصفحة 52

يعني تفرغ من العوامل التي تشوش نفس الإنسان وتشوش قلب الإنسان ، هذه العوامل المشوشة تشوش على الإنسان قاء

القَوَان ، الإنسان لَمَّا يَوقُ القَوَانَ يَحتَاج لِأن تَكون نَفسه صَافِيه وذَهنه صَاف ، وِصفاء الذَهن وِصفاء القَلب لا يَوقِي من القَوَان كَمَا يَنبغي هَذا شَيء ، والشَيء الأَخر التَدبِير في القَوَان .

فَلِيتَأَمَّل الإنسان في القَوَانَ وَيَستَخدم عَقله وَيَوظِّف عَقله في فَهَم آيَاتِ اللهُ ، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَطلب من عَندنا أن نَتَدبِر وَنَمعَن النظر في آيَاتِهِ قال تَعَالَى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القَوَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَوَجِوْا فِيهِ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾⁽¹⁾ ، القَوَانَ يَحْتَنُ الناسَ عَلى التَدبِير في آيَاتِ اللهُ سَبحانَه وتَعَالَى ، وَبِالتَدبِير وَبِإِمعانِ النظر لِيَفهَم الإنسان من آيَاتِ اللهُ مَا لا يَفهَمه بِالمَمرورِ العَابر ، المَمرورِ العَابر لا أَقول لا يَفيد المَمرورِ العَابر يَفيد ، وَلَكن كَالعَادَةِ مَنفَعَةٌ عَاطِوَةٌ وَفَائِدَةٌ قَلِيلَةٌ ، إِمَّا يَستَفيد الإنسان من القَوَانَ عَندما يَتَوَقَّف عَند آيَاتِ اللهُ ، يَتَدبِر في آيَاتِ اللهُ ، يَمعَنَ النظر في آيَاتِ اللهُ .

هَذا الإنسان بِالتَدبِير وَالتَوَقَّف وَالتَأَمَّل يَفهَم مَا لا يَفهَمه صَاحبُ القِوَاءِ العَاطِوَةُ العَجلَى السَريعَةَ ، هَذا الإنسان يَفهَم مَا لا يَفهَمه الَّذِي يَوقُ القَوَانَ قِوَاءَ سَريعَةَ عَاطِوَةٌ مِنْ غَيرِ مَکَثٍ وَمِنْ غَيرِ تَأَمَّلٍ ، وَالانطِبَاعِ الَّذِي يَأخُذُه الإنسان في القِوَاءِ العَاطِوَةُ انطِبَاعِ سَاجِدٍ ، أَمَّا بِالقِوَاءِ المَتَأَمِّلَةِ وَالقِوَاءِ المَتَدَوِّةِ فَيَنطَبِعُ القَوَانَ فِي نَفسِ الإنسان وَفِي صَدرِ الإنسان وَيَنطَبِعُ القَوَانَ كَمَا لا يَنطَبِعُ فِي القِوَاءِ العَاطِوَةُ السَريعَةَ .

هَذا الانطِبَاعِ يَبقى وَيَثبِتُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ التَأَكِيدُ بِالتَأَمَّلِ فِي قِوَاءِ القَوَانَ ، فَعَن رَسلِ اللهُ (صَلَّى اللهُ عَلَیْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : «إِن رُدْتُمْ عَيشَ السَعَدَاءِ ، وَمَوتَ الشَهِداءِ ، وَالنِجاةُ يَومَ الحِشْرِ ، وَالظَلُّ يَومَ الحَرورِ ، وَالهَدَى يَومَ الضَلالَةِ فَارِسُوا القَوَانَ»⁽²⁾ ، إِذَا رُدَّتْ حَياةُ

1- النِساء : ٨٢ .
2- مَستَدركِ الوَسائِلِ ٤ : ٢٢٢ ، بحارِ الأنوارِ ٨٩ : ١٩ ، كَنزِ العَمالِ ١ : ٥٤٥ ، ح ٢٤٢٩ .

السَعَدَاءِ ، وَمَوتَ الشَهِداءِ وَالهَدَايَةِ عَندما يَضِلُّ الناسَ ، وَعَندما تَهَبِّرُ رِياحُ الفِتنِ ، وَيَضِلُّ مَنْ يَضِلُّ ، وَيَنتِيهِ مِنَ الناسِ مَنْ يَنتِيهِ ، إِذَا تَريدُ اللهُ يَأخُذُ بِبَيدِكَ عَندما تَهَبِّرُ رِياحُ الفِتنِ ، وَلا يَجْعَلُكَ تَخَوُّضَ مَعَ الخائِضِينَ فَارِسِ القَوَانَ ، وَتَأَمَّلِ فِي القَوَانَ ، القَوَانَ يَحصِّنُكَ ، القَوَانَ يَبصِرُكَ ، التَبصِيرِ وَالتَحصِينِ لا يَكونانِ إِلا بَواصِلَ القَوَانَ ، وَالتَعبِيرِ دَقيقِ : «فارِسُوا القَوَانَ» وَليسَ فَاقِروا ، الوَاسِةُ هِيَ القِوَاءُ المَتَأَمِّلَةُ المَتَدَوِّةُ الدَقيقَةُ .

هَذا يَسمُوهُ دَرسُ فَارِسِ القَوَانَ . وَهَذهُ أَقربُ مَنه إِلى النَتائِجِ مِنَ الخِوَاءِ أَوْ بِالأَحرى الخِوَاءُ هُوَ نَتِيجَةُ العَمَلِ ، العَمَلِ حَوثِ وَالخِوَاءُ نَتِيجَةُ الحَوثِ ، العَمَلِ حَوثِ وَالخِوَاءُ حِصادِ ، كَمَا نَحْنُ نَحِثُ وَنَحصِدُ بِالدَنيَا نَحِثُ فِي الدَنيَا وَنَحصِدُ فِي الأَخرةِ ، حِصادِ الأَخرةِ ، حِصادِ الأَخرةِ يَسمُوهُ خِوَاءُ ، الخِوَاءُ لَيسَ شَئِئًا أُخرَ ، الخِوَاءُ هُوَ نَتِيجَةُ العَمَلِ ، وَكُلُّ عَمَلِ حَوثِ ، وَكُلُّ خِوَاءِ حِصادِ وَنَتِيجَةُ .

عَيشِ السَعَدَاءِ وَمَوتِ الشَهِداءِ هُوَ نَتِيجَةُ الوَاسِةِ القَوَانَ وَليسَ فَقطِ الخِوَاءِ ، يَعني هَذا العَمَلُ يَؤدِّي إِلى هَذهِ النَتِيجَةُ بِشَكلِ

النقطة الأخرى في قِراءة القَوَانِ التعمق والتعمق غير التدبر ، مرحلة بعد مرحلة التدبر ، كما أن التدبر غير حضور القلب ، مرحلة التدبر مرحلة ما بعد حضور القلب ، التعمق مرحلة ما بعد التدبر ، التعمق هو أن يدخل الإنسان في أعماق القَوَانِ ، وعندما يدخل الإنسان في أعماق القَوَانِ تتكشف له من معاني القَوَانِ ، ومن بطون القَوَانِ ومن حِرائن ومعرف القَوَانِ ما لم ينكشف له عندما يُلقى نظرة سطحية ساذجة على القَوَانِ ، النظرة السطحية الساذجة لا تمنح الإنسان ولا تمكن الإنسان من فهم أعماق القَوَانِ ، القَوَانِ له أعماق ، وفي أعماق القَوَانِ كنوز ومعان لا يجدها الذين يكتفون بالقِراءة ، السطحية والفهم السطحي الظاهر من القَوَانِ .

الصفحة 54

طبعاً نحن لا نقول مقولة الباطنيين يقولون ظاهر القَوَانِ غير مقصود أصلاً ، والمقصود باطن القَوَانِ ، هذا خطأ ، القَوَانِ بيان للناس ، وغير معقول وغير صحيح أن نقول الظاهر غير مقصود ، بلا شكّ الظاهر مقصود ، من غير ريب ظاهر القَوَانِ مقصود ، وليس كما يقول الباطنيون ظاهر القَوَانِ غير مقصود ، والمقصود تأويلات عميقة داخل معاني القَوَانِ لا يفهمها عامّة الناس ! هذا خطأ ، القَوَانِ تول لعامة البشرية ، القَوَانِ تول لهؤلاء الناس ، والقَوَانِ بيان لهؤلاء الناس ، القَوَانِ ليس كتاب ألغاز ، القَوَانِ كتاب تبيين لعامة الناس فمن غير شكّ ظاهر القَوَانِ مقصود ، ولكن للقَوَانِ باطن وعمق لا يختلف عن هذا الظاهر ولا يخالف الظاهر ، ولكن لا يناله الذين يؤوّن ظاهر القَوَانِ ويكتفون بظاهر القَوَانِ .

الطفل عندما يدخل المدرسة الابتدائية في المرحلة الأولى من الرواية يقولون له المثلث ثلاثة أضلاع منغلقة ، بعد مدة يقولون له مجموعة الزوايا يسوي ١٨٠ درجة ، وكلّما يتقدم يعطونه معلومة إضافية إلى أن يدخل إلى علم المثلثات ، وعلم المثلثات وهو معادلات عميقة ودقيقة ، هذه المعادلات تختلف عن أول كلمة سمعها عن المثلث من أن محيطه محدود بثلاثة أضلاع مغلقة وثلاثة زوايا مجموعها ١٨٠ درجة ، الذي يتلقاه الطالب في الرواسات العليا للهندسة النظرية من المثلثات لا يختلف ولا يخالف أول فهم وأول تصور أخذه عن المثلث ، هو لم يتغير ، ولكن دخل في أعماق المثلث ، وعرف من أعماق المثلث ما كان لا يعرفه من قبل .

كذلك القَوَانِ لا نقول الظاهر غير مقصود بل ظاهر القَوَانِ مقصود بالتأكيد ، وظاهر القَوَانِ حجة بالتأكيد ، ولكن مع ذلك للقَوَانِ باطن ، وللقَوَانِ عمق من غير أن يتنافى هذا العمق وذلك الظاهر ، ومن غير أن يختلف هذا العمق عن ذلك الظاهر ، مع ذلك للقَوَانِ عمق ، وهذا العمق فيه كنوز لا يتناولها الذين يكتفون من القَوَانِ بظواهره ،

الصفحة 55

وقد ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) حِرائن يقال لأي شيء البضاعة الموجودة الذهب الموجود على معوض محلات الصاغة لا يقولون له خزانة ، الخزانة المكان الذي يخترن فيه المال يكنز ويخبئ فيه المال هذا يقولون له خزانة وإلاّ المعوض المفوح أمام الناس لا يقولون له خزانة «آيات القَوَانِ حِرائن المعرفة فكلاً فتحت خزانة ينبغي لك ان تنظر فيها»⁽¹⁾

الله ورحمه السيّد محسن الحكيم يقول في حقائق الأصول - وهي مجموعة تعليقات هي أقرب إلى الشرح منها إلى التعليق على كفاية الأصول ، وهي تعليقات جيّدة وشوخ مهذبّ جيد لكفاية الأصول ينفع الطالب وينفع المدرس والمحقق - هناك في بحث يذكوه صاحب الكفاية في استعمال المشتوك في أكثر من معنى يمكن أو لا يمكن ؟
بالمناسبة يذكر صاحب الكفاية بحثاً عن بطون القوّان في المجلد الأوّل من الكفاية .

السيّد الحكيم هناك يذكر قصّة تعليق على هذا البحث ، فيذكر عن بعض الأعظم من مشايخه رحمهم الله يقول : نحن جماعة حضونا أنا والسيّد إسماعيل الصدر والشيخ ميرزا حسين النوري صاحب كتاب المستترك - مستترك وسائل الشيعة - والسيّد حسن الصدر صاحب كتاب الشيعة وفنون الإسلام وبعض الأعيان حضونا في بيت المولى فتح علي من عرفاء عصوه والبارزين ، بمناسبة عيادة مريض أو شيء من هذا القبيل ، دخلنا عليه في البيت وجلسنا عنده ، فقرأ علينا قوله تعالى :

﴿ **وَاعْلَمُوا أَن فَيَكُمُ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ** ﴾⁽²⁾ قال : ما هو معنى :

﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ** ﴾ ؟

1- أصول الكافي ٢ : ٦٠٩ .
2- الحجرات : ٧ .

الصفحة 56

نحن بيّناه بالفهم الأوّلي الذي كان عندنا فذكر لنا معنىً جميلاً لم يكن يخطر على بالنا ، فتعجبنا نحن وقلنا : لماذا لم ننتبه إلى هذا المعنى الدقيق الظريف الجميل لهذه الآية ، فانصرفنا عنه ، فحضرناه اليوم الثاني فتلا علينا نفس الآية وذكر لنا معنى آخر لقوله تعالى : ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ** ﴾ ، فتعجبنا نحن وقلنا : لماذا لم ننتبه لهذا المعنى الجديد غير المعنى الذي ذكره أمس ، وفي اليوم الثالث حضونا أيضاً فتلا نفس الآية وذكر للآية معنى ثالث إلى ما يقرب من ثلاثين يوم نحن كنا نحضر عنده كلّ يوم مجموعة ، وفي كلّ يوم يعطينا لقوله تعالى : ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ** ﴾ ، معنىً يختلف عن المعاني التي ذكرها في الأيام السابقة⁽¹⁾ .

إذن للقوّان أعماق حرائن وكلمات فتح الإنسان خزنة فتح الله على الإنسان عمقا من أعماق القوّان ، وأنا لله الله تعالى عمقا آخر ، ورأه الله سبحانه وتعالى من رقائق القوّان ومن معاني القوّان ما كان لا يخطر على باله من قبل .
فإذن لما نوا القوّان ينبغي أن نمعن النظر في القوّان ونتأمل في القوّان وننتعمق في القوّان .
صاحب كتاب الميزان في تفسير القوّان وهذا الكتاب من خير ما كتبه علماء عصرنا من التفسير ، الله ورحم الشهيد الصدر أنا سمعت من عنده (قدس سوه) كان يقول من التبيان إلى الميزان ألف سنة ما وجدنا حركة عميقة في القوّان من التبيان إلى الميزان إلا صاحب الميزان ، مع العلم أنّ الفاصلة بين التبيان والميزان ألف سنة ، الله ورحمه .

أنا لما أتيت إلى إوان التقيت بالسيد صاحب المزان رحمة الله عليه زلني فذكرت له كلمة الشهيد الصدر ، السيد الصدر يقول عن المزان : إن ما بين التبيان والمزان ألف سنة لم نوت بشيء جديد يملأ العين والقلب ، المزان حقيقة يملأ

1- حقائق الأصول ١ : ٩٥ .

الصفحة 57

العين والقلب ، والمزان من الكتب التي تحتاج إلى الإمعان والتدبر والتأمل ، وقد فتح الله سبحانه وتعالى على هذا العبد الصالح السيد الطباطبائي من معرف القوان في كتابه المزان الشيء الكثير ، صاحب المزان في كتاب المزان في بعض الآيات يذكر عدة أعماق لآية واحدة من آيات القوان الكريم ، العمق الأول ثم يتطرق من العمق الأول إلى العمق الثاني ، ثم ينطلق من العمق الثاني إلى العمق الثالث ، وكل عمق من أعماق الآية يختلف عن العمق السابق من غير أن يكون بين الاعماق تهافت أو تخالف أبداً ، وإنما هي معان منسجمة ، فالعمق الثالث ينطلق من العمق الثاني ، والعمق الثاني ينطلق من العمق الأول ، وكل ذلك ينشأ من ظاهر كتاب الله .

فإذن للقوان أعماق ، الإنسان لما يتناول كتاب الله ينبغي أن يتأمل كتاب الله بتدبر وإمعان وتعقل ، والله تعالى يزرقه في هذا التدبر والإمعان والتعمق من معاني كتابه ومن معرف كتابه ما كان لا يناله من قبل . وكذلك بتوكية النفوس وتطهير النفوس ينال الإنسان من معاني كتاب الله ما لا يناله ، من قبل القواءة في الصلاة وهي مجربة أن الإنسان عندما يقرأ السور الطوال في صلاته قائماً يفتح الله تعالى عليه من معرف كتابه ما لا يفتحه عليه وهو جالس مرتاح ومستند ويقو القوان .

قراءة القوان في آناء الليل عندما تهدأ الأصوات وعندما تنام العيون فيقوم الإنسان ويفتح القوان لوحده ويقو القوان يجد لذة كبيرة ، ومتعة نفسية ، ويفتح الله تعالى على قلب عبده من كنوز معرف القوان ما لا يفتح عليه وهو يقو القوان في مجلس فاتحة أو قراءة القوان في مجلس عام ، طبعاً لكل حقل أثر قراءة القوان في المساجد وقراءة القوان في المحافل لها تأثير ، قراءة القوان في الوحدة والخلوة لها تأثير وإيحاء وفتوحات على قلب العبد وأنس ومتعة ولذة لا يوجد نظوها في قراءة القوان في الخلوات وفي المحافل والاجتماعات لكل أثره ولكل بركاته وتأثيراته ، قراءة القوان في الليالي لها تأثير خاص .

هناك قصة معروفة عن فضيل .ولا أروي مدى صحتها . أن هذا الشخص

الصفحة 58

كان سارق وكان يتوعم فريقاً من السواق ، فترق في ليلة من الليالي ، تسلق جدار وتول إلى بيت لكي يسرق ، فوجد عبداً صالحاً من عباد الله في ذلك الوقت البهيم من الليل جالساً من دون الناس ومنشغلاً بكتاب الله وينتو كتاب الله بخشوع ، القوان جذبته من حيث لا يشعر ، القوان له جاذبية ، يجذب الإنسان ، القوان له جاذبية تقهر الإنسان ، وهو سبب نفوذ القوان إلى نفوس الكفار ، فجذبته القوان ، وقف وتقرب من مصدر الصوت ، فوجد القارئ يقو هذه الآية : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (1) ، فقال : بلى بلى إلهي قد آن أن يخشع قلبي لذكر الله تعالى فتاب ورجع وأصبح من الزهاد

(2)

هذه القاءة آناء الليل .

أذكر قصة يذكرها أحد المفسرين أذكر هذه القصة وأنهى الحديث يقول : كنا في باخرة أبحرنا من القاهرة إلى أوربا ، وفي يوم الأحد النصرى أقاموا قداساً على ظهر الباخرة واجتمع الناس واجتمع المسلمون حولهم ، فلما صار يوم الجمعة المسلمون غاروا وطلبوا من عندي أن أقيم لهم صلاة الجمعة على ظهر الباخرة ، فأقمت صلاة الجمعة ، صلاة الجمعة لها هيبه ولها مظهر مهيب ، فاجتمع الناس حولنا حلقة وأنا أقرأ عليهم سورة الجمعة وسورة المنافقون ، وبعد ذلك خطبت ، فلما خرجت من الصلاة جاءتني امرأة انجليزية وقالت : أنا لا أعرف عربي ولا أفهم العربية ولكن كنت إلاحظ أن كلماتك تتخللها كلمات

متموذة عن سائر الكلمات لها جاذبية ولها أثر ووقع على نفس الإنسان يختلف عن أثر ووقع سائر الكلمات فلماذا هذا ؟ فتعجبت من كلامها وقلت : أنا سوف أتكلم وموئي لي الفوات التي تتميز

1- الحديد : ١٦ .

2- تحفة الأحوذى ٧ : ٢٥٠ ، تفسير القرطبي ١٧ : ٢٥١ ، تهذيب الكمال ٢٣ : ٢٨٥ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٢٦٥ .

الصفحة 59

في هذا الكلام ، فبدأت أتكلم واشفع أقرأ آيات من القرآن وانزع كلامي بآيات من القرآن ، يقول : هذه المرأة بشكل مريح كانت تتوق بين الآيات وغير الآيات من دون تعب ، تقول : هذه الفوات لها تأثير ولها وقع يختلف عن سائر الكلمات ، فكانت تميز بين القرآن وغير القرآن من الكلمات من غير تعب ولا جهد .

فالقرآن له جاذبية قاهرة ، وإذا دخل الإنسان دائرة في حرم جاذبية القرآن يأخذه إلا أن يعرض عن الله تعالى ويعاند ويعرض ، وإلا الإنسان الذي يدخل في دائرة جاذبية القرآن ، القرآن يأخذه ويسحبه . وهذه الجاذبية هي من إعجاز القرآن الذي لم يكتشفه كل أحد هذه الجاذبية ما هي ؟

هناك واقع التاريخ يذكره لا يحتاج إلى بيّنة وشاهد ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلو على الناس آيات من القرآن عرب جفاة من الصوءاء يا محمد علمنا تحدث معنا ، فيقرأ عليهم آيات من القرآن ، فينجذبون للقرآن ، مصعب بن عمير . رحمة الله عليه . بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة ، شاب آمن على يدهز عماء الأوس والخزرج ، ماذا كان يعمل مصعب بن عمير ؟

كان يأتون إليه ويجلسون حوله فيتلو عليهم آيات من القرآن ، فينجذبون إلى القرآن من حيث لا يدرون ، يقوهم القرآن ، للقرآن جاذبية عميقة وقوية وإذا دخل الإنسان في دائرة جاذبية القرآن قوة جاذبية القرآن تأخذه إلا أن يعرض عن الله سبحانه وتعالى .

نسأل الله عزّ وجلّ أن يوزقنا في هذه الليالي المباركة بصائر كتابه ووعي كتابه وفقه كتابه وخوائن معرف كتابه ، والحمد

لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الصفحة 60

الصفحة 61



سؤال : سلام عليكم ، هناك تعقيب شيخنا وذكرتم جملة من الأمور يا حبيدًا لو أضفتم الرصيد الحديثي ، يعني لو كان هذا القرئ لديه رصيد من الحديث وثقافة أهل البيت (عليهم السلام) لعله ينهل أكثر فأكثر هذا وُلًا .

هناك سؤال مخصوص في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَوَّاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ** ﴾⁽¹⁾ . هذا نزول القرآن

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بُعث في شهر رجب إقوأ ما أنا بقرئ كيف نوفق بين ذلك النزول وهذا النزول ؟

الجواب : بخصوص ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ هُكذا يفهم أن المبعث كان في شهر رجب ثم بعد ذلك كان الوحي ، بعد

ذلك في شهر رمضان ، يعني الوحي انقطع بالسور الأوائل اللاتي قرن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أما

سورة إقوأ فقط أو العلق والمدثر وبعدها انقطع الوحي في شهر رمضان ، قر الوحي جملة واحدة ليلة القدر ، قر القرآن

جملة واحدة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، نزول القرآن في ليلة القدر غير النزول التدريجي ، النزول

التدريجي بدايته شهر رجب ٢٧ رجب ونهايته قبيل وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا النزول التدريجي ، أما

نزول ليلة القدر كان النزول الدفعي على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ﴾ ، يعنى قر

القرآن دفعة واحدة ومرة واحدة على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

سؤال : الآية الشريفة التي ذكرتموها في سورة الواقعة : ٧٨ ﴿ **فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ** ﴾ ومعلوم أن أحد أسماء القرآن الكريم

الكتاب فكيف يكون الكتاب في كتاب ؟

الجواب : الكتاب هنا المقصود به اللوح المحفوظ الذي يحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى ، فالمقصود بالكتاب المكنون . من

جملة التفاسير . اللوح

المحفوظ ، هناك القرآن ثابت ومحفوظ عن التغيير والتبديل اللوح المحفوظ لا يتعوض له تغيير ، من هناك يتقر القرآن ،

القرآن يتقر من اللوح المحفوظ إلى صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

اللهم صل على محمد وآل محمد اللهم رحمنًا ورحمتك الواسعة ، اللهم ارزقنا بركات هذه الليالي ، وارزقنا فيها تلاوة كتابك

وإقامة الصلاة ، وارزقنا صيام هذه الأيام المباركة ، وقيام ليالي هذا الشهر الشريف ، ورحمنًا ورحمتك الواسعة ، رحم والدينا

ونوي الحقوق علينا ، اللهم ارزقنا وعي كتابك وارزقنا بصائر كتابك ، اللهم انصر المسلمين في بلادهم ، اللهم رفع كلمتك

واجعلها العليا وادحض كلمة الكفر واجعلها السفلى ، اللهم انصر المسلمين في كل مناطق العالم في فلسطين في كوسوفو وفي

أفغانستان وفي سائر البلاد وفي كشمير وفي العراق وانصر الإسلام والمسلمين وأيدهم ورفع كلمتهم ، واخذل أعداءهم ،

ولرحم شهدائنا ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

بداية النوبة ٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمَ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ

﴿ الْخَاسِرُونَ ﴾ (1) ، في الحلقة الماضية من هذا الحديث تحدثت عن القاء قائماً في الصلاة ، فمن الحالات الجيدة للقاء

والحالات الموحية في القاء القاء قائماً في الصلاة ، يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (2) ،

القاء قائماً فيها معنوية وفيها إحياء وفيها تأثيرات كبيرة على النفس ، وقد ورد التأكيد على قاء القاء في حالة القيام في

الصلاة فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : «من قأ القاء وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قأ

وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قأ في غير الصلاة على وضوء فخمسون حسنة ، ومن

قأ على غير وضوء فعشر حسنات» (3) ، ويقول الإمام (عليه السلام) بعد ذلك : «وما كان من القيام بالليل أفضل» ، لأنه

أفرغ للقلب .

يستوقف الإنسان تعبير الإمام ، تعبير الإمام (عليه السلام) تعبير يدعو إلى التأمل لأنه أفرغ للقلب ، سبحان الله هذه

الحالات كلها مؤثرة في تويغ القلب لتلاوة القاء ،

1- البقرة : ١٢١ .

2- آل عمران : ١٩١ .

3- إعانة الطالبين ٢ : ٢٨٢ ، بحار الأنوار ٨٩ : ٢٠١ .

وضوء وصلاة وقيام وليل ، أربعة عوامل موحية ومؤثرة وقوية فلذلك الإمام يقول : «وما كان من القيام في الليل فهو

أفضل» ، لأنه أفرغ للقلب .

وحقيقة المسألة أو السر الحقيقي في المسألة هو هذا الشيء ، أفرغ للقلب ، التالي للقوان يبحث دائماً عن الحالة التي هي

أفرغ للقلب من غيرها ، القاء النافعة ، والقاء البناءة ، والقاء الموحية للقوان هي التي تكون أفرغ للقلب ، وكلما كانت

القاء أفرغ للقلب يعني تحري القاء في حالة تجريد القلب من كل الشواغل والخواطر التي تغزو قلب الإنسان تلك القاء

تكون أجدى وأنفع وأكثر وقاعاً في نفس الإنسان ، والقاء عندما تكون في الصلاة وفي حالة القيام في آناء الليل تحقق أكثر ما

يريد الإنسان من تويغ القلب للقاء .

رحم الله أبا ذر الغفري عليه الرحمة والسلام يقول ، وهو خبير أبو ذر الغفري خبير بالحالات والأحوال والأوقات

والأرمان ولا تجد مثله خبواً ، يقول رحمه الله رضوان الله عليه : إن كثرة السجود بالنهار وطول القيام بالليل ، السجود حسن في الليل والنهار ، والسجود مطلوب ونافع ويقوّب الإنسان إلى الله ليلاً ونهاراً ، والقيام بين يدي الله تعالى حسن ونافع ومفيد في الليل والنهار ، ولكلّ تأثّره .

هذه حالات الليل والنهار يعرفها من اخترهما الذين اختبروا الذكر في الليل والنهار يعرفون أي وقت يصلح لأي شيء . هذه نتيجة الممارسة ، عندنا روايات تشير إلى الأوقات وخصائص الأوقات وخصائص الساعات والأورد ، والأذكار والأدعية في ساعات الليل والنهار ، وهناك تجرب وخوات ، وأبو ذر يتحدّث عن خوته وعمّا سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أطل السجود في النهار وأطل القيام بين يدي الله تعالى في الليل .

إذن القيام بالليل معنىً ، وإطالة القيام في الليل ينفع الإنسان ، تبني الإنسان ، توجه الإنسان إلى الله تعالى ، توغ قلب الإنسان لله سبحانه وتعالى كثيراً .

الصفحة 65

فإذا قرأ الإنسان في الصلاة كما في النوافل الرمضانية قرأ السور الطوال عند ذلك يجد في قراءه السور ، سورة القآن من الإحياءات من المعاني من التأثير من التفاعل ما لا يجده في غيرها في غير هذه الحالة .

عن الإمام الحسين (عليه السلام) : «من قرأ آية من كتاب الله في صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مائة حسنة ، فإن قرأها في صلاة كتب له بكل حرف عشر حسنات ، فان استمع القآن كتب له بكل حرف حسنة فإن ختم القآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتّى يصبح لا زال الملائكة تصليّ عليه حتّى يصبح من ليلته تلك ، وان ختم نهاراً صلّت عليه الحفظة حتّى يمسي ، وكانت له دعوة مستجابة ، وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض»⁽¹⁾ .

له دعوة مستجابة ، وتلك الدعوة خير له مما بين السماء إلى الأرض ، خلق بفكوك وخيالك ما تشاء ، ماذا ترى ما بين السماء والأرض مما خلق الله سبحانه وتعالى ، تلك الدعوة المستجابة ، خير لمن ختم القآن مما خلق الله بين السماء والأرض ، وكانت له دعوة مجابة .

بعد كلّ ختمه للقآن كانت له دعوة مجابة ، وكان خيراً له مما بين السماء والأرض ، قد نتصور أنّ الحرف بكل حرف مائة حسنة قد يتصور أنّ كلمة الحرف هنا المقصود بها السورة أو المقصود بالحرف على أقل التقدير الحرف الآية وإنما نسميه حرفاً ، والآن في مصطلحاتنا الحديثة كذلك نعبّر عن المعاني بالحرف عن الكتابات الكتابة بالحرف ، الإمام الصادق (عليه السلام) لما بيّن ثواب الحرف من القآن مائة حسنة ، بكل حرف بلغت النظر أنه لا يقصد الحرف هذا المعنى المجري ، يقصد بالحرف المعنى الحقيقي بالدقّة ، فيقول (عليه السلام) لا أقول بكلّ آية أنا أقول بكلّ حرف ، لا أقول بكلّ آية ولكن بكل حرف باء أو تاء أو شبههما ، المائة حسنة والخمسون حسنة والخمسون حسنة والعشرون حسنة بكلّ حرف من قبيل الباء والتاء

1- الكافي ٢ : ٦١١ ، بحار الأنوار ٨٩ : ٢٠١ .

والجيم والدال وأمثال ذلك ، وليس بكل آية .

فإذن قِراءة القرآن عن قيام لها قيمة كبيرة في القِراءة ، وتعطي تأثيراً روحياً ، ويجد الإنسان في قِراءة القرآن من اللذة والمتعة الروحية ما لا يجدها في غير هذه الحالة .

التفاعل مع القرآن : نقطة أخرى من النقاط التي أحبُّ أن أُشير إليها هي حالة التفاعل مع القرآن : حالة التفاعل غير حالة ترويض القلب وحالة التدبّر وحالة التأمل وحالة التعمق ، الحالات التي سبق أن شوتحتها وإن كانت نابعة من تلك الحالات ، ولكن حالة التفاعل حالة أخرى ، وهي حالة التأثير النفسي ، حالة التفاعل حالة الانفعال ، الإنسان يفعل بالقرآن ، لما يفتح كتاب أمامه ويقرأ يفعل بكتاب الله ، ويتأثر بكتاب الله ، ويتجول في أجواء كتاب الله ، وينقلب في أجواء كتاب الله من جو إلى جو ، ومن حال إلى حال ، ويزداد إيمانه ، وهو المعنى الذي تذكره الآية الكريمة من سورة الأنفال : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ**

اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (1) .

وهذه الخاصية ﴿ **وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ . . . زَادَتْهُمْ إِيمَانًا** ﴾ ، هذه حالة خاصة بالمؤمنين (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) هذه الحالة لا يجدها غير المؤمنين ، حالة الوجل والخوف والتهيب واستشعار الخوف وزيادة الإيمان وتضاعف الإيمان وتصاعد الإيمان ، حالة خاصة بالمؤمنين ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ** ﴾ .

هذه الحالة متى تحكم نفوس المؤمنين ؟ ومتى تؤثر في نفوس المؤمنين ؟

في حالتين : عندما يذكرون الله وعندما يتلون القرآن في هاتين الحالتين ، عندما يذكر المؤمنون الله سبحانه وتعالى يصيبهم حالة الوجل ، ذكر الله له هيبه في نفوس المؤمنين ، وجلت قلوبهم ، وآيات الله تعالى لها تأثير نفسي فيتضاعف الإيمان

ويتضاعف الإيمان ﴿ **وَإِذَا تَلَيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا** ﴾ ، ﴿ **اللَّهُ**

قَالَ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴿ (1)﴾ هذا الانفعال والتفاعل مع كلام الله والتجول في أجواء كلام الله وقبول الانفعال من خصائص القلوب المنفتحة على الله سبحانه وتعالى ، ورقي مراحل الانفعال هذا الذي تذكره الآية الكريمة ، من رقى مراحل الانفعال بالقرآن ، ولذلك تأتي مع خشية الذين يخشون ربهم وتأتي مع الإيمان من خصائص الإيمان ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ في هذه القِراءة تفتح مغاليق قلب الإنسان على القرآن الكريم ، وينفذ القرآن وتنفيذ الصلاة وينفذ الذكر إلى أعماق النفس وأعماق القلب ، فيستثير القلب وتستثير النفس بكتاب الله سبحانه وتعالى .

هذه الحالة يجب أن نحققها في تلاوتنا لكتاب الله ، هذه الحالة تتحقق في الخلوات ، الخلوات تحقق هذا المعنى ، ويجد

الإنسان في الخلوات من نعيم كتاب الله ما لا يجده في الحالات الأخرى . هذا الكلام الذي ذكوه الإمام (عليه السلام) لهمام عندما سأله عن صفات المتقين ، هذه الكلمة دقيقة ومعروّة وتستوقف الإنسان قليلاً : «أما الليل فصافون أقدامهم ، تالين لأجزاء القوّان ، يرتلونها ترتيلاً ، يحزنون به أنفسهم»⁽²⁾ ، الحزن حالة تكامل ، الحزن حالة تمهّد الإنسان للتكامل ، بعكس الفوح توقف الإنسان وتوقف نمو الإنسان الروحي والفكري ، الحزن حالة إيجابية في الإنسان ، ترفع الإنسان . الحزن غير الكآبة ، الكآبة غير ممدوحة بينما الحزن ممدوح ، وبالعكس التوجّهات النفسية الحديثة التي تمدح حالة الفوح ، وتذمّ وتكافح حالة الحزن ، الرسائل الإلهية والكتب السماوية الإلهية تمدح حالة الحزن ، وتكافح حالة الفوح التي توقف كمال الإنسان وحركة الإنسان التكاملية ، (فليفوحوا قليلاً) ، لا توحون

1- الزمر : ٢٣ .
2- نهج البلاغة ٢ : ١٦١ ، خ ١٩٣ (المتقين) .

كثراً ، الفوح يوقف نمو الإنسان وكمال الإنسان بعكس حالة الحزن «وليبكوا كثيراً» حالة الحزن وحالة البكاء الحالة الطبيعية لنمو الإنسان .

الإمام (عليه السلام) يقول : «يحزنون به أنفسهم بالقوّان» المؤمنون الصالحون يحزنون أنفسهم بكتاب الله ، ثمّ يقول كلمة تحتاج إلى كثير من الإمعان والدقّة : «ويستثيرون به نواء دائهم» ، يستثيرون به يعني بكتاب الله نواء دائهم ، الاستئذنة هي الاستخراج من الذات .

هذا معنى الاستئذنة ، يعني بالقوّان يستخرجون نواء دائهم من أنفسهم ، نواء أوائنا في أنفسنا ، لا نحتاج إلى أن نمدّ أيدينا إلى مكان آخر حتّى نأخذ نواءً لداء أنفسنا ، نواء لأوائنا وأمراضنا ، كلا نحن لو فوجع إلى أنفسنا نجد في أنفسنا نواء لكل أوائنا ، داخل أنفسنا ، داخل فطرتنا داخل ضميرنا نواء لكل أوائنا ، لربما بكاء وشهقة تعالج كثراً من الأمراض النفسية المعقّدة في حالة الإنسان ، شهقة وبكاء ترجع الإنسان مرحلة كبيرة إلى الحالة المستوية ، شهقة بكاء وساعة حزن ، وتفكير ساعة وتأمّل ساعة وندم .

هذه الحالات في أنفسنا ، الندم حالة نفسية ، نحن الندم لانأتي به من الخرج ، الندم أمر موكوز في أنفسنا ، الذكر ، الندم ، الخوف ، الحزن ، التهيب ، الفوح ، هذه الحالات موجودة في أنفسنا ، ولكن تحتاج إلى أداة وإلى معرفة ، تحتاج إلى أداة لاستخراج هذه الحالات ، والإمام يعبر عنه بالاستئذنة ، يستثيرون به يعني بالقوّان نواء دائهم .

ويحتاج إلى معرفة ، يعرف الإنسان ما هو علاج مرضه ؟ هو غافل عن ذكر الله ، ولم يرّ علاج لغفلته عن الله ، لا يعرف كيف يعالج حالة الغفلة المتمكنة منه ، لا يبري ، يحتاج إلى طبيب حاذق عرف بيّن له كيف يكافح حالة الغفلة الموجودة في نفسه ، ولا يتمكّن الطبيب الحاذق من أن يأتي له ببواء من غير نفسه ، يقول له أنت رجع إلى ذاتك ترى البواء

معرفة ، يعني بالقَوَانِ نعرف دائنا و نواتنا ، و بالقَوَانِ نستثير نواتنا من داخل أنفسنا «يَحْرَنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ نَوَاءَ دَائِهِمْ» .

ولربما يكون علاج الإنسان في نفس الحزن ، نفس الحزن يعالج الإنسان لما وجع الإنسان يحزن لما فاته ، ويخاف ويحزن مما فوط في جنب الله تعالى ، ويخاف مما يستقبله من عذاب الله وحساب الله وعقاب الله سبحانه وتعالى ، ربما يكون علاجه هو ذلك .

«يَحْرَنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ نَوَاءَ دَائِهِمْ» إلى آخر كلام الإمام (عليه السلام) ، والكلام يحتاج إلى حديث طويل .
 إذن الإنسان عندما يقع في دائرة تأثير القَوَانِ ودائرة نفوذ القَوَانِ ، القَوَانِ يصلح حاله ، والقَوَانِ يغوره ، والقَوَانِ يحزنه والقَوَانِ يستثير فيه نواء دائه ولكن المسألة المهمة هي كيف يدخل الإنسان في دائرة تأثير القَوَانِ ؟

رجع إلى الآية الكريمة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ ، أحسن الحديث هو القَوَانِ على الاطلاق ، أحسن كل حديث ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ المتشابه هنا ليس في مقابل المحكم ، لأن المتشابه . بعضه . فيه آيات متشابهات وليس كل القَوَانِ متشابه ، القَوَانِ بعضه متشابه وبعضه محكم ، في هذه الآية الكريمة تصف القَوَانِ كله بأنه متشابه : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ .
 إذن المتشابه معناه شيء آخر ، معناه بعضه يشبه بعض ، لا تتناقض هذه الآيات ، ولا تختلف هذه الآيات وإنما هي متشابهة ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ ، مَثَانِي من الثني يعني بعضه يعطف على بعض ، لا تتقاطع هذه الآيات ، وإنما تتعاطف وتتابع ﴿مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، تأملوا في هذه الفقرة من الآية الكريمة ﴿مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، الإنسان لما يواجه حالة جديدة أو يدخل مجلساً مهيباً يواجه أحيانا حالتين :

1- الزمر : ٢٣ .

الحالة الأولى : حالة التهيب والتخوف فيقشعر جلده ويتهيب ، يقشعر جلده يعني يتقبض جلده ويتصلب جلده ، هذه حالة الشعور ، وهي حالة تقبض الجلد ، هذه أعصاب الجلد حساسة جداً ، فنتقبض وتتصلب في الحالة التي يتهيبها الإنسان ويتخوفها ، هذه في البداية ، فإذا استقر به المجلس وجلس وأنس بالطرف الآخر الذي يجلس معه ألف به وأنس بحديثه بالترجيع ، حالة التهيب تعطي مكانها لحالة السكون والاستقرار النفسي .

الحالة الثانية : حالة الأُنس يرتاح يسكن ويرتاح ويطمئن ، هذه الحالة الثانية .

حالتان تتعاقبان الحالة الأولى حالي التهيّب فيتقبّض جلده ويتصلّب جلده ويقشعر : ﴿مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾

، يعني يوقأ كلام الله تعالى ، يوقأ خطاب الله فيقشعر وتأخذه الهيبة ، ثم لما يواصل قراءة كتاب الله ويجد في كتاب الله

آيات الرحمة ويجد في كتاب الله اللطف الإلهي والرحمة الإلهية والجمال الإلهي والرافة الإلهية والشفقة الإلهية والفضل الإلهي

والعطف على عباده وطوله سبحانه وتعالى على عباده يسكن إلى القوآن ، ويلين جلده ، ويلين قلبه : ﴿مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ .

إذن حالتان تتتابان الإنسان عندما يفتح كتاب الله أمامه ، كنتاجهما صحيحتان ، تلك الحالتان تتولدان على نفوس المؤمنين .

عندما يفتح كتاب الله تأخذه الهيبة ، هيبة خطاب الله ، وهيبة كلام الله ، والله تبارك وتعالى يتجلّى

الصفحة 71

في كلامه .

هذه من المسائل التي تحتاج إلى كثير من التفكير والتأمل ، إن الله يتجلّى في كلامه ، فلا محال تتجلّى في كلام الله عظمة

الله ، وسلطان الله ، وجلال الله ، وكبرياء الله ، وجبروت الله تعالى ، فتأخذه الهيبة ، ثم بعد ذلك لما يواصل القوأة يجدرحمة

الله وفضله سبحانه وتعالى وعفوه وكرمه ودعوته لعباده إلى أن يتوبوا إليه ورجعوا إليه ويدعونه يسألونه من فضله ، فتحوّل

تلك الحالة من التهيّب إلى حالة من السكون والاستقرار النفسي ولين الجلود ولين القلوب : ﴿مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ

اللَّهِ﴾ (1) .

هذا التحوّل من التهيّب إلى السكون والركون واللين من خصائص كتاب الله سبحانه وتعالى ، وكذلك يفعل القوآن في

القلوب السليمة . القلوب الجامدة المتحوّرة التي لا تتهيّب ولا تسكن ولا تلين إلى ذكر الله هذه قلوب فيها مشكلة مرضية قاسية

، القلوب التي لا تتهيّب ثم لا تسكن ولا تلين هذه القلوب قلوب مريضة وقلوب قاسية ، صاحبه ، يعرف كيف يعالج نفسه ،

ويجب عليه أن يبحث عن نواء دائه .

أمّا القلوب السليمة القلوب السديدة راء كتاب الله تعالى تتهيّب وتلين وتسكن ، وهناك علاقة مباشرة بين جوانح الإنسان

وجروح الإنسان ، القوآن يخاطب جوانح الإنسان ، القوآن لا يخاطب جروح الإنسان ومع ذلك جلد الإنسان يقشعر عندما

يوقأ القوآن ، جلده يقشعر لهذه العلاقة بين الجروح والجوانح ، هذا الخطاب يتوجّه إلى جوانح الإنسان إلى قلبه وعقله

وضموره وفتوته ووجدانه ، ولكن هذا الخطاب يترك أثرين متقابلين على جوانح الإنسان ، يقشعر جلده ثم يلين جلده ، وهذا

التأثير محسوس للإنسان يعني الإنسان ، بؤاءة القوآن عندما يتفاعل مع القوآن يجد الأثرين مع بعض ، الأثر الذي يطغى على

جولحه والأثر الذي يغلب جوانحه .

رحم الله ذلك العرف العالم كان يقول : إنَّ الله أطلق كلَّ شعوة في جسم الإنسان بتلاوة كتابه ، هذه التلاوة يجب أن نبحث عنها ، يجب أن نحققها ، يجب أن يحاول لما نقوا كتاب الله نستشعر المهابة والخوف من عند الله ، ونستشعر كذلك السكون إلى ذكر الله سبحانه وتعالى .

نقطة أخوة في هذا البحث عن تلاوة كتاب الله وهي من النقاط الأساسية المهمة : تويغ القلب عند تلاوة القرآن ، كيف

نوغ قلوبنا ؟

ومصيبة الإنسان أنه إذا فتح الكتاب أمامه عينه مشدودة على الكلمات ، ولسانه مشغول بأداء الكلمات ، وفوه يذهب يمينا ويسرا ولا يسيطر على فوه ، هذه مصيبة الإنسان الكبيرة ، وهذه المصيبة تعرض على الإنسان في ثلاث حالات ، يعني هذه المشكلة تنتاب الإنسان في ثلاث حالات ، عندما يقوا القرآن وعندما يقوا الدعاء وعندما يصلّي .

هذه الحالات الثلاث أوج ما يكون الإنسان إلى تويغ قلبه في هذه الحالات الثلاث ، ولا يحتاج الإنسان إلى فواغ القلب كما يحتاج في هذه الحالات الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء ، في هذه الحالات الإنسان يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، ولما يتوجه إلى الله ينبغي أن يكون فوه فرغاً وقلبه فرغاً حتى يتوجه إلى الله ، وفي هذه الحالات الثلاث أكثر ما تغزو الأفكار الوردية والشواغل الشاغلة فكر الإنسان وقلب الإنسان وأكثر حرمان الإنسان ؛ لأنَّ هذه هي المناهل الثلاثة إلى الله تعالى لا يوجد أعظم منها ، فكروا في المناهل التي توردا إلى الله تعالى ، وعندنا منهل آخر أعذب وأوسع من هذه المناهل الثلاثة : الدعاء الصلاة وقاءة القرآن .

الصلاة الدعاء هذه المناهل الثلاثة التي يرد فيها العبد على الله سبحانه وتعالى هذه المناهل عذبة شفاقة صافية غير متعكوة ، هذه المناهل الثلاثة غير

متعكوة تكون عذبة حتى ينهل منها ، وما نواجهه كثرا أن الشواغل تعكر على الإنسان ، الشواغل والصولف تعكر على الإنسان عنوبة وصفاء ونقوة هذه المناهل الثلاثة ، فلا تصفى له صلاته ، ولا تصفى له تلاوته ، ولا تصفى له دعائه ، سبحان الله يقيم الصلاة من تكبوة الإحرام إلى التسليم يحاسب نفسه وي أنه كلما توجه إلى الله تعالى ، توجه يخاطب الله

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، يُخَاطِبُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، يمدح الله ، يثني على الله ، يسبح الله .

سبحان ربّي العظيم وبحمده ، يكبر الله ، الله أكبر ، هذه المعاني الجميلة وكذلك في القرآن يتلقى الإنسان هذه الخطابات من لدن الله يريد أن يتلو هذه الخطابات في حالة من صفاء النفس فلا يجد ، وهذه مصيبة كبيرة من مصائب الإنسان تشتت البال عندما يتوجه إلى الله تعالى ، وهذا التشتت يسبب للإنسان أكبر حرمان في حياته ، لا يجد الإنسان حرمان في حياته مثل هذا الحرمان ، مثل أن يُحرّم الإنسان من مكاسب صلاته ، ومكاسب تلاوته ، ومكاسب دعائه ، لا يوجد حرمان في حياة الإنسان

أكثر من أن يُحرمَ من هذه المناهل الثلاثة في علاقته بالله سبحانه وتعالى .

هذه المسألة ينبغي أن نفكر فيها طويلاً ، ونجد لها علاجاً كيف نجد أنفسنا ونفوغ قلوبنا لذكر الله تعالى ؟
عندما نقوم بين يدي الله في الصلاة أو في الدعاء أو في تلاوة كتابه ، علماء الأخلاق وعلماء العرفان بحثوا طويلاً في التربية الروحية ، بحثوا طويلاً هذه المسألة ، وذكروا مسالك كثيرة لتجريد النفس ، أنا اتصور أفضل منهج لتجريد النفس عند تلاوة القرآن وإقامة الصلاة وقراءة الدعاء أفضل منهج هو أن نأخذ بمعنى الخطاب في هذا المنهج بيننا وبين الله عز وجل ، خطاب متبادل ، نحن نخاطب الله عز وجل ، والله يخاطبنا ، نحن نخاطب الله تعالى في صلاتنا : سبحان ربي العظيم وبحمده ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، إياك نعبد

الصفحة 74

وإياك نستعين .

الصلاة خطاب الله تعالى ، والدعاء خطاب العبد لله : «اللهم إني افتتح الثناء بحمدك وأنت مسدد للصواب» ، نخاطبه : وأنت مسدد للصواب ، «وأيقنت أنك أنت رُحِمَ الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشدّ المعاقبين في»⁽¹⁾ إلى آخر الدعاء .
الدعاء خطاب ، والمخاطب في هذا الدعاء هو الله تعالى ، والصلاة دعاء ، والمخاطب في هذه الصلاة هو الله سبحانه

وتعالى ، والقرآن كذلك دعاء خطاب ، ولكن بالعكس المخاطب هو الله سبحانه وتعالى والمخاطب هو الإنسان : ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽²⁾ ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِيمٍ مِّنَ

عَذَابِ أَلِيمٍ﴾⁽³⁾ الله يخاطبنا .

إذن هناك خطابان متبادلان بين العبد وبين الله سبحانه ، وتعالى خطاب من الله إلى العبد ، وهو القرآن ، وهو الخطاب النازل من لدن الله إلى عبده ، وخطاب من العبد إلى الله تعالى ، وهو الخطاب الصاعد من لدن العبد إلى رب العالمين ، وهو الدعاء والصلاة ، خطاب صاعد إلى الله والقرآن خطاب نزل من عند الله .

أنتم تأملوا حالات الشرود النفسي تطوأ على الإنسان كثراً ، ولكن في حالة الخطاب قلماً يطوأ على الإنسان حالة الشرود النفسي ، من الممكن أنت لمّا تقوأ كتاب وتقوأ جريدة يصيبك الشرود وانشغال البال ، عندما تقوأ جريدة أو الكتاب موهة تنتبه لحالك ترى أنك قوأ صفحة أو صفحتين من الكتاب وأنت شرد نفسياً بالكامل عن كل مضمين الكتاب ، لو يسألوك عن هاتين الصفحتين لا تتمكن أن تجيب على شيء ، أصابك شرود ذهني كامل ، ولكن عندما يخاطبك واحد قلماً

1- دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان ، انظر مصباح المتعبد : ٥٧٧ .

2- التحريم : ٦ .

3- الصف : ١٠ .

الصفحة 75

يحصل للإنسان حالة الشرود ، عندما تتلقّى خطاب من أحد قلماً يصيبك الشرود تسمع له وتنتبه ماذا يقول لك ؟ قلماً يصيب

الإنسان الشرود ، ولما أنت تخاطب شخص ما ناوياً ما يصيبك الشرود .

أنا الآن أتكلّم معكم ناوياً ما يتفق أثناء كلامي معكم أفكر في شيء آخر ، ذهني كلّهُ منصرف إلى سياق كلامي معكم ، ذهني معذببات الصوت ومع الآفاق التي أتحدّث عنها ومعكم لا يصيبني شرود إلاّ ناوياً جداً إلاّ في حالات ناوياً ، الخطاب يجمع بال الإنسان ويحصّن الإنسان ، الخطاب يحصّن الإنسان من الشرود الفكري ومن تشتت البال ، لما يخاطب الإنسان أو يتلقّى الخطاب قلماً يصيبه الشرود .

وأنتم جرّوا في حوار بينك وبين واحد هو يتحدّث وأنت تتحدّث ، حرب شوف واحة بدون إشكالية كبيرة تسوّعب كلامه ، وبدون إشكالية تفهم كلامك معه ولكن نفتح صفحة من القوان نقواً صفحة صفحتين بعد ذلك تعلق كتاب الله وتريد أن تتحدّث بالمضمون عن المعاني التي مرّت علينا في كتاب الله أو المعاني التي مرّت علينا في الدعاء لا نتمكن أن نستوعبه كما استوعبنا الحوار الذي جرى بيني وبين صاحبي في الخطاب ، والسبب في ذلك نحن لا نعطي للدعاء قيمة الخطاب ، لا نعطي للصلاة قيمة الخطاب ، لا نعطي للقوان قيمة الخطاب ، لا نتلقّى القوان من ناحية بصفة أنّه خطاب الله تعالى إلينا ، إذا نتلقّى القوان بصفة أنّ هذا الكتاب خطاب الله تعالى إلى الإنسان عند ذلك لا يصيب الإنسان الشرود .

وعندما نصلي نقف بين يدي الله تعالى ونقول : الله أكبر ، الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد ، سبحان ربّي العظيم وبحمده ، نسبح الله نحمد الله ، نكبر الله ، نخاطب الله ، نمدح الله عزّ وجلّ ، سبحان الله والحمد لله ، مديحنا لله سبحانه وتعالى ، قد أذنت لي في دعائك ومسألتك فاسمع اللّهم مدحتي ، أنا أمدحك ، أنت أذنت لي وشرفتي وأكرممتي ، إلهي أفف وأمدحك هذا

الصفحة 76

فضل كبير من عندك ، إن أذنت لي أن أمدحك فاسمع اللّهم مدحتي ، انظر كيف أمدحك ولا يمكن أن يقف الإنسان بين يدي الله في الصلاة ويمدح الله وذهنه شرد عن مدحه لله تعالى ، يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ، وهو لا يعي ماذا يقول ، والله أكبر ، وهو لا يعي ماذا يقول .

ولا يمكن أن يتلقّى الإنسان الخطاب من عند الله تعالى ويقو القوان وثمّ لا يعي ماذا يقو من خطاب الله سبحانه وتعالى ، نحن مشكلتنا أنّنا لا نعطي لكتاب الله قيمة خطاب ، ولا نعطي للصلاة والدعاء قيمة خطاب ، إذا كنّا نعطي للصلاة للدعاء للقوان قيمة الخطاب هذه الحالات من الشرود والتشتت النفسي لا تصيبنا ، ولا يحتاج أحد إلى أن يعذب نفسه ويكلف نفسه ويوكّز فكه حتّى يتعلم كيف يوكّز فكه في صلاته وتلاوته للقوان ، لا المسألة أيسر من ذلك وأسهل من ذلك ، لو أن الإنسان عرف أن ما بيده من الصلاة والدعاء والقوان هو خطاب إلى الله ومن الله ، وتلقّى القوان والدعاء والصلاة على أنّه خطاب من الله إلى الله فلا نحتاج إلى هذا العناء .

أنا رى بعض الصالحين من عباد الله يحاول أن يكلف نفسه معاناة شديدة حتّى يتوجّه في صلاته إلى الله وحتّى يتوجّه في قواه القوان إلى الله تعالى .

أقول عجباً . وأنا من المبتلين بهذا الشيء . أنا لما أتحدث مع صاحبي لا احتاج إلى كل هذه المعاناة ولا أحتاج أعصر فكوي حتى أتوجه إلى صاحبي في حوره ، أفهم ماذا يقول وأفهم ما أقول له ، ما احتاج إلى هذه المعاناة ، فلماذا عندما نقف بالصلاة بين يدي رب العالمين ولما نفتح كتاب الله نحتاج إلى كل هذه المعاناة حتى تأخذ وحي الله عز وجل ، ونأخذ خطاب الله تعالى ، ونتلقى الخطاب من عند الله وحتى نرفع الخطاب إلى الله تعالى القآن ؟

أيها الإخوة خطاب الله تعالى إلى الإنسان ، والإنسان إذا عرف هذا المعنى أن القآن خطاب الله تعالى يتغير وضعه اتجاه القآن ، هذا الخطاب الإلهي العظيم ،

الصفحة 77

الله عز وجل بجلاله وبجماله وبعظمته وبسلطانه وبكبريائه مالك السموات والأرض ، قهار السموات والأرضين ، يخاطب هذا العبد الحقير ، ولو أن خطاب الله تعالى متوجه إلى الصخور وإلى الجبال لتصدعت : ﴿ لَوْ أَتْرَكْنَا هَذَا الْقَوَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ رَأَيْتَهُ خَاشِعًا مَتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾⁽¹⁾ ، هذا القآن إذا خاطب به الجبال والصخور لتصدعت ، فيخاطبنا رب العالمين يا أيها الناس يا أيها الذين آمنوا وتالي القآن يقرأ يا أيها الذين آمنوا يسمع من رب العالمين وفكره شلرد يمينا وشمالا في بيته ، وعند مشاكله الشخصية ، وعند شؤونه الشخصية قطعاً لا يعطي قيمة للخطاب ، ولو أعطى الخطاب قيمة لتغير وضعه .

القآن خطاب إلينا : ﴿ لَقَدْ أَتَرْنَا إِلَيْكُمْ ﴾⁽²⁾ ، لاحظوا هذه الآية ، والله عز وجل جميل وإليه يعود الجمال ﴿ لَقَدْ أَتَرْنَا إِلَيْكُمْ ﴾

﴿ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾⁽²⁾ ، الله يقول لنا : ﴿ لَقَدْ أَتَرْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ يخاطبنا . من المخاطب في هذه الآية ؟ ﴿ لَقَدْ أَتَرْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾

فيه ذكرنا ، فيه مسائلنا ، فيه مشاكلنا في حياتنا في شؤوننا : ﴿ وَأَتَرْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ﴾⁽³⁾ ،

هذا القآن جاء حتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين للناس ما تولى فيهم ما تولى إليهم ، هذا القآن تولى إلينا فيه

ذكرنا ، بيان لنا ، هذا بيان للناس ، هذا بصائر للناس .

أحياناً رب العالمين يخاطبنا مباشرة ، فسبحان الله بين العبد وربه الإسلام مفوح ، يخاطبه رب العالمين مباشرة بكون أي

حجاب . إياك نعبد وإياك نستعين ، ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾⁽⁴⁾ ، خطاب مباشر من العبد إلى رب العالمين : إياك

نعبد أنت ، أنت نخاطب الله سبحانه بهذه الكلمة التي نخاطب بها

- 1- الحشر : ٢١ .
- 2- الأنبياء : ١٠ .
- 3- النمل : ٤٤ .
- 4- الأنبياء : ٨٧ .

الصفحة 78

أقرب الناس ، وإلا إذا كان بيننا وبين المخاطب شيء من الحشمة لا نقول له أنت : نقول له : أنتم ، ولكن لما نخاطب الله

سبحانه وتعالى تؤول كل الحجب ، ونخاطبه أنت رب العالمين لا إله إلا أنت .

﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، أنت وأنا لا إله إلا أنت سبحانك إني ، هذا خطاب حوار في الصميم مع رالة وتسقيط كل الحجب بين العبد وربّه ، لا إله إلا أنت ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، هذا الخطاب له قيمة ، والله عزّ وجلّ أحياناً يخاطبنا في كتابه الخطاب موجه إلى كل قود فود منا : ﴿ أَوْأَيْتَمَ مَا تَحْرُثُونَ ﴾⁽¹⁾ ، هنا من هو المخاطب ؟ ﴿ أَوْأَيْتَمَ الْمَاءِ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾⁽²⁾ ، كيف بصفاء يخاطبنا رب العالمين ﴿ أَوْأَيْتَمَ الْمَاءِ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ هذا الخطاب يلامس شغاف القلب ، ويخاطبنا ربّ العالمين : ﴿ أَوْأَيْتَمَ الْمَاءِ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ ولكن فكرنا شرد يميناً وشمالاً لا ننوي ماذا نقوأ ، ولا ننوي ماذا نقول .

﴿ أَوْأَيْتَمَ النَّارِ الَّتِي تَوْرُونَ ﴾⁽³⁾ من المخاطب ؟ المخاطب الإنسان يخاطبنا سبحانه وتعالى : ﴿ أَوْأَيْتَمَ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ * الله سبحانه وتعالى وهو في غيبوبة كاملة ، وهو في شرود كامل ، وهو في حالة من التشتت الفكري والانصاف والحجاب عن خطاب الله تعالى وجماله .

وخطاب الله عزّ وجلّ ، في هذه الكلمة اسمعها مني وأختم الحديث : يتجلّى الله في خطابه ، أنا ذكرت أن هذا المعنى يحتاج إلى محاضرة لوحدها أنّ الله عزّ وجلّ كيف يتجلّى في خطابه ، الله يتجلّى في القوان بجلاله وجماله وعظمته

- 1- الواقعة : ٦٣ .
- 2- الواقعة : ٦٨ .
- 3- الواقعة : ٧١ .

ومهابته ورحمته وعفوه وسلطانه وكبريائه وجبروته ، يتجلّى الله في كتابه .

فالإنسان لما يقوأ القوان الكريم يجوي يتحرك في عالم من التجليات الإلهية الربانية ثم لا يعلم ماذا يقوأ ، ولا يعلم ماذا يتلو ، ولا يعلم إلى أين وصل من كتاب الله ، هذا من يؤس الإنسان وحرمان الإنسان وشقاء الإنسان ، فيجب على الإنسان في هذا العمر الذي آتاه الله عزّ وجلّ العمر القصير الذي عندنا في الحياة الدنيا لا نوم في الدنيا طويلاً ، كم سنة وينتهي هذا العمر ، نستفيد من هذه الفوص المباركة التي هيأها الله تعالى لنا من مناهل رحمته .

وأعظم مناهل رحمة الله هذه الثلاثة : الدعاء والصلاة والقوان ، أعظم مناهل الرحمة هذه الثلاثة ، ونستفيد من خطاب الله نتلقى خطاب الله ، من شقاء الإنسان أنّ الإنسان عمر يتلقى يأتيه خطاب الله عزّ وجلّ لا يفتح هذه الرسالة تأتيه الرسالة ، من عند الله بغلافها يضعها على الأرض ، نحن يومياً يقول علينا هذا الخطاب الإلهي فيما نسمع وما نقوأ من القوان ، وتواجه الخطاب الرباني بقلوب مغلقة لا يوجد فرق سواء الخطاب ، ولا نفتح غلاف الخطاب أو لا نفتح قلوبنا لخطاب الله تعالى .

شيء واحد يأتينا يومياً مرات عديدة ، الخطاب الإلهي فيما نسمع وفيما نقوأ من كتاب الله ، وفيما تنتهياً لنا فوص ثم قلوبنا

تكون منغلقة اتجاه خطاب الله تعالى ، لا نعي ماذا خاطبنا الله تعالى ولا نعرف ماذا خاطبنا الله وبماذا خاطبنا الله ، هذه من
بؤس الإنسان وشقاء الإنسان ، وشهر رمضان ربيع القوان .

أنا ذكوت قبل ليلتين في طول السنة الإنسان يتمكن أن يزرع ، ولكن الأرض تخضر في الربيع ، للربيع قيمة كبوة ، شهر
رمضان ربيع القوان تتفتح القلوب تلقائياً على القوان ، أنا لا أوري كيف نفسر تأثير الزمان على الإنسان ، ولكن بالتأكيد
حاصل تأثير الزمان على الإنسان كيف نفسوه ؟ أنا لم أجد تفسيراً لهذه القضية ، ولكن أنا أشاهد يدخل شهر رمضان الإنسان
الذي ما كان تلامس

الصفحة 80

جبهته الأرض سجوداً بين يدي الله راه صائماً ويتحمل كل مشاق الصوم ، كلكم تعرفون ما أكثر ما تشاهدون ناس لا
يصلون ولا يصومون ولا يذكرون الله عز وجل يأتي شهر رمضان ينقلب ، هذا ليس هو ، تغير الزمان ، غره ، يعني شهر
رمضان هذا القوة من السنة له تأثير .

نحن من غير لرام أن كل شي نحله ونفهمه كما نفهم المعادلات والقضايا الفيزيائية والكيميائية ، توجد تأثيرات غيبية
للزمان على الإنسان ، توجد تأثيرات غيبية للمكان على الإنسان ، هذه التأثيرات غير خاضعة للعلم ، ولكن مشهودة بالتجربة ،
نحن بالتجربة نشهد أن الإنسان لما يذهب إلى عرفات ينقلب في عرفات في بيت الله ينقلب في المسجد ، ينقلب في فوات معينة
من الزمان هذا معنى ربيع القوان ، النفوس تتفتح والشياطين تغل في شهر رمضان ، هذه قضايا حقيقية ، ولا ينقص من قيمتها
أننا لا نستطيع أن نحلل هذه القضايا تحليلاً مادياً ، ولكن هذه حقيقة أن الشياطين تغل في شهر رمضان ، وأن نواقد القلب
تتفتح على الله سبحانه وتعالى . هذا معنى الربيع ، ما هو الفرق بين الربيع والشتاء ؟

الأرض هي الأرض ، ولكن في الربيع تخضر الأرض وتتبت الأرض وتودهر الأرض ، وفي الشتاء لا نجد شيئاً من هذا
القبيل ، شهر رمضان ربيع القوان ، تتفتح القلوب على القوان ، وأفضل مواسم السنة أن يفتح الإنسان على كتاب الله تعالى
هو شهر رمضان .

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وعي كتابه وبصائر كتابه وأن يفتح مغاليق قلوبنا على كتابه ، ويرزقنا نور القوان وفهم
القوان والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الصفحة 81

(٦٣) صلح الإمام الحسن (عليه السلام)

الشيخ علي الكوراني

الصفحة 82

الصفحة 83

تمهيد

الحمدُ لله ربِّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ السلام على سيدنا ونبيّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .
السلام عليكم أيّها الإخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته ، وأبرك لكم هذه الليلة المباركة التي تضمّت ميلاد نور عزيز على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث انبلج فيها نور الإمام الحسن (عليه السلام) ، وأشكر حضوركم ودعوة الأخ الفاضل الشيخ محمّد مدير هذا المركز المبارك ، هذا المركز الذي يقوم بخدمة الله عزّ وجلّ ولّوسوله ولأهل بيته (عليهم السلام) ، والذي هو في موقعه ومكتبته مهوى أفئدة الباحثين ومنهل للمستفيدين من علوم أهل البيت (عليهم السلام) وثقافتهم في العالم .
وبقدر ما ألاحظ في عملي في الانترنت فوح المؤمنين وطالبي الحقّ بلا تعصّب بهذا المركز واستفادتهم من موقعه ، ألاحظ ضيق صدور النواصب وتوهمهم من هذا المركز ، ومحولاتهم بكلّ أسلوب أن يخربوا موقعه ؛ لأنهم لوجوا على أن يعملوا لإطفاء نور الله ونور أهل البيت (عليهم السلام) .
إنّه توفيق لمدوره الأخ العلامة الشيخ محمّد الحسون ولسماحة سيدنا المرجع السيد السيستاني (حفظه الله) وممثله السيد الشهرستاني بإنشاء هذا المركز ، ونأمل أن يقوى في مكتبته وبحوثه ومساعدته للباحثين وفي فعالياته في العالم لإيصال فكر أهل البيت (عليهم السلام) ، إن شاء الله .

في هذه الليلة نحن نعيش الفوحة ، والله عزّ وجلّ ينهى عن الفوح ويأمر بالفوح في الوآن الكريم ، فالفوح المنهي عنه أو الفوح غير المشروع هو الفوح بالدنيا الذي يتضمّن التكبر ، فوح قرون ، فوح الطغاة ، فوح الماديّين .

أما الفوح المشروع فهو الفوح بعباء الله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ...﴾

الصفحة 84

فبذلِكَ فليُفَوْحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ⁽¹⁾ . فهو الفوح بالفضل والعباء الإضافي غير المتوقّع . والرزق يقسمونه ألى رزق محتوم ، وفضل ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁽²⁾ والرزق المحتوم يصل لكلّ إنسان لكن الفضل إضافة .
إن الرزق كلّه بيد الله تعالى ، لكن منه عطاء مقدر لكل إنسان ، ومنه فضل غير منتظر فهو نعمة إضافية .
كما أنّ الوحمة في قوله عزّ وجلّ (بسم الله الرحمن الرحيم) منها رحمة رحمانية عامة لجميع المخلوقات ، ومنها رحمة رحيمية فهي إضافية وخاصة بالمؤمنين .

فوحنا في هذه الليلة فوح مشروع بفضل الله وبعطائه وبرحمته . فمن أعظم مشريع فضله عزّ وجلّ على الخلق ومشروع الأئمة (عليهم السلام) من عزة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو مشروع رباني صوف .

إنّ الوضع الطبيعي أنّ الأنبياء لهم نرية ﴿نُرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾⁽³⁾ . وأن يكون الأئمة من بعده من ولادة من أبناؤه من نريته ولحكم وأسوار رادها الله تعالى لم يجعل لنبيّنا (صلى الله عليه وآله) أبناء صليبين ورزقه بأبنة مبركة تفوق الأبناء ،

وهي الزهراء (عليها السلام) وأنها مشروع ربّاني ، ولأهي حواء إنسية حتى بتوكيها الفيزوي ممزة ، وفي اعتقادي أنها كانت منورة منذ حملها ، وجاءت الزهراء (عليها السلام) وتسلم الله إدرة أمرها . فعندما كان يخطبها الخاطبون يقول لهم النبي (صلى الله عليه وآله) أمرها ليس بيدي ! كيف ليس بيده وهو ولي أمر ابنته ، هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم (4) ، لكن هذه مستثناة من الله عزّ وجلّ ، قال له أتوكها لي أنا عندي فيها مشروع ! وسميت

1- يونس : ٥٨ .

2- النساء : ٣٢ .

3- آل عمران : ٣٤ .

4- إشارة لقوله تعالى : (التَّيْبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) الأحزاب : ٦ .

الصفحة 85

البتول ؛ لأنها منورة ، وكان يتصور البعض أنها تتبذل كمريم ولا تتزوج ، كلما تخطب منه كان (صلى الله عليه وآله) يقول أمرها ليس لي ، حتى جاء الأمر الإلهي : «زوج النور من النور» (1) ، زوج علياً من فاطمة (2) . وفي الفقه يقولون إنه إذا أمر الله عزّ وجلّ هذا هو عقد زواج ، عقد الزواج الذي يجري بين رجل وامرأة صار عقد زواج ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ شرعه ، فإذا أمر بهذا الزواج انتفت الحاجة إلى عقد ويكون عقداً إمضائياً أو عقد إطاعة للزواج الذي أنشأه الله تبارك وتعالى . إذن هذا الزواج سملوي .

وقد بشّره الله عزّ وجلّ بأنه سيكون منها نزية ، والأحاديث الشريفة كثرة في بشرة الله عزّ وجلّ بسبطين هما الحسن والحسين (عليهما السلام) وبالائمة المعصومين (عليهم السلام) من الزهراء (عليها السلام) ، وما يجري عليهم إلى آخر ما هو منون (3) .

نعم في مثل هذه الليلة كانت الثرة الأولى كان انبلاج النور الأول ، وهو الإمام الحسن (أرواحنا فداه) ، هذه الولادة التي هي نعمة فحت بها ملائكة السموات ، ونثرت بها الملائكة وحرور العين زهور الجنة ورياحينها وعطورها . هذه الليلة احتفى بهذه الولادة أهل السموات وعلى الأرض جرى احتفاء متواضع ، ولكنّه عظيم . نحن اعتقادنا أن الأئمة (عليهم السلام) كلهم نور واحد ، لكن النور ألوان ، كما أن العطر أنواع ، نور واحد لأنه صُحّ عندنا أن الله عزّ وجلّ عندما بدأ خلق الخلق أول ما خلق نوره ، نور محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) (4) .

كيف هذا النور ، ثم كيف خلق بقية الخلق بهذا النور ، يعني هذا واسطة في الخلق وأحد العلل أحد الأسباب ؟

1- مناقب آل أبي طالب ٣ : ١٢٤ .

2- انظر فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة : ١٠٥ .

3- انظر بحار الأنوار ٣٦ : ٣٦١ حديث ٢٣٢ .

4- الكافي ١ : ٤٤٢ حديث ١٠ .

الصفحة 86

واعتقادنا أنّ هذه العلية جلية .

ومما ألفتني في إنجيل يونايا عن لسان نبي الله المسيح (على نبينا وآله وعليه السلام) يبشر بالنبي الذي يأتي من بعده

«الفلقليط» أو «المسيا» ، وهذه العبارة تقول الذي وُلِدَ قبلي ، والذي سيأتي بعدي ! وُلِدَ قبلي ، نحن لا نعرف كيف هو قانون الله عزَّ وجلَّ وأسلوبه في العمل ، لكن نعرف أنه عندما خلق آدمَ نظر إلى عرشِ الله عزَّ وجلَّ فأىَّ عند العرش نور محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) .⁽¹⁾

وهذا النور في أصله واحد ، ويتفرَّع إلى فروع فالأئمة (عليهم السلام) المعصومون كلهم من نور واحد⁽²⁾ ، وهذا معنى أن من طينتي⁽³⁾ ، معنى الطينة تعبير آخر عن النور ، مرحلة من مراحل وجود النور ، وهذا النور دخيل في فاعلية الله عزَّ وجلَّ في هذا الكون ! كيف ذلك ؟ نحن لا نعرف

عندما نرى حدثاً نعرف الأسباب الظاهرية له ، لكن هناك أسباب عليا لهذا الحدث لهذه الظواهر لهذا الخلق . فقد جعل الله عزَّ وجلَّ أمره كمن فيكون يستطيع ان يجعله في لحظة لكن جعله بؤانين ومدة زمانية . من هذه القوانين الملائكة ، ومن هذه القوانين أيضاً نور محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) .

على هذا الأساس يمكن القول باطمئنان أنه لا يمكن التفريق كما يحاول بعضهم بين الإمام الحسن (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) ، وبين أمير المؤمنين (عليه السلام) كما يحاول البعض أن يجعلوا لهما منهجين ، كلا ، بل هم منهج واحد ونور واحد وخط واحد وهدف واحد .

وعندنا نحن أن الإمام المعصوم (عليه السلام) عنده برنامج يمشي عليه يقول من عند

- 1- انظر بحار الأنوار ٢٧ : ٦ حديث ١٢ .
- 2- بحار الأنوار ٣٦ : ٣٢٣ حديث ١٧٩ .
- 3- الكافي ١ : ٢٠٨ حديث ٣ .

الله عزَّ وجلَّ ، كما في حديث اللوح⁽¹⁾ المعتبر ، وهو لوحٌ من زوَجِد مكتوب عليه بأحرف من نور أسماء الأئمة من نورية الصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) ، وهناك صحائف لكل منهم ، ونحن نعتقد بأن ليلة القدر لم ترفع وتقول الملائكة فيها على وصي الرسول (صلى الله عليه وآله) .

عندنا حديث يقول إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ سورة إننا أتولناه في ليلة القدر فقال له بعضهم : يا رسول الله إننا نراك ترق لهذه السورة أكثر مما ترق لغوها فقرأ حتى بلغ ﴿ **تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ** ﴾⁽²⁾ وقال وهل بقي بعد هذا شيء ؟ من كل أمر ، من كل أمر ، على الإطلاق ، حتى لا يقال تقول الملائكة فقط على الناس على الأشجار على الزراعة في الفيافي في البحار على المخلوقات ، من كل أمر تشمل ما يقول برنامج للمعصوم .

على مَنْ تقول ؟ قالوا عليك يا رسول الله ، قال : ومن بعدي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ومن بعدي تقول على هذا وأشار إلى علي (عليه السلام)⁽³⁾ .

شخصية المعصوم في اعتقادنا شخصية ربانية مختلطة مصطفاة ، مؤيدة بغيب من غيب الله .

العلماء والراجع وأولياء الله الكبار مهما بلغوا فهم قمم رضية . أما المعصومون فهم قمم سماوية ، ولا يُقاس بأل محمد

بل ورد عن إمام الحنابلة أنه سئل عن الصحابة أيهم أفضل ؟ فقال : فلان وفلان . قال له ابنه عبد الله : وعلي ؟ قال : يا بني هؤلاء العزة لا يُقاس بهم أحد ، أنت تسألني عن الصحابة هؤلاء أفضلهم ، لكن العزة نوع آخر .⁽⁵⁾

1- الكافي ١ : ٥٢٧ حديث ٣ .

2- القدر : ٤ .

3- انظر بصائر الدرجات : ٢٤٤ حديث ١٦ .

4- انظر علل الشرائع ١ : ١٧٧ حديث ٢ .

5- انظر ينابيع المودة ٢ : ٢٩٨ حديث ٨٥١ .

وهذا التميز جاء من أنهم نور الله في أرضه .

الإمام الحسن (عليه السلام) أول الأوصياء من عزة الرسول ، السبط الأول لرسول الله (صلى الله عليه وآله) .

والإمام المعصوم صفاته ومقامات شخصيته بكلها ممزوجة ، نعم قد تختلف الأتوار بألوانها بأولها لكن هي أوار .
والعطور تختلف بروائحها بنسيمها بضوئها ، لكن هي عطور . وهؤلاء من عطور الله ومن أوار الله عز وجل . هذه ملاحظة في ليلة ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) .

ملاحظة أخرى : أنا نجد في مصادر المخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) أنهم من ناحية يحاولون أن يفوقوا بين الإمام الحسن وبين أبيه (عليهما السلام) ، بأن الإمام علي كان محارباً أو الإمام الحسين كان ثائراً والإمام الحسن كان مسالماً . حتى أنهم اختروا هذا الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه قال : إن ابني هذا سيد ويصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين عظيمتين⁽¹⁾ لاحظوا الفئة الباغية مؤمنة وعظيمة كالفئة التي تمثل الرسالة ! هذا الحديث لم يثبت عندنا وهو حديث مردود .

أمير المؤمنين (عليه السلام) لو امتد به العمر لقام بما قام به الإمام الحسن (عليه السلام) ، والإمام الحسين (عليه السلام) لو كان مكان الإمام الحسن لقام بما قام به والإمام الحسن (عليه السلام) لو امتد به العمر إلى زمن الإمام الحسين (عليه السلام) وهلك في زمنه معلوية واستخلف يزيداً ، بعد مخالفته شروط الصلح ، كان أيضاً قام بما قام به الإمام الحسين (عليه السلام) . إذن المسألة مسألة ظروف .

إنهم يحاولون أن يفوقوا بينهم ، ولا يمكنهم التوفيق ، ومن قبل حاولوا أن يفوقوا بين النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته ! عزة النبي مقامهم مقامه ، جزء من مقامه ، امتداد له ، ومقامهم في الآخرة معه ، مع ذلك حاولوا أن يفوقوا بينهم !

1- انظر صحيح البخاري ٢ : ١٧٠ ومعرفة الثقات ١ : ٢٩٧ .

لاحظوا كيف عزلهم سياسياً وجزأ باخرين جعلوهم أئمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) من قبائل قريش الأخرى المتحالفة ! نلاحظ أنهم في الآخرة أيضاً يحاولون أن يميزوا بين النبي (صلى الله عليه وآله) وبين عترته .

وملاحظة أخرى : يحاولون أن يصوّروا شوعية خلافة معاوية بتنزل الإمام الحسن (عليه السلام) . أو بصلحه معه ! تلاحظون أنه في صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية هناك تعبير بالهدنة ، تعبير بالصلح ، وهناك تعبير بالبيعة ، وتعبير بالتنزل أو ما يشبهه ، فالمسألة مسألة ظروف قاهرة وأمة تعبت من الجهاد ، ولو لم يُصالح ويهدن الإمام الحسن (عليه السلام) لكانت الأمة متجة إلى الانهيار ، وكان هو وكلّ أهل البيت (عليهم السلام) في معرض الفناء ! لقد خضعت الأمة لموجة بني أمية وتعبت من الجهاد ! فصلح الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية إضطرار لا أكثر ! وهم يقولون : إنّ البيع الاضطرري باطل ! كلّ فقهاء المذاهب الأخرى إذا سألتهم إذا باع شخص بيته مضطراً هل يصحّ البيع مجوراً ؟ قالوا لا يصحّ البيع ! إذن كيف تصحّ البيعة ؟ ! إذا سألتهم عن بيعة الأول والثاني تحت السيف هل تصحّ ؟ يقولون : تصحّ البيعة !

بيع بيتك إلى من أجرك بمسدّسه أن يبيعه إياه غير شوعي ، والبيعة تحت السيف تكون بيعة شوعية وصحيحة ! إن الخليفة الوحيد الذي لم يجبر أحداً على بيعته هو أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمّ الإمام الحسن (عليه السلام) هؤلاء لم يجبروا أحداً ، تركوهم بحريّتهم ، والباقون كلّهم أجبروا الآخرين على البيعة ! ! أما بيعة معاوية لنفسه ثمّ لابنه يزيد فكانت بالسيف ؟ فكيف تأخذ بيعة بالزور والإجبار والإكراه صفة الشوعية ؟ ! لا يمكن من ناحية فقهية وحقوقية أن نصفها بالشوعية .

من ناحية أخرى نجد أنّهم هم يروون عن النبي (صلى الله عليه وآله) : أن الخلافة بعدي

الصفحة 90

ثلاثون سنة ثمّ يأتي ملكٌ عضوض⁽¹⁾ ، وهذا الحديث صحيح عندهم وقد صححه الألباني⁽²⁾ وغرّه وغرّه ، والثلاثون سنة تنتهي بنهاية حكم الإمام الحسن (عليه السلام) إذن بنصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثبت عندهم أنّه يأتي الملك العضوض ، يعني ليس خلافة وليس شوعياً أبداً ، بل يعضّ الناس كالكلب ! فصفة حكم معاوية بنصّ أصحابهم أنّه ملكٌ عضوض ، يعضّ الناس فلا يمكنهم أن يأخذوا له الشوعية من بيعة الإمام الحسن (عليه السلام) .

مسألة أخرى ، أنّهم يرون أن الأنبياء (عليهم السلام) كلّهم أجبروا على التعايش مع حكامّ وطواغيت عصرهم ، وكانوا يتعايشون معهم . إواهيم سيّد الأنبياء شيخ الأنبياء أبو الأنبياء (عليه السلام) عندما خرج فوعن يودّعه مشى أمامه ، فقول عليه الوحي أن قدّمه أمامك قدّم هذا الطاغية أمامك ؛ فإنه بعدّ الناس من سلطان بر أو فاجر ! ، قال له أخونني إلهي أن أخرجك واحترمك لملكك فتعجّب فوعن⁽³⁾ .

نبي الله يوسف صار رئيس وزراء لوعون . سوة الأنبياء أنّ الله عزّ وجلّ أجاز لهم أن يتعايشوا مع طغاة زمانهم ، فإذا هادن الإمام الحسن (عليه السلام) طاغية زمانه الذي غلب فهذا أمر طبيعي ولا يدلّ على أن حكمه مشرّع .

نقطة أخرى أيضاً لا بدّ أن نلتفت إليها أن الإمام الحسن (عليه السلام) عندما هادن معاوية أو صالحه كتب شروطاً ووفّع عليها معاوية ، ومن هذه الشروط أن لا يتعوض لأهل البيت وشيعة علي أبداً في كلّ لّجاء العالم ، وأن يكونوا آمنين

أجراً هذا شرط ، وشرط آخر أن لا يعهد لأحد من بعده وتكون الخلافة

- 1- انظر فتح الباري ٨ : ٦١ .
- 2- سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد ١ ق ٢ : ٨٢٠ الحديث ٤٥٩ .
- 3- انظر الكافي ٨ : ٣٧٠ - ٣٧٣ حديث ٥٦٠ .
- 4- الإرشاد ٢ : ١٤ والفصول المهمة ٢ : ٧٢٨ .
- 5- كتاب الفتوح ٤ : ٣٩١ .



للإمام الحسن (عليه السلام) ثم للإمام الحسين (عليهما السلام) . هذا شرط وقع عليه معاوية ⁽¹⁾ .

وهكذا عدّة شروط ذكرها المحدثون والرواة الذين ذكروا صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية . وقد نقض معاوية هذه الشروط ، خانَ هذه الشروط .

هذه نقاط حول صلح الإمام الحسن (عليه السلام) . ونضيف إليها نقطة أخرى أنّ الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وقعت في الانحراف الذي هو عادة الأمم بعد انبيائها ، وجاءت موجة القبائل القوشية المتحالفة ضدّ بني هاشم ورتبت السقيفة وأجبروا بني هاشم بالسيف على بيعة الخليفة الجديد ، ومشى التريخ كما تعرفون . . . وقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مأموراً هو والزهراء (عليها السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما عمله .

الكلّ يروون أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي يا علي ستغدر بك الأمة من بعدي ⁽²⁾ ، بعد تأكيداتِه ونصبه في الغدير . وقال : الحاكم في المستدرک برويه ⁽³⁾ وغوه ⁽⁴⁾ ، وروايتنا تقول أنّه يارسول الله أو أتولهم في ذلك بمقتلة ردة ام بمقتلة

ضلالة ؟ يقول يارسول الله عندما يغدرون بي وينحرفون هل أعاملهم ككفار وأبدأ بمن معي أفتح جبهة عليهم ؟ أو أعاملهم كضلالّ أصلح الأمر إصلاحاً ؟ قال : بل بمقتلة ضلالة ⁽⁵⁾ فلتمش سفينة الإسلام في بحر العالم ، يجب أن تتطلق حتّى ولو كان ربّانها أياً

1- تاريخ الخلفاء : ١٩١ وأسد الغابة ٢ : ١٣ .
2 - المستدرک على الصحيحين ٢ : ١٤٠ و١٤٢ ومجمع الزوائد ٩ : ١٣٧ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث : ٢٩٦ حديث ٩٨٨ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٤ : ١٠٧ و٢٠٠ و٢٢٦ وكنز العمال ١١ : ٢٩٧ والأحاديث ٣١٥٦١ و٣١٥٦٢ و٣٢٩٩٧ والإكمال للخطيب التبريزي : ٦٨ .
3- المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٠٩ و١١٠ و١١٦ و١٣٤ و٣٧١ و٥٢٣ .
4 - مسند أحمد ١ : ٨٤ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٣٣١ و٤ : ٢٨١ و٣٧٠ و٣٧٢ و٥ : ٢٤٧ و٣٦٦ و٣٧٠ و٤١٩ وسنن ابن ماجة ١ : ٤٥ وسنن الترمذي ٥ : ٢٩٧ وفضائل الصحابة : ١٤ ومجمع الزوائد ٧ : ١٧ و٩ : ١٠٣ - ١٠٨ و١٢٠ و١٦٤ وفتح الباري ٧ : ٦١ و . . .
5- انظر بحار الأنوار ٣٢ : ٢٤٢ ونهج البلاغة ٢ : ٥٠ خطبة رقم ١٥٦ .

كان ! من قريش من بني أمية أو غيرها ! يجب أن تبقى الشجرة لتتموا ولو بدون ثرة ، حتّى تعرف الأمة على الأجيال وقيمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد ذلك ، وتعطفنّ علينا الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها ، وحتّى تفيق الأمة إلى ظلامه أهل البيت (عليهم السلام) وتلج بمهديها فينقذها الله به .

قال له : عاملهم بمقتلة ضلالة .

ومشت مسورة الأمة وكان فيها بقايا زخم نوي زخم الرسالة ، وعندما رأوا سياسة بني أمية سياسة عثمان ثار الصحابة ، وقتلوا عثمان ، الصحابة هم الذين قتلوا عثمان . لمّا رأوا هذا الانحراف الفاحش من الخليفة الذي يحكم باسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) والظلمات التي وقعت من بني أمية في أقطار الأمة الإسلامية .

وهذا الزخم الذي يريد إحقاق الحقّ وتطبيق الشوع هو الذي جاء بأمر المؤمنين (عليه السلام) طوعاً بتظاهرات ! قال (عليه السلام) : فما هالني إلا والناس ينثالون علي ! كانوا يهتفون ما لها سواك يا علي يا علي ، وجاعوا إلى بيته حتّى لقد شق

عطفاي ⁽¹⁾ وكلّهم يصرونّ عليه ! وقال لهم إذا كان ولا بدّ من البيعة فتعالوا إلى المسجد .

هذا الرّخم الذي صار في الأمة استثنوه أمير المؤمنين (عليه السلام) بأفضل ما يمكن لمهمته التي أوره بها النبي (صلى الله عليه وآله) وهي القتال على التّأويل⁽²⁾ ، وهو أعظم مهمّة لتثبيت الخطّ الصحيح ، الخطّ النووي من داخل الأمة .

هذا الرّخم استثنوه أمير المؤمنين (عليه السلام) في حروبه حتّى انتهى في النهروان وتعبت الأمة وصلرت كالتّواب ! والله عزّ وجلّ يريد يحفظ شخصية علي وأطروحة حكم علي وقتاله للأمة على التّأويل ، فأخذه شهيداً وكلف ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالانسحاب من الموح السياسي . ولذلك كان الإمام الممتحن .

1- نهج البلاغة ١ : ٢٦ الخطبة رقم ٣ .

2- بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني الحنفي ٧ : ١٤٠ وينايع المودة ٢ : ٢٧٩ والمناقب للموفق الخوارزمي : ٦١ .

لو استمرّ الأمر بأمر المؤمنين (عليه السلام) كان عليه هو أن يقوم بهذا الدور !
ونقطة أخرى هنا هي أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان يمكنه بالأساليب السياسية التي نعرفها في عصونا أن يغلب معاوية ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً كان يمكنه ، يمكنه ذلك بالتزوير والقتل وتقريب أهل الطمع ، وبيّمين دولة كما تقام الدولة الآن في عصونا ويدوسون قيم الدين والشوع والأخلاق ! هكذا يفعل الآخرون ويصلون الى الحكم ويمشون حكمهم ! هذا كان ممكناً لعلي (عليه السلام) كما كان ممكناً للإمام الحسن (عليه السلام) لكن حاشا لله ، هؤلاء ليسوا حاضرين لأن يتنزّلوا عن قيم الإسلام في سبيل الدنيا «والله لو أعطيت الدنيا بأقاليمها السبع على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت»⁽¹⁾ .

ولكن ليس هذا هدف أمير المؤمنين (عليه السلام) بل هدفه الدين الذي تول على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان صلوات الله عليه يقول : تريدوني أن أطلب العدل بالجر ؟
كلا . كلا⁽²⁾ ! ذلك ، ولكنّه كأبيه لا يفعل !

لقد أراد الإمام الحسن (عليه السلام) أن يبقى العهد النووي والعهد العلوي ، السلوك القنوة الذي ليس فيه مدهانة ولا مدراة ولا ملاينة ولا انخاف ولا ميكافيلية ، ليكون هذا الخطّ أطروحة واضحة للأمة وللعالم .

فليس هدفهم (عليهم السلام) إقامة حكم لبني هاشم بالأساليب السياسية التي كان يستعملها معاوية ، ولقد انكشف معاوية وانفصح معاوية وأنهلرت دولته ، لكن أطروحة أهل البيت (عليهم السلام) بقيت ، وحكم علي وخطّ علي وخطّ النبي (صلى الله عليه وآله) بقي في الأمة ، وهو يثمر عبر العصور حتّى يبلغ وُج أئمّوه على يد الإمام المهدي (أرواحنا فداه وعجل الله له فوجه) . والسلام عليكم ورحمة الله .

1- انظر نهج البلاغة ٢ : ٢١٨ الخطبة رقم ٢٢٤ .

2- انظر مستطرفات السرائر : ٥٦٤ .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : في الكلام حول مراتب الأئمة (عليهم السلام) ودرجاتهم عند الله سؤالنا هل الأئمة (عليهم السلام) هم في درجة واحدة عند الله وفي ثوب واحد أم في تفاوت في الدرجات وبالفضائل وبالمرتبة ؟

الجواب : من حيث المجموع نحن نعتقد أنهم صلوات الله عليهم أفضل الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأن الشفاعة في المحشر التي أعطاها الله للنبي (صلى الله عليه وآله) بيدهم ، وأن درجة الفردوس . وهي أعلى منطقة في جنة الفردوس . ودرجة الوسيلة فيها قصور محمد وآل محمد وإبراهيم وآل إبراهيم (صلى الله عليه وآله) ، فهم مع رسول الله الأفضل ، ثم يأتي إبراهيم ومن تبعه ، ثم يأتي بقية الأنبياء ، هذا اعتقادنا بأفضليتهم .

أما بينهم (عليهم السلام) والمشهور عند علماء الشيعة أن توتيبهم بالأفضلية بعد النبي (صلى الله عليه وآله) علي وآله (عليهم السلام) ثم الحسن والحسين ثم الإمام المهدي (عليهم السلام) ثم الإمام زين العابدين وبقية الأئمة (عليهم السلام) فعندنا الإمام المهدي (عليه السلام) يأتي قبل الإمام زين العابدين (عليه السلام) على ما هو مشهور عند فقهاءنا ومتكلمينا .

سؤال : المشهور ماذا يقول ؟

الشيخ : يجعلون الإمام المهدي الثاني عشر بالتوتيب .

سؤال : يعني في تقديرنا كان أهل الكساء هم أفضل ؟

الشيخ : حتماً أهل الكساء هم الأفضل ، وهذا الرأي المشهور يُقدم الإمام المهدي (عليه السلام) بعد أهل الكساء (عليهم السلام) مباشرة .

سؤال : المقايسة بين البيع الاضطوري و البيعة الاضطورية فنحن نعلم أن البيع الاضطوري مثلاً الإنسان كان مديوناً جائز بيعه . نحتاج إلى توثيق أكثر .

ثانياً أنتم قلتم لو أن الإمام الحسن لم يصلح كان يفنى أهل البيت ، قد زى

بعد عدة سنوات فني أهل البيت فهل كان يفنون أكثر من الفناء الذي حصل مع الإمام الحسين (عليه السلام) ؟ فهل كان الفناء في عصر الإمام الحسن أكثر مضوّةً ، وهناك فناء أكثر فائدة ؟

الشيخ : بالنسبة إلى السؤال الأول ورد في الحديث النووي توثيق بينهما عندما مرّ على البيداء التي بين المدينة و مكة منطقة جيش الخسف البيداء وقف النبي (صلى الله عليه وآله) كان يتحدث عن جيش الخسف الذي يقصد الإمام المهدي (عليه السلام) فيخسف به ، قال (صلى الله عليه وآله) : عجبْتُ لقوم مصوعهم واحد ومصاورهم شتى ! أي كلهم يخسف بهم بهذا المكان ، لكن يحشرون يوم القيامة ليسوا على نمط واحد ؛ لأنّ فيهم المنتقر والمكوه والمجبور . المنتقر الذي هو متحمس مندفع من نفسه ، هذا شريك في الجرم ، و المكوه الذي أكرهه ، وهو أشدّ من المجبور ، أكرهه بقوة السلاح . المجبور أقلّ منه ،

فهناك معادلة أجوته ، مثلاً إذا لم يلتحق يمكن بجيشهم أن يؤنوا أهله أو غوهم ، الى غير ذلك من الظروف التي أجوته .
وفي البحث الفقهي الفقهاء يميّزون بين البيع المكروه عليه و بين البيع المجبور عليه صاحبه . فالمكروه بيعه باطل ، والبيعة لمعاوية بيعة إكراه .

وفي فقه السنّة تلاحظون في آخر كتاب البيع والصوم وغرهما باب الإكراه وحكم المكروه .

سؤال : هذا مدعانا أمّا السنّة فلا أحد ينصّ على أنها كانت بيعة إكراه فيحتاج ذلك إلى دليل كيف كانت بيعة إكراه ؟
الشيخ : صلح الإمام الحسن (عليه السلام) صلح إجبار بلغ مرحلة الإكراه ليش ؟ لأنّه إذا لم يصلح يواجه خطر القتل هو وكلّ بني هاشم ! لاحظوا أنّه بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) نشط معاوية عملياته العسكرية على المدينة على اليمن على العواق حتّى إلى الكوفة وصلت إلى ضواحي الكوفة ، ووصلت اتصالاته بالقبائل إغوائهم ! لقد كانت الموجة الأموية قوية وتراجعت الأمة في ذلك الظرف ، وقد رأيت كيف

الصفحة 97

انهار جيش الإمام الحسن (عليه السلام) الذي اتجه إلى المدائن ، وكيف ظهرت الخيانات فيه ، وكيف انهار بعض قادة جيشه وذهبوا إلى معاوية ! !
فلو لم يصلح الإمام الحسن (عليه السلام) لوقع هذا فهو (عليه السلام) يقول انا ما أمن أن يسلموني لمعاوية . يقول أخاف من استئصال العوّة والشيعّة ، والإمام الحسن (عليه السلام) يقدر الوضع أدقّ من تقديرونا ، ومع ذلك نحن نصل إلى نفس التقدير .

مجموعة مفودات تدلّ على جو الإكراه ، وتصريح الإمام الحسن (عليه السلام) بأنّه يخشى على نفسه وبني هاشم إن لم يصلح ، وأنّه إبقاءً عليكم من أجلكم⁽¹⁾ أيّها الشيعة حتّى لا يستأصلوكم ! إن تصويحات الإمام الحسن والمعصومين (عليهم السلام) تدلّ بوضوح على أنّه لو لم يصلح لكانت العوّة والشيعّة في خطر الاستئصال .
السائل : شيخنا أنا لحد الآن أقول هذا اضطرار وليس إكراهاً ، يعني حتّى لو كان إكراهاً . نتحوّل إلى السؤال الثاني فقد استأصلوا في زمن الإمام الحسن (عليه السلام) .

الشيخ : نعم حاولوا استئصالهم وقُتل منهم الكثيرون ، وهذا ليس معناه أنّه تم الاستئصال .
فإذا ثبت النصّ عندك عن معصوم كالإمام الحسن (عليه السلام) يقول إنّ لو لم أصلح لاستأصلوا فيجب أن تقبله .
السائل : هذا لفظ عام : استأصلوا ليس معناه تماماً ١٠٠ % فمن قال إنّ الإمام الحسن قال : استأصلوا يعني ١٠٠ % يصدق بـ ٧٠ % فالاستئصال .

الشيخ : أنا اكتفي بدليل المعصومين (عليهم السلام) وبالجو السياسي العام .

السائل : شيخنا عفواً نفس القضية التي طوحتوها أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) لو لم يصلح لكان أصحابه سلموه نفسه الى معاوية وكان ذلك لبني هاشم إلى آخر الدهر .

الشيخ : أحسنتم طبعي ، وهو (عليه السلام) يصوح بأنه لو لم يصلح لسلمه المنافقون

1- تحف العقول : ٣٠٨ ودلائل الإمامة : ١٦٦ .

الصفحة 98

إلى معاوية ، إن رفضه للصلح يعني الخطر يتوجه له يُشكل قطعي .

سؤال : في ابواب الفقه عندنا جلب مصالح وبراء مفسد ، فالمثل العليا ، صحيح أن الأئمة تمسكوا بها بحذافوها لكنه النتيجة التي تترتب على ذلك أن معاوية مثلاً لما استلم الخلافة أصبحت له اليد الأولى في المجتمع الإسلامي كله ، أصبحت لديه القدرة على التحكم في المجتمع بكامله ، فهل كان التمسك بهذه المثل يوري أو يفوق في نتاجه هذا الانحراف الخطير ! يعني أليس الأفضل أن يحدث بعض التزلزل عند هذه المثل والقيم من أجل منع هذا الانحراف ؟

الشيخ : خلاصة سؤال الأخ يقول : إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يُصرّ على التمسك بالقيم والمثل الإسلامية بكاملها ، والظرف المقابل له كان ميكافيلياً بالكامل ، وكان في كل شيء عنده أساليب خداع وسياسة حتى خداعه مع ابن العاص نفسه ؛ يقول : ألا يمكن أن يتزلزل أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم الإمام الحسن عن جزء من هذه القيم والمثل ويبقوا هم ممسكين بسفينة الحكم والسياسة بمقولات الأمة حتى يمشي الخط الصحيح فيها ويصحّوه فيما بعد ؟

هذه المسألة في الواقع نظرية لكنّها غير عملية .

أولاً هناك ما يمكن التزلزل عنه ، وهناك ما لا يمكن مسألة الدبلوماسية والتوجّح في تطبيق الأحكام الشرعية كله عند أمير المؤمنين (عليه السلام) موجود ، لكن عنده خط الحديدية في النظرية والمرونة في التطبيق والنظرية لا يمكنه أن يتزلزل أبداً عنها .

عُرض عليه في الشورى أن يقبل الحكم على سنة الشيخين فاعتوه تنزلاً عن النظرية الإسلامية ، فكيف يجعل سورة شخصين مثل سورة النبي (صلى الله عليه وآله) جزءاً من الدين ؟ ! هذا يعتوه كُفواً ، نعم يقولون له : إنا نريد أن نبقى على سورة أبي بكر وعمر في صلاة النوافل والتزويج وغوها ، يقول : أبقوا لكنّها جماعة غير مشروعة ! وعندما رأى شخصاً يُصلي صلاة الضحى وهي بدعة ، قال له : ما هذه

الصفحة 99

الصلاة ؟ ! قال له : أتوكها ؟ قال وهل تويديني أن أكون الذي ينهى عبداً إذا صلى ؟ ! المهم عنده إتمام الحجة والحديدية في النظرية وما تفضلت به لا يمكن ! يعني لو تنزلوا (عليهم السلام) عن واحدة من الثوابت لجرّ ذلك إلى غوها ، لو اشتروا الناس بالأموال لو فرض أنهم استعملوا الغشّ والخداع لانجرّ الأمر إلى كل القيم والثوابت ، فالأمر شبيه بالأواني المستطوقة واحدة تجرّ الثانية ويخرج عن كونه معصوماً ويصير تنزلاً عن النظرية .

أحد الجالسين : . لو تسمح لنا في بداية استلامه للخلافة (عليه السلام) قال له ابن عباس وهو ناصح أمين يعني أيضاً يعرف هذه الأمور ، قال له استبقي معاوية حتى تأخذ منه البيعة ، تأخذ منه البيعة ليبياعك وبياع أهل الشام ، وبعد ذلك تستطيع ان

تُريحه عن مكانه ، فهل هذا العمل هل كان بهذا المستوى من الخطورة بحيث إن أمير المؤمنين يرفض ويبيت به بشكل قاطع بأنه لا يمكن .

الشيخ : بعضهم يأخذ هذا الموضوع علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ويقولون إنه أبقى عملاً كثيرون مثل ابن زياد عامله على البصرة وعلى فارس وكلّ إوان ، وأبي موسى الأشعري وغوهما ، بينما لم يرضى ان يبقي معاوية ساعة واحدة ! ومعناه أنه يعرف أن معاوية كانت عنده خطة ، أنه بمجرد أن يبقيه يستوي بهذا الإبقاء وينقضه ، ويستعمله كعنصر قوة بأخذه أي نوع من الاعتراف به كحاكم ولاية .

فالخليفة الجديد إذا أقرّ كونه حاكم ولاية فهو نوع من الاعتراف به ! وذلك رفض أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يبقيه حتى ساعة من الزمن .

إن مشروع معاوية معدّ وموتبّ من زمن عثمان من غوه ، ولا بد أن نقول : هناك أمور سياسية غابت عنا في وضع معاوية ، وراها أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أنه كان مأموراً بعمله من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالأئمة (عليهم السلام) عندهم برنامج من النبي (صلى الله عليه وآله) عندهم برنامج من الله عزّ وجلّ .
ورد في الإمام المهدي (عليه السلام) أنه عنده عهد معهود من جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)

الصفحة 100

بإملائه وخطّ علي برنامج عمله في المقاطع الأساسية من حركته ، بين له ماذا يعمل وهكذا كثير من سلوك أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وفي حربه مع القاسطين والناكثين والملقيين . عنده برنامج من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قول به جبرئيل وهو لا يخالفه .

فمسألة رفض والخلاصة أن رفضه (عليه السلام) لإبقاء معاوية على حكم الشام إما أن يكون بسبب الظروف السياسية في ذلك الوقت عرفها الإمام ولم تتضح لنا ، وإما أن يكون مأموراً به من النبي (صلى الله عليه وآله) .

سؤال : الإمام الحسن (عليه السلام) يعلم بخيانة عبيد الله بن عباس ، والسؤال فلماذا أقرّه في هذا الموقع الخطير ؟ السؤال الثاني بخصوص الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه لم يولّ الحسين وهما أكفأ الناس ؟

الشيخ : إذا قايسنا بين موسى والخضر فالخضر (عليه السلام) عنده علم الباطن والعلم اللدني ، وهو يعمل بحسب علمه وبرنامج . أما نبي الله موسى فعنده علم الظاهر ، فهو يعمل بظاهر الشريعة . أما أهل البيت (عليهم السلام) النبي وآله (صلى الله عليه وآله) فاعتقادنا أنّ عندهم علم الباطن والظاهر ، وهم يعملون بحسب الظاهر إلا في حالات . مثلاً أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفين كان في قتاله يستعمل العلم الباطن ، وكان لا يقتل الشخص الذي سيكون من نريته مؤمن ! هذا عمل بعلم الباطن .

أما بالنسبة لمن يوليهم أمير المؤمنين فكان يعمل بعلم الظاهر ويدير الأمور بأكفأ الموجودين واستثنى معاوية فلم يوّه . ولماذا لم يولّ الحسن والحسين (عليهما السلام) مثلاً كان يمكن أن يولي الإمام الحسن على البصرة أو يبعثه إلى مصر بدل

محمد بن أبي بكر أكيد كان يضبطها أكثر .

انا اعتقد أنّ المعصومين (عليهم السلام) عندهم أسلوب معين هم يمشون عليه إما بإلهام من ربهم عز وجل أو أنه يعملون بالظاهر إلا في حالات استثنائية ، وهم يعرفون متى يعملون استثنائياً ، والإمام الحسن (عليه السلام) يعوف أن عبید الله بن

عبّاس

الصفحة 101

سيخون لكنّه بيعته قائداً على جيش ويعمل بحسب الظاهر كانوا يعرفون زياد بن أبيه ، ويعوفون ابن سعد بن أبي وقاص . وأخبروا بإخبارات غيبية .

النبی (صلى الله عليه وآله) كم أخبر عن أشخاص ماذا يعملون ، وكان يقول للشخص الذي يعرفه أنه سينحرف ، يقول له في نفسه قولاً بليغاً ويعامله على الظاهر وهكذا المعصومون (عليهم السلام) .

السائل : توجد هجمة على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وعلى اتباعهم ، ونحن نحاول في الترجة الأولى أن نود عليهم من خلال أمّهات المصادر ، مثلاً عندما نقول إن الإمام الحسين (عليه السلام) يقدم على القتل في كربلاء بهذه النرية والعزة التي معه ، وهذا يختلف عن إقدام نبي الله إبراهيم الخليل عندما يريد أن يذبح إسماعيل (عليه السلام) . هنا يوجد نصّ قرآني لكن لا يوجد نصّ قرآني في الإمام الحسين (عليه السلام) .

الشيخ : يصعب أن نجيب عن أعمال جميع الأئمة (عليهم السلام) شخص لا يعتقد بإمامتهم وعصمتهم . أما بالنسبة للإمام الحسن والحسين (عليهما السلام) فيمكن أن نعلل ونحلّل سلوكهما بحسب مصادر الأطراف المختلفة على هذا الأساس فهم يعتقدون بأنّ الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة⁽¹⁾ يعني عملهم صحيح فعندما اعتمد الإمام الحسن على عبید الله بن عبّاس هذا عمله صحيح ، غاية الأمر هو يقول : إنّ الإمام لا يعرف أنه سيخونه وخان .

السائل : هذا ما يقلل مثلاً من النظرة ؟

الشيخ : بعضهم عندنا يقول : إنّ الأئمة (عليهم السلام) لا يعلمون الغيب إلا أن يعلمهم الله ويلهمهم ، هكذا يقولون ، الظاهر للإمام الحسن (عليه السلام) أن عبید الله بن عبّاس

1 - سنن ابن ماجة ١ : ٤٤ حديث ١١٨ ومسند أحمد ٢ : ٢ و٦٢ و٦٤ و٨٢ و٥ : ٢٩١ و٢٩٢ وسنن الترمذي ٥ : ٢٢١ حديث ٢٨٥٦ وفضائل الصحابة : ٥٨ و٧٦ والمستدرک ٣ : ١٦٧ .

الصفحة 102

مقبول ، وأتته كان من قادة أمير المؤمنين (عليه السلام) كان والياً على اليمن ، وعنده ثأر مع معاوية لأن جيشه قتل ولاده الصغار ذبحهم على ورج صنعاء فلا يعقل أن يخون ويذهب الى معاوية ، فقد تصوف الإمام بحسب الظاهر ، وتصوّفه صحيح ، ثم تبين خطأ ذلك وخان عبید الله . لو قلنا هكذا فلا يتنافى مع تشيعنا ، لكن عقيدتنا يا لأئمة (عليهم السلام) رُقي من هذا . السائل : هذا يجرنا إلى أنه هل يصح أن نقول : إن علم الأئمة (عليهم السلام) علم تكاملي ؟ مثلاً عندما يستلم الإمام

الإمامة يعلم بما كان ثمّ بما هو كائن ، لعلّ الشهيد الصدر في كتابه بحث حول الإمام المهدي (عليه السلام) يقول الإمام يزداد خوة من خلال هذه الغيبة ؟

الشيخ : ما تفضلت به من تكامل علم الإمام (عليه السلام) موجود في أذهان عند بعض العوام وبعض العلماء ، لكن هؤلاء قلة ، أما كبار علمائنا ومتكلمينا وفقهائنا والمحققين منهم فهم يرون أن علم الأئمة (عليهم السلام) أوسع من هذا وعندهم علم الباطن والظاهر ، وأنهم إنّما يعملون بالظاهر ، والأحاديث والنصوص صويحه بذلك . الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : والله لو كنتُ بين موسى والخضر لأخبرتُهما بما لا يعلمان لأنّهما أُعطيَا علمَ ما كان وأُعطينا علمَ ما يكون ⁽¹⁾ .

وبعضهم يقول : إنّهم يعلمون لكن آجالهم تروى عنهم . وفي المقابل يقول آخرون من علمائنا إنّ المعصوم يعرف أنّه هذا سُمّ لكنّه مأمور أن يشوبه وأن يعمل بالظاهر .

أنا اعتقادي ان علم الأئمة (عليهم السلام) أوسع مما نتصور ، وأنهم يتصرفون حسب قوانين معينة ، فهم يعملون بالعلم الظاهر ، وقد يعملون بعلمهم الباطن صلوات الله وسلامه عليهم .

1- الكافي ١ : ٢٦٠ - ٢٦١ حديث ١ .

الصفحة 103

(٦٤ . ٦٥) البداء

الشيخ حسين النجاتي

الصفحة 104

الصفحة 105

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة والسلام على خير الأنبياء والموسلين وعلى عتوته الطاهرين ، ونصلي ونسلم على خير الأوصياء ، سيدّ الأتقياء ، إمام المتقين وقائد الغر المحجلين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلّة والسلام .

الموضوع الذي نريد أن نتحدّث حوله هو ما يُسمّى بعقيدة البداء ، التي هي من جملة عقائد الشيعة المعروفة ، القضية تتعلق بحديثات العلم الإلهي طبعاً ، والبحث حول الموضوع بشكل تفصيلي لا يمكن إنجّره في محاضرتين أو ما يقرب ذلك ، خصوصاً وأنّ البحث في الموضوع متشعب : فمن ناحية لا بدّ من بيان رأي الشيعة بشكل واسع ، خصوصاً مع الالتفات إلى وجود روايات كثيرة في الموضوع ، وتوّع الموضوعات المطروحة في هذه الروايات . ومن ناحية أخرى بواسطة رأي أهل السنة في الموضوع .

ومن ناحية ثالثة ملاحظة السير التاريخي للزاع حول المسألة .

ومن ناحية رابعة . وهي الأهم والأكثر تفصيلاً . واسة قضية البدء بشكل تحليلي علمي ؛ لأن قضية البدء وإن كانت مسلمة بين الشيعة الإمامية ، ودلت على ذلك نصوص كثرة جداً ، لكن هناك اختلاف كبير بين العلماء حول هذه النقطة ، وتوجد عدة تفاسير لنظرية البدء فيما بين الشيعة الإمامية ، منها نظرية معروفة لصدر المتألهين والتي ذكرها وشرحها في مجموعة من كتبه ، من قبيل : شوحه على أصول الكافي في ذيل الباب الذي خصصه الشيخ الكليني لذكر الروايات المتعلقة بالبدء ، وأيضاً في كتابه الأسفار ، وكتاب المشاعر ، ومجموعة الوسائل المطبوعة لصدر المتألهين ، خصوصاً في رسالة خلق الأعمال ، وكتب أخرى كثرة تعرض فيها لهذا الموضوع إلى نظرية ثانية وثالثة مطروحة في تحليل عقيدة البدء تحليلاً علمياً .

الصفحة 106

وكما قلت لا يمكن إنجاز البحث في هذه النظريات أو التفاسير المتعددة لقضية البدء في محاضرتين مثلاً ، وفي مثل هذا المجلس باعتبار أن مستوى كثير من النظريات والمقولات المطروحة من الناحية العلمية عميقة جداً ، مما لا يتناسب مع طوره في مثل هذا المجلس ، ولكن نحاول أن نركز على بعض الجوانب المتعلقة بالموضوع في هاتين المحاضرتين وذلك من خلال عدة نقاط .

معنى البدء لغة واصطلاحاً

النقطة الأولى : نذكر فيها تفسيراً إجمالياً وموجزاً لقضية البدء .

البدء بحسب المعنى اللغوي بمعنى الظهور ، وهذا واضح ، بدا لي الشيء ، أي : ظهر ، لكن من الناحية الاصطلاحية والعقيدية فالشيعة الإمامية يقصدون بالبدء أن الله سبحانه وتعالى له أن يمحو ما أثبتته وأن يثبت ما لم يثبت من قبل ، وأن يقدم ما أخوه وأن يؤخر ما قدمه ، يعني مثلاً إذا كان من المقدر موت فلان في هذه السنة له أن يؤخر هذا المعنى إلى سنين لاحقة ، وله أن يقدم المتأخر ، إذا كان مقوراً مثلاً أن يوزق فلانا ذراً بعد عشرين سنة يقدم هذا الموضوع ويقرر أنه يوزقه في هذه السنة مثلاً ، قال تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ﴾ (1) وَ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾ (2) .

البدء بحسب رأي الشيعة الإمامية يعني هذا المعنى في تفسيره الموجز أن الله سبحانه وتعالى يمكنه أن يقدم ما كان من المقرر أن يكون متأخراً وأن يؤخر ما كان من المقرر أن يكون متقدماً ، ويمحو ما كان ثابتاً ، ويثبت ما لم يكن ثابتاً ، فالتقدير بيد الله يمكنه أن يغير التقدير : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾ .

1- الروم : ٤ .
2- الرعد : ٣٩ .

الصفحة 107

بعد بيان هذا التفسير الإجمالي لقضية البدء ندخل في النقطة الثانية المتعلقة بالموضوع ، وهي عبلة عن واسة آراء

المسلمين في هذا المعتقد .

أول من اتهم الشيعة بعقيدة البداء

يدّعي جمع كبير من علماء السنة أن الشيعة الإمامية انفردت بهذه العقيدة وشذت عن المسلمين في اعتقادها بالبداء ، وهذا المعنى المذكور في كتب كثرة لعلماء السنة من القديم وإلى يومنا هذا ، ولعلّ أول كتاب . حسب اطلاعي . طرح هذا الموضوع واعترض فيه على الشيعة الإمامية كتاب فضائح المعتولة للجاحظ ، يعني وإن كان الكتاب على أساس أنه يبيّن فضائح المعتولة لكن تهجم فيه على الشيعة في مواقع كثيرة ، ومنها في قضية البداء ، وفي وقته حصل ردّ على هذا الكتاب من قبل ابن الرولندي .

وإلى يومنا هذا نجد أنه بين الحين والآخر يظهر كتاب ، ونجد أنّ الشبهة والاعتراض بوجهة إلى الشيعة بأنهم يعتقدون بالبداء ، وهذا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى .

البداء عقيدة عامّة للمسلمين

لكن الواقع كما سنثبت إن شاء الله أنّ عقيدة البداء ليست من مختصات الشيعة الإمامية ، وإنما هي عقيدة يلتزم بها المسلمون عامّة من دون استثناء وإن أبا أن يعترفوا بهذه الحقيقة .

وبعبارة أخرى لم يشذّ الشيعة في اعتقادهم بهذا الأمر ، بل هذا معتقد لعامّة المسلمين ، بشروط أن نفهم ماذا يقول الشيعة في قضية البداء وأن لا نحرف ما يقولونه ولا نؤول كلامهم على خلاف ما يريدون وعلى خلاف ما يقولون ، فهذه عقيدة لعامّة المسلمين وإن أبا عن استعمال لفظة البداء ، بل سيأتي إن شاء الله أنّ هذه اللفظة مذكورة بنصّها في صحيح البخاري كما سنقول الرواية فيما يأتي إن شاء

الصفحة 108

الله إنّ بدا لله في كذا ، فهذه العقيدة عقيدة عامّة للمسلمين .

والشيخ المفيد (رضي الله عنه) في شرحه على اعتقادات الصدوق هنا نبّه على هذه النقطة ، وذكر أنّه نحن لا نخالف المسلمين في خصوص هذا الأمر إلاّ في التسمية واللفظ فقط ⁽¹⁾ ، فنحن نطلق على هذه العقيدة عقيدة البداء ، وهم قد يأبون هذا المعنى ، يعني يأبون هذه التسمية فقط ، وإلاّ فواقع العقيدة يحملها كلّ مسلم ، ويلتزم بها في سلوكه وعمله في ليله ونهله ، أعني الكثير من تصوّفات الفرد المسلم مبنية على هذه العقيدة كما سنثبت ، وإن كان الشيخ المفيد (رضي الله عنه) في شرحه على اعتقادات الصدوق يقول : بأنّه لا نخالف السنة إلاّ في قضية أننا نعبّر عن هذه العقيدة بالبداء وهم يأبون هذا التعبير .

أقول : حتّى على مستوى التعبير نجد أنّ هذا التعبير ورد في صحيح البخاري كما سنقول الحديث فيما يأتي إن شاء الله .

فالصحيح ومن الناحية الواقعية أنّ معتقد البداء معتقد لعامّة المسلمين ، كما هو واضح من كتبهم وأحاديثهم وسلوكهم العملي بالنسبة إلى علمائهم وبالنسبة إلى عوامهم ، دون أيّ فرق وتفصيل .

وهذا الموضوع بأكثر من هذا المقدار تركه لما بعد ، يعني إثبات أنّ هذه العقيدة مشتركة بين الشيعة وغير الشيعة وليست

من مختصات الشيعة .

النقطة الثالثة : التي نريد أن نتعرض لها هي قضية بيان سير إجمالي لتاريخ المسألة ، هناك في تزيخ الطوي في حوادث سنة ٦٧ هـ يذكر الطوي في أخبار المختار بن عبيد الثقفي : أنه في أصحاب المختار كان شخص باسم عبد الله بن نوف ، هذا الشخص في جيش المختار أخبر أصحابه بأنه يوم الأربعاء توفعت

1- تصحيح اعتقادات الإمامية : ٦٥ - ٦٧ .

الصفحة 109

السماء وتول القضاء بهزيمة الأعداء ، فخرجوا على اسم الله إلى حروراء . فخرج ، فلما التقى الناس للقتال ضُرب على وجهه يعني عبد الله ضُرب على وجهه ورجع الناس منهزمين ، ولقيه عبد الله بن شريك النهدي وقد سمع مقالته ، فقال : ألم وُعم لنا يا بن نوف أنا نهزمهم ؟

قال : أو ما قرأت في كتاب الله : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾⁽¹⁾ .

هذه قضية ينقلها الطوي في حوادث سنة ٦٧ هـ بخصوص ما وقع بين المختار وبين مصعب بن الزبير من القتال ، وباعتبار أنّ المختار بن عبيد يحسب على الشيعة الإمامية ، مع قطع النظر عن أنّ المختار بالفعل كان هكذا ولا ، وأنه خرج للدفاع عن أهل البيت (عليهم السلام) ولطلب الرضى منهم ، وذكر أيضاً في كتاب فوق الشيعة⁽²⁾ ، وفي كتاب الفرق بين الفرق للبيهقي موضوع آخر يتعلق بأبي الخطاب الذي خرج في الكوفة على واليها المنسوب من قبل السفاح ، يذكر هناك أنه في سنة ١٣٨ هـ أنّ أبا الخطاب خاطب جماعته وقال لهم : قاتلوهم فإنّ قصبكم تعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ، القصب الذي تمسكونه يؤثّر فيهم تأثير السيوف والرماح ، ورماحهم وسيوفهم لا تضركم ولا تحلّ فيكم ، فقدّمهم عشوةً عشوةً للمحاربة ، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً قالوا له : ما ترى ما يحلّ بنا من القوم ، وما ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثّر ، وقد عمل سلاحهم فينا وقتل من ترى منّا ؟ !

فأجابهم أبو الخطاب : إن كان قد بدا الله فيكم فما ذنبي ، بدا الله الهزيمة من بعد أن كان المقدر هو النصر .

على كلّ حال من هذه النقول يظهر أنّ قضية البداء كانت مطروحة منذ

1- تاريخ الطبري ٤ : ٥٦٧ ، وأنظر الفرق بين الفرق : ٥١ - ٥٢ .
2- فرق الشيعة : ٧٩ - ٨٠ .

الصفحة 110

ذلك الوقت عند أصحاب الأئمة أيضاً ، وهناك جماعة ألّفوا كتباً في البداء ، مثلاً الشيخ الطوسي يذكر في ترجمة ابن أبي عمير . الذي هو من مشاهير أصحاب الأئمة ومن ثقاتهم ومن رُكّان الطائفة . أنّه ألّف كتاباً في البداء⁽¹⁾ ، وأيضاً يذكر الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست أنّ محمد بن مسعود العياشي الذي هو أيضاً من أعظم الطائفة ألّف كتاباً في البداء⁽²⁾ ، وأيضاً يذكر هذا المعنى بالنسبة لغوهم ، وإن كان لا يعرف الآن بالضبط أنّ تأليف ابن أبي عمير لكتاب في البداء هل كان بمعنى أنّه

جمع فيه الروايات المتعلقة بقضية البداء أم أنه طرح فيها أفكاراً وحلّ الروايات وحاول أن يدفع الشبهات؟ وهكذا بالنسبة إلى الكتاب الذي ألفه العياشي ، لكن في تفسير العياشي الموجود الآن نسخة منه ، وإن كانت هي نسخة مختصة من تفسير العياشي ، في هذا التفسير ذكرت روايات كثيرة من رواياتنا المتعلقة بموضوع البداء ⁽³⁾ .

على كل حال القضية قديمة جداً حتى على مستوى التأليف والتصنيف ، فعند الشيعة الإمامية هناك من صنّف في الموضوع ، وعند غير الشيعة هناك من صنّف في الموضوع كما أثرت في بداية المحاضرة ، الجاحظ في كتابه فضائح المعتزلة تعرّض للموضوع ، هذا على مستوى التصنيف .

والقضايا التي كانت تقع خراجاً ووجبّت على الأئمة (عليهم السلام) أن يتصنّوا لتفسير هذه الآية الكريمة آية المحو والإثبات : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ⁽⁴⁾ ، هذه الآية الكريمة التي هي

الآية الأساس في قضية البداء ، والآية الثانية قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ

- 1- الفهرست : ٢١٨ .
- 2- الفهرست : ٢١٥ .
- 3- تفسير العياشي ٢ : ٢١٤ - ٢٢٠ ، ح ٥٥٥ - ٧٥٥ .
- 4- الرعد : ٢٨ - ٢٩ .

الصفحة 111

الرحمن الرحيم ، يُرِيدُ فِي الْحَلْقِ مَا يَشَاءُ ⁽¹⁾ ، والآية الثالثة : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمَنْ

بَعْدُ﴾ ⁽²⁾ ، إن الأئمة (عليهم السلام) تصنّوا لتفسير هذه الآيات ، وشوح المقصود من ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

فقد اتّقت كلماتهم . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . على تفسير هذه الآية بما نسميه بعقيدة البداء من خلال روايات كثيرة قد لا تكون واصله إلينا بأجمعها ، لكن وصل إلينا قسماً كبيراً منها .
طبعاً إن شاء الله في البحث القادم نحاول أن نذكر ما أثير حول تفسير الآية من شكوك واحتمالات من قبل علماء السنة ، وما ذكر من قبل علماء الشيعة في تفسير الآية . لكن نبوؤاً نحبّ أن نقول مجموعة من الروايات الصادرة عن الأئمة (عليهم السلام) والمتعلّقة بموضوع البداء .

الإشكال المطروح على البداء عند الشيعة

طبعاً أشير إلى أنه عمدة الاشكال الذي يوجه إلى الشيعة الإمامية في قضية البداء عبوة عن أن الاعتقاد بالبداء يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى إذا كان يقدر الآن ما لم يكن مقوراً فيما مضى أو يقدر الآن ما يخالف التقدير الأول فلا يخلو الحال إما أن يكون التقدير الأول في غير محله وغير صحيح ، وإما أن يكون هذا التقدير الثاني غير صحيح ، وعلى كلا التقديرين يكون الله جاهلاً بالحكمة والمصلحة .

فالشبهة التي توجّه إلى هذه العقيدة هي أنّ الاعتقاد بالبداء يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى ، من أنّ التقدير الأوّل إذا كان هو الموافق للمصلحة

1- فاطر : ١ .
2- الروم : ٤ .

الصفحة 112

فلمّ التقدير الثاني؟ وإذا كان التقدير الثاني هو الذي يوافق المصلحة فلمّ التقدير الأوّل؟ مثلاً موت زيد الآن أو بعد سنة؟ إن كان موته الآن مثلاً هو الذي يوافق مصلحة هذا الإنسان وسائر المصالح الأخرى التي تجبر عايتها فلمّ يقدر تأخير هذا الموت؟

وإذا كانت المصلحة في موته بعد سنة فلمّ قدر سابقاً أنّ يموت في مثل هذا الوقت حتى يكون دفع الصدقة . مثلاً . أو الدعاء موجباً لهذا التأخير ، أو المعصية التي تصدر من الإنسان موجبة لتقديم موته مثلاً ، باعتبار أنه ذكر في رواياتنا أن الدعاء والصدقة وسائر أفعال البرّ توجب طول العمر وسعة الرزق وما شاكل ذلك ، وعلى العكس المعصية توجب نزول البلاء على الإنسان ، وقطع الرحم يوجب قصر العمر وضيق الرزق وما إلى ذلك .
يعني الشبهة تقول : إنّه إما أن يكون التقدير الأوّل على خلاف المصلحة وإما أن يكون التقدير الثاني على خلاف المصلحة ، وعلى التقديرين هذه العقيدة تستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى وعجزه عن تقدير المصلحة بشكل دقيق .

الروايات الواردة في البداء عند الشيعة

الروايات التي وصلت إلينا من قبل الأئمة (عليهم السلام) مختلفة من ناحية المضمون ، ونحن نحاول أن نذكر نموذجاً لجميع أقسام هذه الروايات ، فنقسّم هذه الروايات إلى عدة أقسام :
القسم الأوّل : عبوة عن الروايات التي عظمت من شأن البداء تعظيماً بالغاً جداً ، يعني هناك روايات عظمت من شأن البداء .

الرواية الأولى : أذكر على سبيل المثال من كتاب أصول الكافي باب البداء من كتاب التوحيد نقواً هذه الرواية عن أحدهما عليهما السلام قال : «ما عبّد الله بشيء

الصفحة 113

مثل البداء»⁽¹⁾ ، وهذا دليل على أنّ الاعتقاد بالبداء تعظيم لله سبحانه وتعالى ، وعدم الاعتقاد بالبداء تنقيص لله سبحانه وتعالى ، وهذا ما سيبيّض فيما بعد .

الرواية الثانية : التي تعظّم من شأن البداء عن أبي عبد الله (عليه السلام) : «ما عظّم الله بمثل البداء»⁽²⁾ .
الرواية الثالثة : عن أبي عبد الله (عليه السلام) : «ما بعث الله نبياً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار له بالعبودية ، وخلق الأنداد ، وأنّ الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء»⁽³⁾ ، الجملة الأخيرة هي المتعلقة بقضية البداء : «إنّ الله يقدم ما يشاء

ويؤخّر ما يشاء» ، وهذه عبارة أخرى عن البداء الذي يعتقد به الشيعة الإمامية .

الرواية الرابعة : يرويها مالك الجهني قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فترّوا عن الكلام فيه»⁽⁴⁾ .

الرواية الخامسة : يرويها موزم بن حكيم قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «ما تنبأ نبيّ قط حتّى يقرّ الله بخمس خصال : البداء ، والمشينة ، والسجود ، والعبودية ، والطاعة»⁽⁵⁾ .

[الرواية السادسة]والرواية الأخوة التي نذكرها في هذا الصدد هي التي يرويها الويآن بن الصلت قال : سمعت الوضا (عليه السلام) يقول : «ما بعث الله نبياً قط إلا بتّحريم الخمر وأن يقرّ الله بالبداء»⁽⁶⁾ .

هذه الروايات تدلّ على أهميّة الاعتقاد بالبداء ، وأن الاعتقاد بالبداء يعتبر تعظيماً لله سبحانه وتعالى ، وأن عدم الاعتقاد به تنقيص من الشأن الإلهي ، بل

- 1- الكافي : ١ : ١٤٦ .
- 2- الكافي : ١ : ١٤٦ .
- 3- الكافي : ١ : ١٤٧ .
- 4- الكافي : ١ : ١٤٨ .
- 5- الكافي : ١ : ١٤٨ .
- 6- الكافي : ١ : ١٤٨ .

سيُتضح إن شاء الله أنه لا الاعتقاد بالبداء لما كان للدعاء معنى ، وأن الاعتقاد بالبداء له نور واسع في حياة الإنسان ، بحيث إنّه لا الاعتقاد بالبداء لما كان هناك معنى للدعاء ولا لأفعال الخير ولا للجهد أصلاً ، يعني الإنسان يدعو ويقدم على فعل الخير ويتعد عن فعل الشر وعن المعصية ، كل ذلك على أساس أن لهذه الأفعال وتلك التروك دوراً في مستقبل الإنسان وما يقرّر للإنسان وما يقدر للإنسان ، كما سنوضحه فيما بعد أكثر من هذا إن شاء الله .

على كل حال هذا القسم الأول من الروايات ، وهي الروايات التي . كما قلت . تعظم من شأن البداء ، وتبين أهمية القضية .

الروايات الدالة على أن البداء لا يستلزم الجهل

القسم الثاني من الروايات : هي الروايات التي أكّدت على أن البداء لا يكون عن جهل من الله سبحانه وتعالى ، أي : النقطة التي ركّز عليها السنّة ، وركّز عليها المعترضون على الشيعة بأن الاعتقاد بالبداء يستلزم نسبة الجهل إلى الله تعالى ، وهذه الروايات تنصّ على أن الاعتقاد بالبداء لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى ، ولعلّ ذكر هذا الأمر في النصوص يدلّ على أنّ هذه الشبهة كانت مثلاً منذ ذلك الوقت وفي عصورهم (عليهم السلام) ، أعني شبهة أن الاعتقاد بالبداء يستلزم نسبة الجهل بالله سبحانه وتعالى .

الرواية الأولى : فمن هذه الروايات ما ذكره أيضاً الشيخ الكليني (رحمهم الله) في الكافي ، والتي يرويها عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له»⁽¹⁾ ، فإذا بدا لله على سبيل المثال

أن يطيل في عمر فلان ، كان في علم الله قبل أن يبدو له ، وإذا بدا الانتقاص من عمر فلان ، فهذا أيضاً كان في علمه قبل أن يبدو له ، وهكذا سائر ما يمكن أن يبدو لله سبحانه

1- الكافي ١ : ١٤٨ .

الصفحة 115

وتعالى ، ما بدا لله شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له .

الرواية الثانية : التي تؤكد على نفس هذا المضمون أيضاً برويها الشيخ الكليني (رحمهم الله) عن عمر بن عثمان الجهني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «إن الله لم يبدو له من جهل»⁽¹⁾ ، أي : أن البداء الذي يحصل لا يكون عن جهل ، وإنما عما سنذكره فيما بعد إن شاء الله .

الرواية الثالثة : أيضاً برويها الشيخ الكليني (رحمهم الله) بإسناده الذي ينتهي إلى منصور بن حرّم قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس ؟ قال : «لا ، من قال هذا فأخراه الله» .

قلت : رأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ قال : «بلى ، كل ذلك في علم الله قبل أن يخلق الخلق»⁽²⁾ ، أي : من قبل أن يخلق الخلق كل ما هو كائن ويكون إلى يوم القيامة ثابت وحاضر بعلم الله سبحانه وتعالى .

بطبيعة الحال مع صدور مثل هذا الكلام من أئمتنا (عليهم السلام) لا يمكن أن يعتقد بالبداء عقيدة تستلزم الجهل بالله سبحانه وتعالى ، فلا بد أن المقصود بعقيدة البداء شيء لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى .

الرواية الرابعة : تدلّ على نفس هذا المضمون وهي التي رواها العلامة المجلسي في البحار عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : «من زعم أن الله عزّ وجلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فأوّلوا منه»⁽³⁾ .

هذه مجموعة من الروايات التي اعتدناها لتمثّل القسم الثاني من النصوص ،

1- الكافي ١ : ١٤٨ .

2- الكافي ١ : ١٤٨ .

3- بحار الأنوار ٤ : ١١١ .

الصفحة 116

وهي الروايات التي تنصّ على أن الاعتقاد بالبداء لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى ، طبعاً تحليل القضية يأتي فيما بعد إن شاء الله ، وأتت كيف يكون الاعتقاد بالبداء غير مستلزم لنسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى ، تحليل الروايات وشروح الروايات إن شاء الله يكون فيما بعد .

حدود البداء ومدى سعته

القسم الثالث من الروايات : هي الروايات التي بيّنت مساحة البداء ودائرة البداء ، وقد أشرنا إلى أن بالبداء يؤخر الله ما قدّمه ويقدم ما أخره ، ويمحو ما أثبتّه ويثبت ما لم يكن ثابتاً ، لكن هذه الروايات تعرّضت إلى بيان هذا الجانب ، بيان دائرة البداء والقضايا والأمور التي تناولها البداء .

الرواية الأولى : من الروايات التي تعرّضت إلى هذا الجانب ما ذكره العلامة المجلسي (رضي الله عنه) في الجزء الرابع من البحار عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال : «في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُ اللَّهُ مُغْلُولَةً ﴾⁽¹⁾ لم يعنوا أنّه هكذا» ، وكأنّ الإمام أشار إشارة تدلّ على أنّه ليس مقصود اليهود أن الله سبحانه وتعالى عاجز عن فعل أي شيء ، ولكنهم قالوا : قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص ، فقال الله جلّ جلاله تكديباً لقولهم : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِغَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ، ألم تسمع الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾⁽²⁾ ؟ يعني أنّه ليس الأمر على ما زعموا من أن الله سبحانه وتعالى انتهى من قضية الخلق ولا يمكنه أن يغيّر شيئاً ولا يمكنه أن يقدم شيئاً ولا يمكنه أن يؤخر شيئاً ، كما أنّه لا يمكنه أن يمحو ما أثبتّه باعتبار أن ما صدر عنه ولا هو الموافق

1- المائدة : ٦٤ .
2- بحار الأنوار ٤ : ١٠٤ ، ح ١٧ .

للحكمة والمصلحة ، والله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يتجاوز المصلحة ، ولا يمكن أن يفعل فعلاً غير حكيم ; نتيجة لذلك لا يمكن لله سبحانه وتعالى أن يغيّر شيئاً بمجرد أن ينتهي من الخلق ، فالأمر يجب أن يكون باقياً على ما أنشئ وعلى ما أبدع ، لا يمكنه أن يغيّر منه شيئاً أصلاً ، باعتبار أن ما صدر وألا منه هو الموافق للحكمة الإلهية ، والتغيير يستلزم التصرف على خلاف الحكمة ، وهو مما لا يعقل صدوره من الله سبحانه وتعالى ، باعتبار أنّه حكيم ولا يفعل ما ليس بحكيم .

فالإمام (عليه السلام) في هذه الرواية يتعرّض إلى هذا الجانب أنّه في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُ اللَّهُ

مُغْلُولَةً لم يعنوا أنّه هكذا ، ولكنهم قالوا . أي : اليهود . : قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص ، فقال الله جلّ جلاله تكديباً لقولهم : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِغَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ، ألم تسمع الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ؟

ونضيف إلى الآية التي استشهد بها الإمام (عليه السلام) والآيات الأخرى أنّه : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمَنْ بَعْدُ ﴾⁽¹⁾ ، والآية

الأخرى أيضاً التي قرأناها أنّه : ﴿ يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾⁽²⁾ ، يعني يدها مبسوطتان ، يُنْقِصُ وَيُزِيدُ ، يمحو ويثبت ، فالبداء يتناول جميع هذه الأمور .

إنّ البداء عبوة عن الاعتقاد بأنّ الله سبحانه وتعالى يدها مبسوطتان ، يمحو ما أثبتّه ويثبت ما لم يكن قد أثبتّه ، ويؤخر ما

قدّمه ويقدم ما أخوه ، وهكذا يداه مبسوطتان يفعل ما يشاء ، أما أنه كيف ينسجم هذا التغيير والتقديم والتأخير مع الحكمة العليا الإلهية ؟ فهذا ما نتعرض له في البحث التحليلي للموضوع .
الرواية الثانية : في نفس هذا المجال أيضاً ذكرها العلامة المجلسي في

1- الروم : ٤ .

2- فاطر : ١ .

الصفحة 118

البحار ، يرويها حيوان ، قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ؟ فقال : «يا حيوان إنه إذا كان ليلة القدر وتولت الملائكة الكتابة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر ، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخّره أو ينقص منه أو يزيد أمر الملك فمحا ما شاء ثم أثبت الذي أراد» .

قال : فقلت له عند ذلك : فكلّ شيء فهو عند الله في كتاب ؟

قال : «نعم» .

فقلت : فيكون كذا وكذا ، ثم كذا وكذا حتى ينتهي إلى أخوه ؟

قال : «نعم» .

قلت : فأيّ شيء يكون بيده بعده ؟

قال : «سبحان الله ، ثم يحدث الله أيضاً ما شاء تبرك وتعالى» (1) .

يقدر في ليلة القدر كذا ، ثم يغيره إلى كذا ، ثم بيده شيء ، يقول : نعم أيضاً يثبت شيئاً ثالثاً ورابعاً وخامساً ، الأمر بيد الله من قبل ومن بعد .

وجود تعرض بين روايات البداء

أشير هنا إلى أنه هناك ثمة تعرض بين الروايات مما يحتاج إلى تحليل هذه النصوص ، يعني بعض الروايات تذكر أن ما يقدر في ليلة القدر هو مما لا يتغير ، فمثلاً هذه الرواية تنص على أنه ما يقدر في ليلة القدر أيضاً قد يتغير .
والذي يستفاد من الأدعية الواردة في شهر رمضان أنه في ليلة القدر المقوّات على قسمين ، ولذا ورد في بعض الأدعية : «ما تقضي وتقدر» ، وفي بعض الأدعية : «من قضائك المحتوم» ، وفي الأدعية : «واجعلني من القضاء المحتوم» ما يستفاد أنّ ما يقدر في ليلة القدر أيضاً على قسمين : فهناك ما هو غير

1- بحار الأنوار : ٤ : ١١٩ .

الصفحة 119

قابل للتغيير وللتقدير ، يعني لما نقول غير قابل للتقدير ليس بمعنى عجز الله سبحانه وتعالى عن التغيير والتقدير ، وإنما

بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى يتفضل بأن يقدرّ هذا المعنى ولا يغوّه ، يقدرّ طول العمر في سعة وعافية وطاعة ولا يغوّه .

على كلّ حال كما قلت هناك ثمة اختلاف وتعرض بين الروايات ، لكن هذا الجانب لا نريد أن نتعرض له فعلاً .

رواية روايات القدر

رواية حموان تدلّ على أنّ ما يقدرّ في ليلة القدر يكون قابلاً للمحو والتقديم والتأخير ، كلُّ شيء يقدر في ليلة القدر ، لكن الله أن يمحوه ويغوّه إلى شيء آخر ، في رزق الإنسان ، وفي عمر الإنسان ، وفي ولاد الإنسان ، وفي سكنه ، وفي سؤه ، وفي حضوه ، وفي ابتلاءاته ، وفي مصائبه ، وفي كلّ شأن يرتبط بالإنسان ، فإنّ هذه الرواية تدلّ على أنّ مساحة البداء واسعة جداً تتعلق بجميع هذه الأمور .

الرواية الثالثة : التي تفيد نفس هذا المضمون أيضاً يرويها العلامة المجلسي ، وهي رواية مفصلة تنقل محادثة حصلت بين الرضا (عليه السلام) وبين سليمان المروري ، أنّ سليمان هذا جاء إلى الرضا (عليه السلام) واجتمع بالرضا فقال له الرضا

(عليه السلام) : «ما أنكوت من البداء يا سليمان والله عزّ وجلّ يقول : ﴿وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ

شَيْئًا﴾⁽¹⁾ ، الإمام (عليه السلام) يستشهد بهذه الآية لإثبات البداء ، الآية تعبّر عن عقيدة البداء : ﴿وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا

خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ، أي بمعنى أنّ الأمر بيد الله ، خلقه ولم يكن من قبل شيئاً : ﴿وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ، ويقول عزّ وجلّ : ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

1- مريم : ٦٧ .

الصفحة 120

يُعِيدُهُ﴾⁽¹⁾ ، ويقول عزّ وجلّ : ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽²⁾ ، ويقول عزّ وجلّ : ﴿يُرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾⁽³⁾ ،

ويقول : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾⁽⁴⁾ ، ويقول عزّ وجلّ : ﴿وَأَخْرَجُوا مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾⁽⁵⁾ ،

الأمير بيد الله : ﴿وَأَخْرَجُوا مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾⁽⁵⁾ ، ويقول عزّ وجلّ : ﴿وَمَا يَعْمَرُ

مِن مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾⁽⁶⁾ .

قال سليمان : هل رويت عن آباتك شيئاً ؟

قال : «نعم ، رويت عن أبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال : «إنّ الله عزّ وجلّ لعلمين علماً مخزوناً مكتوناً لا

يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلماً علمه ملائكته ورسله ؛ فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه» .

قال سليمان : أحبّ أن تتّوّه لي من كتاب الله عزّ وجلّ .

قال (عليه السلام) : «قول الله عزّ وجلّ لنبية : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾⁽⁷⁾ ، راد إهلاكهم ، ثمّ بدا فقال : ﴿وَنَذَرَ

(8)

فَإِنَّ الذِّكْرَ يُتَنَفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ قَالَ سَلِيمَانُ : زِدْنِي جُعَلْتَ فِدَاكَ .

قال الرضا (عليه السلام) : «لقد أخبرني أبي عن آبائه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : إن الله عز وجل

أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلان الملك أنني متوفيه إلى كذا وكذا ، فأتاه ذلك النبي فأخوه ، فدعا الله الملك ، وهو على

سوره حتى سقط من السرير

-
- 1- الروم : ١١ .
 - 2- البقرة : ١١٧ .
 - 3- فاطر : ١ .
 - 4- السجدة : ٧ .
 - 5- التوبة : ١٠٦ .
 - 6- فاطر : ١١ .
 - 7- الذاريات : ٥٤ .
 - 8- الذاريات : ٥٥ .



وقال : ياربِّ ، أجلني حتى يشب طفلي وأقضي أموري ، فوحي الله عز وجل إلى ذلك النبي أن أنت فلان الملك فاعلمه أنني قد أنسيت أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة ، فقال النبي : ياربِّ إنك لتعلم أنني لم أكذب قط ، فوحي الله عز وجل إليه إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك ، والله لا يسأل عما يفعل ثم التفت إلى سليمان فقال له : «أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب» .

قال : أعوذ بالله من ذلك ، وما قالت اليهود ؟

قال : «قالت اليهود ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾^١ يعنون أن الله قد فرغ من الأمر ، فليس يحدث شيئاً ، قال الله عز وجل : ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾^٢ ، ولقد سمعت قوماً سأوا أبي . موسى بن جعفر (عليه السلام) . عن البداء ، فقال : وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً وجئهم لأمره» .

قال سليمان : ألا تخبرني عن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽¹⁾ في أي شيء أثرت ؟

قال : «يا سليمان ، ليلة القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق ، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم» .

قال سليمان : الآن قد فهمت جعلت فداك فودني .

قال : «يا سليمان ، إن من الأمور أمورا موقوفة عند الله تترك وتعالى يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء .

يا سليمان ، إن علياً (عليه السلام) كان يقول : العلم علما نفع علم ملائكته ورسله ، فما علم ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت ما يشاء» .

1- القدر : ١ .

الصفحة 122

قال سليمان للمأمون : يا أمير المؤمنين ، لا أنكر بعد يومي هذا البداء ولا أكذب به⁽¹⁾ .

رواية مفصلة تتعلق بالموضوع طبعاً ، وفيها إشارة إلى بعض النقاط التي قد تتعرض مع بقية النصوص ، يعني قضية أن البداء هل يتعلق بالعلم المخزون الإلهي الذي لا يطلع عليه أحداً حتى الأنبياء والوسل والملائكة أم أن البداء يتعلق بالعلم الذي يكون قد اطلع عليه الأنبياء وبعض الملائكة مثلاً؟ ولذا جاء في جملة من الروايات أنه لا البداء لأخوتكم بما سيكون إلى يوم القيامة .

ومن هذه النصوص يستفاد أن البداء يتعلق بهذا العلم ، أي العلم الذي لا يكون مختصاً بالله سبحانه وتعالى ، العلم الذي يكون عند الله وعند بعض الملائكة والوسل والأنبياء .

وهناك روايات أخرى تدل على أن البداء يتعلق بالعلم الخاص الإلهي الذي لا يشركه فيه غيره .

وعلى كل تقدير هذا يتعلق بالجانب التحليلي لفكرة البداء وعقيدة البداء ، والمقصود ذكر النصوص التي تبين مساحة البداء والأمور التي يتناولها البداء ، هذه من جملة النصوص التي تتعرض إلى هذا الموضوع .

عودة إلى روايات البداء

الرواية الرابعة : رواية أخرى أيضاً يذكرها العلامة المجلسي (رضي الله عنه) عن أبي عبد الله (عليه السلام) : «ان الله كتب كتاباً فيه ما كان ، وما هو كائن ، فوضعه بين يديه ، فما شاء منه قدّم ، وما شاء منه أخرّ ، وما شاء منه محا ، وما شاء منه أثبت ، وما شاء منه كان ، وما لم يشأ منه لم يكن»⁽²⁾ ، هذه الرواية تدلّ على أنّ البداء يتناول

1- بحار الأنوار ٤ : ٩٥ ، ج ٢ .
2- بحار الأنوار ٤ : ١١٩ .

التقديم والتأخير والمحو والإثبات .

[الرواية الخامسة :] والرواية الأخوة : رواية الفضيل قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : «من الأمور أمور محتومة جارية لا محالة ، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء ، ويثبت منها ما يشاء ، لم يطلع على ذلك أحداً . يعني الموقوفة . ، فأما ما جاءت به الوسل فهي كائنة لا يكذب نفسه ولا نبيه ولا ملائكته»⁽¹⁾ .
هذه مجموعة من الروايات التي تتعرض إلى بيان دائرة البداء ومساحة البداء والمجالات التي تتعلق بها قضية البداء ، يعني هذه عمدة الروايات .

فإذن القسم الأول : من الروايات كانت عبارة عن الروايات التي كانت تعظم من شأن البداء والاعتقاد بالبداء .
والقسم الثاني : كان عبارة عن الروايات التي نصّت على أنّ الاعتقاد بالبداء لا يستلزم الجهل نسبة إلى الله سبحانه وتعالى وأنّ البداء لا يكون عن جهل .

والقسم الثالث : من الروايات كان عبارة عن الروايات التي بيّنت دائرة البداء والقضايا التي يمكن أن يتعلق بها البداء ، هذه مجموعة من النصوص .

إذن أصبح واضحاً جداً أنّ الاعتقاد بالبداء يعتبر من القضايا التي دلتّ عليها نصوص كثيرة جداً ، وأحصى مجموعة من هذه النصوص الشيخ الكليني (رحمهم الله) في الكافي ، وهناك مجموعة من النصوص مذكورة في تفسير العياشي ، وهناك مجموعة من النصوص مذكورة في توحيد الشيخ الصدوق ، وفي كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق ، وكتب أخرى أيضاً ، إنّما يبقى تحليل عقيدة البداء وتبيين أنّه كيف يمكن تصوير أنّ الاعتقاد بالبداء لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى من ناحية ولا يستلزم نسبة العمل على خلاف الحكمة والمصلحة من ناحية أخرى ، خصوصاً وأنّ هناك خلافاً بين العلماء في

تحليل وتوجيه عقيدة

البداء من الناحية العقلية والفلسفية ، وفي البحث القادم إن شاء الله نتعرض إلى هذا الجانب ، يعني ندخل في تحليل الفكرة بشيء من التفصيل ونشير إلى المدرس الموجودة في هذا المجال بمقدار ما يسعنا الوقت .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : بخصوص النقطة التي تعرضتم لها في تحديد داوة البداء ، يعني مصاديقه ، نحن نفهم أن ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ هل يشمل البداء أو لا ؟

ومسألة ما يقدر في ليلة القدر ، هذه التفاصيل وأي مهمة جداً ومن خلالها نتمكن أن نضبط المطلوب كله .
الجواب : بالنسبة إلى اللوح المحفوظ أو ما يعبر عنه بأمر الكتاب طبعاً هذا التعبير يقصد به اللوح الذي ثبت فيه التقادير الإلهية التي لا تقبل التغيير والتبديل أصلاً بناءً على أن هناك تقادير محتومة لا تتغير لا بفعل شيء ، لا بالدعاء ولا بالصدقة ولا بفعل البر ولا بفعل الخير ، كما أنه لا يتغير بترك المعصية وما إلى ذلك .
على كل حال هناك تقدرات محتومة لا تتغير ولا تتبدل وهي التي يقال بأنها مسجلة في اللوح المحفوظ أو في أم الكتاب ، وهناك اللوح الذي يعبر عنه بلوح المحو والإثبات الذي يقصد به اللوح الذي تسجل فيه التقادير الإلهية التي تقبل التغيير والتبديل إما بفعل بعض الأمور كأفعال البر والخير والطاعات أو مثلاً بترك المعاصي . نستجير بالله . .
فالمقصود باللوحة المحفوظ أو ما عبر عنه القرآن الكريم بأمر الكتاب ، عبارة عن اللوح الذي سجلت فيه التقادير الإلهية المحتومة التي لا تقبل التغيير والتبديل ، ولوح المحو والإثبات عبارة عن اللوح الذي سجلت فيه التقادير التي تقبل التغيير والتبديل .

على كل حال هذا التفسير مذكور في النصوص ، لكن كما أثرت في أثناء المحاضرة يوجد ثمة اختلاف وتعرض بين النصوص ، والدخول في هذه التفاصيل في محاضرتين لا يمكن ، لكن لنصبر إلى المحاضرة القادمة إن شاء الله نحلل فيها فكرة البداء تحليلاً تفصيلياً إلى حد ما ، ولعل هذا التحليل يرفع الغموض مقدراً ما

عن الموضوع .

سؤال : في جريان البداء في مسألة اللوح المحفوظ مثلاً يعني إذا أثبتنا جريان البداء في غير اللوح المحفوظ فما هو الإشكال ، فإله سبحانه وتعالى «يداه مبسوطتان» في اللوح المحفوظ وفي غيره مثلاً ؟

الجواب : هذا السؤال جيد أنه ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾⁽¹⁾ أو ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ﴾⁽²⁾ ، أو ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمَ الْكِتَابِ﴾⁽³⁾ .
نلتزم بأنه يمحو كل شيء ، فيمكنه أن يمحو كل شيء ويثبت كل شيء وان كان من التقدير الإلهي



المحتوم ، هذا الكلام قابل للطرح ، لكن الالتزام فيه بأحد الطرفين أو أحد الاحتمالين يبتني على أن التقادير الإلهية المحتومة التي لا تقبل التغيير والتبديل هل تتعلق بشؤون العباد ام تختصّ بأمور أخرى لا تتعلق ولا ترتبط ارتباطاً مباشراً بأفعال العباد

؟

وهل معنى أن هذا التقدير تقدير محتوم وقطعي أن الله سبحانه وتعالى لا يمكنه أن يغير أم أن معنى التقدير المحتوم هو التقدير الذي لا يغوّه الله لا بمعنى أنه لا يمكنه أن يغير ، يعني نفي الوقوع غير نفي الإمكان ، فحينما يقال هذا التقدير تقدير محتوم بمعنى أنه لا يغوّه الله لا بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يعجز عن تغيير هذا الشيء . طبعاً التغيير يجب أن يكون على أساس حكمة ومصالحة على ما سيأتي في الحديث القادم . .

على كل حال التقدير المحتوم لا يعني أن الله سبحانه وتعالى عاجز عن أن يتصرف في هذا التقدير المحتوم وانما بمعنى أن الحكمة الإلهية تقتضي ان يبقى هذا التقدير على ما هو عليه ولا يغير ، لا بمعنى أن الله سبحانه وتعالى عاجز عن

- 1- المائدة : ٦٤ .
- 2- الروم : ٤ .
- 3- الرعد : ٣٩ .

الصفحة 127

فعل التقدير ؟

وتتمة التوضيح إن شاء الله في البحث القادم .

سؤال : هل يوجد إشكال شرعي على تبديل الاصطلاح من البداء إلى كلمة أخرى مثلاً ، لأن البداء عندما يأتي أحد هو يبدو له أنه شيء جديد على الله ، وإلاّ هو لا يوجد شيء ، تفضلتم بسود الروايات أن الله في علمه هذا الشيء موجود وأنه سوف يتغير ، وأنا سأغوّه ، فالمسألة تبدو للعوام أن البداء كإنما هذا الشيء غائباً عن الله وحصل ، وهو ليس كذلك فما هو الإشكال على تبديل الاصطلاح ؟

الجواب : تبديل الاصطلاح ليس فيه إشكال شرعي إنّما استخدم هذا الاصطلاح تبعاً لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) حيث استخدموا هذا الاصطلاح في رواياتهم ، على أنّ هذا التعبير كما أثرت في بداية الحديث ليس من مختصات الشيعة ، وانما ورد هذا التعبير في صحيح البخاري ، وفي المحاضرة القادمة إن شاء الله نقوّ الرواية من صحيح البخاري .

وأما بالنسبة إلى علماء السنة فقسم منهم مع الأسف إما عن جهل يعترضون على الشيعة باعتبّلهم لا يعرفون حقيقة ما نقوله الشيعة بهذا الخصوص ، أو بسبب وجود أغراض خاصة أدّت بهم إلى تعريف عقيدة البداء عند الشيعة .

وعلى كل حال البداء يمكنك أن تقول فيه ما ذكره بعض علماء الأصول من أن المقصود به هو الإبداء بدا الله أي أبدى ، أبدا ما كان خافياً وأظهر ما كان خافياً ، فحقيقة البداء هو الإبداء ، لكن يعبرون بكلمة البداء باعتبار أنه بدا من الله سبحانه وتعالى كذا ، أي ظهر منه بعد أن كان خافياً ، فمثلاً لما يقدر الله سبحانه وتعالى طول عمر فلان بعد أن كان المقدر قصر

عمر هذا الإنسان ، فيصحّ أن نقول بدا من الله طول عمر فلان ، أي ظهر منه بعد أن كان خافياً . طبعاً طول العمر كان معلوماً عند الله سبحانه وتعالى من أنّ المقدر كان قصر العمر ، لكن طول العمر أيضاً كان معلوماً لله سبحانه وتعالى ، فلما قدر طول العمر لهذا الإنسان بدلاً عن قصر العمر

الصفحة 128

يصحّ أن نعبر هكذا ونقول : بدا منه طول عمر فلان ، بمعنى أنه ظهر منه هذا الأمر بعد أن كان خافياً على غوه لا على الله سبحانه وتعالى .

وعلى كلّ تقدير لا توجد مشكلة شوعية في استبدال هذا التعبير بتعبير آخر وبكلمة أخرى ولفظة أخرى ، أي مشكلة شوعية غير موجودة من هذه الناحية .

سؤال : عفواً شيخنا الروايات تقول : بدا له وليس بدا منه ؟

الجواب : نعم الروايات حصوت التعدية فيها باللام بدا له .

سؤال : إذن تصيح ظهر له ؟

الجواب : ولكن أعود وأقول بأنّ هذا التعبير ورد أيضاً في صحيح البخاري ولا نختصّ به بدا لله ورد في صحيح البخاري ، والمقصود من بدا لله هنا كما قلت يعني ليس هو أنه ظهر له شيء بعد أن كان خافياً ، بل كما صرّحت الروايات بأنّه حتّى الذي يبدو لله كان معلوماً له من ذي قبل ، والمقصود من بدا له أي بدا منه وبدا عنه ، يعني صدر عنه وظهر منه ، وليس بهذا المعنى الذي ينسب إلى ذهن الإنسان ابتداءً أنه بدا لله بمعنى أنه ظهر له بعد أن كان خافياً عنه .

سؤال : شيخنا لو تسمحون لنا حتماً على اطلاع أنّ هذه الشبهة من قبل أهل العامة في مسألة البداء ، يعني صحيح أول ما يشكلون في الاصطلاح والمعنى العام ، وهذا الذي طرحتموه أنتم من الصدقة والدعاء ، ولكن تعلمون أنّ الشبهة مركّبة أساساً على الإمامة ، يعني عندما يشكلون في البداء يأتون عن طريق البداء إلى الإمامة ، وهنا يوجد إشكال الذي يطرحونه دائماً أنه دائرة المحتوم ودائرة غير المحتوم ، ونحن الآن استفدناها من الروايات ، بالنسبة لنا الشيعة يأتي هنا الإشكال نحن عندما يُنصّ على إمام معين ثم يقول بدا لله مثل ما في سيد محمد [ابن الإمام الهادي (عليه السلام)] [أو هم] أهل السنة [يدعون في إسماعيل ، ثم يقول بدا لله ؟

هذا من نفس الروايات ، روايات الأئمة الذين هم يعني نفس أئمتنا الذين

الصفحة 129

نحن نصصنا عليهم من نفس الإمام هو يدعي البداء ، فهنا لا تتمّ الحجية فلا بد أن نعلم أن البداء سابقاً من دليل آخر ، دائرة المحتوم ودائرة غير المحتوم ، فمثلاً نقول الإمامة من دائرة المحتوم ، النصّ على الإمام المعين من دائرة المحتوم من دليل آخر غير الروايات ، نفس الأئمة حتّى يتمّ أنه بعد ذلك عندما نجيب نحن نقول هذا النصّ كان من قبل رسول الله وهو من المحتوم ، هذا الإشكال الذي طرحه أحد المنسقيين على الأئمة قال : إنّ الأئمة ابتدعوا شيئين : «التقية والبداء» ، الآن التقية في

جانب البداء وهو هذا الاشكال أنه كلما قال الأئمة شيء ثم ظهر خلافه يقولون هذا من البداء ، ودائرة المحتوم أيضا نحن

استفدناها من نفس روايات الأئمة ؟

الجواب : تلوّء نحن نناقش كوى الفكرة وأخرى نناقش في تطبيقات الفكرة ، الآن مع قطع النظر عن اعتقادنا بإمامة هؤلاء

الأئمة لنفترض أننا لا نعتقد بإمامة هؤلاء الأئمة ، أصل الفكرة البداء هل هي فكرة تستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى

، سواء كنا نعتقد بإمامة هؤلاء الأئمة أم لا ، وسواء أكان الأئمة هم الذين أرشدونا إلى هذه العقيدة أم استفدنا هذا المعنى من

القرآن الكريم فقط ؟ يعني هذا جانب من النقاش أنه أساساً الاعتقاد بفكرة البداء هل تستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى

أم لا ، سواء أكان أئمتنا (عليهم السلام) نصوا على هذه العقيدة أم لم ينصوا عليها ؟

وهذا إن شاء الله في البحث القادم نتعوّض له ونبحث بأن الاعتقاد بالبداء يستلزم الجهل ام لا ، من ناحية عقلية صوفه لا

من خلال التعبد بأقوال الأئمة (عليهم السلام) . هذا جانب .

الجانب الثاني : أنه يقال بأن الأئمة (عليهم السلام) يخبرون عن أشياء . كما وجدت هذا المعنى في كلماتهم . ثم يخالفون

إخباراتهم ويعتزون عن ذلك بأنه بدا لله في كذا .

هذا جانب تطبيقي للموضوع ، يعني في الواقع هذا قدح في الأئمة بأنه

الصفحة 130

أئمتكم لا يعلمون الغيب ، ولكن تعتزون عن اخطاء أئمتكم في إخباراتهم عن الغيب بأن هذا بداء ، يعني في الواقع هذا

قدح في ما تقوله الشيعة من أن الأئمة (عليهم السلام) يعلمون الغيب وأنتم تتنوعون بقضية البداء ، يعني هذه مشكلة ثانية غير

مشكلة البداء .

هذه المشكلة الثانية تتعلق باعتقادنا بأن الأئمة (عليهم السلام) يعلمون الغيب ، نقول بأن الأئمة يعلمون الغيب ثم يعترض

علينا بأنه إذن كيف أخبر إمامكم فلان بقضية كذا ثم لم تحصل وكيف أخبر إمامكم فلان بقضية كذا ثم لم تحصل ؟ فنجيب بأن

اطلاع الأئمة (عليهم السلام) على علم الغيب يكون في دائرة محدودة ، وهو الغيب الذي لا يكون مختص بالذات الإلهية ، وهذا

الغيب قد يحصل فيه التغيير التبدل وهو البداء ، فيأتي نقاشهم بأنه أنتم تفترون وتكذبون وأئمتكم لا يعلمون الغيب ، وإنما هذا

اعتذار منكم إلى آخوه .

على كل حال هذه مشكلة ثانية تتعلق بما تعتقده الشيعة بالنسبة إلى الأئمة من أنهم يعلمون الغيب ، ونحن نناقش قضية البداء

، وهذا يعتبر موضوع ثان مستقل وإن كان له علاقة بالموضوع الأول .

السائل : أن قدّمت لكم وقلت لكم الآن المطروح في الشبهات هو هذا الرابط ، يعني نحن وجدنا في كتب السنة أن الدعاء

والصدقة يعوّان هذا ، ويعتفون بهذا . ولكن هم نتيجة ربطهم دائماً الآن في كتب السنة في كتب إحسان الهي ظهير وابن

تيمية وغوهم هذا الرابط هو أنه يعتبرون البداء شيئاً أساسياً بالنسبة للإمام ، وطرحنا لفكرة البداء لاثبات الإمامة .

الجواب : إذا تمكنا من خلال البحث من إثبات الاعتقاد بالبداء بأنها قضية ضرورية لا يمكن التزلز عنها ولا يمكن الخدش

فيها ، حينئذ رُضية هذا الاشكال تندفع : وذلك لأن قضية البداء قضية حتمية ، حتى أنتم تعتقدون بها ، إذن لا يمكنهم حينئذ أن يعترضوا ويستشكلوا على الشيعة بأنه أساساً اقتراح فكرة

الصفحة 131

البداء إنما هي لكذا وكذا من الأمور التي يذكرونها ، إذن إذا تمكنا من إثبات ضرورة قضية البداء حينئذ لا تبقى رضية لهذا الاشكال .

السائل : يبقى تليخ المسألة الذي ذكرتموه من أنه في زمن المختار ولكن تبقى هذه المسألة في تليخنا هي نفسها ، فأيهم صادق هذا الذي ادعى في زمن المختار أو أن أئمتنا صادقون ؟

أنتم تفضلتم أن هذه تبقى مسألة أخرى ، أقول هذه المسألة الأخرى مرتبطة ، أنتم طرحتوها في تليخ السلسلة التليخية ، أئمتنا يدعون البداء عنواً من الادعاء ، نقول إنهم يقولون بالبداء ، والذين في زمن المختار أيضاً يقولون بالبداء ، هذا الذي طرحتوه في روايتي ابن الخطاب وعبد الله ، هذه يجب أن نناقشه هل هو صحيح أم لا ، فأنتم تقولون الصغوى غير الكوى ، وأنتم في المحاضرة الثانية قلتم هناك بحث تحليلي عقلي ؟

الجواب : نحن أثبتنا قضية البداء كبحث عقلي صرف مع قطع النظر عن روايات أهل البيت (عليهم السلام) فلا يبقى مجال لهذا الاشكال الذي أوروه .

السائل : يبقى أنه من هو الصادق ؟

النجاتي : في ماذا ؟

السائل : الأئمة صادقون أو اولئك ؟ كيف نثبت أن الإمام صادق ؟

النجاتي : صادق في ماذا ؟

السائل : أنه يدعي أن هذه المسألة في الصغوى .

النجاتي : هذا يبقى موضوع آخر أن أئمتكم لما يقولون بدا الله فهل واقعا بدى الله أم لا ؟ مثلاً الإمام الصادق كان جاهلاً من

الإسباس بإن إسماعيل ليس بإمام وتبين أنه ليس إماماً أم أنه ليس بجاهل من الأساس ؟

السائل : أنا متفق معكم وهذا بحث آخر ، ولكن أقول هذه هي الشبهة الأساسية في البداء ؟

الصفحة 132

النجاتي : هذه ليست شبهة أساسية في البداء .

السائل : أقول هذا هو الوبط الآن في كتب السنّة ، يعني هذه تأتي مباشرة ، تأتي الشيعة يدعون البداء ثم تأتي هذه .

النجاتي : لا بأس يجب أن يكون هناك بحث حول قضية علم الغيب عند الأئمة (عليهم السلام) ومن ثم يطرح هذا الموضوع

، على أنه لا يوجد إشكال للتعرض لهذا الموضوع ، ولكن معلوم أن محاضرتين لا تكفيان للتعرض إلى جميع هذه المطالب .

سؤال : نعوض بخدمة الشيخ الإشكال الذي نريد أن نذكره أنه لعل الذي تفضل به الشيخ الآن الجماعة رأساً مباشرة

يربطون القضية بالأئمة ، وكذا لعلّ هذا من جملة تعريفات الموجودين فعلاً ، وربط القضية بمصاديق حتى يعرفون الرأي العام عن بحث الموضوع بشكل كامل وبشكل كبروي ، وهو رفع الشبهة عن الله عزّ وجلّ ، فإذا رفعت الشبهة عن الله حينئذٍ الشبهة عن الأئمة أيضاً ترتفع ، مثلاً تعيين العصمة أو ما شابه ذلك تحل المشكلة ، ولعل ربط القضية مباشرة أنه أنتم تقولون بالبداة إذن نشكل على أئمتكم ، هذه القضية تصير قضية تحريف وتروير على الشيعة في سبيل التنقيص من شأنهم وما شابه ذلك .

فأعرض بخدمتكم . شيخنا . بالنسبة إلى بعض الروايات التي وردت حول ليلة القدر متعلضة فيما بينها ، لو جاءت رواية مثلاً تقول بأنه في ليلة القدر لا يوجد تغيير يحدث في ليلة القدر ، وعلى الرواية التي تفضلتم بها أنه يتغير ولا وثانياً إلى خامساً وسادساً . هذه قد لا تنافي ، لكن الرواية التي تقول لا يمكن التغيير فحينئذٍ يأتي هذا الإشكال وهو أنه قبل لا تصل النوبة حتى نقول لا تصل النوبة إلى التعرض .

نقول بأنّ هذه الروايات قد يشكل فيها الأمر ، لأنه إذا كل شيء يقدر في ليلة القدر ، وهذا التقدير لا يتبدل حينئذٍ الدعاء لا ينفع ، لأنّ كل الإشكالات تأتي ، إذن هذه الروايات يجب أن نودها رأساً قبل الوصول إلى مرحلة التعرض ،

الصفحة 133

وحتى لو كانت الدائرة محدودة وليست دائرة عامة ، فلو فرضنا أن الروايات التي تقول في عدم التغيير في مجال مخصوص ، وليس في جميع المجالات ، حينئذٍ العبد حينما يدعو لا يبوي أنّ هذا الذي يدعو فيه هل هو من المجال الذي لا يتغير ولو في الجملة أم لا ؟

أقول مرة الروايات تدلّ على عدم تغيير ما يقره الله عزّ وجلّ ويكتبه في ليلة القدر ، لا يتغير أصلاً ، وفي جميع المولد من رزق وموت وإحياء وغيره ، ومرة يقول لا ، في الجملة بعض المولد لا تتغير ، حينئذٍ بناء على الأول فالإشكال واضح ، وهو أنه سعة دائرته بناء على الثاني حينما العبد يدعو لا يبوي هذا من أي دائرة فهل هو من الدائرة التي تتبدل فيها الأمور أم من الدائرة التي لا تتبدل نهائياً؟ وهل يكون دعاءه مفيداً أو لا ؟

الجواب : كلام جيد من أنه الروايات التي تضمنت أن ما يقدر في ليلة القدر هو من القضاء المحتوم الذي لا يتغير ولا يتبدل ، أن هذه الروايات لا يمكن القبول بها باعتبار أنها تتعرض مع ما هو من المسلمات تقويها ، ومن جملة ذلك أن الدعاء يؤثر ، والصدقة تؤثر ، وأن أفعال البر تؤثر ، حتى إن بعض الروايات بأن العبد إذا ما قال سأفعل كذا فعلية أن يقول إن شاء الله ، ففي بعض الروايات أن نفس استعمال هذه الجملة يؤثر ، وسائر أفعال البر تؤثر . فإذا بنينا على أن ما يقدر في ليلة القدر بتمامه يكون من القضاء المحتوم إذن لا يبقى معنى لأن يدعو العبد ويتصدق ويفعل الخير ويعين الضعفاء والقواء وما إلى ذلك .

هذا كلام جيد وأنا قلت بأنّ هناك تعرضاً بين الروايات التي تدلّ على أن ما يقدر في ليلة القدر على قسمين : منه ما هو محتوم ومنه ما هو ليس بمحتوم ، وبين الروايات التي تدلّ على أن كل ما يقدر في ليلة القدر محتوم والروايات الأخرى

تعرض ، وهذا التعرض والتكاذب بين هاتين المجموعتين من الروايات موجود ، أمّا أنه في مقام التّوجّح هل نوجّح هذه الروايات على تلك أم بالعكس ؟

الصفحة 134

الجواب لعلّه من الواضح أنّه يجب توجّح النصوص التي تدلّ على أنّ ما يقدر في ليلة القدر ليس كله محتوماً بل بعضه محتوم وبعضه غير محتوم ، والدليل على ذلك واضح ، وهو ما أثرت إليه من أنّه إذن لا يبقى معنى لكذا وكذا ، مضافاً إلى أدلّة أخرى تمنع من الالتوّم بأنّ ما يقدر في ليلة القدر بتمامه وكماله محتوم .

وإنّما عرّنا بالتعرض هنا باعتبار أنّ التعرض كما يقولون في علم الإصول من شروطه أن يتم مقتضى الحجية في الطائفتين المتعرضتين ، والمقتضى في الطائفتين هنا تامّ في حدّ نفسه ، يعني الروايات التي تدلّ على ما يقدر في ليلة القدر بتمامه محتوم ، المقتضى للحجية في هذه الروايات تام ، وإنّما لا يمكن التصديق بهذا المضمون بلحاظ وجود روايات أخرى تدلّ على تأثير الدعاء وتأثير الصدقة وتأثير كذا إلى آخوه ، فلو لا هذه الروايات التي تدلّ على مؤثريّة الدعاء والصدقة وما إلى ذلك لكان المقتضى لحجية الروايات التي تدلّ على أنّ ما يقدر في ليلة القدر بتمامه حتمي وقطعي تاماً .

الصفحة 135

بداية النوبة ٦٥

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلّاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين سيّما بقية الله في أرضه وحبّته على عباده عجلّ الله تعالى له الفوج وجعلنا من أنصروه وأعوّاه .
بدأنا في البحث حول عقيدة البداء ، وذكرنا ثلاث نقاط حول الموضوع ، والنقطة الرابعة من النقاط التي نذكرها لواسة الموضوع نحاول فيها أن نثبت أنّ عقيدة البداء كما تعتقد بذلك الشيعة الإمامية ، عقيدة ضرورية لا بدّ منها ، والدليل قائم عليها حتّى إذا فرضنا عدم وجود روايات من قبل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تدلّ على ذلك ، وهذا الاستدلال نبينه ضمن خطوات ثلاث :

النقطة الأولى في أنّ الله تعالى حكيم

الخطوة الأولى هي : إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ الله سبحانه وتعالى حكيم في جميع أفعاله ، والاعتقاد بحكمة الله سبحانه وتعالى من فروع الاعتقاد بعلم الله سبحانه وتعالى ، يعني من لوازم العلم الإلهي والاعتقاد بالعلم الإلهي الاعتقاد بالحكمة الإلهية ، والمقصود بأنّه حكيم جلّ وعلا أنّه يفعل الأصلاح ، والحكمة في الإنسان تختلف عن الحكمة في الله ، الحكمة بالنسبة إلى الإنسان غاية الفاعل ، وبالنسبة إلى الله غاية الفعل ، يعني كما يذكر الحكماء : أنّ الله سبحانه وتعالى فاعل بالعناية ، حكمته تكون حكمة بالعناية ، فعل الله ليس لغرض يعود إليه ، وإنّما إيصالاً للعباد إلى ما هو الأصلاح لهم ، وما هو الأنفع لهم ، وسوقاً

لهم نحو الكمال ، فالغايات هي غايات للفعل لا للفاعل في حكمة الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه وتعالى حكيم بهذا المعنى .

الصفحة 136

أما بالنسبة إلى الدليل العقلي على حكمته تعالى فالأدلة المذكورة في الكتب الفلسفية والكلامية كثيرة جداً ، لكن المفروض أننا في هذا الخطاب نخاطب إخواننا السنة من المسلمين الذين يعتقدون بما جاء بالكتاب العزيز ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه في آيات كثيرة جداً بأنه حكيم ، ونقواً في سورة الدخان : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (1) .

إذن خلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الموجودات لم يكن بغرض اللعب والعبث ، إنما لحكمة رامها الله سبحانه وتعالى ، فكلّ نظام الوجود بأسوه إنما أُوجد لحكم ومصالح ، ومتى ما دار الأمر بين فعل الصالح والأصلح فمن الضروري أن يختار الأصلح والأيّام كما ذكروا ترجيح العروج على الراجع ، وهو ما لا يصدر من الإنسان الحكيم فضلاً عن الله سبحانه وتعالى الذي هو في أعلى مراتب الحكمة .

على أنه مع قطع النظر عن أنّ الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه حكيم في آيات كثيرة من الكتاب العزيز ، وأن هذه الآية التي وأناها من سورة الدخان والتي تكرّرت في سورة الأنبياء (2) أيضاً والتي نفى فيها الله سبحانه وتعالى اللعب في خلق السموات والأرض ، مع قطع النظر عن هذا كُله فالتأمل في هذا الوجود الواسع وما فيه من النظم البديع المذهل الذي يكشف العلم يوماً بعد يوم صفحة جديدة من صفحات هذا النظام البديع الحكيم ، هذا بنفسه يكفي لإثبات أنّ الموجد حكيم وأنه عليم ، وأنه أُوجد هذا النظام بآتم العلم والحكمة .

فإذن الخطوة الأولى تقول بأنّ الله سبحانه وتعالى حكيم ، بل هو في أعلى مراتب الحكمة ، بدليل تصريح الكتاب العزيز بذلك ، ودلالة العقل أيضاً على ذلك .

1- الدخان : ٣٨ - ٣٩ .
2- الأنبياء : ١٦ .

الصفحة 137

النقطة الثانية إن أفعال الله تعالى مقوّرة

الخطوة الثانية : أنه إذا اعترفنا بأنّ الله سبحانه وتعالى حكيم ، فالحكمة تقتضي أن يجعل لكلّ شيء تقدوا معيناً ، يعني إذا كان الله سبحانه وتعالى حكيماً في أفعاله فهذه الحكمة تقتضي أنه بالنسبة لكلّ أمر من الأمور يفعل ما هو الأصلح ، كما أنه بالنسبة إلى أصل إيجاد هذا النظام وهذا الوجود راعي الأصلح في تكييف هذا النظام ، وتأخير بعض الأشياء فيه ، وتقديم بعض الأشياء فيه ، وتوجيه بعض الأشياء فيه إلى آخره ، أيضاً يكون حكيماً ويفعل الأصلح إذا كان في إيجاده وخلقه للإنسان حكيماً ، فإذا كان في خلقه مثلاً لؤيد من الناس راعي الحكمة وفعل الأصلح بالنسبة إلى عمر هذا الإنسان أيضاً راعي الحكمة بالنسبة إلى سائر شؤون هذا الإنسان .

بعبرة أخرى الحكمة تقتضي أن يجعل لكل شيء قفرا ، أن يجعل لكل شيء تقديراً معيناً ، هذا مقتضى الحكمة ، الإنسان من ناحية عمره ، ومن ناحية رزقه ، ومن ناحية ابتلاءاته ، ومن ناحية رخائه ، ومن ناحية صحته ، ومن ناحية مرضه ، ومن ناحية ثروته ، ومن ناحية قوه ، في كل شؤون الإنسان لابد وأن يكون لله سبحانه وتعالى تقديراً معيناً ، هذا ما تقتضيه الحكمة ، ولا يمكن أن نفترض الاعتراف بأن الله سبحانه وتعالى حكيم من دون أن نعترف بأنه جعل لكل شيء قفرا ، فالحكمة الإلهية تقتضي أن يكون لكل شيء تقدير معين .

وهذه الخطوة الثانية ، وما تضمنته هذه الخطوة الثانية مهم في الاستنتاج الذي نريد أن نستنتجه من عملية الاستدلال ولها دور مهم كما سيتضح فيما بعد ، يعني الحكمة الإلهية تقتضي أن يكون لله سبحانه وتعالى في كل شيء تقديراً معيناً وحتى تتضح الفكرة نذكر مثلاً توضيحياً رب البيت باعتبار أنه هو الذي يدبر شؤون البيت ، وباعتبار أنه عاقل ويدبر شؤون البيت بالحكمة والعقلانية فمن

الصفحة 138

الضروري أن يجعل لجميع شؤون البيت تقديراً معيناً ، وظائف الأولاد ، وظيفة الزوجة ، الإبرة الداخلية لشؤون البيت ، فلان يقوم بكذا ، وفلان يقوم بكذا ، وفلان يكون وقت نومه ساعة كذا ، وذهابه للعمل في ساعة كذا ، ووقت الواسة في يوم كذا ، وفي ساعة كذا ، تجد أنه يعين لكل شيء تقديراً معيناً فما بالك بالله سبحانه وتعالى الذي هو في أعلى مراتب الحكمة . فحكمة الإنسان لا تقاس بحكمة الله ، فالحكمة الإلهية تقتضي أن يكون لكل شيء تقديراً معيناً ، فالصفحة ليست بخالية ، ولا يتوهم أحد أنه مثلاً بالنسبة إلى عمر الإنسان ما المانع في أن نفترض أن الصفحة خالية فعلاً ولا يوجد تقدير معين ، إذا صدرت منه أعمال البر فيتعين عمره على ضوء ما يقوم به من أعمال البر ، وإذا صدرت منه الشرور والمعاصي حينئذ يتعين عمره على ضوء ما يصدر عنه من الشرور والمعاصي ، لا ، لا يمكن أن نفترض أن الصفحة خالية ، الصفحة مرسومة ومعينة بالنسبة إلى جميع شؤون الإنسان ، وجميع شؤون الخلق ، وجميع شؤون السموات والأرض ، وما فيهن وما بينهن . يعني هناك صفحة أولية مونة لكل شيء ، هناك تقدير أولي لكل شيء وفق الوضع الفعلي للأشياء ، لكل موجود هناك تقدير معين ، ولا يمكن أن نفترض أن الصفحة تكون خالية بالنسبة إلى شؤون الخلق ، شؤون الإنسان ، غير الإنسان من الموجودات والخلائق ، الصفحة مملوءة ومونة لكل شيء هذا مقتضى الحكمة الإلهية كما قلت .

النقطة الثالثة الدعاء يغير قدر الإنسان

الخطوة الثالثة : أننا أومنا مثلاً بالدعاء والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (1) وآيات أخرى ،
والروايات الكثيرة المتوازية في

1- غافر : ٦٠ .
2- الاعراف : ٥٥ و٥٦ و١٨٠ .

هذا المجال عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الأئمة (عليهم السلام) كذلك ، بل وسورة المسلمين الجلية على التوجّه إلى الله بالدعاء في مختلف المواقف ، وفي مختلف الأمكنة والأزمنة ، بل ظاهرة الدعاء لا تختص بالمسلمين أساساً وإنما هي موجودة في جميع الأديان السماوية ، بل لا تختص بالأديان السماوية إذ نجد حتى المشوكين يتوجهون إلى أصنامهم بالدعاء إلا الملاحدة وما شاكلهم .

ظاهرة الدعاء منتشرة في الأمم وبطبيعة الحال الدعاء يعني أنّ هناك استجابة ، لا أقول في كلّ دعاء إنما أقول إن هذا يدل على أنّ الدعاء يمكن أن يتوتّب عليه الأثر ، ويمكن أن يغيّر وضع الإنسان ، فإذا دعى أن يختم الله سبحانه وتعالى له بالسعادة ، وأن يوسّع له في الرزق ، وأن يرزقه الأولاد ، وأن يرزقه النزيّة الصالحة ، وأن يعافيه من الأمراض إلى آخه . فمن القضايا التي لا يمكن الترديد فيها أنّ الدعاء يمكنه التغيير في وضع الإنسان ، لا بفعل الإنسان ، بل بفعل الله يكون هذا التغيير ، وإن كان مقدّمة هذا التغيير تكون بالدعاء ، وهكذا بالنسبة إلى سائر أفعال البرّ والخير ، وبالعكس المعصية وفعل الشرور يمكن أن تتوكّ أثراً سيئاً في وضع الإنسان ، تُغيّر وضع الإنسان إلى الأسوأ ، تسلب النعم من الإنسان ، يضيق الرزق على الإنسان وما شاكل ذلك .

والروايات في هذا المجال كثيرة من طوق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، لكنني لا أريد أن أقرأ الروايات الواردة من طوق أئمتنا (عليهم السلام) ، وإنما أريد أن أقرأ بعض الروايات من طوق إخواننا السنّة فقط ، رواياتهم في هذا المجال كثيرة جداً وساقطصر على روايتين فقط من تفسير القوطي ، ينقل عن الصحيحين ، هذه الرواية أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : «من سوّه أن يبسط له في رزقه وينسى له في أوّه

الصفحة 140

أي الأجل فليصل رحمه»⁽¹⁾ ، هذه الرواية تتعلّق بقضية الرزق وزيادة العمر ، وهناك روايات كثيرة قبيحة المضمون من هذه ، بعضها وردة في قضية طول العمر ، وبعضها وردة في قضية الرزق ، وبعضها وردة في شؤون أخرى .
أمّا بالنسبة إلى المعاصي نوأ هذه الرواية التي رواها ابن حنبل والنسائي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : «إنّ الرجل ليحرم الرزق ، بالذنب ، ولا يردّ القدر إلاّ الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلاّ البرّ»⁽²⁾ ، وبهذا المضمون في رواياتنا أيضاً ، يعني ورد الشيء الكثير من أنّ المعصية توجب ضيق الرزق وقصر العمر ، وهكذا بالنسبة إلى قطع صلة الرحم وأمور أخرى كثيرة .

إذن الذي نريد أن نقوله هو أنّه لا ريب في أنّ هناك أموراً من أفعال البرّ تتوكّ أثراً إيجابياً على وضع الإنسان ، وهناك معاصي وشرور يمكن أن تتوكّ أثراً سيئاً على وضع الإنسان ، وفي الأدعية الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) السؤال من الله سبحانه وتعالى أنّه إذا كان مكتوباً من الأشقياء يسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتبه من السعداء ، وهذا المضمون ورد عن عمر أيضاً أنّه كان يطوف حول البيت ويقول هذا الدعاء⁽³⁾ .

على كلّ تقدير هذه القضية لا يمكن الترديد فيها من أنّ هناك أموراً يمكن أن تؤثر في تغيير تقدير الإنسان ، وبطبيعة الحال

التغيير لابدّ وأن يكون إلى الأصلح باعتبار أنّ التقدير الفعلي للشخص إذا كان مثلاً مكتوباً له أن يعيش إلى خمسين سنة فتغيير هذا التقدير إلى تقدير آخر بسبب فعل المعاصي أو بسبب فعل الخير لابدّ وأن يكون تغييراً من الوضع الفعلي إلى ما هو أصلح ، وعلى بعض الآراء إلى ما يكون صالحاً بقوة الصلاح الذي يكون في تقوده الفعلي ، وإن كان هذا

- 1- تفسير القرطبي ٨ : ١٣٧ .
- 2- مسند أحمد ٥ : ٢٧٧ ، ٢٨٢ .
- 3- كنز العمال ٢ : ٦٧٤ ، ح ٥٠٢٧٤ ، و ٦٧٦ ، ح ٥٠٤٥٥ .

الصفحة 141

الرأي طبعاً محل نقاش من أنه بالنسبة إلى المتساويين في المصلحة يمكن اختيار أحدهما أم لا ؟
لكن بعض الآراء تقول بأنه يمكن اختيار أحد المتساويين في الصلاح ، ويمكن توجيح أحد المتساويين على الآخر ، لكن هذا نزاع فلسفي كلامي لا تويد الدخول فيه فعلاً .
على كلّ تقدير التغيير يجب أن يكون من التقدير الفعلي للشخص إلى ما هو الأصلح أو إلى ما يساويه في المصلحة ولا يكون إلى ما نونه في المصلحة ، طبعاً بلا اشكال فإنّ ذلك ينافي الحكمة الإلهية .

النقطة الرابعة التغيير في التقدير لا يستلزم الجهل

الخطوة الرابعة : في هذا الاستدلال نقول بأنّ التغيير في التقدير لا يستلزم الجهل ، يعني إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قدرّ ولأأن يكون عمر زيد خمسين سنة ، ثمّ تُغير هذا التقدير إلى أربعين سنة بسبب قطع صلة الرحم ، فهذا لا يعني أن الله سبحانه وتعالى كان جاهلاً بأنّ الأصلح لهذا الإنسان أن لا يعيش أكثر من أربعين سنة ، وانما في ظرفه السابق قبل أن يقطع الصلة الأصلح له أن يعيش إلى خمسين سنة ، وفي ظرفه الفعلي الأصلح له أن يعيش إلى أربعين سنة ، وكلّ من التقديرين موافق للعلم وموافق للحكمة ، وهو الذي يوافق الأصلح بالنسبة إلى هذا الإنسان . ولا يكون أحدهما عن علم والآخر عن جهل

بل هذا يمكن أن نعيشه ونلمسه في الوضع الشخصي أيضاً ، فقد نصمّم أن نتصرف مع الشخص الفلاني بهذا الشكل ثمّ يتغيّر تصميمنا إلى أن نتعامل معه بشكل ثان ، لا عن جهل فيما مضى بوضع هذا الإنسان ، بل لأنّ وضع هذا الإنسان تغيّر سابقاً كان كذا والآن وضعه صار أحسن من السابق فاحترمه بأكثر من القدر الذي كنت احترمه سابقاً ، وقد يكون الأمر بالعكس ، وهذا لا يعني أنّ التصرف السابق كان عن جهل أو أنّ هذا التصرف الفعلي عن جهل .

الصفحة 142

فتغيير التقدير وتغيير التعامل لا يعني الجهل مطلقاً ، بل التقدير الأول يكون عن علم وحكمة ومصلحة ، والتقدير الثاني أيضاً يكون عن علم وحكمة ومصلحة ، فتغيير التقدير لا يعني إطلاقاً الجهل .

والانصاف أن يقال بأنّ الذين اعترضوا على قضية البداء بأنها تستلزم الجهل هذا الاعتراض ناشيء من الجهل بحقيقة البداء ، وحقيقة ما تعتقده الشيعة في قضية البداء ، وإلا لو درس الموضوع بشكل دقيق لما اتهمت الشيعة بأنّ اعتقادهم بالبداء

يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى .

قضية البداء هي كسائر القضايا العقلية ، يقول الحكماء أنّ تصوّر القضية يكفي في التصديق بها ، والتصديق لا يحتاج إلى إقامة دليل ، إنّما المهم أن نمتلك تصوّرًا صحيحًا عن الموضوع ، فإذا ما تصوّرنا الموضوع بالشكل الصحيح حينئذ التصديق لا يحتاج إلى إقامة الدليل .

نتيجة المقدمات الأربعة الآتية

من خلال هذه الخطوات الأربعة نستنتج أنّ الاعتقاد بالبداء أمر ضروري أصلاً ، وخلاف هذا المعنى . يعني نفي البداء عن الله سبحانه وتعالى . يستلزم نسبة الجهل إليه سبحانه وتعالى ، ونفي الحكمة عنه سبحانه وتعالى ؛ إذ كيف يمكن أن يكون الله سبحانه وتعالى قد قدر لهذا الإنسان ضيق الرزق مثلاً في الوقت الذي كان هذا الإنسان متورطاً في المعاصي ، لكنه أصلح نفسه واقترّب إلى الله سبحانه وتعالى وغير وضع نفسه ، يبقى ذلك التقدير على ما هو عليه ، وهذا خلاف الحكمة ؟

إذا ابن الإنسان مثلاً لم يكن سلوكه بالنحو المرضي للإنسان ، الأب قد يتعامل معه بشكل معين فإذا فرضنا أنّ هذا الابن أصلح وضعه وتغيّر إلى الأحسن ، لكن الأب بقي مصوراً على أن يتعامل معه بالشكل السابق ، فالعقلاء يعدون هذا الأب إنساناً جاهلاً وغير حكيم في تصرفاته ، الحكمة تقتضي أن يتغيّر التقدير

الصفحة 143

بحسب تغيّر الوضع الفعلي للموجود وللشخص أو الموجود الذي يتعامل معه الإنسان ، وهكذا بالنسبة إلى الله مع مخلوقاته ، فالحكمة تقتضي أن نعتقد بالبداء عند الله سبحانه وتعالى ، يعني الاعتقاد بالحكمة الإلهية تؤمننا وتضطرنا إلى الاعتقاد بأنّ الله سبحانه وتعالى عنده بداء ، وهو حاصل لامحالة ، ونفي البداء عنه . كما قلت . مستلزم لنفي الحكمة عنه تعالى ، ومستلزم لنسبة الجهل إليه سبحانه وتعالى .

أعتقد من خلال هذه الخطوات يمكن أن نقيم الوهان العقلي الواضح لاثبات قضية البداء من دون أن نستعين بتاتاً لا بقوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أَمَ الْكِتَابِ ﴾⁽¹⁾ ، ومن دون أن نستعين بالنصوص الكثيرة الواردة عن طريق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والتي تنصّ وتصرّ على قضية البداء ، ومن هنا قد نفهم معنى : « ما عبد الله بشيء مثل البداء »⁽²⁾ ، والروايات الأخرى التي قرأناها في البحث الماضي والتي عظمت من شأن البداء غاية التعظيم ، وأنه لو عرف الناس ما في البداء ما فترّوا عن الكلام فيه ، لأنّ الاعتقاد بالبداء يعني الاعتقاد بأنّ الله في أعلى مراتب الحكمة وفي أعلى مراتب العلم ، ونفي هذا الاعتقاد يعني نسبة الجهل إلى الله سبحانه وتعالى ، وتفتيق البري سبحانه وتعالى عن المقام الأسمى الذي هو فيه .

فإنّ الاعتقاد بالبداء قضية ضرورية لا يمكن أن يفترّ منها إنسان منصف بعد أن يتصوّر الموضوع تصوّراً دقيقاً .

هذا بالنسبة إلى أصل القضية ، لكن تبقى هنا عدّة أسئلة ملحة لا بدّ من الإجابة عنها ، نخصّص لها النقطة الخامسة .

1- الرعد : ٢٩ .

2- أصول الكافي ١ : ١٤٦ ، توحيد الصدوق : ٣٣٢ ، شرح أصول الكافي ٤ : ٢٤٠ .

النقطة الخامسة وفيها الإجابة عن بعض التسؤلات

ومن هنا ندخل في النقطة الخامسة التي نريد أن نجيب فيها على بعض الأسئلة الملحة التي تحتاج إلى الجواب :

السؤال الأول : إنه يقال : أذعننا بقضية البداء وأنه من الضروري الاعتقاد بها إلا أن هذا التعبير أعني تعبير بأنه بدأ الله كما هو ورد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) تعبير غير متون ، تعبير لا يليق بالله سبحانه وتعالى ، والمفروض أن يعبر عن تلك القضية بغير هذا التعبير ، فلم التعبير بالبداء لله ؟ حتى يأتي بعض العلماء من الشيعة ويقول المقصود بالبداء هو الإبداء ، لم لم يختار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تعبوا يكون خاليا عن الإشكال ؟ ونجيب عنه بجوابين :

الجواب الأول : إن هذا التعبير ورد في كتب أهل السنة أيضا ، ونقلت في الليلة الماضية أن الشيخ المفيد (رضي الله عنه) في شوحه على اعتقادات الصدوق ذكر أن السنة لا يمكنهم أن يختلفوا معنا في قضية البداء إلا في إطلاق اللفظة ، حيث إننا نطلق مصطلح البداء لله وهم يمتنعون عن ذلك .

أقول تعقيباً على كلام الشيخ المفيد : حتى على مستوى اللفظة هذا التعبير ورد في أمهات كتب الحديث لإخواننا السنة ، جاء في صحيح البخاري الذي يقولون فيه بأنه هو ثاني كتاب بعد كتاب الله العزيز ، وأن كل ما فيه صحيح بحسب الاعتقاد الشائع بينهم ، وأن كان هناك طائفة من العلماء منهم خصوصاً بعض المعاصرين يشككون في هذه القضية ورفضون هذا الكلام ، ويقولون : صحيح البخاري كتاب يجب اخضاع الروايات الواردة فيه لعملية النقد السندي ، ولا نقبل بأن كل ما في هذا الكتاب صحيح .

على كل تقدير سواء أقلنا بأن كل ما في البخاري صحيح أم أنكرونا هذه الدعوى ، لأن هذه الرواية التي نؤاها متفق على صحة سندها ، بمعنى أن جميع رجال سند هذا الحديث ثقات بالاتفاق بينهم ، بحسب شهادات أئمة الجرح

والتعديل منهم ، هذه الرواية إسنادها صحيح سواء أقلنا بأن كل ما في صحيح البخاري صحيح أم لم نقل بهذا الكلام ، الرواية نؤاها من صحيح البخاري ⁽¹⁾ يعني بحسب هذه النسخة الموجودة عندي مذكورة في الجزء الثاني (ص ٤٩٤) ويسوق السند إلى أبي هريرة أنه حدثه أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : «إن ثلاثة في بني إسرائيل أروص وأقوع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملك ، فأتى الأروص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن قد قفوني الناس .

قال : فمسحه فذهب عنه ، فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا .» إلى آخر الرواية ، والرواية طويلة ، ومضمون الرواية لا يهتَمنا إنما المقصود الاستشهاد بهذه الجملة الواردة في صدر الحديث أنه ثلاثة في بني إسرائيل أروص وأقوع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم ، يعني إذا كان هناك اعراض على أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم لم عبروا ب (بدا لله) وأن هذا كأنه يلح إلى أن الله كان جاهلاً بهذا الشيء قبل أن يبدو له ، فهذا التعبير ورد في صحيح البخاري كما لاحظتم ، وإذا كانت هناك

خولة في هذا التعبير فالتعبير ورد في صحيح البخاري هذا أولاً .

وثانياً : في مسند ابن حنبل ⁽²⁾ بحسب هذه الطبعة الموجودة عندي ج ٢ ص ١٧٥ يسوق السند ابن حنبل إلى أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال : «جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة ، فسمعه وهو يحدث في الآيات أن أولها خروج الدجال . قال : فانصوب النفر إلى عبد الله بن عمرو أو عبد الله بن عمر فحدثوه بالذي سمعوه من مروان في الآيات فقال عبد الله : لم يقل مروان شيئاً ، قد حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مثل ذلك حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج

1- في النسخة التي اعتمدها من البخاري ٤ : ١٤٦ .
2- في النسخة التي اعتمدها من مسند أحمد ٢ : ٢٠١ ، مجمع الزوائد ٨ : ٨ .

الدابة ضحى ، فأيتها ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أژها ، ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب : وأظن وألاها خروجاً طلوع الشمس من مغربها : وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الوجود ، فأذن لها في الوجود حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل . . « إلى آخر الحديث .
موضع الشاهد من هذا الحديث هذه الجملة أنه : «حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل» ، نجد أن هذا التعبير ورد أيضاً في هذا الحديث .

وهذه الرواية من ناحية السند صحيحة بحسب شهادات أئمة الحرح والتعديل من إخواننا السنة ، يعني جميع رجال السند ثقافت بحسب شهاداتهم ، طبعاً الرواية تضمنت بعض المضامين الخاصة ولسنا بصدد تصحيح أو تكذيب ما جاء في الحديث ، يعني مقصودي ما ذكر بشأن طلوع الشمس وغروب الشمس ، وآيات الساعة ، وما إلى ذلك ، وإنما المقصود الاستشهاد بورود هذا التعبير في هذا الحديث في كتبهم ، والرواية كما قلت صحيحة من ناحية السند باتفاق أئمة الحرح والتعديل ، رجال السند كلهم ثقافت .

الرواية الثالثة : أيضاً في مسند ابن حنبل ⁽¹⁾ في الجزء السادس في صفحة ٦٢٦ ، يسوق السند إلى أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «يجمع الله عز وجل الأمم في صعيد واحد يوم القيامة ، فإذا بدا لله عز وجل أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار ، ثم يأتي ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول : من أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون .

فيقول : ما تنتظرون ؟

فيقولون : ننتظر ربنا عز وجل .

قال : فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : كيف تعرفونه ولم تروه ؟

فيقولون : نعم ، إنّه لا عدل له ، فيتجلّى لنا ضاحكا فيقول : ابشروا أيها المسلمون ، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصونياً» هذا الحديث بتمامه .

موضع الشاهد من هذا الحديث هذه الجملة التي ذكرت في بداية الحديث أنّه : «يجمع الله عزّ وجلّ الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا لله عزّ وجلّ أن يصدع بين خلقه مثلّ إلى آخره» ، بدا لله هذا بحسب ما في بعض طبقات المسند ، في هذه الطبعة الموجودة ببدي ، ولعلّها الطبعة الأخوة ، ولعلّها خير طبعة مطبوعة لمسند ابن حنبل من ناحية التحقيق والعمل المبني على طباعة الكتاب بشكل ممتاز ، في هذه الطبعة يوجد في العبارة تغيير مع أنّه في بعض الطبقات الأخرى : «فإذا بدا لله عزّ وجلّ أن يصدع بين خلقه» ، في هذه الطبعة موجود : «فإذا بدأ الله عزّ وجلّ أن يصدع بين خلقه مثلّ لكل قوم ما كانوا يعبدون» . أعلّق على هذا التغيير بتعليقتين :

التعليقة الأولى : إنّه لا أوري ان هذا المحقق الدقيق النظر الذي لم يفته من أول الكتاب إلى آخره أن يشير إلى اختلاف النسخ أنّه جاء في النسخة الفلانية كذا ويشير إلى اختلاف النسخ ، هنا لم يشر على الأقل إلى وجود نسخة أخرى جاء فيها كذا

التعليقة الثانية : إنّ العبارة إذا ضبطت كما في هذه الطبعة لا تخلو عن ركاقة ، يعني التعبير إذا يكون بهذا الشكل : «فإذا بدا لله عزّ وجلّ أن يصدع بين خلقه مثلّ لكل قوم ما كانوا يعبدون» ، العبارة سلسلة وواضحة ، لكن إذا كانت العبارة كما في هذه الطبعة : «فإذا بدأ الله عزّ وجلّ أن يصدع بين خلقه مثلّ لكل قوم ما كانوا يعبدون» واضح أن العبارة تحتاج إلى تمحل ، يعني فيها شيء على

كلّ تقدير ، ولا أعلم هذا خطأ في الطبع أم أنّه وجد ذلك هذا المحقق في نسخة اعتمدها مضبوطة ، لكن كان من الواجب أن يشير إلى وجود نسخة أخرى ، وإن كان الذي يتوجّح في النظر أن العبارة السليمة : «فإذا بدا لله» لأنه : «فإذا بدا لله عزّ وجلّ أن يصدع بين خلقه» العبارة لا تكون سليمة .

وكيف كان هذه الروايات التي وجدناها في كتب إخواننا السنّة التي جاء فيها هذا التعبير أنّه : «فإذا بدا لله» فهذا التعبير إذن موجود في كتب أهل السنّة .

هذا الحديث السابق من ناحية السند يضعّفونه ، لأنه اشتمل على عمرة ، وهو رجل ضعّف من قبلهم ، واشتمل أيضا على علي بن زيد الذي وثّقه بعضهم ، وبعضهم ذكر أنه لا بأس به يميل إلى التشيع ، وبعضهم ذكر أنه متروك الحديث .

على كلّ حال هذا الحديث من ناحية السند لا يمكن أن نقول صحيح عندهم ، على الأقل من ناحية اشتماله على عمرة الذي

هو مضعّف عندهم ، وتبقى ملاحظات أخرى حول هذه الأحاديث الثلاثة ، ولا يسع الوقت للتعرّص لها ، ونكتفي بالنسبة إلى هذه الأحاديث بهذا المقدار .

هذا الجواب الأول عن هذا السؤال .

وهذا التعبير ورد في كتب إخواننا السنة أيضاً .

الجواب الثاني عن هذا السؤال : إنّه لم التعبير ب (بدا لله) في روايات أهل البيت (عليهم السلام) .

الجواب الثاني : وهو أنّ هذا التعبير لا بأس به ، وهو مستخدم ، وكثراً ما يقال ظهر لفلان الكتاب الفلاني أي صدر عنه ، فاستخدام اللام متعارف جداً ، هذا مستخدم في اللغة العربية ، وهذا التعبير منتشر ، و (بدا لله) أي منه أو ما عبر عنه في تعبير آخر أنّ البدء لله بمعنى إبداء من الله ، بدا لله أي بدا منه ، أي ظهر منه ما كان مكتوماً قبل أن يظهر منه ، يعني ما كان مكتوماً لغوه جلّ وعلا ظهر من الله ما كان مكتوماً لغوه قبل أن يظهر منه ، مثلاً في الوقت الذي كانت التقديرات ترى أنّ فلاناً

الصفحة 149

يموت خلال أيام نجد أنه يعمر خمسين سنة ، وهو في هذا العوض مثلاً .

بدا لله في الوقت الذي تشير التقديرات والتوقعات إلى خلاف ذلك ، توقعات الشيعة مثلاً أنّ إسماعيل هو الذي يخلف الإمام الصادق (عليه السلام) لكن زى أنّ إسماعيل يموت ، ويقال حينئذ ما بدا لله في شيء كما بدا في إسماعيل بمعنى أنّه ظهر منه ما كان خافياً لغوه .

إذن هذا التعبير لاخوذة فيه ، ولا يستبطن نسبة الجهل من ناحية لفظية ، أمّا من ناحية عقلية فقد بحثنا المسألة .

السؤال الثاني : وهو ما أثير في نهاية الجلسة المتقدّمة من أنّ الورد في كتب أهل السنة حينما يطعنون على هذه العقيدة أنّهم يقولون بأنّ الشيعة افتعلت عقيدة البداء كذباً ودجلاً للدفاع عن أمّتهم ، بملاحظة أنّ أئمة الشيعة كانوا يخبرون عن أشياء ثمّ لا تقع في الخرج ، فكانوا يعتنرون عن هذا الأمر بأنّه بدا لله في كذا ، مثلاً ورد أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أخبر أنّه إلى الستين يكون كذا ، وبعد الستين يكون الوخاء ، ثمّ لم يحصل الوخاء ، ووجه السؤال إلى الأئمة المتأخرين انه لم يحصل الوخاء ؟

فأجاب بعض الأئمة عنه إلى أنّه قتل الحسين (عليه السلام) .

وهذا المعنى موجود في رواياتنا ، وحصل الإخبار عن بعض الأمور وثمّ لم تحصل هذه الأمور في الخرج ، وجاء بأنّه بدا

الله في كذا فما هو الجواب عن هذا الطعن بأنّ عقيدة البداء عقيدة مفتعلة للتغطية على أخطاء إخبارات أئمة الشيعة ؟

أقول في الجواب : أمّا بالنسبة إلى عقيدة البداء فقد تبين من البحث الماضي أنّ الاعتقاد بالبداء ضرورة ، سواء أكنّا نعتقد

بإمامة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أم لا نعتقد ، هذه ضرورة عقلية قائمة تدلّ عليها البديهة العقلية والتأمل في النصوص

الشعرية أيضاً كما أوضحت في النقطة الرابعة .

وعدم وقوع هذه الأمور في الخرج ، ومن ثم الاعتذار عن هذه الإخبارات بأنه بدأ الله فيها كذا ، فلا يمكن أن نطعن بالبداء من خلال قضية هذه الإخبارات الصاورة عن الأئمة (عليهم السلام) ويقال بأن عقيدة البداء عقيدة مفتعلة ، في الواقع هذا كلام إنسان جاهل ، الإنسان الذي يطعن بهذه العقيدة بهذا الأسلوب وبهذه اللغة وبهذا المنطق إنسان جاهل ، لأنه كما قلت الاعتقاد بالبداء ضرورة لا ينكوها إلا إنسان جاهل أو غافل ، فيجب أن ننحى قضية البداء إلى جانب ولا نحشر مصير هذه العقيدة بالقضية الأخرى ، عقيدة البداء عقيدة مسلمة لا يمكن التخلي عنها .

أما أن الأئمة (عليهم السلام) حينما أخبروا عن بعض الأمور ولم تتفق في الخرج ثم حصل الاعتذار عن عدم وقوع هذه الأمور في الخرج بأنه بدأ الله كذا ، فهذا نقاش صغوي لا كبروي ، يعني هل تخلف الإخبارات واقعا من مصاديق البداء أم أخطاء ارتكبتها الأئمة ؟ هذا نقاش صغوي ورواسة لقضايا خرجية وقعت ، مثلاً ما صدر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان خطأ منه في الإخبار وجهل منه بالأمر أم أنه بالفعل حصل بداء ؟ هذا بحث صغوي كما قلت لا علاقة له بالبداء ، وإذا سئلنا أنه كيف تثبتون لنا أنه من البداء لا من الجهل ؟

نقول : هذا يعتمد على عرض الأدلة التي نعتمدها في إثبات مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) وصدقهم فيما يقولون ، وأنهم لا يخطئون وأنّ علياً مع الحق والحق مع علي وأنهما لا يفترقان ، واني ترك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وأنه أمرنا بالتمسك بكل ما يقولونه ، وأن نعتقد بصحة كل ما يقولونه ، وأن نعتقد بصدق كل ما يقولونه ، وأنهم لا يخطؤون إذ لا يمكن أن يجعل النبي أهل البيت (عليهم السلام) في عرض القوان وهم غير معصومين ، ولا يمكنه أن يأمرنا باتباع بما يمكن ويحتمل في حقه الخطأ والدجل والكذب والافتراء ، فهذه القضية الثانية يعني تنقيح الصوى فيها كما نقول ونعبر .

بعبرة اخرى تثبتت أنّ ما صدر من الأئمة كان من البداء ، ولم يكن من



الإخبار الخطأ ، ولم يكن من الدجل ، هذا يعتمد على الأساسيات الكثيرة التي نعتمدها في اتباع أهل البيت (عليهم السلام) من قبيل حديث الثقلين وما شاكل ذلك ، فهذه الشبهة مدفوعة تماماً ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الصفحة 152

الصفحة 153

الأسئلة والأجوبة

سؤال : عندما نقول إنّ الله تبارك وتعالى قدر لعبد ما أن يعيش ثلاثين سنة ، وبعد هذا ، قام العبد بفعل الخير والبرّ أو صلة الرحم فاقترضى أنّ الله تبارك وتعالى زاد في عمره عشر سنوات إضافية ، والسؤال أنّه في هذه الحالة هل هذا التقدير الذي حصل يعني ترتّب على أثر هذا الفعل الذي قام به العبد هل حصل في نفس ذلك الوقت أو الزمان الذي وقع فيه الفعل من العبد أم لا ، أنّه منذ البداية حيث إنّه في علم الله تبارك وتعالى أنّ هذا العبد في قوة ما من القوات سيقوم بفعل الخير والبرّ وعلى ضوء ذلك يزيد له أم لا ؟

الجواب : لا شكّ في أنّ الله سبحانه وتعالى كان يعلم بأنّ هذا الإنسان في زمان يقوم بفعل البرّ الكذائي ، هذا مفروغ عنه ، وهذا معلوم لله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق ، وكما أنّنا في الروايات في الليلة الماضية ، أما أنّ التقدير الفعلي لهذا الإنسان قبل أن يصدر ذلك البرّ منه فيكون بحسب وضعه الفعلي ، ولا يمكن أن يكون التقدير الفعلي هو ذلك التقدير الذي يتوقّف على شيء ليس بحاصل . فالتقدير الفعلي هو التقدير الذي يتناسب وينسجم مع الوضع الفعلي لهذا الإنسان ، وهذا التقدير بطبيعة الحال يتغيّر عندما يتغيّر وضع هذا الإنسان .

وإذا شئت أن تعبر بأنّ ذلك التقدير الثاني موجود الآن بنحو التعليق لا بأس ، لكن التقدير الفعلي لهذا الإنسان ليس أنّه يعيش مثلاً إلى أربعين سنة لا إلى خمسين سنة ، باعتبار أنّ التقادير الإلهية كما قلنا تبنى وتؤسس على وفق الحكمة وعلى أساس ما هو الوصل أم ما هو الأصلح بحسب وضع هذا الإنسان الفعلي .

السائل : نعم مولانا المقصود أنّه تبارك وتعالى بما أنّه يعلم ماذا سيحصل من هذا العبد فما المانع من أن يكون التقدير على سبيل المثال الفعلي كما سمّيته من الأول على أنّ الله تبارك وتعالى علف أنّ هذا العبد سيفعل كذا فقدر له ؟

الصفحة 154

النجاتي : هذا يرتبط بجانب من الجوانب التي حذفناها من البحث باعتبار أنّ الوقت لم يتسع ، ما هي الحكمة في الدعاء ؟

ما هي الحكمة في أنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بأفعال البرّ والخير والصلاح ؟

أساساً ما هي الحكمة في ذلك ؟

وما هي المصلحة التربوية الكامنة في هذه الأمور ؟

في الواقع إذا اعتقد الإنسان بأنّ التقادير الموجودة الآن لا تتغيّر ، فهذا يعني أنّ لا يكون للدعاء دور في حياة الإنسان ،

وأن لا يكون لأفعال الخير نور في حياة الإنسان ، وأن لا يكون لارتكاب الشرور نور في حياة الإنسان ، وبذلك يفقد الإنسان كزواً عظيماً يمكن أن يكون فاعلاً في بناء الإنسان كالدعاء وسائر أفعال البر والخير والصالح باعتبار أن الإنسان يعتقد حينئذ أن ما هو مقدر الآن لن يتغير .

السائل : نعم ، يتغير على ضوء دعائك ، ولكن في علم الله التقدير لا يتغير على ضوء الدعاء أو أعمال الخير ، ولكن في علم الله تعالى لا يتغير ؟

النجاتي : أنتم الآن عندما تطرحون هذا المعنى في الواقع تقولون ، لا يوجد مانع عقلي يمنع من اللوأم بأن ذلك التقدير الذي سوف يحصل بعد فعل الخير من هذا الإنسان لا يوجد مانع عقلي من أن يكون ذلك التقدير حاصل بالفعل قبل صدور الخير من ذلك الإنسان ، يعني تويدون أن تقولوا : بأنه لا يوجد استحالة عقلية تمنع من هذا الشيء .
أقول : إذن يجب أن نبنى على أنه كأن الله سبحانه وتعالى يقدر الأمور من الابتداء بشكل واحد ، وهذه التقادير لا تتغير ، إذا فرضنا أننا نعتقد أن التقادير الإلهية هي بهذه الصورة ، فإذا كان الاعتقاد هكذا ، فهذا يعني حذف الدعاء ؛ لأنه لا نور له باعتبار أنه يعتقد أن التقدير هو هذا لا يتغير ولا يغير أي سلوك مني ، أي تقدير من التقادير المقورة لي ، فالاعتقاد بثبات التقادير الإلهية يترك هذا الأثر

الصفحة 155

السلبى العظيم على حياة الإنسان .

سؤال : إذا افترضنا أن الله سبحانه وتعالى كان له واقعة في مسألة ما ، ولا يطلع أحداً عليها حتى الأئمة (عليهم السلام) ، ولم يكتبها في لوح المحو والإثبات كما ذكرت بالأمس ، ولكن الله سبحانه وتعالى عاد وبدا له في هذه المسألة وغورها ، هل نستطيع أن نصف هذه الحالة بالبداة أم لا ؟
بعبارة أخرى هل يشترط في كون المسألة بداء أن يكون الأئمة (عليهم السلام) أو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اطلع عليها أم لا ؟

الجواب : الولد في الروايات العديدة . ولعل بعض هذه الروايات قرائها في البحث الماضي ، وفي الجلسة السابقة . أن البداء يكون في العلم المخزون الذي لا يطلع عليه أحد إلا الله ، هذه ما ورد في الروايات ، أما إذا قطعنا النظر عن هذه النصوص فالعقل أيضاً يقضى بأن نعتقد بأن هناك مرتبة من العلم الإلهي لا يطلع عليها إلا الله باعتبار أن الله يحتفظ بمرتبة من الكمال لا يشركه فيها غيره .

السائل : وإذا أصابها التغيير فيصح أن نصفها بالبداة ونصف هذا التغيير بالبداة ؟

النجاتي : التغيير في التقدير ؟

السائل : الله سبحانه وتعالى أراد أن يغير أمراً كان قد قرره فهل يستطيع أو لا يستطيع ؟

النجاتي : نعم ، يمكنه التقدير ، بل يؤم التقدير بمقتضى الحكمة .

سؤال : إذا كان هذا المعنى ألا يخرج البداء عن معناه في الظهور ؟ يعني إذا كان مجرد الاستطاعة والله يستطيع التغيير

فأين الظهور ؟

الجواب : وضّح أكثر .

السائل : الله يستطيع أن يغيّر في علمه المخزون الذي لم يطلّع أحد عليه ، فإذا غيرَ فأين البداء في هذا ؟

الصفحة 156

النجاتي : المقصود من البداء طبعاً تغيير التقدير أو كما مضى في الجلسة الماضية يعني محو ما كان ثابتاً أو إثبات ما لم يكن ثابتاً أو تقديم ما كان مؤخراً أو تأخير ما كان مقدماً ، البداء يعني هذه الأمور يفعلها الله سبحانه وتعالى وفق الحكمة الإلهية ، ووفق ما هو الأصلح لوضع هذا الموجود ، فالبداء تعبير عن هذا التقديم أو هذا التأخير أو هذا التثبيت أو هذا المحو .
وأما أنه كيف يبرز هذا المعنى للناس ؟ طبعاً برونه للناس يكون بهذه الصورة عادة كما مثلت سابقاً ، في حين أن التقادير تشير إلى موت فلان الآن إلا أن نجد أنه يعمر ، وفي بعض الأحيان التقدير يتغير دون أن يطلّع عليه أي إنسان .

السائل : ألا يدلّ على خروج البداء عن معنى الظهور ؟

النجاتي : لا ، المقصود بالظهور ليس بالضرورة الظهور للناس ، الظهور بمعنى البروز ، والصور يعني قد يصدر الشيء لكن لا يطلّع عليه أحد ، طبعاً عندما نقول أحد المقصود عامة الناس والإبّحسب معتقداتنا الأئمة (عليهم السلام) يمكنهم الاطلاع على الأمر .

سؤال : معنونة شيخنا بالنسبة إلى بعض الأمور المذكورة في الروايات قضية أن صلة الرحم تزيد في العمر ، أو أن قطع

الرحم تنقص في العمر ، ظاهره أنه قضية عليّة ومعلولية ، وليس لها ربط بالبداء ، بمعنى أن هذا الأمر مثل اللهم اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء ، كأنّ الذنب بنفسه عقوبة تكوينية ، لا نقول عقوبة إلهية من سنخ العقاب الذي يحدث في يوم القيامة من قبل الله ، بل عقوبة تتناسب الذنب في الدنيا ، وهي أنّ هذا الذنب مقتضاه الدنوي ينقص العمر أو ينقص الرزق أو ما شابه ذلك أو ينقص المطر في السماء ، فلا نتمكّن أن نقول إنّ هذه مرتبطة بالبداء لله عزّ وجلّ ، وأنه ظهر له ما هو الأصلح ، فقد يضع الإنسان مثلاً يده في النار فيحترق ، وليس من المعلوم أنّ هذا هو الأصلح له حينما يذنب ، بل هي عقوبة تكوينية له ، وليس عقوبة أخروية .

الصفحة 157

نعم ، العقاب الأخروي بلا شكّ أنه أصلح لهذا الموجود ، أما أنه لماذا نقول بأنّ هذا الذنب حينما يفعله الإنسان وينقص عمره هو أصلح له ، فقد تكون عقوبة تكوينية ملازمة . نحن لا نعلمها . بين الذنب وبين هذا القصر في العمر ، أي لا نريد أن نقول بأنّ الأمور خالصة عن الله عزّ وجلّ وخارجة عن سلطان الله ، مع الحفاظ على أنّ كلّ الأمور تحت سلطان الله ، والله عزّ وجلّ يتمكّن ، ولا نريد أن نقول قضية ضرورية كما أنّ الله عزّ وجلّ يستطيع أن يمنع النار من الإحراق ، ويستطيع أن يمنع الذنب من قصر العمر ، ولكن الأمور جارية بأسبابها ، وحينئذ نتمكّن أن نوتقي أكثر ونقول بأنّ صفحة الإنسان مملوءة ،

ولكن ليست مملوءة بأمر فعلية ، وإنما مملوءة بأمر تعليقية ، يعني مكتوب في هذه الصفحة أن هذا الإنسان إذا كان بهذه الهيئة فيرتب عليه كذا ، وإذا كان بهذه الهيئة يرتب عليه كذا ، فلماذا نفترض أن من الضروري أن تكون الصفحة مملوءة بأمر تنجزية ؟

ولماذا لا نفترض أن الصفحة مملوءة بشكل آخر ، وإن كان إنساناً صالحاً فعمره خمسين سنة ، وإن كان طالها فعمره أربعين سنة ، ولا توجد قضية تنجزية ، بمعنى أن هذا الإنسان عمره خمسون سنة بحيث بعد ذلك يظهر الخلاف ، فلا مانع عقلي بأن نفترض أن الصفحة مملوءة بشكل تعليقي وليس بشكل تنجزية ، وهل هذا مخالف لحكمة الله ؟

الأصل قضية حكمة الله ، وهو يفعل الأصلح ، أقصد أن الصفحة المملوءة بالأمر التعليقية هل فيها خلاف لضروري من الضروريات العقلية أو الضروريات الشرعية أو ليس في ذلك مانع ؟

نعم قد يكون خلو الصفحة مخالف لضرورات المتشوعة ، وأن صفحة الإنسان خالية تماماً قد تكون مخالفة للضرورات وأن الله قدر شيئاً ، أما أن هذا التقدير هل هو بشكل تنجزية أو تعليقي ؟ فما هو المانع العقلي من افتراض هذا ؟

الجواب : أما بالنسبة إلى السؤال الأول أنه ما المانع في أن نفترض أن أفعال

الصفحة 158

البر يرتب عليها طول العمر تكويناً أو مثلاً قطع صلة الرحم أزه التكويني قصر العمر ، وما إلى ذلك من الأمثلة ، أقول : لا مانع من أن نفترض أن هذه الأمور ، مثل صلة الرحم ، وقطع الصلة ، وما شاكل ذلك ، يرتب عليها هذه الآثار بشكل تكويني ، لكن نفس هذا الترتب تقدير إلهي ، ولذا بعض علماء الأصول وغير الأصول في بحث الموضوع ذكروا أن البدء بنسخ تكويني يضاهي النسخ التشريعي ، يعني يُنسخ شيء بشيء تكوينياً ، فلا مانع من أن نقول بأن قطع صلة الرحم مثلاً يرتب عليها هذا المعنى ، أعني قصر العمر ، لكن نفس هذا الترتب تقدير إلهي ، يعني الله سبحانه وتعالى رأى أن الأصلح لوجود الإنسان إذا قطع صلة الأرحام أن يكون عمره قصواً ، إذا وصل لرحامه يكون عمره طويلاً ، الله سبحانه وتعالى بما أتته رأى الأصلح هكذا قدر هكذا .

فالنتيجة هي أن التقدير يتغير مما كان إلى الحالة الفعلية بتقدير إلهي ، وبإرادة الله سبحانه وتعالى ، وبحسب المصلحة التي رآها وقوها جلّ وعلا ، فهذا لا ينافي أن نقول بأن هذا بدء ، لأن البدء عبارة عن تغيير التقدير من شيء إلى شيء آخر انسجاماً وتماشياً مع المصلحة العليا التي يشخصها الله سبحانه وتعالى .

السائل : المصلحة غير خاصة بهذا الفود بل للعموم ؟

النجاتي : نعم ، يعني هذا الفود أيضاً يكون تطبيقاً لهذا العموم .

السائل : قد يشدّ عن القاعدة ، مثلاً الإنسان قد يضع يده في النار ويحترق ، هذا قد يكون لهذا الفود ضرر ، لكن للمجتمع

كُلّه بشكل عام إذا جعلنا هذا القانون قد يكون فيه منفعه .

النجاتي : حتى بالنسبة إلى مثال النار هذا تقدير إلهي من أن النار تحرق ، ويمكن أن يكون التقدير الإلهي بأن النار لا

تُحرق ، فلا منافاة بين هذا وبين قضية البداء .

أما بالنسبة إلى السؤال الثاني من أنه الصفحة تكون مملوءة ولكن بتقديرات

الصفحة 159

تعليقية لا تنجزية .

أقول : استخدام لفظة التعليق أو التنجيز لا يغيّر من الواقع شيئاً إذا فوّضنا أن الصفحة مملوءة وإن فعل كذا وكذا ، فعبره يكون أربعين سنة ، وإن فعل كذا وكذا ولنفترض أنّ الصفحة مملوءة بهذا الشيء ، لكن النتيجة هي أنه بالنسبة إلى أربعين سنة يكون التقدير فعلي سواءً استخدمنا هذا التعبير أم لم نستخدمه ، باعتبار أن هذا الإنسان قاطع لرحمه ، فالمنجز والتقدير الفعلي في حقه يكون العمر القصير ، وإن كانت الصفحة مملوءة بهذه الصياغة وبهذا الشكل ، فهذا التعبير أنه إن فعل كذا كان كذا ، وإن فعل كذا كان كذا ، لكن بما أنّ الشوط فعلي فلا محال يكون الخراء فعلياً ، ولا محال يكون هذا التقدير فعلياً .

فالمسألة ليست هي مسألة التعبير ، فأنا الآن اذا قلت : إن كان زيد كذا فيستحقّ كذا ، وإن كان كذا فيستحقّ كذا ، وبالفعل أحد الشوطين متحقّق فيه دون الآخر ، فأحد الخرايين يكون فعلياً والآخر لا يكون فعلياً ، وإن كانت الصياغة تعليقية بالنسبة للشوطين والخرايين معاً ، فالمهم ليس هو كيفية الصياغة على كل تقدير ، التقدير يكون فعلياً إذا كان هذا الشوط منجزاً بالنسبة إلى وجود هذا الإنسان وإن كان ذلك فذاك .

سؤال : شيخنا ذكروتم في النقطة الرابعة التي هي مساق الدليل العقلي ، واعتمدتم على السوة ، سوة الناس كنقطة فاصلة

في انتخاب الدليل ، هل يمكن اعتماد سوة الناس في عوض الدليل العقلي أو لا ؟

الجواب : السوة التي ذكرناها كانت بالنسبة إلى قضية الدعاء وفعل البرّ وما شاكل ذلك ، وهذا لم يكن إلاّ مؤيداً ؛ لأنه في مقام إثبات أنّ الدعاء مؤثّر ، وأنّ أفعال البرّ مؤثرة في تغيير تقدير الإنسان ، وقلنا : إن هذا المعنى تدلّ عليه الروايات الكثيرة والتي تبين أثر الدعاء وأفعال الخير والبرّ والصلاح .

ويضاف إلى هذه النصوص الكثيرة الولدة كشاهد ومؤيد أنّ سوة عامة

الصفحة 160

المسلمين جلية على التوجّه إلى الله في الدعاء ، التذوّع إلى الله سبحانه وتعالى ، مما يدلّ على أنّ الفهم العام والمشترك عند جميع المسلمين أنّ هناك أمراً يمكنها أن تؤثر ، وأن تكون فاعلة في تغيير التقدير ، بل قلنا بأن هذا المعنى وهذا الفهم المشترك لا يقتصر على المسلمين ، بل هو مشترك بين المسلمين وغير المسلمين من أتباع الديانات السماوية الأخرى ، بل حتّى المشركين الذين يتوجّهون إلى أصنامهم بالدعاء والتذوّع ، فهذا لم يكن إلاّ مؤيداً وداعماً لما ذكر في النصوص المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الأئمة (عليهم السلام) وإلاّ لم يكن المقصود اعتبار هذه السوة دليلاً مستقلاً للدعوى

الصفحة 161

(٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩) التقليد في أصول الدين

الشيخ محمد هادي آل راضي

الصفحة 162

الصفحة 163

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

عنوان البحث : «التقليد في أصول الدين» ، وقيل أن ندخل في البحث هناك مقدّمة لا بد أن نتعرض لها قبل الدخول في أصل البحث ، وهي أنه لا إشكال بين علمائنا وبين علماء غيرنا أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين ، وأن التقليد إنما يجوز في فروع الدين ، بمعنى أنه في المسائل الاعتقادية لا يجوز التقليد ، بل يجب على كل مكلف أن يكون مجتهداً في المسائل الاعتقادية ، بمعنى أن المكلف لا بد أن يكون صاحب نظر في أصول الدين ، ولا يجوز له أن يعتمد على غيره فيها ، كما جاز له أن يعتمد على غيره في المسائل الوعية الشرعية .

فكل مكلف يجب عليه أن يكون صاحب نظر وأن يعتقد بأصول الدين عن استدلال ووهان ، ولا يجوز له التقليد .
إذا سئل المكلف لماذا تعتقد بالأصل الفلاني أو بالمسألة العقائدية الفلانية ؟ لا بد أن يذكر الدليل الذي على أساسه صار معتقداً بتلك المسألة أو بذلك الأصل .

هذا هو الذي ذكره ، ونحن نريد هنا أن نحلّل هذا الكلام ؛ لأن القضية بظاهرها تخلق لنا مشكلة ، وهذه المشكلة واضحة لديكم على الظاهر ، وهي : أننا إذا أردنا أن نطبق هذا الكلام على أنفسنا فسوف نجد أن أكثر المكلفين ليسوا كذلك ، وخصوصاً ما يعبر عنهم بالمستضعفين من النساء والولدان وحديثي العهد بالتكليف ، هؤلاء أكثرهم ظاهراً ليسوا كذلك ، يعني هم لا يؤمنون ولا يعتقدون بأصول الدين عن طريق الاستدلال والوهان العقلي ، الإنسان الذي بلغ حديثاً حينما يسئل عن أصول الدين لعله لا يستطيع أن يجيب بدليل ووهان مقنع .

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن علماءنا رضي الله عنهم وكذا غوهم من

الصفحة 164

علماء الطوائف الأخرى ، اشتروا المعرفة في أصول الدين في تحقق الإيمان في مقابل الكفر ، بمعنى أن من لا يعتقد بأصول الدين بنظر واستدلال ووهان لا يكون مؤمناً ، وقد صوّحوا بذلك كما يظهر من كلماتهم في هذه المسألة .

كلام العلامة الحلّي

وهذا نموذج في هذه التوطئة لأحد كبار علمائنا والذي صوّح بكلام الأورين ، وهو العلامة في كتابه المعروف الذي

لرستموه «الباب الحادي عشر» ، حيث قال في بداية الكتاب : «أجمع العلماء كافة على وجوب معرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية ، وما يصحّ عليه وما يمتنع عنه ، والنبوة والإمامة والمعاد بالدليل لا بالتقليد»⁽¹⁾ .

حيث قام إجماع العلماء كافة على وجوب المعرفة في المسائل العقائدية بالدليل لا بالتقليد ، ثم يقول : «فلا بد من ذكر ما لا يمكن جهله على أحد من المسلمين ، ومن جهل شيئاً من ذلك خرج عن رتبة المؤمنين واستحقّ العقاب الدائم» إذ الاعتقاد الناشئ من النظر والاستدلال العقلي هو الذي يحقق الإيمان للإنسان ، وأنّ الإنسان المكلف من دون ذلك يكون مسلوب الإيمان ولا يكون مؤمناً .

هذه كلمات علمائنا التي ذكروها في هذا المقام .

ومنها يظهر أنّ المسألة مهمة جداً وخطوة ، فينبغي أن نفكر في كيفية علاج هذه المشكلة ، طبعاً هناك حلول وهناك علاج كما سيأتي لاحقاً ، لكن لا بدّ أن نوضح هذه الأمور بشكل كامل .

وفي مقدّمة هذا البحث نتطرق فيها إلى بعض الأمور التي لا بدّ من معرفتها قبل الدخول في أصل البحث :

1- الباب الحادي عشر : ١١ - ١٣ .

الصفحة 165

الأمر الأوّل : المعروف أنّ أصول الدين خمسة وهي : التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد ، لكن بعض الباحثين جعلها أربعة ، طبعاً حينما نقول المعروف نقصد به المعروف بين علمائنا ، وبعض الباحثين منّا جعلها أربعة ، بحذف العدل منها ، فتكون الأصول أربعة : التوحيد ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد .

لا إشكال بين كلّ علمائنا أنّ العدل من المسائل الاعتقادية ، وعدم عدها من أصول الدين ، وعدّ الأصول أربعة لا خمسة لا يعني أنّ هذه المسألة ليست من المسائل الاعتقادية ، وإنّما الخلاف في عدّ الأصول خمسة أو أربعة هو في أنّ العدل هل نفود له أصلاً مستقلاً في عرض التوحيد ولا إنّما هو من مسائل التوحيد ؛ لأنّ البحث في التوحيد عن أصل ثبوت الخالق وعن صفاته الثبوتية والسلبية ، ومن جملة صفاته العدل ، فهل العدل مسألة ملحقة بأصل التوحيد ولا ينفود كأصل مستقل في أصول الدين أو لا ينبغي إفرادها في مقابل الأصول الأخرى ؟

الزواع في الحقيقة في أنّ العدل هل هو مسألة اعتقادية يجب الاعتقاد بها ؟

الظاهر . والله العالم . أنّ السرّ في إفراد العدل كأصل في عرض التوحيد ، وعدم إواجهه في أصل التوحيد ، أنّ العدل مثار زواع معروف بين العدليّة من جهة وبين الأشاعرة من جهة أخرى ، حيث إنّ الأشاعرة . كما هو المعروف . أنكروا العدل كصفة من صفات البري سبحانه وتعالى ، بينما الآخرون الذين سمّوا بالعدلية يؤمنون بالعدل كصفة من صفاته سبحانه وتعالى ، ولذا سمّوا بالعدلية ، والعدلية عنوان عام يشمل الإمامية والمعتزلة ، ولعله يشمل غورهم أيضاً .

هذا الزواع بين الطائفتين من المسلمين أفرز لنا أبحاثاً مهمة ألحقت بالعدل من قبيل : التحسين والتقييح والجبر والتفويض والخير والشرّ ، وغورها من المسائل الكثيرة جداً ترتبت على بحث العدل ، ولعلّ كثرة الأبحاث التي طرحت وأهمية هذه

العدل كأصل في مقابل بقية أصول الدين ، هذا من جهة .

من جهة أخرى أنّ العدل أصبح شعراً وعلامة عن انتماء الإنسان لطائفة معينة ، فإذا آمن الإنسان بالعدل والإمامة فيكون إمامياً من الاثني عشرية ، وإذا لم نضف إلى العدل وباقي الأصول الإمامة يكون شعراً للمعتولة ، وإذا حذفنا الإمامة والعدل يكون شعراً للأشاعرة وبقية أهل السنة .

الأشاعرة أصولهم العقائدية ثلاثة ، والمعتولة أصولهم العقائدية أربعة ، ونحن أصولنا العقائدية خمسة : التوحيد ، والعدل ، والنوّة ، والإمامة ، والمعاد .

لعلّ هذا هو السرّ الذي أُوجب جعل العدل أصلاً من أصول الدين كبقية الأصول الأخرى ، ولا مانع في ذلك ولا ضير فيه ، بمعنى أنّ جعل العدل أصلاً مستقلاً ليس فيه محذور إطلاقاً ، بعدما قلنا أنّ العدل لا شك في كونه من المسائل العقائدية التي يجب الاعتقاد بها ، كما سيأتي ، ولا ضرر في فصله وجعله أصلاً مستقلاً .

حيث إنّنا نؤمن على كلّ حال بالعدل كصفة من صفات البري سبحانه وتعالى سواء جعلناه مسألة ملحقة بأصل التوحيد أو جعلناه أصلاً مستقلاً .

وبعبارة أخرى إنّ مقتضى للفصل موجود والمانع عنه مفقود ، والمقصود من المقتضي هذا المعنى أنّ النقاط السابقة قد تقتضي إفراده كأصل مستقلّ في قبال الأصول الأخرى .

أنّ هذا الأمر الأول من المقدّمة .

الأمر الثاني : في ضابط المسألة الاعتقادية

ما هو الضابط في كون المسألة اعتقادية ؟

لابدّ أن يكون هناك ضابط في جعل هذه المسألة من المسائل الاعتقادية ، وعدم جعل تلك المسألة من المسائل الاعتقادية ، فما هو الضابط في ذلك ؟

الضابط في ذلك هو أنّ كلّ مسألة يكون المطلوب فيها ولا وبالذات

الاعتقاد والإيمان والالتزام كعمل قلبي جوانحي ، فتكون المسألة اعتقادية ، في قبال المسائل الوعية الشعورية التي يكون المطلوب فيها ولا وبالذات العمل لا الاعتقاد ، فوق واضح بين مسألة وجوب الصلاة وبين مسألة العصمة ، ففي باب العصمة يطلب أن يعتقد بها ولا وبالذات وأن يؤمن بذلك ويلتزم به نفسياً وقلبياً ، بينما في مسألة وجوب الصلاة المطلوب فيها العمل وما هو من فعل الجورح .

هذا هو المانر بين المسألة العقائدية والمسألة الوعية الشرعية .

طبعاً لا بدّ أن نُضيف إلى ذلك عنصراً آخر غير هذا ، وهو كون المسألة من المسائل التي تكون دخيلة بشكل أو بآخر في الإيمان بالمعنى الأعم أو الأخصّ ، سيأتي أنّ الإيمان له معنى عام وهو الذي يطلق في مقابل الكفر ، ويطلق بالمعنى الأخصّ ، وهو الذي نؤمن به نحن الإماميّة الاثنا عشرية .

إمّا أن تكون الشوط الآخر في كون المسألة عقائدية هو أنّ تكون دخيلة بشكل ما في الإيمان ، ودخيلة في الإيمان بالمعنى الواسع الأعم أو تكون دخيلة في الإيمان بالمعنى الأخصّ .
إذن هذان شوطان أساسيان في عقائدية المسألة

الشوط الأوّل أنّ تكون المسألة المطلوب فيها ولا وبالذات الإيمان القلبي من قبيل الإيمان بالإمامة فلا أثر عملي يتوتّب عليها ، لأنّ الإيمان بأنّ هذا معصوم أو إمام يتوتّب عليه وجوب التقييد بأحكامه وتعليماته وتشريعاته في العمل الخرجي ، لكن المطلوب ولا وبالذات في المسألة العقائدية هو الاعتقاد .

الشوط الثاني : أنّ تكون المسألة دخيلة بشكل ما في الإيمان بالمعنى الأعم أو في الإيمان بالمعنى الأخصّ .

هذا هو الضابط لكون المسألة عقائدية أو غير عقائدية ، حينئذ نطرح هذا السؤال وهو أنّ هذا الضابط هل هو موجود ومتحقّق في كلّ المسائل التي تذكر في علم الكلام لبحث التوحيد والنوّة والإمامة والمعاد ، فكلّ هذه المسائل ينطبق

الصفحة 168

عليها هذا الضابط فتكون عقائدية ولا ؟

الذي يبدو أنّ بعض المسائل التي تذكر في علم الكلام كتفاصيل البرزخ والجنة والنار والصراط ، هذه التفاصيل الجزئية الظاهر أنّها ليست من المسائل العقائدية ، لعدم انطباق الضابط المتقدم عليها ، بمعنى أنّ هذه المسائل ليس المطلوب فيها الاعتقاد ، وليست دخيلة في الإيمان ، لا بالمعنى الأعم ولا بالمعنى الأخصّ ، هذه المسائل التي يعبر عنها علماءنا رضي الله عنهم بتفاصيل المعرف لا يجب فيها الاعتقاد حتّى لو علم بها المكلف وعرفها ، بحيث إنّ المكلف لو علم بها وترك الاعتقاد بها لا يكون خرجاً عن الإيمان وداخلاً في الكفر ومستحقاً للعقاب ولا يكون تركاً لأيّ واجب من الواجبات العقلية أو الشوعية

فتفاصيل هذه المسائل لا يجب فيها الاعتقاد ، وليس الاعتقاد فيها دخيلاً في الإيمان مطلقاً سواء علم بها المكلف أو لم يعلم بها .

إذن هناك مسائل في علم الكلام مطروحة للبحث لا ينطبق عليها الضابط السابق ، وليست هي من المسائل الاعتقادية التي يطلب من المكلف الاعتقاد بها والإيمان والاذعان والتصديق هذا الأمر الثاني في المقدّمة .

تنبيه لا بدّ منه

قبل أنّ ندخل في الأمر الثالث نرجع إلى الأمر الثاني ونقول : ليس المقصود بقولي إنّ هذه المسائل المتعلقة بتفاصيل المعرف ليست مسائل اعتقادية ، فلا يفهم من هذا الكلام أنّه يجوز للإنسان إنكارها ، إذ لا ملازمة بينهما ، يعني لا ملازمة ،

بين عدم كون المسألة اعتقادية وبين جواز إنكلها لمن يعلم بها ، فهذه المسائل لا يجب فيها الاعتقاد حتى لو علم بها الإنسان ، لكن في نفس الوقت لا يجوز إنكلها ، لأنّ إنكلها يلازم إنكار النوبة وتكذيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأن المسألة وإن كانت مسألة جزئية تتعلق بتفاصيل بعض المعرف إلا أنه ما دام أن الإنسان علم بها ، وعلم بثبوتها في الدين ، وأنها من الدين ، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغها فلا يجوز له

الصفحة 169

إنكلها ، لأنّ إنكلها مسلوب لتكذيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتكذيب النوبة ، فيعود الإنسان كافراً .
لكن هذا الحكم وهو عدم جواز إنكلها مع فرض العلم بها لا مطلقاً ، ليس من مختصات هذا المسائل العقائدية ، بل هذا حكم ثابت في كلّ ما علم ثبوته في الدين ، سواء كان من المسائل العقائدية أم المسائل الوعية أم الأحكام الشرعية الظاهرية والواقعية ، بل يشمل حتى ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحوال الأمم السابقة ، ونعلم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخبر به وأنه قاله ، فهذا لا يجوز إنكله ، لأنّ إنكله يساوق تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتكذبه يستلزم الكفر بلا إشكال ، لأنّه إنكار لأصل من أصول الدين ، وهو النوبة .
إنّ ليس المقصود بقولنا لا يجب الاعتقاد بتفاصيل المعرف جواز إنكلها ، وإنّما نقول إنّ حالة الاعتقاد والتصديق القلبي والالتزام ليست واجبة في بعض المسائل الاعتقادية وإنّ علم بها المكلف ، نعم لا يجوز له إنكلها .

معنى عدم جواز التقليد في أصول الدين

الأمر الثالث : نتحدّث فيه عن معنى عدم جواز التقليد في أصول الدين وماذا واد به ؟ المحتملات في المقام عديدة :
الاحتمال الأوّل : لمعنى عدم جواز التقليد أن يكون الرواد من التقليد المحرّم في أصول الدين هو نفس التقليد الجائز في فروع الدين ، والتقليد الجائز في فروع الدين المقصود به الأخذ بقول الغير من دون دليل وإن لم يورث قوله الظنّ بالواقع ، بل حتى مع الظنّ بالخلاف يكون قوله حجة .

هذا هو التقليد في فروع الدين ، وهو أن يكون قول المجتهد حجة على المكلف من دون دليل . والمقصود من دون دليل لا يعنى من دون دليل على جواز التقليد ، وإنّما من دون دليل على تلك المسألة التي قلده وتابعه فيها ، والكثير من المقلدّين يتبعون المجتهدين من دون أن يحصل لهم ظناً بمطابقة قول المجتهد

الصفحة 170

بالواقع ، بل حتى مع الظنّ بالخلاف ، أي أن العامي يقلد المجتهد حتى إذا ظن بأن الحكم الواقعي ليس كما يقول المجتهد ، وإنّما الحكم الواقعي هو شيء آخر غير ما يقوله ومع ذلك يكون قول المجتهد حجة عليه ويجب عليه متابعتة ، هذا هو التقليد في فروع الدين .

مناقشة الاحتمال الأوّل

الاحتمال الأوّل نوقش من قبل علمائنا وقالوا بأنه لا يمكن أن يكون هذا الرواد بالتقليد في أصول الدين ، وذلك لأن الاعتقاد

هو المطلوب في أصول الدين بحسب الفرض كما تقدّم وهو لا يجتمع مع الشكّ ، لأن أقلّ مراتب الاعتقاد هو الظن إن لم يحصل جزم ويقين ، فكيف يجتمع الاعتقاد المطلوب في المسائل الاعتقادية مع الشكّ ؟ !
بمعنى أنّ هذا المكلف في مسائل أصول الدين إذا قلّد الغير حتى مع عدم الظن بالواقع ، بل حتى مع الخلاف يتنافى مع لزوم حصول الاعتقاد الجزم ؟ ! كما تقدّم ؛ فإنّ نفس رادة هذا المعنى من التقليد في أصول الدين غير ممكن ، فهذا المعنى غير مراد من التقليد في أصول الدين بل واد به معنى آخر .

الاحتمال الثاني لمعنى التقليد في أصول الدين

وهو ما ذكره الشيخ البهائي رحمه الله من أنّ المراد بالتقليد في أصول الدين المحرّم هو كفاية الظن في أصول الدين أو عدم كفايته ، بمعنى أنّ جواز التقليد في أصول الدين يسوي كفاية الظن وعدم لزوم تحصيل علم فيها ، وعدم جواز التقليد في أصول الدين يعني عدم كفاية الظن فيها .
هذا ما نقل عن الشيخ البهائي رحمه الله تعالى .
وبناءً على هذا يكون المقصود بالتقليد في أصول الدين هو كفاية الظن وعدم كفايته .

الصفحة 171

مناقشة الاحتمال الثاني

إنّ الموجود في كلمات علمائنا مسألتان :

المسألة الأولى : هي مسألة التقليد في أصول الدين ، والمسألة الثانية : هي الاكتفاء بالظن في أصول الدين ، والمسألتان منفصلتان وإحداهما غير الأخرى ، ولا يوجد ترتّب بينهما ، والنسبة بينهما العموم والخصوص من وجه ، إذ مناط المسألة الأولى جواز التقليد في أصول الدين وعدمه ، سواء حصل من التقليد الظنّ أو الحرّم إذ يمكن حصول الحرّم من التقليد ، بينما ملاك المسألة أنّ الظنّ هل يكفي في أصول الدين أم لا ، سواء حصل الظنّ من التقليد أم من النظر والاستدلال ؛ لأن الاستدلال لا يورث الحرّم دائماً ؟

فالنسبة بينهما عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان فيمن قلّد وحصل له الظنّ ، وتفرّق مسألة التقليد عن مسألة جواز الظنّ فيما إذا حصل له يقين من التقليد ، وتفرّق مسألة جواز الظنّ فيما إذا حصل له ظنّ من النظر والاستدلال كما قدمنا ، فالمسألتان منفصلتان لارتباط إحداهما بالأخرى .

الاحتمال الثالث لمعنى التقليد في أصول الدين

التقليد في أصول الدين هو العلم من دون استدلال ونظر ، بمعنى أنّ البحث هو أنّ المكلف هل يجب عليه تحصيل العلم في أصول الدين عن استدلال ونظر أم أنّه يجب عليه العلم مطلقاً سواء عن نظر واستدلال أو من التقليد ؟
وبتعبير آخر : أنّ التقليد في أصول الدين هو كفاية العلم مطلقاً أم أنّه لا بد من حصوله من طريق الاستدلال والنظر .

فيكون العواد بالتقليد معنى غير المعنى المصطلح عليه ، إذ يعني جواز التقليد هو كفاية حصول العلم من أيّ طريق كان ، ومعنى عدم جواز التقليد يعني لابدّ من العلم بالأصول عن طريق النظر والاستدلال .

الصفحة 172

الاحتمال الرابع لمعنى التقليد في أصول الدين

العواد بالتقليد هو التقليد الذي نهت عنه الآيات القرآنية الكثيرة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (1) ، وهو اتباع الآباء والأمّهات في المسائل الاعتقادية نفسه هذا المنهي عنه العواد في كلمات علمائنا رضوان الله تعالى عليهم .

وكلمة التقليد لم تستخدم في القرآن الكريم ، وهو يعني المتابعة من دون دليل ونظر ، ويقصد به المعنى اللغوي الناشئ من دون نظر .

الأمر الرابع : ونتوضّح فيه إلى بعض المصطلحات التي وردت في كلمات علمائنا - رضوان الله تعالى عليهم - وهي

كالتالي :

المصطلح الأوّل : المعرفة : إذ يقولون تجب المعرفة في أصول الدين ، وأنّ تحصيل المعرفة شرط في الإيمان ولا .

والعواد بالمعرفة العلم واليقين والجزم ، وكلّها بمعنى واحد .

المصطلح الثاني : التصديق العلمي : والعواد به العلم والجزم واليقين .

المصطلح الثالث : الاعتقاد والتصديق : وهناك خلاف في تفسيره وبيان معناه .

الكلام في الفرق بين العلم والاعتقاد

بيان بعض المصطلحات والفرق بينها

الرأي الأوّل :

ذهب جماعة من علمائنا رضي الله عنهم إلى أنّ الاعتقاد شيء آخر غير العلم وغير التصديق العلمي وغير المعرفة ، وأنّ

العواد به شيء آخر وراء هذه

1- الزخرف : ٢٢ .

الصفحة 173

الأمر ، وفسر في كلماتهم بعقد القلب على الشيء المعلوم والالتزام النفسي به ، فهو شيء آخر غير العلم ، فالمكلف ولا يعلم بالشيء ويصل إلى مرحلة التصديق العلمي ، ثمّ بعد ذلك يعتقد به ويعقد قلبه عليه ، فمن ذهب إلى التباين بين العلم وبين الاعتقاد كثير من علمائنا ، منهم : صاحب القوانين (1) ، ومنهم الشيخ الأنصاري (2) ، ومن علماء العامّة من قبيل المحقّق (3) (4)

لكنّ الشيخ الأنصلي فوق بينهما . كما سيأتي . وقسمّ مسائل أصول الدين ، وجعل التصديق العلمي مسألة وجوبية أو وجودية للاعتقاد ، أي جعل التصديق العلمي مقدّمة وجوبية أو وجودية للاعتقاد .
إذن هناك شيء آخر وراء المعرفة و وراء العلم يُسمّى بالاعتقاد .

صاحب القوانين أيضاً ظاهر كلامه التغيرات بينهما حيث يقول : «والحاصل إنّ محض العلم لا يكفي» ، مجرد أن الإنسان يعلم بالمسألة حتّى لو كان عن الوهان فلا يكفي ، «والإلزام إيمان المعاندين من الكفار الذين يعلمون بالحق لكن يعاندونه ويجحدونه كما نطقت به الآيات» يشير إلى الآية الشريفة : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾⁽⁵⁾ .

إذن هؤلاء عندهم يقين ، لكن لا يوجد عندهم اعتقاد والرّام وتدبّر ، اليقين موجود والمعرفة موجودة والجزم موجود لكن الاعتقاد مفقود ، يقول بأنّ هذا هو الدليل على التغيرات فيما بين الأمرين في قبال من ذهب إلى الاتحاد وعدم التغيرات ، وأنّه ليس هناك شيء آخر وراء العلم يسمّى بالاعتقاد .

الرأي الثاني :

- 1- قوانين الأصول : ٤١١ .
- 2- فرائد الأصول ١ : ١٣٠ .
- 3- بحار الأنوار ٦٦ : ٣٣ .
- 4- المستصفي : ٢٢ .
- 5- النمل : ١٤ .

الصفحة 174

ذهب إليه الشهيد الثاني (رضي الله عنه) في رسالته «حقائق الإيمان»⁽¹⁾ ، وذهب إليه العلامة المجلسي⁽²⁾ على ما حكى ، وذهب إليه المحقّق الآشتياني⁽³⁾ ، هؤلاء ذهبوا إلى عدم التغيرات بين التصديق العلمي وبين الاعتقاد ، بين الجزم وبين الاعتقاد ، قال بعضهم : معرّاً عن رأي الآخرين : إنّه لا يوجد شيء وراء التصديق يسمّى بالاعتقاد ، وأنّ التصديق المذكور هو عين عقد القلب على المعلوم ولا تغير بينهما أصلاً .

نعم بعض هؤلاء اعترف بوجود حالة أخرى عبّر عنها بالرضا وطيب النفس ، وقال : بأنّ هذا معتبر في الإيمان ، لكن معتبر في بعض مراتب الإيمان ، لأنّ الإيمان ذو مراتب وذو درجات . هذا الرضا وطيب النفس واضح معتبر في بعض درجات الإيمان ، لكن بقطع النظر عن هذا الرضا لا يوجد عندنا شيء وراء العلم يُسمّى بالاعتقاد ، وأنّ العلم هو نفسه «عقد القلب» الاعتقاد ، لا أنّه شيء آخر وراء العلم .

واضح أنّ هذا البحث ليس بحثاً لغوياً حتّى زاجع قواميس اللغة لزاها بماذا تفسر الاعتقاد وبماذا تفسر التصديق ، وهل تجعل فرقاً بين الاعتقاد من جهة وبين العلم واليقين والتصديق من جهة أخرى ؟ هذا البحث ليس بحثاً لغوياً وأنما هو أقرب للبحوث الوجدانية ، يعني أنّ الإنسان ينبغي أن يتأمّل بينه وبين نفسه فهل يجد في داخل نفسه شيئاً آخر وراء العلم واليقين بالشيء يعبر عنه بالاعتقاد ؟ فهل يجد في داخل نفسه هذا الشيء أو لا يجد ؟ فالمسألة تحتاج إلى تأمل في وجدان الإنسان نفسه

. طبعاً يمكن إقامة بعض القوائن من هنا وهناك على التغيرات أو على الاتحاد .

- 1- حقائق الإيمان : ٥٣ .
- 2- بحار الأنوار ٦٦ : ٣٣ .
- 3- كتاب القضاء : ٧ .

الصفحة 175

مؤيدات للتغيرات بين العلم واليقين والتصديق وبين الاعتقاد

المؤيد الأول : وهلة : قد يقال بأن الإنسان إذ اراجع وجدانه يجد أن التغيرات هو الأصح ، بمعنى أنه توجد حالة في النفس غير العلم وغير التصديق وغير اليقين يعبر عنها بالاعتقاد ، فمثلاً نحن نعلم وأي الأشاعرة في العدل ، لكننا لا نعتقد به ، بل نعتقد بخلافه .

فإذن يوجد علم ، لكن المنفي هو الاعتقاد ، فمثلاً قد يكون الإنسان متخصصاً ومطلعاً على بعض المذاهب المادية كالمذهب الملركسي ، لكنّه لا يعتقد به ، إذن لا يوجد هناك ملازمة أو عينية بين العلم بالشيء وبين الاعتقاد به ، فقد يكون الإنسان عالماً بالشيء لكنّه لا يعتقد به . هذا الوجدان قد يكون منبّه على صحة التغيرات بين الأمرين .

يؤيد هذا الوجدان المدعي في المقام أمور منها الآية الثريفة : ﴿ وَجَحْنُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾⁽¹⁾ ، لأنّ ظاهر الآية أنّ هؤلاء الجاحدين المنكرين يوجد عندهم يقين ، لكنهم جحنوا بهذا اليقين ، يعني لا يوجد عندهم الاعتقاد ، فتكون هذه الآية دليل على التغيرات بين الاصطلاحين .

المؤيد الثاني : هو الحكم بكفر من كان عالماً بالحق كوعون وجماعة فوعون ، وأمثال ذلك كثيرون ، فيعلمون بالحق ومع ذلك حكم عليهم بالكفر ، فلو كان الاعتقاد عين العلم ، ما كان هناك إشكال للحكم بكوهم ، فلو كان الاعتقاد عين العلم لكان فوعون عالماً ومعتقداً ، فإذا كان معتقداً بمسألة أصولية من أصول الدين فلماذا يحكم بكوفه ، فالحكم بكفر من كان عالماً ومعانداً لا يمكن تخريجه إلا على أساس التغيرات بين العلم والاعتقاد ، وأن الاعتقاد المغاير للعلم هو المطلوب في الإيمان ، ولذا حكم على هؤلاء بالكفر .

1- النمل : ١٤ .

الصفحة 176

المؤيد الثالث : للتغيرات بينهما هو تعلق التكليف بالاعتقاد ، بمعنى أن المكلف يجب عليه أن يعتقد بأصول الدين ، فالتكليف تعلق بالاعتقاد .

وهذا اعتبر دليلاً على التغيرات بين العلم وبين الاعتقاد ، ببيان أن العلم لا يمكن أن يتعلق به التكليف ، لأنه ليس شيئاً اختيلاً ، العلم إذا حصلت مقدماته يحصل ، ولا دخل للمكلف في حصوله ، بينما الاعتقاد الذي تعلق به التكليف أمر اختياري ، فقد يعقد قلبه على شيء وقد لا يعقد قلبه عليه ، بينما التصديق العلمي لا معنى لأن يتعلق به التكليف ، لعدم كونه شيئاً

اختيلياً أو هو اضطوري يحصل إذا حصلت مقدماته من نون أن يتدخل اختيار الإنسان في حصوله .
هذه مؤيدات ثلاثة بضميمة الوجدان قد تذكر في المقام لإثبات التغيرات بين الاصطلاحين ، وفي المقابل قد تذكر بعض الأمور التي تقتضي الاتحاد بين الاصطلاحين ، وأهم هذه الأمور هي عبلة عن دعوى شهادة الوجدان بالاتحاد فيهما وعدم التغيرات مع إواز هذه النكتة وهي أن منشأ توهم التغيرات هو الخلط بين التصور والتصديق وهما قسمان من أقسام العلم ، نحن نعلم أن العلم ينقسم إلى قسمين إلى تصور وإلى تصديق ، تصور وهو عبلة عن تصور طرفين نسبة للقضية .
المرحلة الثانية : عبلة عن التصديق ، يُعبر عنه في المنطق بالإذعان بالنسبة ، والإذعان بالنسبة لا يكون إلا عن نظر واستدلال ، يعني الإنسان بعد أن يقيم الوهان على صحة هذه النسبة كنسبة الحوث للعالم ونسبة الجورة للنار فبعد أن يستدل على صحة هذه النسبة يقيم الوهان على ذلك ، إذن الإنسان ولا يتصور أطراف القضية ثم يدّعن بها ، هذا هو التصديق .
قالوا : إن الخلط بينهما هو الذي لُجد دعوى التغيرات بين العلم واليقين من جهة وبين الاعتقاد ، يعني أنه لو كان المقصود بالعلم والمعرفة المغاورة للاعتقاد على مستوى التصور لصحّ هذا الكلام ، أما عندما يطوح العلم على مستوى التصديق فهذا يعبر عنه بالتصديق العلمي المتقدم سابقاً .

الصفحة 177

عندما يكون المقصود بالعلم العلم التصديقي فهو لا يغير الاعتقاد ، بل هو عبلة عن الاعتقاد بالعلم على مستوى التصديق عندما نقول النبي معصوم فهذه قضية من القضايا وأعلم بها فصحح أن هذا مغاير للاعتقاد ، لكن عندما أُصدق بهذه القضية عن طريق الوهان والاستدلال وأدعن بالنسبة بين طرفيها فذكروا أن هذا هو الاعتقاد ، فليس الاعتقاد شيء آخر وراء الإذعان بالنسبة وراء العلم على مستوى التصديق ، فالإنسان عندما يعلم بالقضية على مستوى التصديق يصبح معتقداً شاء أم أبى .
فإذن لا مجال لدعوى التغيرات بينهما ، بل الاعتقاد هو عبلة عن العلم والمعرفة وهو عبلة عن التصديق العلمي ، وليس شيئاً آخر وراءه ، المؤيدات السابقة كالحكم بكفر فوعن واضح أن هذا لا ينحصر تخريجه على عدم الاعتقاد حتى يقال إن فوعن عنده يقين لكن لا يوجد عنده اعتقاد .

فإذا تغاوا افتقرا ، فينحصر تخريجه بذلك وقد تروض أنه عنده يقين وعنده اعتقاد لكن يجده ظاهراً ، الإيمان ليس المعتبر فيه التصديق الداخلي والقلبي فلو فرضنا الحكم على شخص بالكفر لمجرد أن ذلك الشخص يعلم بالحق ويصدق به لكن تصديق باطني من نون إظهاره فمن الواضح أنه لا يكفي ذلك في الحكم عليه بالإيمان .
إذن يمكن تخريج الحكم بكفر هؤلاء على أنهم أنكروا ظاهراً ما اعتقوا به باطناً ، فوعن أنكروا نوبة موسى (عليه السلام) ، وعدم الإنكار شرط في الإيمان فيكون فوعن كافراً .

فإذن ممكن أن تفترض أن فوعن عالم ومعتقد بنوبة موسى (عليه السلام) بناء على الاتحاد ، لكن المنفي فيه هو الإيمان الخرجي ، فلذلك حكم عليه بالكفر ، فمجرد الحكم بكفر هؤلاء لا يعني وجود تغير بين العلم والتصديق وبين الاعتقاد .
مسألة التكليف بالاعتقاد وأن العلم يمكن أن يتعلّق به التكليف ؛ لأنه

اضطوري ، بينما الاعتقاد يتعلّق به التكليف جزماً ، وهذا موجب للتغاير بين الاعتقاد وبين العلم .
 هذه المسألة يمكن ردّها بهذا البيان ببيان افتواضي أنّ العلم ليس اختيلياً ، إذا حصلت مقدماته يحصل بالضرورة ، لكن من الأمور الواضحة أنّ الشيء إذا كانت مقدماته اختيلية يمكن أن يتعلّق به التكليف ، وإن كان غير اختيلري من قبيل الموت بعد إلقاء النفس من أعلى الجبل فيمكن أن يتعلّق به التكليف أيضاً ، لأنّ مقدماته اختيلية ، التكليف يمكن أن يتعلّق بالاعتقاد ، لأنّه أمر اختيلري ، ويمكن أن يتعلّق التكليف بالعلم واليقين أيضاً ، فمجرد تعلق التكليف بالاعتقاد يعني وجود تغاير بين العلم والاعتقاد ؛ لأنّ العلم أيضاً يمكن أن يتعلّق به التكليف لاختيلية مقدماته .

بحث في الآية : ﴿ وَجَحَوْا بِهَا . . . ﴾

تبقى الآية الشريفة : ﴿ وَجَحَوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾⁽¹⁾ ، هل هي دليل على التغاير أو لا ؟

الظاهر أنّها ليست دليلاً على التغاير كما أنّها ليست دليلاً على الاتحاد .
 وبعبارة أخرى إنّ الاستدلال بها أشبه بالمصاورة ، وذلك لأنّه كون نسبنا رأي من الرأيين بناء على التغاير بين العلم والاعتقاد فالآية الشريفة ممكن أن تدلّ على وجود اليقين ، بمعنى واستيقنتها أنفسهم ، وعدم وجود الاعتقاد بناء على الاتحاد ، فتكون دليلاً على خلاف ذلك ، فيمكن أن نفسر الآية بهذا الشكل بناء على الاتحاد الموجود عند هؤلاء هو اليقين والاعتقاد ، والمنفي هو الإيمان الظاهري ، لأنّ الجحود يعني إنكار الشيء مع الإيمان به ، إنكاره ظاهرياً مع العلم به والاعتقاد بصحّته ، كما نصّ على ذلك اللغويون وكنموذج من كلمات اللغويين : ما

1- النمل : ١٤ .

قاله صاحب مقاييس اللغة : «ومن هذا باب الجحود وهو ضدّ الإقرار ، ولا يكون الجحود إلاّ مع علم الجاحد»⁽¹⁾ ؟
 والقائل بالتغاير يقول إنّ علمه بشيء مع إنكاره له هو عبارة عن الاعتقاد ، وهذا صحيح ، ولكن الموجود هو الجحود الظاهري والإنكار الظاهري وهو غير الاعتقاد ، وهكذا كلمات سائر اللغويين وإن كان كلمات ابن فارس هي أصوح من باقي الكلمات .

إنّ الاستدلال بالآية على التغاير مبني على أنّ الجحود يلازم عدم الاعتقاد .

إذا أمناً بذلك فتكون الآية دليلاً على التغاير ، فجحود الشيء هل يلازم عدم الاعتقاد به أو لا ؟

إذا قلنا الجحود يلازم عدم الاعتقاد تكون الآية دليلاً على التغاير ، لأنّ اليقين موجود والاعتقاد غير موجود ، لأنّ الجحود

يلازم عدم الاعتقاد ، فيوجد يقين ويوجد عدم اعتقاد والتغاير واضح بينهما ، ولكن هذا مبني على أنّ الجحود يلازم عدم

الاعتقاد .

ومن قال إنّ الجحود لا يلازم عدم الاعتقاد ، بل يظهر من كلام صاحب مقاييس اللغة أنّ الجحود يلازم الاعتقاد ، أو لا أقلّ أنّ هذا مبني على الخلاف السابق من أنّ اليقين عين الاعتقاد أو لا ؟
إذا قلنا إنّ اليقين عين الاعتقاد فالجحود لا يلازم عدم الاعتقاد ، وإذا قلنا إنّ اليقين غير الاعتقاد فممكن أن يكون الجحود ملازماً لعدم الاعتقاد .

إنّ الآية حيادية فلا يمكن أن يستدلّ بها على التغيرات ، والاستدلال بها على التغيرات مبني على شيء غير مسلم وهو أنّ الجحود يلازم عدم الاعتقاد ، وهذا غير ثابت إذا قلنا بالتغيرات ، وهذا هو معنى المصاورة وهو أنّ الاستدلال بالآية على

1- معجم مقاييس اللغة ١ : ٤٢٦ ، «جحد» .

الصفحة 180

التغيرات مبني كما قلنا الملازمة بين الجحود وعدم الاعتقاد ، والملازمة بين الجحود وعدم الاعتقاد مبني على القول بتغيرات اليقين مع الاعتقاد ، وهذه مصاورة .
من جهة أخرى قد يقال : إنّ الوجدان يدلّ على الاتحاد وأنه ليس هناك شيء آخر وراء اليقين يسمّى بالاعتقاد ، والمؤيدات السابقة يمكن المناقشة فيها .

إلى هنا البحث في أنّ اليقين هل هو عين الاعتقاد أو لا ؟

إنّ نفس رادة هذا المعنى من التقليد في أصول الدين غير ممكن .

فإنّ لا يمكن أن يكون المقصود بالتقليد الذي يقع فيه النزاع كما سيأتي في أصول الدين وأنه يجوز أو لا يجوز المراد به هو التقليد في فروع الدين وإنّما لا بدّ أن واد به شيء آخر غير ما ذكر .

الاحتمال الثاني في التقليد

الاحتمال الثاني : وهو الذي ذكره الشيخ البهائي في بعض تحقيقاته⁽¹⁾ من أنّ المراد بالتقليد في أصول الدين الذي قالوا بأنه

حرام هو كفاية الظن في أصول الدين أو عدم كفايته ، بمعنى أنّ جواز التقليد في أصول الدين يعني كفاية الظن في أصول الدين وعدم لزوم وتحصيل العلم واليقين فيها وأنّ عدم جواز التقليد في أصول الدين يعني عدم كفاية الظن في أصول الدين . هذا هو المنقول عن الشيخ البهائي .

وبناءً على هذا يكون المقصود بالتقليد كفاية الظن في أصول الدين ، فمن يقول بجواز التقليد يقول يكفي الظن ، ومن يقول بعدم جواز التقليد كأنه يقول بعدم كفاية الظن .

هذا الاحتمال أيضاً يمكن المناقشة فيه بأنّ الموجود في كلمات علمائنا

1- أنظر فرائد الأصول ١ : ٥٧٣ ، حيث نقله عن حاشية الزبدة للشيخ البهائي : ١٢٠ ، وأنظر زبدة الأصول : ١٦٥ - ١٦٧ .

الصفحة 181



رضي الله عنهم مسألتان :

المسألة الأولى : هي جواز التقليد في أصول الدين .

المسألة الثانية : الاكتفاء بالظن في أصول الدين .

والظاهر أنّ المسألتين منفصلتان وليس إحداهما عين الأخرى ولا متوتّبة على الأخرى ، بل النسبة كما يظهر منهما هي

العموم والخصوص من وجه .

تلاحظون المناطق في المسألة الأولى هو جواز التقليد وعدم جواز التقليد ، إنّ التقليد في أصول الدين جائز أو لا ، من دون

فوق بين أن يكون الحاصل من التقليد هو الظنّ أو الحاصل من التقليد هو الحزم واليقين ؛ لأنه سيأتي في بعض الأحيان قد

يكون التقليد موجبا للحزم واليقين .

إنّ الملاك في المسألة الأولى هو التقليد ومتابعة الغير من دون نظر واستدلال هل يجوز ولا ، سواء كانت هذه المعرفة

التي يكتسبها عن طريق التقليد معرفة يقينية أو معرفة ظنيّة .

المسألة الثانية :

المسألة الثانية لا علاقة لها بالمسألة الأولى ، قد تلتقي معها جزئياً ، لكن الملاك في المسألة الثانية أنّ الظنّ يكفي في

أصول الدين ولا ؟

سواء حصل الظنّ من التقليد أو من النظر والاستدلال ، لأنّ النظر والاستدلال لا يورث العلم واليقين ، فلو فرضنا أنّ

النظر والاستدلال لا يورث العلم واليقين وإنّما غاية ما يورثه هو الظنّ .

ومن هنا يظهر أنّ النسبة بينهما عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان في من يقدّم ويحصل له الظنّ ، وتفتقر مسألة التقليد

عن مسألة جواز الظنّ فيما إذا حصل اليقين من التقليد ، فهذه تدخل في مسألة التقليد ، ولا تدخل في مسألة جواز الاكتفاء

بالظنّ ، وتفتقر المسألة الثانية عن الأولى فيما إذا فرضنا أنّ المكلف حصل له ظنّ من النظر والاستدلال ، وذلك يحصل في

بعض الأحيان .

الصفحة 182

إنّ المسألتان منفصلتان وليستا مرتبطتين ، وليس أحدهما متوتّبة على الأخرى ، بل هما مسألتان منفصلتان ، يعني لا

معنى لإرجاع مسألة التقليد إلى مسألة الاكتفاء بالظنّ ، وإنّما لا بدّ من بحثهما كمسألتين منفصلتين ، المسألة الأولى في جواز

التقليد وعدمه والمسألة الثانية في أنّه هل يجوز الاكتفاء بالظنّ أم لا ؟

ونبحث ذلك سواء كان هذا الظنّ حاصلًا من الدليل والوهان أو كان حاصلًا من التقليد .

الاحتمال الثالث للتقليد : أنّ واد به كما ذكر في كلمات⁽¹⁾ بعضهم هو العلم من دون استدلال ونظر ، هذا هو التقليد في

أصول الدين ، بمعنى أنّ البحث في أصول الدين يقع في أنّه هل يجب على المكلف أن يعلم بمسائل أصول الدين من خلال

الدليل أو لا يجب عليه ذلك ، سواء كان علمه من خلال النظر والاستدلال والوهان أو كان علمه من خلال التقليد .

وبتعبير آخر : هل يكتفي بالعلم مطلقاً من أي سبب كان أو أنه يشترط أن يكون علمه عن نظر واستدلال ووهان ، فيكون المقصود بالتقليد معنى غير اصطلاحي ، أي ليس المراد به التقليد في أصول الدين ، وإنما المراد به شيء آخر ، وهو العلم والمعرفة مطلقاً من أي سبب حصل ، هذا هو التقليد .

فالقول بجواز التقليد يعني أنه يشترط في المسائل الاعتقادية تحصيل اليقين والجزم والعلم من أي سبب كان . هذا معنى جواز التقليد .

الاحتمال الرابع في التقليد هو : أن يكون المقصود به معناه اللغوي ، أي المراد بالتقليد ما نهت عنه الآيات الوأنية الكثيرة من قبيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ . . . ﴾⁽²⁾ ، وآيات كثيرة تنهى عن التقليد ومتابعة الأمهات

1- أنظر فرائد الأصول للشيخ الأنصاري ١ : ٥٥٤ ، صراط النجاة الميرزا جواد التبريزي ٣ : ٤٢٩ - ٤٣٠ .
2- الزخرف : ٢٢ - ٢٣ ، ولاحظ المائدة : ١٤٠ ، الأعراف : ٢٨ ، يونس : ٧٨ ، الأنبياء ٥٣ ، الشعراء : ٧٤ ، ولقمان : ٢١ .

والآباء في المسائل الاعتقادية ، فنفس هذا المنهي عنه في الآيات الشريفة هو الذي راد به في كلمات علمائنا رضي الله عنهم ، بل يمكن أن يقال : إن الأصل في طوح هذه المسألة والملفت لنظرهم إليها الآيات الشريفة التي نهت عن التقليد في أصول الدين وأمرت بالنظر والاستدلال وإقامة الوهان في أصول الدين .
غاية الأمر أن علمائنا من باب ضيق الخناق وعدم وجود كلمة تعبر عما يريدون استخدموا كلمة التقليد .
طبعاً كلمة التقليد نفسها استخدمت في الوأان الكريم ، والمقصود بها المعنى اللغوي ، يعني المتابعة العمياء من دون تمعن ونظر وتفكير ، وإنما متابعة الغير لمجرد أنه قال أو فعل ، هذا معنى التقليد .

وليس المراد بالتقليد المعنى الاصطلاحي حتى يشكّل بأنه غير معقول في المسائل الاعتقادية ومن ثم يقع الزاع في جوره أو عدم جوره ، وإنما المقصود بالتقليد المعنى اللغوي ، أي المتابعة العمياء من دون نظر وتمعن لمجرد أن الغير قاله . هذا هو الاحتمال الرابع في التقليد .

الأمر الرابع في المقدّمة نتعرّف فيه إلى توضيح بعض المصطلحات التي ترد في كلماتهم رضي الله عنهم وفي البحث الآتي ، ولابدّ من توضيحها حتى يكون البحث واضحاً ولا ندخل في مسألة عدم وضوح المصطلحات :

المصطلح الأوّل الذي يذكرونه هو «المعوفة» ، ويستخدم في كلماتهم كثيراً من أنه يجب تحصيل المعرفة في أصول الدين ، وأنّ تحصيل المعوفة شوط في الإيمان أم لا ؟
والذي يظهر أنّ المقصود بالمعوفة في كلماتهم اليقين والعلم والجزم ، فالعلم واليقين والجزم كلّها بمعنى واحد ومعناها واضح جداً .

الاصطلاح الثاني في كلماتهم التصديق العلمي ، والظاهر . والله العالم .

المقصود به هو نفس ما تقدّم ، إذن كلّ هذه اصطلاحات واد بها معنى واحداً .

الاصطلاح الثالث هو الاعتقاد والتصديق مطلقاً وليس التصديق العلمي .

هذا الاصطلاح بالخصوص هناك خلاف بينهم في تفسيره وما هو المقصود بالاعتقاد والتصديق ؟

الصفحة 185

الأسئلة والأجوبة

سؤال : حرمة التقليد هل هي في أصول الدين أو في المسائل الاعتقادية ؟

الجواب : المسائل الاعتقادية تقسم إلى عدة أقسام : وهذا السؤال مرتبط بالبحث الآتي الذي سيأتي من أن حرمة التقليد قد لا

نسلم بها في أصول الدين ، هذا سيأتي ، يعني هناك بحث من أنه هل يجوز التقليد في أصول الدين أو لا ؟

فعلاً عندما نطرحها بشكل واحد المقصود من أصول الدين المسائل الاعتقادية أيضاً .

سؤال : المعصية الناتجة من فروع الدين تحجب عن المعرفة الاعتقادية ، يعني كلما تصدر من الإنسان مخالفة لفروع الدين

يحصل حجاب عن معرفة أصول الدين ، ونحن نقول بجواز التقليد في فروع الدين ، فإذا جورنا التقليد في شيء هو مقدّمة

لأصول الدين التي لا يجوز التقليد فيها ؟

الجواب : سيأتي أنه في أصول الدين يجوز التقليد ، وأن التقليد في الجملة جائز في أصول الدين .

سؤال : تفضّلتم أنّ القضايا العقائدية الجزئية كتفاصيل الجنة والنار وما شابه ذلك ليست من الأمور الاعتقادية ، وبالتالي لا

يجب الاعتقاد بها ، ثمّ ذكرتم بعد ذلك أن عدم وجوب الاعتقاد بها لا يعني جواز الإنكار ، وهنا تناقض إذ كيف لا يجب

الاعتقاد بها وبين عدم جواز إنكارها ؟

الجواب : سيأتي أنه لا يجب الاعتقاد بها وسننقل كلمات العلماء في ذلك .

السائل : تفضّلتم أنه يتحقّق الاعتقاد في النية والقلب ، فإذا علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال شيئاً في

جزئيات الجنة والنار فهذا يلازم الاعتقاد به ؟

الجواب : إذا كان كلامكم مبني على الاتحاد فهو صحيح ، لكن بناءً على التباين لا .

الصفحة 186

السائل : هذه مسألة جانبية إذا توصّلت أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قضية جزئية قال شيئاً فهل يجب

التصديق بقوله أم لا ؟

الجواب : لا يجب عليه الاعتقاد ، لأنّ التصديق غير الاعتقاد .

سؤال : تفضّلتم أنّ الاستدلال والنظر قد لا يوجب القطع ويوجب الظنّ ، والحال أنّ هذا خلاف ما نقول ، نحن نقول : إذا

جاء الاحتمال بطل الاستدلال ، فلا يمكن أن يستدلّ الإنسان على شيء ثمّ يقطع به ثمّ يقول استدلالاً كان خاطئاً .

الجواب : المفروض أنّه لم يحصل له قطع .

السائل : نحن نلاحظ مراجعنا العظام حين لا يصلون إلى علم وقطع بالمسألة لا يستطيعون الإفتاء بها ؟

الجواب : الكلام في أنّ الإنسان قد يستدلّ على قضية وهذا الدليل مرة يورث القطع ومرة يورث الظنّ .

سؤال : يوجد خلاف بين المسلمين في عدد أصول الدين فعند الشيعة شيء وعند غورهم شيء آخر ! !

الجواب : كان مقصودنا ما يجب الاعتقاد به ، فعند الأشاعرة ما يجب الاعتقاد به عندهم مختلف عما يجب الاعتقاد به عندنا

، لكنهم يضيفون أموراً اعتقادية يجب الاعتقاد بها ، لكن الذي ينكرها لا يخرج عن الدين وإنما يخرج عن المذهب . يعني ما

يجب الاعتقاد به عند الشيعة الإمامية يختلف عما يجب الاعتقاد به عند غورهم .

سؤال : إذا كان العدل من الصفات الأصولية الإلهية فلا بدّ من إضفاء صفات أخرى وإدخالها في أصول الدين فلماذا يفود

العدل نون غوره ؟

الجواب : هذا أشرنا إليه وهو أنّه الاختلاف الموجود بين المسلمين في أنّ العدل صفة ثابتة ولا ، وهذه المسألة أفرزت

مسائل مهمّة كثيرة ، كالصفات الثانية التي ذهب إليها المعتزلة ، وغير ذلك .

الصفحة 187

النقطة الثانية : المسائل التي تدخل في بحث العدل مسائل مهمّة جداً كمسألة الأمر بين الأمرين ، والقضاء والقدر والخير

والشرّ ، وهكذا بقية المسائل .

فهاتان النقطتان يمكن أن تكونا السبب في إفراد العدل كأصل في قبال التوحيد ، لكن هذا وحده لا يعني يجب علينا أن نلتزم

بالفصل أو نلتزم بإدخاله في التوحيد ، يعني كلّ منهما له مجال ولا مانع منه ، ولا نرتكب مخالفة فيما إذا أوردناه أو فيما إذا

أورجناه في باب التوحيد .

السائل : ما ذكره الشيخ البهائي هو مصطلح جديد أو تعليق هذا لا يتناسب مع المعنى اللغوي ؟

الجواب : لا لم نقل لا يتناسب مع المعنى اللغوي وإنما قلنا توجد مسألتان وبينهما فرق .

السائل : أراد أن يقول هذا المعنى يجعلهم متساوين ؟

الجواب : لرجاع هذه المسألة إلى هذا القول بأنّ التقليد عندما يقولون بجورّه أو عدم جورّه موادهم الاكتفاء بالظنّ أو عدم

الاكتفاء ، هذا المقصود .

نحن نفسّر التقليد في كلماتهم ، المراد من التقليد الذي وقع فيه النزاع ، هذا كلامنا ، ثمّ تأتي ونقول إن المراد بالتقليد هو

الاكتفاء بالظنّ والحال أنّهما مسألتان منفصلتان .

السائل : بحثكم نفس البحث الذي طرح عند الخوارج والأشاعرة أنّه الإيمان ما هو ؟

الجواب : ليس نفس البحث وإنما من متوّعات هذا البحث .

السائل : ولأنا نبحت الأصل ما هو الإيمان ثمّ تذكر الآيات كقوله تعالى : ﴿ وَجَحْنُوا بِهَا ﴾ . . . ؟

الجواب : لم نستدلّ بها على مطلب !

السائل : بينما كلّ الخرج يستدلون بها على جانب واحد وهو التغير ؟

الصفحة 188

الجواب : الآية يستدل بها على الاتحاد ، نقول حيادية ، ولا يصح الاستدلال بها على التغير ؟ !

السائل : كلّ من قال بالتغير استدل بهذه الآية ، ولم يستدل بها من قال بالاتحاد ، وأنتم تقولون حيادية ، بل هي في الواقع الآن الخرج الأشاعرة يستدلون على أنّها تدلّ على التغير .

الجواب : نحن أيضاً قلنا من يؤمن بالتغير أحد أدلته هذه الآية ، ويستدل بها على ذلك .

ونحن نقول بأنّ الاستدلال بالآية على التغير مبني على الجحود وعدم الاعتقاد .

السائل : فنستنتج المساواة بين الجحود والكفر ، والكفر أعم من الجحود وهو باطل ؟

الجواب : أنا أقول أنّ الآية لو طرحتنا هذا التفسير لها وهذا الاحتمال فما هو الجواب عليه ؟ الآية تقول إنّ هؤلاء عندهم يقين واعتقاد ، لكنهم جحوه ظاهراً .

السائل : الآية قلت في الكافرين الجاحدين وليس لعموم الكفار !

الجواب : الآية تقول : ﴿ وَجَحَتُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ ، لا أنا !

الصفحة 189

بداية النوبة ٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين .

ما هو المراد من الاعتقاد في أصول الدين ؟

انتهينا إلى هذه النقطة وهي أنّ الاعتقاد الواجب في المسائل الاعتقادية والمطلوب في المسائل الاعتقادية هل هو نفس اليقين أو أنّه شيء آخر وراء المعرفة ؟

قلنا بأنّ هناك خلاف في ذلك ، وهناك من ذهب إلى التغير ، وهناك من ذهب إلى الاتحاد .

وقلنا معنى التغير أنّ الإنسان بعد أن يعلم بقضية ما ، هناك شيء آخر اختلري جوانحي وقلبي غير العلم وغير الجرم

وغير اليقين يعبر عنه بالاعتقاد ، ومن يقول بالاتحاد ينكر ذلك ويقول : ليس هناك شيء آخر غير الجرم واليقين والمعرفة

والتصديق .

وقلنا إنّ المسألة مسألة وجدانية ، ينبغي أن يتأمل الإنسان في وجدانه هل يشعر بالتغير أو يشعر بالاتحاد ؟

نعم هناك منبهات بلا إشكال قد تساعد على التغير وقد تساعد على الاتحاد ، والذي نشعر به بوجودنا بعد التأمل هو أنّ

الاعتقاد غير اليقين وغير المعرفة ، وأنَّ هناك شيئاً يفعلُه الإنسان في داخله بعد أن يُعلم بالشيء يسمّى بالاعتقاد ، والاعتقاد المطلوب في أصول الدين وفي المسائل الاعتقادية المقصود به هو التديّن ، والمقصود به هو اتخاذ الشيء عقيدةً وديناً ، بمعنى أنّ في المسائل

الصفحة 190

الاعتقادية ليس المطلوب هو أن يعلم الإنسان بها فقط ، وإنّما نحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك وهو أن يتخذ ما يعلمه ، وما يعرفه ديناً وعقيدةً ، هذا هو الاعتقاد المطلوب في المسائل الاعتقادية «العقائدية» .
والاعتقاد بهذا المعنى يكون مغايراً للعلم والمعرفة واليقين ، باعتبار أنّ الإنسان قد يعلم الكثير من الأشياء إلا أنه لا يعتقدها ، بمعنى أنه لا يتخذها عقيدةً وديناً .

وقلنا في البحث السابق إنّ الإنسان قد يكون متخصصاً في مذهب من المذاهب إلا أنه لا يتخذُه عقيدةً وديناً ، فهو يعلم به ويعرفه حقّ المعرفة إلا أنه لا يتخذُه ديناً ، فالعلم بالشيء غير الاعتقاد به ، والإنسان بعد أن يعلم بالشيء ويصدق به بعد ذلك يعتقد به ، والعلم كما ذكرنا سابقاً ليس المقصود به في المقام هو العلم التصوريّ ، لأنه من الواضح جداً أنّ العلم التصوريّ يغيّر الاعتقاد ، وإنّما المقصود من العلم في المقام هو العلم التصديقيّ ، الإنسان بعد أن يصدق بالشيء حينئذ له مجال الاختيار في أن يتخذُه عقيدةً أو لا يتخذُه عقيدةً ، فهناك شيء وفعل للقلب أكثر من مجرد العلم بالشيء ، وهو اتخاذ الشيء عقيدةً وديناً . هذا هو الذي ذكره كثير من المحقّقين ، والظاهر أنّ الوجدان يساعد على ذلك ، ويساعد عليه ما ذكره علماءنا الأعلام كما سيأتي أنّه في بعض الأحيان يكفي الاعتقاد الإجمالي ، ومقصودهم من الاعتقاد الإجمالي الاعتقاد بالقضية على ما هي عليه في الواقع من نون العلم بها تفصيلاً ، وقالوا : بأنّ هذا المتحقّق عند كثير من الناس في بعض الأمور كالاعتقاد بتفاصيل البرزخ والمعاد ، فالكثير من الأشخاص يعتقد بوجود التفاصيل على ما هي عليه في الواقع من نون أن يكون عالماً بها ، هذا يعبر عنه في كلماتهم بالاعتقاد الإجمالي ، يكفي للإنسان أن يعتقد بالشيء كما هو عليه في الواقع من نون أن يعلم به .

إذا صحّ هذا الكلام يكون هذا منبهاً وأضاحاً على التباين بين العلم وبين

الصفحة 191

الاعتقاد ، بمعنى أنّه في حالة من هذا القبيل يتحقّق الاعتقاد من نون علم ، ومن هنا يظهر بناءً على ذلك أن النسبة بينهما نسبة عموم وخصوص من وجه ، بمعنى أنّ العلم والاعتقاد قد يجتمعان كما هو في الحالات الاعتيادية عندما نعلم بمسألة من المسائل الاعتقادية ونعتقد بها ونؤمن بها وتديّن بها ونتخذها ديناً . هذا مورد الاجتماع . وقد يكون هناك علم من نون اعتقاد ، كما هو الحال في المنكرين الجاحدين مع علمهم بالحقّ وبالْحَقِيقَةِ وبالواقع ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (1)

، فهم بعد المعرفة كفروا وأنكروا ، وهذا معنى أنّه لم يتخونه عقيدةً وديناً ، فاختلّف العلم عن الاعتقاد ، ويختلف الاعتقاد عن العلم فيما ذكره كما قلنا في الاعتقاد الإجمالي ، الإنسان يعتقد بالشيء على ما هو عليه في الواقع من نون أن يكون عالماً به

الظاهر أن التغيرات هو الأصح في المقام ، ويمكن أن نجعل الآية الشريفة السابقة منبهة على التغيرات ، بناء على أن الجود في الآية الشريفة وهي قوله تعالى : ﴿ وَجَحْنُوا بِهَاوَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾⁽²⁾ ، يُعني عدم الاعتقاد وإن شككنا في بداية البحث حول دلالة الآية على ذلك ، لأنّ الجود المقصود به الجود الظاهري والإنكار الظاهري الذي يجتمع مع الاعتقاد ، لكن لو فسّونا الجود كما فسّوه الكثير من المحقّقين بالجود الواقعي الذي يعني عدم الاعتقاد عندئذ تكون الآية دليلاً على التغيرات ، لأنّ الآية تقول إنّ هناك يقينا في نفوس هؤلاء لكنهم جحّوه ، بمعنى أنه ليس عندهم اعتقاد بذلك .

الذي ينبغي أن يقال في هذا المقام والظاهر من مجموع كلماتهم ، أو يمكن أن يقال من خلال التأمل في مجموع كلماتهم أن الزاع بينهم يمكن أن يجعل زاعاً لفظياً في هذه المسألة ، بمعنى أنه ليس هناك زاع حقيقي ، لأن المورد الذي يذّوه

1- البقرة : ٨٩ .
2- النحل : ١٤ .

الصفحة 192

النافون غير المورد الذي يذّوه المثبتون ، فيكون الزاع لفظياً لاحقياً .

تحرير محلّ النزاع

توضيح هذه النقطة وهي نقطة مهمّة في المقام وهو أنه لا إشكال عند الجميع في وجود حالة نفسية وقلبية يعبر عنها باليقين والتصديق والجزم ، وهذه هي المعرفة المطروحة في المقام ، وهذه الحالة لا إشكال في وجودها ، والظاهر أنه لا إشكال في أنّ الكل متفقون على اعتبار التدين في الإيمان وفي المسائل الاعتقادية ، بمعنى أن الإنسان لا يكفي أن يكون عالماً بالشيء ، بل لابد أن يتدين بذلك الشيء ويتخذه ديناً ويلتزم به نفسياً ، والظاهر أن الكل متفقون على أن هذه الحالة معتوة في الإيمان .

إذن أين الخلاف ؟ الخلاف في هذا وهو هل هناك حالة وسطى فيما بين هاتين الحالتين ولا ؟

هل هناك حالة في داخل الإنسان وفي قلب الإنسان غير اليقين والتصديق وغير التدين تسمى بالاعتقاد أو لا ؟

فمن أنكر وجود هذه الحالة وقال بأنه لا توجد هناك حالة تسمى بالاعتقاد ، بل الاعتقاد الواجب في أصول الدين هو عبارة عن التدين واتخاذ الشيء عقيدة بنى ذلك على التغيرات ، لوضوح أن التدين بالشيء غير العلم به وغير معرفته ، ومن قال بالتغيرات أنكر وجود حالة وسطى بينهما تسمى بالاعتقاد ، ولا توجد ثلاث حالات وإنما الموجود حالتان : حالة اليقين والمعرفة والتصديق ، وحالة التدين بالشيء بعد العلم به وبعد معرفته . فقالوا لا توجد حالة وسطى ، والاعتقاد المطلوب في المسائل

العقائدية هو عبارة عن التدين .

إذن الاعتقاد هو نفس التدين لا أنه شيء آخر غير التدين وأما من آمن بوجود حالة أخرى وسطى بين اليقين وبين التدين

وهي عبارة عن العلم واليقين فقالوا بالاتحاد ، يعني قال بأن العلم واليقين هو عبارة عن الاعتقاد ، وليس هناك

الصفحة 193

شيء آخر وراء العلم واليقين سوى التدين والاعتقاد بالشيء واتخاذة عقيدة .

إذن الكلّ ملتزمون بأنّ المطلوب في المسائل الاعتقادية هو التدينّ ، حتىّ من يقول بالاتحاد يقول بأنه لا توجد عندنا حالة غير اليقين قبل التدينّ ، واليقين عبارة عن الاعتقاد ، لكنّه عندما يقول بأنّ اليقين عبارة عن الاعتقاد فهو يؤمن بأنّ التدينّ شرط في الإيمان ، وأنّه لا بدّ من اتخاذ الشيء ديناً وعقيدة ، والذي يقول بالتغاير يفسرّ الاعتقاد الواجب في أصول الدين بالتدينّ

وكما قلنا إنّ التدينّ هو غير اليقين وغير المعرفة ، وهذا واضح جداً .

من هنا نستطيع أن نقول بأنّ الزاع بينهم لفظي ، بمعنى أنّهم يختلفون في تفسير الحالة الوسطى التي يمكن فوضها هل هي عبارة عن التدينّ فنقول بالتغاير أو لا هي غير التدينّ فنقول بالاتحاد ، ولا توجد حالة أخرى غير اليقين إذا قطعنا النظر عن

التدينّ ؟

نتيجة البحث

النتيجة في هذا البحث هو أنّ الظاهر المطلوب في المسائل الاعتقادية شيء آخر غير اليقين وغير المعرفة يعبر عنه بالتدينّ ويعبر عنه بالاعتقاد ، وهو أن يعقد القلب بالالتزام النفسي .

وكُلّ هذه التعبيرات تعبيرات متعدّدة تشير إلى معنى واحد ، وهذا المعنى الواحد هو اتخاذ الشيء ديناً وعقيدة والالتزام به على أنّه دين وعقيدة . هذا هو الاصطلاح الثالث .

هناك اصطلاحات أخرى للإيمان يتكرّر ذكرها في البحث اصطلاح التدينّ واصطلاح عقد القلب كما ذكرنا ، فكلها تشير

إلى معنى واحد .

إلى هناك يتمّ الكلام عن المقدّم ، وقبل أن ندخل في أصل البحث نرجع إلى ما ذكرناه سابقاً ونشير إلى هذه النقطة وهي

أنّ أصول الدين التي ذكرنا بأنّها خمسة عندنا ورُبعة عند المعتولة ، وثلاثة عند الأشاعرة ، هذا العدد ليس مسألة

الصفحة 194

توقيفية تولت بها آية أو رواية حتىّ تنقيد بذلك ، وإنما جعلت الأصول خمسة عندنا ، وثلاثة عند الأشاعرة ، ورُبعة عند

المعتولة ملاكها ومعيلها هو أنّ هناك مجموعة من المسائل المطلوب فيها الاعتقاد والتدينّ شوعاً هذه المسائل جمعت بشكل

واحد كي لا تذكر مفصلة ووجد بأنّها تناسب مبحث التوحيد الذي يرتبط بإثبات وجود الصانع ونفي الشريك عنه وتوحيده وإثبات

الصفات الثبوتية له ونفي الصفات الأخرى عنه . . .

فوجد بأنّ مجموعة من هذه المسائل الاعتقادية المناسب أن توج تحت عنوان يسمّى بالتوحيد ، وهناك مسائل أخرى يطلب

فيها الاعتقاد تناسب بحث النوبة ، وهناك مسائل يطلب فيها الاعتقاد وتناسب بحث الإمامة وهكذا .

إذن عنوان التوحيد وعنوان النوبة وعنوان الإمامة هو عنوان يشير إلى مجموعة من المسائل المطلوب الاعتقاد فيها والتدينّ

شوعاً ، من هنا يظهر أنّه لا يوجد محذور شعوي أو عرفي في أن نقلّ من هذه الأصول أو نكثر منها كما ذكرنا في قضية

العدل وقلنا : إنّ الإمامية فوزوا العدل عن التوحيد مع أنّه من مباحث التوحيد لاعتبارات وميزات ذكرنا بعضها في المحاضرة

السابقة ، ففرزوه واعتبروه أصلاً باعتبار أهميّة مسائل العدل مما استوجب فرز العدل كأصل من أصول الدين .

قد يأتي باحث آخر ويقول : لا داعي لهذا الفرز ، بل نوج مسائل العدل في مباحث التوحيد ؟

نقول : لا اشكال في الاثنتين ، يعني ليس هناك محذور شوعي في فرز العدل عن التوحيد أو إواجهه في ضمن التوحيد ، لأنّ عنوان التوحيد عنوان مشير لا أكثر ، وهذه المسألة ليست توقيفية الشلوع طلب منّا الاعتقاد بها والإصل التوحيد وأصل النبوّة لم يردا في شيء من الأدلّة ما يشير إلى بحث مسألة وجود الصانع أو مسألة نفي الشرك عنه ، وهكذا بقية المسائل ، لكنّها لا تشير إلى وجود أصول خمسة أو أربعة كأصول للدين ، وانمّا قلنا هناك مجموعة من المسائل يطلق فيها

الصفحة 195

الاعتقاد ، لكنه لوحظ أنّ هذه المسائل بعضها يناسب مبحث التوحيد ، وبعضها يناسب مبحث المعاد ، وبعضها يناسب مبحث النبوّة ، وبعضها يناسب مبحث الإمامة ، وهكذا . ففوزت بهذا الشكل الذي ذكرنا .

ومن هنا قلنا في المحاضرة السابقة أنّه لا محذور في فرز العدل عن التوحيد ليكون شعراً للإمامية الاثني عشرية وليكون شعراً للعدلية بشكل عام ، وكما أنّه لا مانع في إواجهه في مباحث التوحيد ، وهذا كلّهُ يرتبط بالمحاضرة السابقة .

عودة إلى أصل البحث

أصل البحث يقع في ضمن فصول :

الفصل الأوّل :

نتكلّم فيه عن حكم التقليد في أصول الدين ووجوب النظر والاستدلال في المسائل الاعتقادية .

ذكرنا في البحث السابق أنّه لا إشكال عندهم في عدم جواز التقليد في أصول الدين ، ووجوب النظر والاستدلال وتحصيل المعرفة عن نظر واستدلال ، وادّعي الإجماع على ذلك ، ونقلنا في المحاضرة السابقة عبارة عن العلامة في الباب الحادي عشر ، واليوم نقو عبارة أخرى للشهيد الثاني في رسالة حقائق الإيمان قال الشهيد - على ما نقل عنه : «اعلم إنّ العلماء أطبقوا على وجوب معرفة الله بالنظر ، وأنّها لا تحصل بالتقليد إلاّ من شدّ منهم»⁽¹⁾ ، وأيضاً يدّعي الإجماع على هذا الشيء . وادّعي الاجماع في كلمات غير هذين العلمين من العلماء كالفاضل المقداد والآمدي والقوشجي والحاجبي من أبناء العامة .

1- حقائق الإيمان : ٥٩ .

الصفحة 196

نعم ، هناك خلاف جانبي في أنّ وجوب المعرفة هل هو عقلي أو سمعي ؟

هذا الخلاف بين العدلية والأشاعرة ، حيث إنّ الأشاعرة يؤمنون بأنّ وجوب المعرفة سمعي لا عقلي ، بينما العدلية يؤمنون

بأنّه عقلي .

وهذا البحث مبني على مسألة التحسين والتقيح العقليين وأنّه هل هناك أحكام عقلية بمغول عن الشلوع .

أم أنه لا توجد أحكام عقلية فلا حسن إلا ما حسنة الشروع ولا قبح إلا ما قبحه الشروع؟ هذا البحث بحث جانبي لا يرتبط بأصل بحثنا، والذي يبينوا كما قلنا في البحث السابق أن الأصل في هذا البحث هو الآيات الوأانية التي تنهى عن التقليد، وهي كثرة جداً، والآيات الوأانية التي تأمر بالاستدلال والنظر والتفكر والتدبر في آيات الله سبحانه وتعالى المنتشرة في الأفاق وفي أنفسنا الأصل في ذلك هو الآيات، وليس المقصود من ذلك أن الآيات هي الدليل على وجوب المعرفة، وإنما المقصود أن الآيات هي المنبئة على إثرة هذا البحث باعتبار أن الله ينبه الإنسان إلى ما يوركه عقله، فهي أشبه بالأدلة المرشدة إلى ما يقتضيه العقل وما يحكم به العقل كما سيأتي.

الأدلة التي استدلت بها على عدم جواز التقليد

الأدلة التي استدلت بها على عدم جواز التقليد وعلى وجوب النظر وتحصيل المعرفة عديدة.

الدليل الأول

وأول دليل ذكر في كلماتهم عبارة عن الإجماع المنقول في كلمات غير واحد من علمائنا على وجوب تحصيل المعرفة.

مناقشة الدليل الأول

هذا الدليل كما هو واضح لديكم لا يمكن أن يستدل به في المقام باعتبار

الصفحة 197

أن المسألة في المقام تطرح قبل فرض حجية الإجماع، يعني إذا كنا نستدل بالإجماع على وجوب تحصيل المعرفة فهذا يتوقف في الحقيقة على أن نوع من وجود الصانع، ونوع من وجود النوبة، ونوع من وجود الإمامة، ونوع من أن المعصوم جعل الحجية للإجماع، فبعد أن نوع من كل هذا عندئذ نأتي ونستدل بالإجماع على وجوب المعرفة في أمور أخرى، هذا ممكن، أما أن نستدل بالإجماع على وجوب المعرفة في التوحيد، وعلى وجوب المعرفة في النوبة، وعلى وجوب معرفة الإمامة، فهذا غير ممكن، لأنه يستلزم النور كما هو واضح، لأن صحة الاستدلال بالإجماع موقوفة على ثبوت أصول الدين في الجملة، فلا معنى لأن نستدل بالإجماع على وجوب المعرفة، نفس هذه الأصول التي يتوقف عليها حجية الإجماع، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: أن هذا الإجماع يمكن الخدشة في صغاه، بمعنى أنه ليس واضحاً أن هناك إجماعاً كما ذكرناه؛ لأن معقد الإجماع المذكور في كلام الشهيد وكلام العلامة وكلام غوهما عبارة عن المعرفة التفصيلية الحاصلة من النظر والاستدلال، هذا هو معقد لإجماع.

والظاهر أن هذه المسألة ذهب إليها المشهور، لكنها ليست مما أجمع عليه علمائنا، وذلك لأنه سيأتي أن الشيخ الطوسي يخالف في ذلك وروى كفاية المعرفة مطلقاً سواء حصلت من النظر والاستدلال أو حصلت من التقليد، بل نسب إليه أنه روى كفاية الظن الحاصل من التقليد في تحقق الإيمان، وهناك جملة من العلماء نسب إليهم القول بكفاية الظن مطلقاً سواء حصل

من النظر أم من التقليد كصاحب المدرك والمقدّس الأردبيلي والفيض الكاشاني .

وهناك رأي اختلّه كثير من المتأخّرين وسيأتي استواضه ومنهم الشيخ

1- أنظر فرائد الأصول ١ : ٥٥٤ ، ونسبه إلى المحقّق الطوسي لا الشيخ الطوسي .

الصفحة 198

الأنصلي⁽¹⁾ ، حيث ذهبوا إلى كفاية المعرفة مطلقاً ، بمعنى اليقين والجزم والمعرفة القطعية ، سواء حصلت من التقليد أم حصلت من النظر والاستدلال ، فمع مخالفة هؤلاء كيف يمكن ادّعاء الإجماع على ما ذكره ؟ !
إذن صوّى الإجماع محل شكّ في الحقيقة فينبغي طرح الإجماع وعدم ذكره من أدلّة وجوب المعرفة .

الدليل الثاني على وجوب المعرفة

الدليل الثاني على وجوب المعرفة : هو قاعدة وجوب شكر المنعم ، هذه القاعدة عقلية يبركها العقل ، وهي من أحكام العقل العلمي ، لأنّ العقل يبرك انبغاء الفعل وانبغاء العمل ، فيكون عقلاً عملياً في قبال العقل النظري .
هذا الدليل له تويينان :

التقريب الأوّل

الذي هو المشهور بينهم : بأنّه العقل يحكم بوجوب شكر المنعم ، وهذه قضية مسلمة ، وشكر المنعم لا يكون إلا بعد معرفته ، لأنّ من نون معرفة المنعم لا يمكن أداء شكوه الواجب عقلاً فإنّ باعتبار أن العقل يحكم بوجوب شكر المنعم ، والشكر الواجب الذي يحكم به العقل يتوقّف على المعرفة ، فالمعرفة أيضاً تكون واجبة بحكم العقل باعتبارها مقدّمة للشكر الواجب عقلاً .
هذا هو التقريب الأوّل .

واضح من هذا التقريب أنّ وجوب المعرفة لا يبركه العقل مباشرة ، وإنّما العقل يبرك وجوب شكر المنعم ، لكن حيث إنّ المعرفة مقدّمة للشكر الواجب فتكون واجبة عقلاً ، فما يبركه العقل ولا وبالذات هو عبارة عن وجوب شكر المنعم .

1- فرائد الأصول ١ : ٥٥٥ .

الصفحة 199

هنا لا بدّ أن نوضح أنّ المقصود بالشكر في هذه القضية العقلية ليس هو الشكر اللساني ، وإنما المقصود كما صرحوا بذلك هو صرف النعمة فيما خلقت لأجله وهو النعم ، والمقصود بالنعم عبارة عن نعمة الوجود ونعمة الخلق ونعمة الحواس والنعم الذي تفضّل بها علينا المنعم الحقيقي . فشكر المنعم الذي يبرك العقل وجوبه هو عبارة عن صرف النعمة فيما خلقت لأجله هذه النعمة ، المنعم خلقها لأجل غاية وهدف بلا إشكال ، والإنسان عندما يريد أن يشكر المنعم لا بدّ أن يعترف هذه النعمة إنّما خلقت لأجله ، هذا هو الشكر الذي يبرك العقل وجوبه ، وبالنسبة للمنعم الحقيقي واضح بأنّ شكر المنعم بهذا المعنى يتوقّف

على معرفة المنعم ولا يمكن للإنسان أن يؤدي الشكر الواجب للمنعم إلا إذا عرف المنعم حتى يؤدي الشكر المطلوب منه بحكم العقل .

التقريب الثاني للقاعدة

التقريب الثاني : ذكره بعض المحققين وهو يتلخص في أن نجعل المعرفة نفسها من مصاديق شكر المنعم لا أنها مقدمة للشكر الواجب ، بينما التقريب الأول يقول : إن المعرفة مقدمة للشكر الواجب فتكون واجبة ، لأنها مقدمة للواجب ، بينما في التقريب الثاني يجعل المعرفة بنفسها شكراً للمنعم فتكون واجبة بالوجوب النفسي ، وبحسب الاصطلاح المعرفة هي نوع من أنواع الشكر للمنعم الحقيقي ، بل هي من أفضل أنواع الشكر لما ذكروا من أن مراتب الشكر ومرتبات الدين ثلاثة : العلم (1) والحال والعمل .

والمعرفة من النوع الأول والخضوع له قلباً من النوع الثاني ، وصوف النعمة فيما خلقت لأجله من النوع الثالث .
وأفضل هذه المراتب هي المعرفة ، فتكون المعرفة بنفسها شكراً للمنعم ،

1- أنظر التحفة السنبية : ٢٦ .

الصفحة 200

فتكون واجبة بالوجوب النفسي كما قلنا . هذا تقريب مذكور في كلماتهم .

مناقشة الدليل الثاني بكلا تقريبيه

المناقشة الأولى : إنه مبني على قاعدة التحسين والتقيح العقليين ، باعتبار أنه من دون الإيمان بالتحسين والتقيح العقليين وأما وأي الأشاعرة عندئذ لا معنى للاستدلال بهذا الحكم العقلي ، ولا معنى للاستدلال بكل الأحكام العقلية ومنها هذا الحكم العقلي ، لأن الأشاعرة يقولون بأن العقل لا يبرك حسن الأشياء وقبحها ، وإنما الحسن ما حسنة الشروع والقبيح ما قبحه الشروع ، فلا معنى لأن نقول شكر المنعم حسن بإيواك العقل من دون أن نترك ذلك من الشروع ، ولا معنى لأن نقبح ترك شكر المنعم عقلاً من دون أن نترك ذلك من الشروع .

فإن الاستدلال بهذا الدليل مبني على قاعدة التحسين والتقيح وهي ليست مسلمة عند الجميع .

هذا الإشكال الأول لا يبعد أنه ورد ، بمعنى أنه إشكال صحيح ، لكن الاستدلال مبني على الإيمان بالتحسين والتقيح

العقليين الذي نؤمن به ويؤمن به العدالة بشكل عام .

المناقشة الثانية : هي أن يقال : بأن الاستدلال بهذا الدليل العقلي يتوقف على إجاز صغاه ، وصغاه عبارة عن وجود

المنعم ، بينما نطرح المسألة قبل فرض وجود المنعم ، فالمسألة مطروحة قبل فرض وجود المنعم ، بينما القاعدة العقلية

صغاه وجود المنعم وهي تقول : إذا كان هناك منعم موجود أنعم عليك فيجب عليك أداء شكوه ، والدليل لا يتعوض إلى

إثبات موضوعه ، وإنما إذا وجد منعم أنعم عليك بشيء فيجب عليك أداء شكوه .

ونحن هنا من أول الكلام نبحت عن وجود المنعم ، ونحن نتكلم في أصول الدين ونريد أن نثبت وجوب المعرفة في أصول الدين حتى نذهب ونفتش ونبحث ونصل إلى نتيجة من أن هناك مدوراً خالقاً صانعاً فيؤمن به ، والمفروض أنه لم نؤغ

الصفحة 201

عن وجود الصانع ولم نؤغ عن وجود المنعم ، وإنما نريد أن نستدل بالقاعدة العقلية على وجوب معرفة المنعم ، ومعرفة الصانع ، ومعرفة الخالق ، فإن لا معنى للاستدلال بهذا الدليل العقلي ، وهذا واضح .

ويمكن الجواب عن هذا الاشكال وهو أن القاعدة العقلية لا تختص بصورة العلم بوجود المنعم ، وإنما تثبت حتى في صورة

احتمال وجود المنعم ، وهذه قضية ندعيها ، وإذا تمت هذه كما سيأتي فلا إشكال في أن الاستدلال بالدليل يكون تاماً ، لأن

احتمال وجود الخالق وجود المنعم قائم بلا إشكال ، واحتمال وجود المنعم يكفي ويصح الاستدلال بهذا الدليل .

بمعنى أن الاستدلال بهذا الدليل العقلي لا يتوقف على إثبات وجود المنعم حتى نقول بأن هذا لا يصح الاستدلال به في

المقام ، وإنما يكفي فيه احتمال وجود المنعم ، والاحتمال قائم بلا إشكال حتى قبل أن ندخل في تفاصيل أصول الدين وقبل أن

نفوض الإيمان بأصول الدين في نفس كل إنسان ، وفي فطرة كل إنسان .

وهذا الدليل يكفي باعتبار أنه إذا أردنا أن نحلل هذه القضية العقلية ، وهي لماذا يحكم العقل بوجوب شكر المنعم ؟ لأن

العقل يرى أن المنعم له حق ، وأن تضييع هذا الحق بعدم شكره يكون ظلماً له ، وهو قبيح عقلاً فينبغي المحافظة عليه وادائه ،

ومن الواضح بأن هذه القضية كتحليل للحكم العقلي لا إشكال في أنه لا يفوق فيها بين القطع بوجود المنعم وبين احتمال وجود

المنعم ، فتضييع الحق ولو كان على مستوى الاحتمال يكون قبيحاً بنظر العقل ، يعني لا مجال للأصول العملية المؤمّنة

كالوادة وأمثال الوادة ، لأنه استخدام لها قبل الفحص وهو لا يجوز ، لأن إجماع الأصول العملية حتى العقلية منها قبل

الفحص لا يصح ، وإنما يجوز التمسك بها بعد الفحص لا قبل الفحص وكلامنا قبل الفحص .

احتمال أن يكون هناك منعم ويكون ترك شكره بتوك معرفته هذا بنفسه

الصفحة 202

منجز لحكم العقل بوجوب الشكر وبوجوب المعرفة ، تحصيلاً للشكر بأنه يجب عليك أيها الإنسان أن تعرف هذا المنعم ولو

كان على مستوى الاحتمال فيحكم العقل ؛ لأن في ترك المعرفة احتمال الوقوع في القبيح عقلاً ، وهذا غير جائز .

وعلى هذا الأساس وهذا التحليل يكون هذا الدليل العقلي واصلًا إلى حد الإلزام ، لأن بعضهم ناقش بأن هذا الدليل غاية ما

يدلّ عليه هو حسن الشكر وأنه لا يمكن إثبات لزوم ذلك ، وهو أن العقل يبرك ووجوب شكر المنعم ، وإنما العقل يبرك حسن

الشكر وأن الشكر شيء حسن أما أنه واجب فلا ، وأن تركه يعتبر وقوعاً في القبيح فلا ، وإنما يحوجه إلى ارتكاب القبيح فيما لو

قلنا بأن وجوب الشكر هو من باب إرثاق العقل وجود حق للمنعم ، وأن ترك الشكر بتوك المعرفة هو تضييع لهذا الحق

فيكون ظلماً ، والظلم بلا إشكال قبيح ، والأحكام العقلية إلزامية بهذا المعنى وليست مثل الأحكام الشوعية .

الدليل الثالث

هو أيضاً حكم عقلي كما ذكره ، وهو مبني على قاعدة دفع الضرر المحتمل ، وقاعدة دفع الضرر المحتمل قاعدة عقلية يدركها عقل الإنسان ، وهي تقتضي من الإنسان تحصيل المعرفة ، لأنه إذا ترك تحصيل المعرفة احتتمل الوقوع في الضرر ، لأنه إذا كان هناك خالق حقيقي ، وهذا الخالق أرسل رسولاً ، وهذا الرسول له شوائع وأحكام ، ومخالفة أحكامه فيها احتمال الوقوع في الضرر وفي العقاب ، فالعقل يحكم بوجوب دفع الضرر المحتمل .

فإن العقل يحكم بوجوب تحصيل المعرفة ، ووجوب التفتيش عن وجود خالق من عدمه ، وعن صحة مدعين النوبة من عدمه حتى لا يقع في الضرر المحتمل من ترك الفحص عن الخالق سبحانه وتعالى ، يجب علينا أن نفتش عن معجزته ونرى صحتها . هذا الدليل الثالث قبل أن نذكر الدليل الرابع هنالك جملة ملاحظات يتضح من خلالها الاستدلال أكثر بهذين الدليلين نذكرهما على شكل نقاط .

الصفحة 203

ملاحظات لتوضيح الاستدلال

النقطة الأولى :

هي أن المعرفة الواجبة الثابتة في الدليل الثاني أوسع من المعرفة الثابتة في الدليل الأول ، فالمعرفة الواجبة الثابتة بدليل وجوب دفع الضرر المحتمل أوسع دائرة من المعرفة الثابتة بدليل وجوب شكر المنعم ، وتوضيح هذا الأمر هو أن وجوب شكر المنعم لا يصح الاستدلال به إلا على وجوب المعرفة في باب التوحيد فقط ، فيستدل به على وجوب المعرفة في هذا النطاق الضيق وهو مسألة التوحيد ، لوضوح أن المقصود من المنعم هو المنعم الحقيقي الخالق المصور ، والمقصود من الشكر هو صرف النعمة فيما خلقت لأجله ، فلا يثبت إلا وجوب معرفة المنعم الحقيقي ، يعني وجوب معرفة الله تعالى .

فإن هذا الدليل يثبت وجوب المعرفة في باب التوحيد ، أما النوبة والإمامة فضلاً عن المعاد فلا نستطيع أن نستدل بهذا الدليل على وجوب المعرفة ، أما معرفة النبي فلا ، لأن النبي والإمام ليسا منعمين ، وكذلك المعاد لا علاقة له بشكر المنعم .

لأول وهلة يبدو أن الدليل لا يثبت لنا وجوب المعرفة إلا في نطاق ضيق وهو التوحيد ، في حين أن الدليل الثاني . يعني دليل وجوب دفع الضرر المحتمل . يُثبت وجوب المعرفة في دائرة واسعة جداً ، لأنه لا إشكال كما أن ترك معرفة البري فيها احتمال الضرر كذلك ترك معرفة النبي فيها احتمال الضرر ، وكذلك ترك معرفة الإمام فيها احتمال الضرر ، وترك معرفة المعاد أيضاً فيها احتمال الضرر ، فالعقل يحكم بوجوب المعرفة في جميع هذه المسائل لكي يدفع الإنسان الضرر المحتمل عنه .

هذا ما يبدو لأول وهلة ، لكن هناك محاولة من المحققين على توسعة دائرة المعرفة الواجبة بالدليل الأول ، وهو أن وجوب

شكر المنعم لا يثبت

الصفحة 204

به وجوب المعرفة في باب التوحيد فقط ، وإنما يثبت به وجوب المعرفة في باب النوبة والإمامة .

وهناك تقريبان لهذه التوسعة .

تقريبان لتوسعة الدليل الأول

التقريب الأول

مذكور في الكفاية يقول الشيخ الآخوند : بأن وجوب المعرفة ، معرفة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) تجب باعتبار أنهم وسائل النعم ، نعم الله سبحانه وتعالى ووسائل آلائه ⁽¹⁾ .

ومقصوده من هذه أنهم مجري فيض الوجود كما يقولون ، أو أن الخلق والإيجاد لأجلهم كما في بعض الروايات ، وبحكم كونهم وسائل يجب شكرهم ، وشكرهم يتوقف على معرفتهم ، مما يعني أنه طبق القاعدة العقلية على الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) كما طبقناها على المنعم الحقيقي ، غاية الأمر أن الملاك يختلف باعتبار أن الله سبحانه وتعالى المنعم حقيقة ، بينما الملاك هنا باعتبار أنهم وسائل فيض النعم على العباد ، فيكون النبي منعماً ، فالعقل يحكم بوجوب شكره المتوقف على معرفته

فإذن تجب المعرفة حتى في النبوّة والإمامة .

التقريب الثاني

وهو أن يقال : إن أداء شكر المنعم الحقيقي يتوقف على معرفة هؤلاء باعتبار أننا قلنا : إن الشكر المقصود في المقام هو صرف النعمة إلى من خلقت لأجله ، ومعنى هذا الكلام أن الخالق سبحانه وتعالى المنعم أعطانا النعمة لهدف

1- كفاية الأصول : ٣٢٩ - ٣٣٠ .

الصفحة 205

وغاية ، والشكر الذي يترك العقل وجوبه هو صرف النعمة الموجودة في تلك الغاية وفي ذلك الهدف ، وهذا الشكر يتوقف على معرفة الغاية والهدف ، ولا يعرف هدف المنعم إلا عن طريق رسله المبلغين عنه وهم الأنبياء والأئمة . وهذا التقريب لا يطبق القاعدة على الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) كما في التقريب الأول ، وإنما يقول : إن وجوب الشكر للمنعم الحقيقي ، لكن أداء الشكر على الوجه المطلوب لا يكون إلا بعد معرفة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ؛ لأننا لا نتمكن من أداء الشكر الواجب عقلاً إلا إذا عرفنا الغاية والهدف الذي من أجله أعطيت النعمة لنا ، ولا طريق لنا باعتبار النقص الموجود فينا لمعرفة أهداف الله تعالى إلا من خلال رسله وأوصيائه .

فبناءً على هذا التقريب الثاني . وهو الأقرب والأوجه من الأول . سوف تنتسج دائرة المعرفة الواجبة لتشمل معرفة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) فضلاً عن معرفة الله سبحانه وتعالى ، لكنه بالرغم من ذلك تبقى دائرة المعرفة الواجبة بهذا الدليل أضيق من دائرة المعرفة الواجبة بالدليل الثاني ، يعني وجوب دفع الضرر المحتمل يثبت به وجوب المعرفة حتى في المعاد ؛ لأنّ ترك معرفة المعاد فيها احتمال الضرر بلا إشكال ، بينما وجوب شكر المنعم لم يستطع إلا إثبات وجوب المعرفة في باب

النقطة الثانية

وهي أنّه يبدو للوهلة الأولى أنّ ما يثبت بهذين الدليلين وجوب المعرفة ، فهل يمكن أن نثبت بهما أيضاً وجوب الاعتقاد ، بناءً على ما فوّغنا منه التغيرات بين المعرفة وبين الاعتقاد ؟

لدليل وجوب شكر المنعم يتوقّف كما تقدّم على المعرفة ، وترك المعرفة فيه احتمال الضرر ، فتجب المعرفة دفعا للضرر المحتمل ، فإنّ الذي يثبت بهما وجوب المعرفة فهل يمكن أن نثبت بهما وجوب الاعتقاد زائداً على المعرفة ؟

الصفحة 206

الظاهر يمكن اثبات وجوب الاعتقاد بهما باعتبار أنّ ترك الاعتقاد فيه احتمال الضرر .

كما أنّ ترك المعرفة فيه احتمال الضرر كذلك تحصيل المعرفة وترك الاعتقاد والتدينّ فيه احتمال الضرر أيضاً ، بمعنى أنّ الإنسان يحتمل وجود أدلّة سمعية أو إجماعات أو غير ذلك ، تولد لديه احتمال أنّ الله سبحانه وتعالى لا يريد فيه مجرد المعرفة ، وإنّما يريد منه أن يعتقد ويتدينّ بهذا الشيء ويلتزم به نفسياً ؛ لأنّ هذا هو المناسب في الشوائع والأديان من التركيز على مسألة الاعتقاد لا على المعرفة وحدها من دون اعتقاد .

فإنّ هذا يخلق عند الإنسان احتمال أنّ الاعتقاد مراد للمولى سبحانه وتعالى ، فتوركه يكون فيه احتمال الضرر ، فيجب حينئذ تحصيل الاعتقاد بعد تحصيل المعرفة ، يعني لا يحكم بتحصيل الاعتقاد قبل المعرفة وإنّما تجب المعرفة ومن ثمّ الاعتقاد لدفع الضرر المحتمل .

ويمكن أيضاً الاستدلال بالدليل الأول على ذلك ، أي : يمكن افتراض هذا الشيء وهو أداء الشكر الواجب للمنعم الحقيقي ، لأنّنا نحتمل أنّ الشكر المطلوب والوجه المطلوب للمنعم الحقيقي لا يتأتّى لمجرد معرفة المولى ، وإنّما يتوقّف على الاعتقاد والتدينّ ، وهذا محتمل أيضاً كما قلنا ، باعتبار أنّ المتعرف عند الأديان والعقائد هو أنّ المطلوب فيها الاعتقاد زائداً على تحصيل المعرفة .

النقطة الثالثة

وهي أنّ الدليلين وإنّ أوجها في باب الأحكام العقلية والأدلة العقلية ، لكن هناك فرق بينهما ، الدليل الأول يدخل في باب العقل العملي كما قلنا ، لأنّ العقل يبرك هذا الشيء أي ممّا ينبغي أن يعمل ، وأنّ الشكر ينبغي أن يعمل للمنعم تعالى ، بينما الدليل الثاني هو أشبه بالدليل الفطري ، يعني ليس هناك حكم عقلي بوجوب دفع الضرر المحتمل بحيث إنّ المقدم على الضرر المحتمل يستحقّ ذمّاً وعقاباً

الصفحة 207

عقلياً زائداً على ما يتركبه من الضرر ، وإنّما الضرر كان مقطوعاً أو محتملاً لا يستحقّ ذمّاً أكثر مما يحصل عليه نتيجة إقدامه على الضرر المقطوع أو الضرر المحتمل ، فهو أشبه بالقضية الفطرية بهذا المعنى الذي قلنا .

إلا أنّ هذا الذي نقوله لو تمّ فهو لا يؤثر على أنّ الإنسان ملوم بالنتيجة وأن يفرض عنه إذا أترك وجود الضرر المحتمل فضلاً عنه الضرر المقطوع ، لكن تعرف عندهم تسميته بالأدلة العقلية .

الصفحة 208

الصفحة 209

الأسئلة والأجوبة

سؤال : بالنسبة للاعتقاد الإجمالي لا يمكن جعله دليلاً على التغيرات ؛ لأنّ هذا الاعتقاد موجود ، هو يعتقد بما يعلمه إجمالاً ويعتقد بأشياء وهمية أو يعتقد بالرسول أو يعتقد بما يقول الرسول ، وهو لا يعلم بهذه الأشياء ، وإنما يعتقد بالعلم الإجمالي ؟
الجواب : هو يعتقد بما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أنا أعتقد وأتبيّن بما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من نون علمي به .

السائل : أنا أعتقد بصدق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

الجواب : لا يوجد علم إجمالي ، أنا أعتقد بما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بكلّ ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بدون اطلاع عليه .

سؤال : هناك حالة وسطى بين التغيرات والاتحاد ، وهي ما إذا فرضنا بأنّ الاعتقاد نفس اليقين .

الجواب : وإذا أنكونا الحالة الوسطى لا بدّ أن نلقم بالتغيرات ، وإذا أنكونا الحالة نقول : إنّ الاعتقاد هو نفس اليقين .

سؤال : بالنسبة للتدين فوق واضح بين التدين والاعتقاد ؟

الجواب : تفترضون أنّ الاعتقاد هو نفس اليقين ، الاعتقاد يعني اتّخاذ الشيء عقيدة ، وهو غير اعتقاد صحتّها ، والنتيجة أنّه في المسائل الاعتقادية يجب التدين فيكون الزّاع لفظياً ، هذه قضية مسلمة عند الكلّ من يقول بالاتحاد ومن يقول بالتغيرات ، فمن يقول بالاتحاد يقول : بأنّ الاعتقاد هو نفس العلم ، لكن هناك شيئاً آخر في باب العقائد وهو التدين ، فمن يقول بالتغيرات يقول بأنّ الاعتقاد هو نفس التدين .

السائل : العلم ثمّ الاعتقاد ؟

الصفحة 210

الجواب : كلامنا في المقام الذي يجب في أصول الدين وفي المسائل الاعتقادية ، وهو الاعتقاد وما هو العواد منه ، فهل العواد منه التدين .

إذا كان العواد منه التدين فلا إشكال في المغاوة أمّا إذا كان العواد منه حالة وسطى بين التدين وبين اليقين ، فنقول لا توجد حالة وسطى ، والكلّ متفقون بلزوم التدين في المسائل الاعتقادية .

سؤال : ما هو تعريف علم الكلام وموضوعه ؟

الجواب : هذا ما لاربط له بالبحث .

سؤال : عن الحسن والقبح والشكر الواجب يدخل في الأحكام النظرية العقل النظري أم العملي ؟

الجواب : كُـلُّ حَـكْمٍ بِالْحَسَنِ وَالْقَبْحِ يَدْخُلُ فِي بَابِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ ، وَكُلُّ عَقْلِيٍّ مِنْ حَسَنِ شَيْءٍ أَوْ قَبْحِهِ يَدْخُلُ فِي بَابِ الْعَقْلِ

الْعَمَلِيِّ ، هَذِهِ قَضِيَّةٌ مُسَلِّمَةٌ ؛ لِأَنَّ يَنْبَغِي أَنْ يُعْمَلَ الْحَسَنَ وَيَجْتَنَبَ الْقَبِيحَ ، وَحَيْثُ إِنَّ الْعَقْلَ يَبْرُكُ حَسَنَ الشُّكْرِ فَيَجِبُ الشُّكْرُ .



بداية النوبة ٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تلخيص ما تقدم

نلخص ما توصلنا إليه في الليلتين السابقتين :

النقطة الأولى : ذكرنا بأن جعل الأصول العقائدية خمسة أو أربعة أو ثلاثة هذه ليست مسألة توقيفية ، وأن هذه العناوين هي مجرد عناوين وإشترات إلى المسائل التي تروج عادة تحت تلك العناوين ، فبالإمكان أن نجعل بدل التوحيد الإيمان بوجود الله ، أو مسألة نفي الشريك عن الله ، ومسألة تقويه الله عن النقائص ، كل هذه في الحقيقة أصول عقائدية تدخل في أصول الدين ، غاية الأمر أننا جمعنا كل هذه المسائل بكلمة التوحيد ، فأصبحت مشوة إلى هذه المسائل التي لا بد من الاعتقاد بها حتى يكون الإنسان مؤمناً وموحداً .

النقطة الأخرى : النتيجة التي انتهينا إليها :

نلخصها بعبارة واضحة وهي أن نقول : لا إشكال في أن التدين معتبر في الإيمان ، وحينئذ الاعتقاد المطروح إذا كان المراد منه نفس التدين ، فلا إشكال في أنه يغيّر اليقين ويغيّر المعرفة وأما إن كان المراد به شيئاً آخر غير التدين وغير اليقين فنحن ننكر وجود مثل هذه الحالة ، ونقول : لا توجد حالة أخرى غير اليقين وغير المعرفة والتدين بما عرفه الإنسان وبما علمه ، وهذا التدين هو المطلوب في العقيدة كشرط من شروط الإيمان بلا إشكال .
هذه أيضاً نتيجة توصلنا إليها في البحث السابق .

الدليل الرابع على وجوب المعرفة

الصفحة 212

انتهى الكلام إلى الدليل الرابع وهو وجوب المعرفة حيث ذكرنا ثلاثة أدلة ، وانتهى الكلام إلى الدليل الرابع على وجوب المعرفة ، وهو عبارة عن الأدلة السمعية ، والأدلة السمعية كثرة ، يستدل بها على وجوب المعرفة والظاهر دلالتها على وجوب المعرفة في الجملة ، هذه الأدلة بعضها آيات قرآنية وبعضها روايات وأحاديث نبوية ، ذكر في المقام الآية وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾⁽¹⁾ .

بتقريب أنه ليعبدون فسرت في الروايات ، بل اتفاق المفسرين⁽²⁾ . وإن لم نجد ذلك . على تفسير العبارة في الآية بالمعرفة . يعني ما خلقت الجن والإنس إلا ليعرفون ، وإذا كانت المعرفة هي الغاية من خلق الإنسان فتكون واجبة وتكون لازمة على الإنسان كذلك الآيات القرآنية التي تنهى عن التقليد ومتابعة الآباء والأمهات في المسائل الاعتقادية ، وهي كثرة جداً ، وكذلك أيضاً استدلال الآيات الآمرة بالنظر والتدبر في آيات الله الموثقة والموجودة في الآفاق وفي أنفسهم ، وهي أيضاً آيات كثيرة من

قيل قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ

إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَاقًا . . .

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾^(٦) .

1- الذاريات : ٥٦ .

2- تفسير الصافي ٥ : ٧٥ ، علل الشرائع ١ : ٩ .

3- الأعراف : ١٨٥ .

4- العاشية : ١٧ - ١٨ .

5- آل عمران : ١٩٠ .

6- عبس : ٢٤ - ٢٦ .

الصفحة 213

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(١) .

كلّ هذه الآيات تدعو إلى التدبّر والتأمّل في آيات الله لكي يستدلّ بها الإنسان على الأصول الاعتقادية .

واستدلّ بالروايات ، ولعله أهمّ ما يذكر في المقام ، يعني تذكر روايات كثيرة في جملة الروايات التي تذكر صحيحة معاوية

بن وهب قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أفضل ما يتقوّب به العباد إلى ربّهم ؟

فقال (عليه السلام) : « ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة »^(٢) .

فتكون الرواية دالّة على وجوب المعرفة وأفضلية المعرفة حتّى من الصلاة ، فتدلّ على لزوم المعرفة .

كذلك استدلّ بآية النفر وهي قوله تعالى : ﴿ فَوَلَا نَفْرَ مَنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾^(٣) .

بدعى أنّها بعمومها تشمل التفقه في المسائل الاعتقادية ، كما تشمل التفقه في المسائل الوعوية ، فتدلّ على وجوب التفقه

ووجوب الفحص ووجوب النظر ، وهو المطلوب في المقام .

ويشهد لعموم الآية أنّ الإمام المعصوم (عليه السلام) استدلّ بها على وجوب البحث والفحص في مسألة اعتقادية ، وهي

مسألة الإمامة ، حيث إنّ الشيخ الكليني في الكافي في باب ما يجب على الناس عند مضي الإمام ، ذكر روايتين صحيحتي

السند ، الأولى عن يعقوب بن شعيب ، قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إذا حدث على الإمام حدث كيف يصنع الناس ؟

قال (عليه السلام) : « أين قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَوَلَا نَفْرَ مَنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾^(٤) .

1- النساء : ٨٢ .

2- الكافي ٣ : ٢٦٤ حديث ١ .

3- التوبة : ١٢٢ .

الصفحة 214

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ . . . قال (عليه السلام) : هم في عذر ما داموا في الطلب ، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتّى

يرجع إليهم أصحابهم» (1) والرواية الثانية عن محمد بن مسلم (2) .

إذن هاتان الروايتان الصحيحتان تشهدان بأن آية النفر لا تختص بالمسائل الوعية وإنما تشمل حتى المسائل الاعتقادية ، فيجب على الإنسان تحصيل المعرفة في المسائل الاعتقادية .

وأيضاً استدلالاً بالنصوص الشرعية التي تأمر بتحصيل العلم من قبيل : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (3) ، فإنها أيضاً باطلاقها يدعى بأنها تشمل المسائل الوعية والمسائل الاعتقادية ، لأن العلم لا يختص بالمسائل الوعية بل يشمل حتى المسائل الاعتقادية .

التعليق على الدليل الرابع

وهذه الأدلة والعمومات تدلّ على لزوم طلب العلم على كل مكلف في الجملة بلا إشكال لكن الكلام يقع في عدة نقاط .
النقطة الأولى : هل يصح الاستدلال بالأدلة السمعية على وجوب المعرفة في المسائل الاعتقادية أو لا يصح ذلك ؟
لأول وهلة يبدو أنه لا يصح ذلك ، باعتبار أننا نتكلم كما تقدم سابقاً قبل فرض الشوع . وقبل ان نثبت أي أصل من الأصول والحال أنّ الاستدلال بالآيات الشريفة وبالأخبار يتوقف على ثبوت أصول الدين في الجملة على الأقل ، إذ كيف يمكن الاستدلال بأية قرآنية ونحن بعد لم نثبت أصل وجود الصانع .
ولم نثبت نوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم نثبت صحة القرآن . . . فكيف نستدل بأية

- 1- الكافي ١ : ٢٧٨ حديث ١ .
- 2- الكافي ١ : ٢٧٩ حديث ٢ .
- 3- وسائل الشيعة ٢٧ : ٢٦ حديث ١٦ .

الصفحة 215

قرآنية أو بخبر مروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة على وجوب المعرفة في أصل من أصول الدين ، فإن هذا اشبه بالنور كما تقدم .
فإن لا يصح الاستدلال بهذه الأدلة السمعية على وجوب المعرفة فيحصر الدليل على وجوب المعرفة بالأدلة العقلية المتقدمة .

جواب الاشكال الأول

هذا الاشكال يمكن الجواب عنه وهو أنّ هذا إنّما يمنعنا من الاستدلال بالأدلة السمعية على وجوب المعرفة في بعض المسائل الاعتقادية لا في جميعها ، توضيح ذلك وهو إنا نريد الاستدلال بهذه الأدلة السمعية . بالكتاب والسنة . على وجوب المعرفة في أصل وجود الصانع ، يعني في باب التوحيد وفي باب النوة ، فحينئذ يرد الإشكال ، لأنه لا معنى للاستدلال بقول الله سبحانه وتعالى أو قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على وجوب المعرفة لإثبات وجود الله أو وجود النبي أو نوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإن هذا يؤزم منه النور ، اعتبار أن صحة الاستدلال بهذه الأدلة السمعية متوقف على

ثبوت التوحيد وثبوت النبوة حتى تكون حجة وإلا لا تكون حجة ، فإذا أردنا أن نستدل على ثبوت النبوة وثبوت التوحيد بهذه الأدلة يلزم الدور ، لأن صحة الاستدلال بها متوقف على ثبوت التوحيد والنبوة ، والحال أننا نريد أن نثبت التوحيد والنبوة بهذه الأدلة فيلزم الدور . أما إذا أردنا أن نستدل بهذه الأدلة السمعية على وجوب المعرفة في بقية أصول الدين ، فالظاهر أن هذا لا محذور فيه ، بمعنى أننا نستدل على وجوب المعرفة في باب التوحيد وباب النبوة بأدلة أخرى كالأدلة العقلية المتقدمة ، فإذا فحصنا ونظرنا واستدلنا على وجود الله وأثبتنا ذلك ، وأثبتنا نبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعصمته وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى حينئذ لا يصح الاستدلال بقول الله وقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على وجوب المعرفة في بقية أصول الدين ، ويكون هناك مجال واسع للاستدلال بقولهما على وجوب المعرفة في باب الإمامة وعلى وجوب المعرفة في باب المعاد ، إذ لا مانع

الصفحة 216

من الاستدلال بقولهما لعدم لزوم الدور ؛ لأن صحة الاستدلال بهذه الأدلة السمعية على وجوب المعرفة متوقف على ثبوت النبوة والتوحيد ، وما نريد أن نثبته بهذه الأدلة هو وجوب المعرفة في مسائل عقائدية أخرى ولا نريد أن نثبت وجوب المعرفة في نفس المسائل التي يتوقف عليها صحة الاستدلال بهذه الأدلة السمعية .

إذن هذه الأدلة السمعية تنفع ، فإنه بعد إثبات وجود الله وأن الله تعالى أرسل هذا النبي برسول مبلغ من قبله إلى الناس واثبتنا لعصمته وسائر الأمور الأخرى حينئذ إذا أخونا بشيء فيكون حجة بلا إشكال فيصح الاستدلال ، فإذا قال : تجب المعرفة في باب الإمامة ، وتجب المعرفة في باب المعاد تؤمن بذلك وتلتزم بذلك ولا بأس بالاستدلال بذلك . هذا بالنسبة للنقطة الأولى ، وبناءً على هذا كما قلنا إذا فحص الإنسان وأثبت وجوب المعرفة في باب التوحيد وباب النبوة فيمكن الاستدلال بكلامهما على وجوب المعرفة في الأبواب الأخرى والمسائل الاعتقادية الأخرى بلا محذور ، ولذا جرى ديدن علمائنا على الاستدلال بالآيات القوانية المتقدمة وبالأخبار النبوية على وجوب المعرفة في المورد الأخرى .

استدلال الأشاعرة على وجوب المعرفة

وهذا الدليل السمعي الظاهر أنه هو الدليل الوحيد عند الأشاعرة كما تقدم ؛ لأن الأشاعرة لا يؤمنون بالدليل العقلي باعتبار أنهم ينكرون التقييد والتحسين العقليين فهم لا يؤمنون بالدليل العقلي ويستدلون بالأدلة السمعية على وجوب المعرفة . نعم ، يمكنهم الاستدلال بالدليل الثاني المتقدم على وجوب المعرفة ، وهو دليل دفع الضرر المحتمل ، باعتبار أنه ليس دليلاً عقلياً صرفاً . كما تقدم . وإنما تقتضيه جبلة الإنسان وطبعه .

النقطة الثانية : إن الأدلة السمعية لا تفيد العلم دائماً ، بل الغالب فيها أنها لا

الصفحة 217

تفيد العلم فهل يصح الاستدلال بها حتى إذا لم تورث العلم واليقين في المورد المطلوب فيها العلم أو لا ، من الواضح إنمّا

يصح الاستدلال إذا أُوجبت العلم واليقين ؟

هذا السؤال في الحقيقة الجواب عنه مرتبط بتفكيح هذه المسألة ، وهي هل أنّ وجوب المعرفة مسألة فوعية شوعية أو هي

مسألة عقلية ؟

فإذا قلنا إنّها مسألة فوعية فلا مانع من الاستدلال بهذه الأدلة السمعية على وجوب المعرفة وإن كانت لا تفيد ولا تورث

اليقين والعلم .

وإذا قلنا إنّ مسألة وجوب المعرفة مسألة أصولية فحينئذ فالمعروف بينهم أنه لا يجوز الاستدلال بالأدلة التي لا تورث العلم

في باب المسائل الأصولية ، بل لابدّ من تحصيل اليقين .

والظاهر من كلماتهم أنّها مسألة فوعية لا أصولية عقائدية ، وذلك لأنّ الضابط الذي ذكرناه لكون المسألة فوعية ينطبق

عليها ، وهو أنّ المطلوب فيها هو العمل والحري الخرجي ، وليس المطلوب في مسألة وجوب المعرفة الاعتقاد ولا وبالذات

ومن ثمّ الحري ، وإنّما المطلوب فيها هو الحري العملي والعمل الخرجي ، فتكون أشبه بالمسائل الفوعية ، فلا بأس بالاستدلال

بالأدلة السابقة في المورد الخاصة لا في جميع المسائل .

لابدّ من الالتفات إلى أنّه يشترط أن يكون حجة ، يعني لابدّ من فرض أنّه حجة حتى يصح الاستدلال به على وجوب

المعرفة في تلك المسائل الخاصة ، أمّا إذا لم يكن حجة والمفروض أنّه لا يورث القطع واليقين فلا شك في عدم جواز

الاستدلال به .

إلى هنا يتمّ الكلام عن الأدلة الأربعة لإثبات وجوب المعرفة ، وتبيّن من هذه الأدلة أنّها تنهض باثبات وجوب المعرفة بلا

إشكال ، وإن كان هناك مناقشات في بعض الأدلة المتقدّمة .

الصفحة 218

هذا كلّه في الفصل الأول .

ما هي المعرفة الواجبة

الفصل الثاني : يقع الكلام في تحديد المعرفة الواجبة من خلال الأدلة السابقة ، وفي هذا الفصل أيضاً يقع الكلام ضمن عدّة

نقاط :

النقطة الأولى : المسائل الاعتقادية والكلام يدور فيها حول الشيخ الأنصاري حيث ذكر تقسيماً لها . وحاصل هذا التقسيم

هو أنّها تنقسم إلى قسمين

القسم الأوّل

ما يجب على المكلف الاعتقاد والتدينّ به غير مشروط بحصول العلم كالمعروف ، فيكون تحصيل العلم مقدّمة وجودية من

مقدّمات الواجب المطلق فيجب .

القسم الثاني

ما يجب الاعتقاد والتدين به إذا اتفق حصول العلم به كبعض تفاصيل المعرف .

وحاصل هذا التقسيم أنّ المعرفة واليقين والعلم ثرة يكون مقدّمة وجودية للاعتقاد الواجب في المسائل الاعتقادية ، وأخرى

يكون مقدّمة وجوبية فإذا كان مقدّمة وجودية فيجب كبقية المقدمات الوجودية الأخرى ، أما إذا كان مقدّمة وجوبية فلا يجب إلا على تقدير حصوله .

نحن وأنا نوصفاً تفوقاً بشكل واضح بين السفر كمقدّمة للحج وبين الاستطاعة كمقدّمة للحج ، حيث ان كليهما مقدّمة للحج ، لكن السفر مقدّمة وجودية للحج ، فإذا وجب الحجّ وجب السفر على كلّ حال ، بينما الاستطاعة مقدّمة وجوبية للحج ، والفوق بينهما عملاً أنّه في المقدمات الوجودية يجب على

الصفحة 219

المكلف أن يسعى لتحقيقها ، لأنّ الحجّ وجب عليه ، فيجب عليه أن يسعى لتحقيق هذا الواجب ، والمفروض أنه يتوقف على السفر فيجب عليه السفر ، بينما الاستطاعة كمقدّمة للحجّ لا يجب على المكلف أن يسعى لتحقيقها وإنما الحجّ يجب على تقدير حصول الاستطاعة ، فالاستطاعة لا يجب على المكلف تحصيلها وتحقيقها في الخرج .

يقول الشيخ الأنصاري بأنّه في كلا القسمين الاعتقاد والتدين واجب ، لكن الكلام في أنّ الاعتقاد والتدين هل هو واجب مطلقاً بلحاظ العلم والمعرفة أم هو واجب مشروط بالاعتقاد والمعرفة ؟

القسم الأول

يقول إنّ الاعتقاد واجب مطلقاً وغير مشروط بالعلم ، وحيث إنّ الاعتقاد متوقف على العلم فيكون العلم مقدّمة وجودية ، فإذا وجب على الإنسان الاعتقاد وجب عليه . بحكم العقل . تحصيل المعرفة باعتبارها مقدّمة للاعتقاد الواجب ، فيكون العلم بالنسبة للاعتقاد مقدّمة وجودية نظير السفر بالنسبة إلى الحجّ الواجب هذا القسم الأول .

ويمثّل لهذا القسم بأصول المعرف كالنوحيد والنوّة والإمامة ، إذ يجب على الإنسان تحصيل المعرفة فيها ، لأنّ الاعتقاد بها ليس مشروطاً بالعلم ، وإنما وجوبه وجوب مطلق من ناحية العلم ، فإذا استقرّ الوجوب فيجب عليه تحصيل العلم والسعي نحو المعرفة لكي يعتقد ويصبح بذلك مؤمناً ولذا تجب المعرفة عن طريق النظر والاستدلال .

القسم الثاني

يكون وجوب الاعتقاد مشروطاً بحصول العلم ، يعني المكلف لا يجب عليه ابتداء الاعتقاد بتلك المسائل ، لكن إذا علم وجب عليه الاعتقاد من قبيل الحجّ ،

الصفحة 220

فإذا استطاع وجب عليه الحجّ فيجب عليه أن يسعى لتحصيل الاستطاعة ، وهنا لا يجب عليه أن يسعى لتحصيل المعرفة ، وإنما يجب عليه الاعتقاد على تقدير حصول المعرفة ، لكن يمكن للإنسان أن لا يسعى نحو تحقيق المعرفة ، فلا يجب عليه الاعتقاد ؛ لأنّ وجوب الاعتقاد في القسم الثاني مشروط بحصول المعرفة والعلم ، ومثّل له ببعض تفاصيل المعرف من قبيل

الإيمان بالبرزخ وأحوال القيامة ، فيجب على المكلف أن يسعى لتحصيل المعرفة بها .

نعم إذا علم بها وعرفها وجب عليه الاعتقاد بها .

الكلام حول تقسيم الشيخ الأنصلي

هذا التقسيم الذي ذكره الشيخ الأنصلي للمسائل الاعتقادية ، والذي يظهر من كلماته أنّ ما يدخل في القسم الأول يجب فيه تحصيل المعرفة كما قلنا ، والذي يدخل فيه عبارة عن التوحيد والنوّة والإمامة والعدل والمعاد ، يعني كلّ الأصول الخمسة من المعرف التي يجب فيها تحصيل المعرفة .

وليس مقصوده أنّه يجب تحصيل المعرفة في كلّ المسائل المذكورة تحت هذه العناوين الخمسة ، إذ لا اشكال في أن هناك مسائل كثيرة تدخل في هذه العناوين الخمسة لا يجب فيها تحصيل المعرفة ، نعم لو علم بها الإنسان وجب عليه الاعتقاد من قبيل مسائل القضاء والقدر ، وإنّما مقصوده أصول المعرف كما عبرّ هو عنها .

أمّا كلمات العلماء الآخرين - لا أقصد جميعهم - فلا يوجد فيها هذا التفصيل ، وإنّما قالوا بوجوب المعرفة في الأصول الخمسة التي هي رُكان الإيمان ، وهناك عبارة للمحقّق الكركي وعبارة للعلامة نقلناها عنه من الباب الحادي عشر وغوهم من العلماء .

وفي الحقيقة نحن لا بدّ أن نتحدّث عن دليل هذا التقسيم فما هو الدليل عليه ؟ هل القضية اعتباطية أم تخضع لضابط علمي يجبرنا على الالتزام بهذا

الصفحة 221

التقسيم . وإذا كان هنالك ضابط فما هو ؟

في الحقيقة لا بدّ أن نرجع إلى الأدلّة التي استدللنا بها على وجوب المعرفة ، لوى أنّ هذه الأدلّة هل تدل على وجوب المعرفة في كلّ مسألة من مسائل علم الكلام أو لا تدل وإنّما تدل على وجوب المعرفة في بعض المسائل كما يقول الشيخ الأنصلي ؟

وفي مقام الجواب عن ذلك لا بدّ من ملاحظتها فالدليل الأول عبارة عن وجوب شكر المنعم ، ولا إشكال في أنه يدل على وجوب المعرفة في باب التوحيد ، وأمّا في باب النوّة والإمامة فقد ذكرنا تويبا لإثبات دلالة الدليل على وجوب معرفتهما ، والتقريب الثاني التّوّمنا به ، وهو تطبيق دليل وجوب شكر المنعم على نفس المنعم الحقيقي سبحانه وتعالى لا على الأنبياء والأئمّة كما في التقريب الأول المتقدّم ، لكن حيث إن شكر النعمة هو عبارة عن صرف النعمة فيما خلقت من أجله كما قلنا ، ولا طويق لنا لمعرفة الهدف والغاية الذي من أجله خلقت النعمة وأعطيت إلّا بواسطة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمّة (عليهم السلام) باعتبارهم وسائط في التبليغ ، فيحكم العقل بوجوب معرفة الأنبياء والوسائط لأداء الشكر الواجب عقلاً على النحو المطلوب ، لأنّ الشكر الواجب ليس هو الشكر اللساني كما قلنا وإنّما عبارة عن صرف النعمة فيما خلقت لأجله والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) هم الوسائط في التبليغ وتشخيص النعم فلا بدّ من معرفتهم حتى تؤدّي الشكر الواجب بحكم

وبناءً على تمامية هذا التقريب فإنه يتم في التوحيد والنبوة والإمامة ، أما المعاد فتقدم أنه من الصعب جداً إثبات وجوب معرفته بدليل وجوب شكر المنعم ، لكن ينبغي الالتفات إلا أنه ليس المقصود بدلالة دليل وجوب شكر المنعم على وجوب المعرفة في هذه الأصول الثلاثة أنه يدل على وجوب المعرفة في جميع مسائل هذه الأصول الثلاثة التي تذكر في علم الكلام ، وإنما تجب المعرفة في المسائل التي تدخل تحت هذه العناوين الثلاثة بالمقدار الذي يؤدي فيه المكلف

الصفحة 222

الشكر الواجب عليه عقلاً ، كأصل وجود الصانع ووجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعصمته والإمامة وأمثال هذه

المباحث .

الدليل الثاني

عبارة عند دفع الضرر المحتمل ، وقلنا سابقاً أن دأوته أوسع من دائرة وجوب شكر المنعم ، لأنه يثبت وجوب معرفة المعاد أيضاً لأن الإنسان مادام يحتمل أن في ترك المعرفة ضرراً فالعقل يؤمره بتحصيل المعرفة واكتساب العلم حتى يكون في مأمن من الضرر المحتمل ، فيمكن إثبات وجوب المعرفة في باب المعاد أيضاً . بل لعله يمكن إثبات وجوب المعرفة حتى في بعض المسائل التفصيلية فقد يكون الدليل دالاً على ذلك ، وهذه مشكلة سيأتي علاجها .

هذا بالنسبة إلى الدليل العقلي الأول والدليل العقلي الثاني .

أهمية البحث

هذا بحث مهم جداً بل لعل لبُّ البحث هو هذا ؛ لأنه إذا استطعنا أن نميز بين القسم الأول وما يدخل فيه وبين القسم الثاني ، وآمناً بأن المعرفة تجب في القسم الأول فتكون شرائط الإيمان من خصوص القسم الأول التي يجب فيها المعرفة وأن الإنسان إذا ترك المعرفة يفقد صفة الإيمان ويصبح من الكافرين . هذا في خصوص القسم الأول .

وأما القسم الثاني فلا يجب فيه تحصيل المعرفة ، وإنما على تقدير حصول المعرفة يجب الاعتقاد .

فإذن يوجد فرق بين القسمين ، وهذا الفرق تظهر له ثروة عملية فيما إذا أؤمننا الإنسان بوجوب تحصيل المعرفة كما في

القسم الأول بحيث إذا ترك تحصيل المعرفة يخرج عن كونه مؤمناً ، أما في القسم الثاني فإذا ترك تحصيل المعرفة فيخرج من

كونه مؤمناً .

الصفحة 223

النتيجة

إذن الدليل الأول لا يثبت لنا وجوب المعرفة إلا في الأصول العقائدية الثلاثة أو العدل ، طبعاً العدل ونفتوح أنه داخل

ضمن التوحيد ، بينما دليل وجوب دفع الضرر المحتمل يثبت وجوب المعرفة حتى في باب المعاد ، بل يثبت وجوب المعرفة

في دائرة أوسع من ذلك .

مناقشة الأدلة السمعية

أما الأدلة السمعية ففيها مناقشات من قبيل قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾⁽¹⁾ ، إذ إن تفسير يعرفون بـيعبدون لم يرد من طرفنا ، وإنما مأخوذ من تفسير العامة كما قال بعض المحققين وإن لم أجده في الدر المنثور الذي يجمع عادة روايات العامة ، هذا الذي راجعته لا أكثر من هذا .

ثانياً : إن الآية هذه لو دلت على وجوب المعرفة فهي لا تدل إلا على وجوب معرفة الله فقط ، ولا تتعداه إلى معرفة النبوة أو الإمامة أو المعاد ؛ لأن تصور الاطلاق في الآية مبني تفسير يعبدون يعرفون أي مطلقة ، ومقتضى الاطلاق أن المعرفة تجب في كل المسائل . هذا توهم ؛ لأن النون هنا ليست نون الجمع وإنما هي نون الوقاية ، يعني أساس الآية : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعرفوني) فحذفت فصلت ليعرفون ، يعني يعرفونني ، فإذا دلت على وجوب المعرفة فهي تدل على وجوب المعرفة في باب التوحيد فقط لا أكثر .

الآيات الناهية عن التقليد تنهى عن تقليد الآباء والأمهات في التوحيد ، والقآن الكريم ينهى عن ذلك ويقول لا معنى لأن تتبعوا آباءكم وأمهاتكم في الشرك بالله ، فينهى عن التقليد ، وإذا توسعنا أكثر نجده ينهى عن التقليد في باب

1- الذاريات : ٥٦ .

الصفحة 224

اتباع الأبناء أو مدعي النوات ، فلا يصح أن يقلد الإنسان آباءه وأمهاته في كون هذا نبي أو ليس بنبي ، فهي تدل على وجوب المعرفة وعدم جواز التقليد في باب النبوة .

وأما آية نفر التي استدلت بها على وجوب التفقه في المسائل الاعتقادية غير صحيح باعتبار أنها تكاد تكون صويحة في أن وجوب التفقه وجوب كفائي في الدين ، بينما المفروض في محل كلامنا إثبات الوجوب العيني على كل مكلف ، ومن جهة أخرى أن آية نفر ظاهراً جعل الحجية لقول المخبر أو يمكن أن يستكشف منها جواز التقليد ومتابعة الغير من دون حصول علم ويقين ، فلا يصح أن يستدل بها على وجوب المعرفة في محل كلامنا .

وعلى كل حال فإن الآية الوحيدة التي استدلت بها على وجوب المعرفة في أصول العقائد غير واضحة الدلالة ، لكن الروايات الصحيحة السند التي قرأنا واحدة منها والتي استدلت الإمام (عليه السلام) بالآية على وجوب المعرفة في أصل من أصول الدين وهو الإمامة ثبت وجوب التفقه في المسائل الاعتقادية ، لكن بالرغم من هذا لا نستطيع أن نتمسك بالآية الشريفة لإثبات وجوب المعرفة في جميع الأصول ؛ لأنه يتوقف على وجود إطلاق في الآية ، والآية ليست في مقام الإطلاق وإنما هي في مقام بيان وتعليم الناس الطريقة المثلى لتحصيل التفقه وأن ينفر من كل فرقة طائفة وتعلم أمور الدين وينثروا قومهم إذا رجعوا إليهم فهي في مقام بيان الطريقة الصحيحة المثلى والعقلانية للتفقه في الدين من دون أن يقع الناس في الحرج ، أما هل

يجب تحصيل المعرفة في جميع الأمور أو بعض الأمور فهي ساكنة عنه ، فالآية ليست في مقام البيان من هذه الجهة ، فلا يصحّ التمسك بها بإطلاقها من هذه الجهة لإثبات وجوب المعرفة في جميع المسائل الاعتقادية .
فإن لا إطلاق فيها ، ولا يصحّ التمسك بها لإثبات وجوب المعرفة في جميع المسائل ، ونفس الكلام يقال في أدلة وجوب تحصيل العلم ، وهي أنها

الصفحة 225

ليست في مقام بيان ما يجب تحصيله وإنما في مقام بيان وجوب تحصيل العلم والحثّ على طلب العلم وإن طلب العلم فريضة وعلى كلّ مسلم وعلى هذه الألسنة وأمثالها ليست في مقام البيان من هذه الجهة كي يتمسك فيها بالإطلاق وكونه واجباً .
والخلاصة من مجموع الأدلة المتقدمة إنها لا تدلّ على وجوب المعرفة في كلّ مسألة من مسائل علم الكلام ، وإنما نستفيد منها وجوب المعرفة للمسائل الأساسية في الدين أما وجوب تحصيل المعرفة في كلّ مسألة فلا تدلّ عليه .
نعم خصوص دليل وجوب دفع الضرر المحتمل قد يثبت به وجوب تحصيل المعرفة في دائرة أوسع ، لكن هذا أيضاً له علاج ، وعلاجه أنّ هذا الاستدلال متوقّف على عدم وجود دليل في تلك المسألة التي نريد أن نستدلّ لها بهذا الدليل على وجوب تحصيل المعرفة ، فلو فرضنا أنّ دليل لزوم دفع الضرر المحتمل اقتضى وجوب تحصيل المعرفة في مسألة المعاد وفرضنا أنّه في مسألة المعاد لدينا دليل على عدم وجوب تحصيل المعرفة في مسألة المعاد ، فلا إشكال في أنّ هذا الدليل يكون حاكماً على القاعدة العقلية أو ورداً عليها ؛ لأنّ القاعدة العقلية موضوعها احتمال الضرر والعقاب ، فإذا جاء هذا الدليل المؤمّن من العقاب فلا يستدلّ بقاعدة الضرر ، إذ التمسك بالقاعدة العقلية لإثبات وجوب المعرفة في مسألة يتوقّف على عدم وجود دليل على عدم وجوب المعرفة في تلك المسألة .

خلاصة البحث

خلاصة هذا البحث أنّ الأدلة المتقدمة ليس فيها قابلية لإثبات وجوب تحصيل المعرفة فيما زاد على الأصول الخمسة وأما الأصول الخمسة فالتوحيد والنوّة والعدل لا إشكال في دلالة دليلها على وجوب تحصيل المعرفة ، وكذلك الإمامة لدليل وجوب شكر المنعم كما قلنا ، ولدليل دفع الضرر المحتمل ، أما المعاد فهو الذي يقع الكلام فيه وهل يجب فيه تحصيل المعرفة أو لا ؟

الصفحة 226

الذي يبدو أنّ هناك رأياً يرى أنّ المعاد ليس في عرض التوحيد والنوّة والإمامة ، بمعنى أنه يتنوّج في القسم الثاني من تقسيمات الشيخ الأنصاري ، بمعنى أنّه من يعلم به يجب عليه الاعتقاد ، لكن لا يجب على الإنسان أن يسعى لتحصيل معرفته ، وهناك رأي يقول بذلك ، وأصحاب هذا الرأي يقولون بأنّ المعاد حاله حال ما بلغ به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي يعبر عنها بضروريات الدين ، وضروريات الدين لا يجب على الإنسان تحصيل المعرفة بها بحيث إذا ترك تحصيل المعرفة يصبح كافراً ، بل إذا علم بها يجب عليه الاعتقاد بها على كلام سيأتي لاحقاً ، فإن دخل المعاد في باب النوّة ويكون من

متوَعات مسألة النوبة ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجب علينا أن نُصدقَه فيما بلغَ وفيما قال ؛ لأن عدمَ تصديقه يعني إنكار أصل النبوة وتكذيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يقول ، وهذا غير جائز بلا إشكال ، ويوجب الخروج عن الإيمان .

ونحن حاولنا أن نجمع أدلة على وجوب تحصيل المعرفة في باب المعاد من الآيات القوانية ومن الأخبار ، ولا بأس بالاستدلال بالآيات القوانية وبالأخبار على وجوب المعرفة في باب المعاد ، وننتهي إلى نتيجة أن ما يجب تحصيل المعرفة فيه هو عبلة عن هذه الأصول الخمسة ، وأؤكد بأنه ليس المقصود كل مسألة من مسائل الأصول الخمسة المذكورة في علم الكلام مما يجب تحصيل المعرفة فيها ، وإنما أساسيات المعرف هي التي يجب فيها تحصيل المعرفة ، ويجب على الإنسان أن يسعى لتحصيل المعرفة فيها ، وإذا ترك ذلك يخرج عن كونه مؤمناً .

وهذا يفتح مجالاً للبحث والتفتيش عن الأدلة الوردية في باب الإيمان ، فهناك روايات كثيرة متعلضة حول شرائط الإيمان لوجود الملائمة بين بحثنا هذا وبحث شرائط الإيمان ، إذ إن شرائط الإيمان مما تجب فيها المعرفة لوضوح أن كون الشيء شرطاً من شرائط الإيمان معناه أن المكلف مطلوب منه أن يحقق هذا الشرط ، والمفروض أن تحقيق هذا الشرط لا يكون إلا عن طريق المعرفة فتجب .

الصفحة 227

إذا قيل : بأن الاعتقاد بالنوبة من شرائط الإيمان ، والمعاد من شرائط الإيمان فيجب على المكلف أن يعتقد بهذه الأمور ، والاعتقاد بهذه الأمور متوقف على المعرفة فتجب المعرفة .
فإذن لاحظوا أن الروايات متعلضة .

نعم الضروريات من الدين فيها بحث منفصل بأنه يجب الاعتقاد بها مطلقاً أو يجب الاعتقاد بها إذا علم بها الإنسان ، أو لا يجب الاعتقاد بها حتى إذا علم بها ، وإنما لا يجوز له إنكلها بعد العلم بها ؟
هذا بحث مستقلّ لعننا نتوقف له إن شاء الله في ليال لاحقة أو بعبارة أخرى إنكار الضروري مطلقاً هل يوجب الخروج عن الدين

وإذا كان من ضروريات المذهب هل يوجب الخروج من المذهب أو لا ، إنما يوجب ذلك مع العلم بكونه من ضروريات الدين أو المذهب ؟

هل يوجب الخروج من المذهب

هذا البحث منفصل ولا يرتبط بكلامنا .

النتيجة التي توصلنا إليها اليوم يعدّ مكتمل البحث ، أن ما يجب تحصيل المعرفة فيه وبالتالي يجب فيه الاعتقاد هو عبلة عن أساسيات وأصول الدين الأساسية ، هذه الأمور يجب فيها تحصيل المعرفة ثم الاعتقاد ، وإن الترك للاعتقاد بهذه الأمور بتوك المعرفة هذا يصبح من الكافرين ويخرج عن حريم الإيمان ، والمقصود بالإيمان هنا الإيمان بالمعنى الأعم .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : هل يجب الاعتقاد في المسألة الأصولية أم لا ؟

الجواب : المسألة الأصولية هي التي يجب فيها الاعتقاد أولاً وبالذات ، لكن ليس كل ما يجب فيه الاعتقاد يجوز فيه التقليد ، فقد نفض مسألة لا يجوز فيها التقليد كما لو فرضنا أنّ الإنسان حصل له المعرفة من دون أن يتوجّه ومن دون أن يُعتقد بها فقد أدّى المطلوب ، بينما المسألة الاعتقادية لا يؤدّي المطلوب إذا اعتقد وآمن ، هذا هو الفرق بينهما ، ووجوب المعرفة ليست من هذا ، يعني ليس المطلوب فيها الاعتقاد والإيمان ، وإنما المطلوب فيها العمل وأن يسعى المكلف لتحصيل العلم والمعرفة .

سؤال : عن أصل وجوب شكر المنعم ؟

الجواب : إنّ احتمال وجوب شكر المنعم يكفي في إلزام المكلف بالمعروفه ، لأنّ المنعم له حقّ ، وعدم أداء هذا الحقّ يُعتبر ظلماً قبيحاً ، هذا التفسير الذي ذكرناه ، لا يفوق بين أن نعلم بوجود منعم أو لا نعلم بوجوده ، ففي حالة العلم بوجود منعم فتوك شكره قبيح مطلقاً ، وفي حالة احتمال وجود منعم فتوك شكره فيه احتمال ارتكاب القبيح فيلزم العقل بوجوب الشكر .

سؤال : العلماء استدلّوا بأية النفر ، ويمكن أن يستدلّ بها على جواز التقليد ؟

الجواب : هذا ذكرناه وقلنا الاستدلال بالأية وحدها مشكل باعتبار أنّ ظاهر الآية وجوب كفاي ولا نلتزم به في باب المعرفة ، لكن قلنا توجد روايتان صحيحتان عن المعصوم (عليه السلام) نستدلّ بها على وجوب تحصيل المعرفة في باب

الإمامة .

سؤال : هل تدلّ الأدلّة السمعية على وجوب المعرفة من طريق خاص ؟

الجواب : قلنا بأنّ الأدلّة لا تدلّ إلاّ على وجوب المعرفة ، أما تقييد المعرفة

من طريق خاص وسبب خاص فلم يرد فيها ذلك ، والمهم هو حصول المعرفة من أي طريق وسبب ولا تختصّ بسبب دون

سبب .

والحمد لله ربّ العالمين

بداية النوبة ٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

فذلكة البحث المتقدم

فيما تقدم ذكرنا أنّ الأدلة الدالة على وجوب المعرفة يستفاد منها وجوب تحصيل المعرفة في أصول الدين ، وهي التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد ، وأما ما عدا ذلك من المسائل الاعتقادية فالظاهر أنه لم يدل دليل عقلي أو نقلي على وجوب تحصيل المعرفة فيها .

نعم هي تدخل في القسم الثاني من التقسيم المتقدم ، ومعنى دخولها في القسم الثاني أنه يجب الاعتقاد بها على تقدير حصول العلم بها ، وإلاّ بنوا لا يجب تحصيل المعرفة بهذه المسائل الاعتقادية .

والذي يظهر من كلمات علمائنا رضي الله عنهم أنّ هناك خلافاً حول المعاد من أنه هل يجب تحصيل المعرفة فيه أو لا إنّما هو من جملة ما جاء به النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أي يجب الاعتقاد به إذا علمنا بأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جاء به ، وأما مع عدم العلم بذلك فلا يجب تحصيل المعرفة فيه ؟

وبعبارة أخرى أنّ المعاد هل يدخل في القسم الأول أو يدخل في القسم الثاني ؟

وقد مرّ سابقاً بأنّ الثروة تظهر فيما إذا دخل في القسم الأول ، حيث يجب على المكلف تحصيل العلم واليقين لهذا الأصل ، وإذا لم يدخل في القسم الأول ودخل في القسم الثاني فلا يجب تحصيل المعرفة فيه ، بمعنى أنّ المكلف الجاهل بالمعاد على تقدير القول الأول يكون معاقباً وقد يخرج عن حدّ الإيمان سواء كان

الصفحة 232

قاصواً أم مقصواً على كلام يأتي إن شاء الله ، بينما إذا قلنا بأنّ المعاد داخل في القسم الثاني فالجاهل به لا يكون معاقباً وغير مؤاخذاً إطلاقاً ، ويكون حالة حال ما جاء به النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن يعلم به فلا يجوز له إنكاره وأما غير العالم به فلا يكون مؤاخذاً ومعاقباً عليه .

هذه هي الثروة العملية للبحث والظاهر أنّ هناك خلافاً بخصوص المعاد ، فبعضهم جعله من شرائط الإيمان فيكون حاله حال بقية الأصول الأخرى التي يجب معرفتها ، ويكون الجاهل به خراجاً عن الإيمان ، بينما جعله بعضهم من ضروريات الدين فيبحث إنّ الإيمان به لا يكون إلاّ بعد العلم .

وفي الحقيقة بالنسبة إلى هذا الخلاف فإنّه راجع إلى أنّ المعاد يجب تحصيل المعرفة فيه أو لا ؟

الجواب : إنّ الأدلة السابقة الدالة على وجوب تحصيل المعرفة تحصيل المعرفة في المعاد ، ومنها دليل لزوم دفع الضرر المحتمل ، فإنّ المكلف بتوكه تحصيل المعرفة بالمعاد يحتمل الوقوع في الضرر الأخرى ؛ لأنه بعد ثبوت التوحيد والنبوة والإمامة يحتمل وجود معاد وترك البحث عنه فيه وترك تحصيل المعرفة بالمعاد والبقاء على حالة الجهل به يساوق احتمال الوقوع في الضرر ، فحينئذ يحكم العقل بلزوم تحصيل المعرفة .

مضافاً إلى أنّ الروايات الدالة ولادة في شرائط الإيمان ، ومن الشروط المذكورة هناك الإيمان بالمعاد فتدل بالملامة على

وجوب معرفة المعاد ، للملازمة الواضحة بين كون الشيء شرطاً في الإيمان وبين وجوب تحصيل معرفته ، فيدخل في ضمن القسم الأول .

ومن هنا يمكن القول بأن كل شيء معتبر في الإيمان وشوط من شوائبه فتجب معرفته ، ويدخل في القسم الأول . وكل شيء غير معتبر في الإيمان فلا يكون واجباً ولا تجب معرفته ويدخل في القسم الثاني .

الصفحة 233

بيان الأدلة الدالة على شرطية معرفة المعاد في الإيمان

هناك أدلة كثيرة استدلت بها على أن الإيمان بالمعاد شوط من شوائب الإيمان ، وذكروا أكثر من خمس وعشرين آية تدل على ذلك ، فمنها قوله تعالى : ﴿ يَوْمَنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . . ﴾ (1) ، فقول الله تعالى بين الإيمان به والإيمان بالآخرة ، فيكون المعاد أصلاً من أصول الدين والإيمان لا يتحقق إلا بالاعتقاد به ، وراجع الآيات (2) .

ومن قبيل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تَوَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عُقْلَةٍ ثُمَّ مِنْ مَّضْغَةٍ مَّخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُورِدُ إِلَىٰ رُذُلٍ الْعَمْرَ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَوَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَوتَ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (3) .

ويمكن أن يستفاد من مجموع هذه الآيات أن الاعتقاد بالمعاد هو كالإيمان والاعتقاد بسائر الاصول الأخرى فيجب تحصيل المعرفة به ، بالتالي دخوله في القسم الأول .

1- البقرة : ٨ .
2- البقرة : ٦٢ - ١٢٦ - ١٧٧ - ٢٢٨ - ٢٣٢ - ٢٦٤ ، وآل عمران : ١١٤ ، والنساء : ٢٨ - ٣٩ - ٥٩ - ١٣٦ - ١٦٢ ، والمائدة : ٦٩ ، والتوبة : ١٨ - ١٩ - ٢٩ - ٤٤ - ٤٥ - ٩٩ ، والنور : ٢ ، والعنكبوت : ٣٦ ، والأحزاب : ٢١ .
3- الحج : ٥ - ٧ .

الصفحة 234

وأما الاستدلال بالأخبار

فهناك روايات كثيرة تصوح بأن المعاد من شروط الإيمان كالرواية التي يرويها عيسى بن المستفاد من موسى بن جعفر (عليه السلام) قال : سألت أبا جعفر بن محمد عن بدء الإسلام كيف أسلم عليّ (عليه السلام) وكيف أسلمت خديجة (عليها السلام) ؟

فقال أبي (عليه السلام) : «دعاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا عليّ ويا خديجة ، إن جوثيل عندي يقول لكم إن للإسلام شروطاً وعهوداً ومواثيقاً فابتدأه بما شرط الله عليكم لنفسه ولرسوله أن تقولوا نشهد أن لا إله إلا الله (1)

وحده لا شريك له في ملكه ، ولم يتخذ ولداً . . ونشهد أنّ الله يحيي ويميت ، . . وأنّ الله يبعث من في القبور» .

وعن عبد العظيم الحسني قال : دخلت على سيدي عليّ بن محمد (عليه السلام) فلماً بصر بي قال لي : مرحبا بك يا أبا القاسم ، أنت ولينا حقاً .

قال : فقلت له : يا ابن رسول الله ، إني أريد أن أعرض عليك ديني ، فإن كان مورياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل ؟ فقال (عليه السلام) : هات يا أبا القاسم .

فقلت : أقول إنّ الله تعالى واحد ليس كمثلته شيء ، خرج عن الحدين . . ، وأنه ليس بجسم إلى أن يقول وأقول : إنّ المواجه حقّ ، والمسائلة في القبر حقّ ، وإنّ الجنة حقّ ، وإنّ النار حقّ . . ، وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وإنّ الله يبعث من في القبور . . .

فقال (عليه السلام) : هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده» (2) .

وهناك روايات كثيرة يفهم منها أنّ الإيمان بالمعاد من شوائب الإيمان ومن شوائب الإسلام بحيث إنّ التارك للاعتقاد به وتحصيل معرفته يكون خلجاً عن الإيمان في الحقيقة .

1- بحار الأنوار ١٨ : ٢٢٣ ، حديث ٧٥ ، ٦٥ : ٢٩٢ ، حديث ٤١ .
2- توحيد الصدوق : ٨ ، بحار الأنوار ٢ : ٢٦٨ ، حديث ٣ ، ٢٦ : ٤١١ ، حديث ٢ .

هذه الأدلّة إذا أمكن الاستدلال بها على ذلك فيها ونعمت وقد أثرتنا سابقاً أنّ لا بأس بالاستدلال بالأدلة السمعية في بعض المسائل الاعتقادية ، وإنّما نمنع من الاستدلال على وجوب المعرفة بالأدلة السمعية في التوحيد والنوّة للزوم النور كما تقدم ، أمّا بعد ثبوت التوحيد وثبوت النوّة وثبوت الإمامة فلا بأس بالاستدلال بقول الله تعالى الذي أثبتناه سابقاً وقول المعصوم الذي أثبتنا له النوّة وأثبتنا له الإمامة والعصمة . بل قلنا : إنّ الاستدلال بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام (عليه السلام) على وجوب تحصيل المعرفة لا بأس به ، ولا يؤزم منه النور إطلاقاً كما بيّناه سابقاً .

هذه الأدلة السمعية إذا تمّ الاستدلال بها على وجوب تحصيل المعرفة بالمعاد فحينئذ تكفي لإدخال المعاد في القسم الأوّل وإلا فراجع إلى دليل وجوب دفع الضرر المحتمل الذي لا إشكال في أنّه ينهض لإثبات وجوب تحصيل المعرفة بالمعاد .

خلاصة ما تقدّم

خلاصة الكلام المتقدّم والذي قلناه إلى الآن أنّ الأصول الخمسة يجب تحصيل المعرفة بها ، وهي تدخل في القسم الأوّل ، لكن هل المقصود من وجوب تحصيل المعرفة في الأصول الخمسة هي أنّ كلّ المسائل المرجحة في هذه الأصول الخمسة والمذكورة في علم الكلام يجب تحصيل المعرفة فيها أم لا ؟

الجواب : إنّ هنالك الكثير من المسائل المرجحة في هذه الأصول لا يجب تحصيل العلم فيها من قبيل مسائل القضاء والقدر والتعطيل والتفويض والأمر بين الأمرين والعصمة بمفهومها الدقيق ، فهذه المسائل لا تدخل في القسم الأوّل .

نعم هذه المسائل على تقدير حصول العلم بها يجب الاعتقاد بها فهي تدخل في القسم الثاني ، والجاهل بها لا يكون معاقباً ولا يكون مؤاخذاً ولا يكون خلجاً عن ربة الإيمان بينما الجاهل بأصل التوحيد يخرج عن الإيمان وقد

الصفحة 236

ذكروا عنا في مقام التحديد عدّة أمثلة .

فقالوا الإيمان بالله يكون بالتصديق بكونه موجوداً وواجب الوجود بذاته والتصديق بصفاته الراجعة إلى صفتي العلم والقوة على ما ذكروا ، ونفي الصفات الراجعة إلى الحاجة والحدوث ، وفي النبوّة يكفي معرفة شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتصديق بنبوّته ، وأنه صادق أمين معصوم من الخطأ ، وفي الإمامة يكفي معرفتهم بنسبهم والتصديق بأنهم أئمة يهون بالحقّ ، وأنّ الله قد فرض طاعتهم ، وفي المعاد يعتبر التصديق بالمعاد الجسماني وأنّ الله تعالى يبعث من في القبور . هذه هي الأمور التي يدور حولها الإيمان ، فيثبت الإيمان إذا ثبت الاعتقاد بها وينتفي الإيمان إذا انتفى الاعتقاد بواحد من هذه الأمور .

ما هو المقصود من الإيمان ؟

ومقصودنا من الإيمان طبعاً هو عبارة عن الإيمان الأخص مع إدخال الإمام ، ومع إخراج الإمام يقصد من الإيمان المعنى الأعم ، لأننا ذكرنا سابقاً أنّ أصول الدين المتفق عليها ثلاثة ، التوحيد والنوّة والمعاد ، هذه الأصول متفق على أنّ المنكر لواحدة منها يخرج عن الدين وعن الإيمان بالمعنى الأعم ، أمّا العدل والإمامة فهي من أصول المذهب وليست من أصول الدين ، إذن عندما نقول أنّه يعتبر في الإيمان والاعتقاد بالإمامة والعدل مقصودنا الإيمان بالمعنى الأخصّ هو الذي يعتبر فيه الاعتقاد بهذه الأمور الخمسة لا الإيمان بالمعنى الأعم ، فيكفي فيه الاعتقاد بالأصول الثلاثة المعروفة بالتوحيد والنوّة والمعاد . هذا بالنسبة إلى هذه المسائل التي تدخل في القسم الأوّل ، أمّا ما عدا هذه المسائل - المسائل الاعتقادية الكثيرة المذكورة في علم الكلام - فيمكن تصنيفها إلى قسمين :

القسم الأوّل : الذي يدخل في ضروريات الدين .

القسم الثاني : الذي لا يدخل في ضروريات الدين .

الصفحة 237

فالذي يدخل في ضروريات الدين من قبيل الاعتقاد بالبعث والسؤال في القبر وغوها .

القسم الثاني : هو الذي لا يدخل في ضروريات الدين ، يعني لم يثبت بالضرورة وإنما يثبت عن طريق الاستدلال لا أنّه

ثبت في الدين بالضرورة .

ضروريات الدين

ضروريات الدين فيها بحث فهناك رأي يرى أنّ حالها حال القسم الأوّل ، وهناك رأي آخر لا يرى وجوب الاعتقاد بها ،

وقلنا إنّ وجوب الاعتقاد بالمسألة مطلقاً يساوق وجوب تحصيل المعرفة بها ، لأنّ الاعتقاد متوقف على المعرفة ، فإذا وجب

الاعتقاد مطلقاً فالمعرفة واجبة ، فيدخل في القسم الأول . هذارأي في هذه المسألة .

الرأي الثاني يقول : إنّه لا يجب الاعتقاد بها ولا يجوز إنكلها ، فيفوتون بين الاعتقاد بضروريات الدين وبين إنكار الاعتقاد بها ، فالاعتقاد بها غير واجب وغير لازم لكن إنكلها يخرج الإنسان عن الدين ، وهذا الرأي الثاني يقول إنّه لا فرق في الخروج عن الدين والخروج عن الإيمان بأن يكون الإنسان عالماً بكونه ضرورياً أو غير عالم بكونه ضرورياً فالضروري له موضوعية وخصوصية وإنكله يلزم الخروج عن الدين ، سواء علم بأنّ هذا ضروري وثابت في الدين قطعاً أو لم يعلم ، هذا الرأي الثاني .

الرأي الثالث : هو أنّه لا يجب الاعتقاد بها وإنكلها جائز ما لم يعلم بكونها من ضروريات الدين ، فإذا علم بكونها من ضروريات الدين فلا يجوز إنكلها ، أما من قبل أن يعلم بكونها من ضروريات الدين فإنكلها لا يوجب الخروج عن الدين . وهذا الرأي الثالث يرى بأنّ إنكار الضروري ليس له خصوصية وإنما إنكار الضروري من حيث كونه موجبا لتكذيب الرسالة فلذلك لوجب الخروج عن الدين ، والملازمة بين إنكار الضروري وبين تكذيب الرسالة لا تتحقّق إلاّ في

الصفحة 238

صورة العلم بأنّ هذا مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإذا أنا علمت بأنّ تحريم شرب الخمر ثبت من الدين قطعاً فإنكله يسوي تكذيب الرسالة ، وتكذيب الرسالة بلا إشكال يكون موجبا للخروج عن الدين . إذن إنكار الضروري ليس له خصوصية من حيث أنّه يوجب الكفر إلاّ مقدار ما يوجب إنكار أصل من الأصول المتقدّمة . فإنّ يفوق بين حالة العلم بكون هذا ثابتاً من الدين وبين حالة الجهل بكونه ثابتاً في الدين . وقد قلنا سابقاً إنّ تحقيق هذه المسألة وبيان معنى الضروري في الدين وبيان معنى الضروري في المذهب تحتاج إلى بحث مفصّل وليس محلّه الآن .

وبالمقدار الذي يرتبط ببحثنا نقول : إنّ ضروريات الدين لا يعتبر الاعتقاد بها جزءاً .

نعم إنكلها مطلقاً مع العلم بها يوجب الخروج عن الدين ، وهذه مسألة أخرى ، لكن الاعتقاد بها ليس واجباً على غوار الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى ، إذ لا إشكال في أنّ الإنسان يصبح مؤمناً ولا يكون كافراً إذا آمن بالله وبالنبوة وبالمعاد ، وإنما تترتب عليه أحكام الإسلام ، ويحكم عليه بالإسلام ، فهو لا يحكم عليه بالكفر ، اعتقد بضروريات الدين أم لم يعتقد ما دام يؤمن بالله ويؤمن بالرسول والمعاد ، خصوصاً مع الالتفات إلى أنّ بعض ضروريات الدين لم تبين في صدر الإسلام وإنما بينت بعد ذلك ، ولا إشكال في كونهم مؤمنين ومسلمين ويدخلون الجنة بلا إشكال ، وقد أتى عليهم الوان الكريم في آياته المحكمات ، لا إشكال أنّهم لا يعتقدون بالكثير من ضروريات الدين وضروريات المذهب ، فمثلاً يشهد الإمام (عليه السلام) لأم أيمن إنّها من الجنة وهي لم تكن تعرف ما تعرفونه (1) .

تبقى مسألة إنكلها يوجب الكفر مطلقاً أو في صورة العلم وهذا له بحث خاص .

كلام الشيخ الطوسي حول وجوب المعرفة

النقطة الثانية هي : ما نسب إلى الشيخ الطوسي وحاصله أنه رى أن وجوب المعرفة وجوب مستقل وليس شرطاً في الإيمان بل رى الأكثر من هذا أنه واجب والتك له ليس معاقباً وإنما هو مشمول للعفو الإلهي .
قلنا سابقاً إن وجوب المعرفة بالاصول الأساسية شوط من شرائط الإيمان ، لأن الاعتقاد بتلك المسائل من شرائط الإيمان ، والمعرفة تكون فيها واجبة وشوط من شرائطها ، والشيخ الطوسي يقول بأن المعرفة واجبة بوجوب مستقل وليست من شرائط الإيمان ، والتك لها ليس معاقباً وإنما يكون مشمولاً للعفو .

الكلام الذي يتعرض له الشيخ الطوسي موجود في كتاب العدة ، وقد ذكره في موضعين ، الموضع الأول ذكره في فصل (ذكر الخبر الواحد وجملة من القول في أحكامه) ، وقد ذكر هذه العبرة : «وأما ما يرويه قوم من المقلدة فالصحيح الذي اعتدوه أن المقلد للحق وإن كان مخطئاً في الأصل معفو عنه ، ولا أحكم فيه بحكم الفساق»⁽¹⁾ ، والمقلد اصطلاحاً هو الذي يقلد في أصول الدين ، والسيّد المرتضى ينكر عليهم ذلك ويقول إن الواحد منهم إذا سأله عن أصل من أصول الدين يقول لك رويانا هكذا ! هؤلاء يسمون بالمقلدة⁽²⁾ ، والشيخ الطوسي لا يحكم بفسق المقلدة فضلاً عن كوفهم .

العبرة الأخرى يذكرها في فصل «صفات المفتي والمستفتي وبيان أحكامهما» فيقول : «على أن الذي يقوى في نفسي أن المقلد للحق في أصول الديانات وإن كان مخطئاً في تقليده ، غير مؤاخذ به ، وأنه معفو عنه»⁽³⁾ .

- 1- عده الأصول 1 : 347 .
- 2- أنظر فرائد الأصول 1 : 317 و 327 .
- 3- عده الأصول 1 : 116 .

هذا الكلام معناه أن الشيخ الطوسي يوافق المشهور في وجوب تحصيل المعرفة في أصول الديانات كما عبر لكنه يخالفهم في كونها شرطاً من شرائط الإيمان إذ رى أنها ليست شرطاً من شرائط الإيمان .
والذي أفهمه من عبارات الشيخ الطوسي ليس كما نسب إليه أو يمكن تفسيره بنحو آخر ، لأن الذي ينسب إلى الشيخ الطوسي أنه رى أن تحصيل المعرفة ليس شرطاً من شروط الإيمان وإنما هو واجب مستقل ! لكن الذي يمكن أن يطرح كاحتمال ورد في كلام الشيخ الطوسي هو أنه لا يقول بأن المعرفة مطلقاً ليست شرطاً من شرائط الإيمان ، وإنما المعرفة الخاصة الناشئة من النظر والاستدلال ليست شرطاً من شرائط الإيمان ، وأن التك لها لا يكون مؤاخذاً ويكون معفو عنه .
فإذن هناك فرق بين ما نسب إلى الشيخ الطوسي من أن تحصيل المعرفة مطلقاً ليس شرطاً من شروط الإيمان وبين أن ننسب إليه أن تحصيل المعرفة الخاصة ليست من شروط الإيمان .

وقد قلنا سابقاً بأن المعرفة يمكن أن تحصل عن طريق النظر والاستدلال ويمكن أن تحصل عن طريق التقليد ، إذ كل منهما يوجب حصول المعرفة ، وقد تقدم سابقاً أن الأدلة لا تدل على أكثر من حصول اليقين ، أما أن اليقين حصل من النظر

والاستدلال أو من التقليد فغير لازم ، فإنّ التقليد كما تقدّم قد يوجب القطع واليقين .

ولعلّ الداعي للشيخ الطوسي إلى أن يقول هذا الكلام هو ما تقدّم من أن الالتزام بشرطية المعرفة الخاصة في الإيمان يلتزم

إخراج معظم الناس عن الإيمان وانتقالهم من حالة الإسلام إلى حالة الكفر ؛ لأنّ معظم الناس كما هم يصوّحون بذلك لا

يعرفون أصول الدين عن طريق النظر والاستدلال .

فإنّ تحصيل المعرفة عن طريق النظر والاستدلال واجب يحكم العقل



بوجوبه ، لكنّه ليس شوطاً من شوائب الإيمان ، وإنّما يكفي في الإيمان مطلق المعرفة واليقين والجزم ، سواء حصل من النظر والاستدلال أو من شيء آخر ، والمهم أنّ يكون الإنسان عرّفاً بربه ونبيه والمعاد .
وبناءً على هذا الاحتمال في كلام الشيخ الطوسي فحينئذ يكون ما ذكره صحيحاً وغير مخالف لما نقله ، بل تقدّم سابقاً أنّه هو الأصحّ وأنّ الكثير من المحقّقين ذهبوا إلى كفاية الجزم واليقين والمعرفة مطلقاً لا اشتراط المعرفة واليقين الحاصل من النظر والاستدلال .

يمكن استفادة عدّة أمور من كلام الشيخ الطوسي

من خلال كلام الشيخ الطوسي نستطيع أن نطرح عدّة أمور :

المعرفة الخاصّة الحاصلة من النظر والاستدلال هل هي من شوائب الإيمان أم لا ؟

وهل هي واجبة على نحو الاستقلال أم لا ؟

وهل تركها معفو عنه أم لا ؟

وهل يكفي الظنّ الحاصل من التقليد أم لا ؟

بناءً على الكلام المنسوب إلى الشيخ الطوسي والذي يقول فيه إنّ المعرفة الخاصّة شوط في الإيمان ، وهي واجبة على

نحو الاستقلال ، فيكفي الظنّ الحاصل من التقليد .

الرأي الصحيح

والصحيح أنّنا نجيب عن كلّ الأسئلة المتقدّمة بالنفي فلا المعرفة الخاصّة شوط في الإيمان ، ولا هي واجبة على نحو

الاستقلال ، بل هي واجبة كشروط في الإيمان والإسلام ، وتركها ليس معفواً عنه . وبناءً على هذا نصل إلى هذه النتيجة أنّ

الجزم واليقين والمعرفة يكفي في تحقّق الإيمان ، ولا يشترط أن يكون ناشئاً

الصفحة 242

من سبب خاصّ ، والدليل على ذلك سيرة الأئمة (عليهم السلام) وأصحاب الأئمة (عليهم السلام) والعلماء المقتدين في زمان

الأئمة (عليهم السلام) إذ كانت مبنية على هذا ، لأنّه كانوا يتعاملون مع الغير معاملة المسلم ، ويوتّبون عليهم آثار الإسلام من

دون بحث عن أنّ اعتقادهم ناشئ عن نظر واستدلال أو عن تقليد عند التعامل معهم ، وعدم التفتيش عن كيفية حصول المعرفة

في التعامل معهم ، ولا يتعاملون معهم معاملة الكفّار ، وهذا وحده كاشف عن أنّ المعرفة الخاصّة ليست شرطاً من شوائب

الإيمان ، بل أكثر من هذا إذ يمكن أن يدّعي بأنّ السيرة قائمة على التعامل معهم معاملة المسلمين ، حتّى مع العلم بأنّ معرفتهم

ليست ناشئة عن النظر والاستدلال .

اعتراض على الرأي الذي توصلنا إليه

هذا الكلام الذي انتهينا إليه وفقاً لكثير من المحقّقين قد يناقش عنه بجملة من الأمور .

فقد يقال : بأنّ المعرفة الواجبة في الأصول تتحقّق عن طريق الاستدلال . يعني لا تحصيل إلاّ من خلال النظر والاستدلال .
فيجب تحصيل المعرفة من خلال الاستدلال بها .
وهذا الكلام دعوى بلا دليل ، لأنّ المعتبر في باب العقائد هو الجزم واليقين .

الصفحة 243

(٧٠) توثيق فقه الإمامية من الصحاح والسنن

السيد علي الشيرستاني

الصفحة 244

الصفحة 245

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ; وبعد هناك إثارات كثيرة يطرحها البعض بين الفينة والأخرى في كتب الفقه والعقيدة والتاريخ حول مشروعية فقه الإمامة والإمامية ، فأحببت في هذه الليلة تسليط الضوء على هذه المدّعيات ، ورواية مسألة توثيق فقه الإمامية من الصحاح والسنن العامية ، فقد قال ابن خلدون في الفصل السابع من مقدّمته ، باب «علم الفقه وما يتبعه من الفوائض» : وشدّ أهل البيت في مذاهب ابتدعوها ، وفقه انفدوا به . إلى أن يقول . فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم ، ولا نروي كتبهم ولا أثر بشيء منها إلاّ في مواطنهم ⁽¹⁾ .

وقال الدكتور محمد كامل حسين في مقدّمته على موطأ مالك : يروي الشيعة عن طريقه يعني بذلك عن طريق الإمام الصادق [أحاديث كثيرة لا نجدّها إلاّ في كتب الشيعة ⁽²⁾ .
وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى في ترجمة الباقر : وكان ثقةً ، كثير العلم والحديث ، وليس يروى عنه من يحتجّ به ⁽³⁾ .

1- تاريخ ابن خلدون ١ : ٤٤٦ .
2- موطأ مالك ١ : ٢١ «مقدّمة المحقق» .
3- الطبقات الكبرى ٥ : ٢٢٤ ، وقد علق الأستاذ أسد حيدر طاب ثراه في كتابه (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢ : ١٤٩ تحقيق نشر الفقهاء) ، على كلام ابن سعد بقوله : فهل كان يقصد ابن سعد أنّ جميع من روى عن الإمام الباقر لا يحتجّ به ؟ كيف وقد روى عنه ثقات التابعين وعلماء المسلمين ، وقد احتج أصحاب الصحاح بتلك الروايات ، ولم يتوقف أحد عن قولها . وليس من البعيد أن ابن سعد يقصد بكلمته هذه روايته من الشيعة ، فهم في نظره غير ثقات ، نظراً لنفسيته وارتكازاته الذهنية التي علقت به من إحياء الأوهام ، وعوامل السياسة ، وتدبير السلطة ضدّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ، أو مجارة للظرف الذي نشأ فيه . ثم أخذ الأستاذ يعدّ أسماء الرواة عن الإمام الباقر (عليه السلام) .

الصفحة 246

نعم هذه الإثارات والأقوال موجودة في كثير من المصنّفات ، وهي الأخرى تختلج في صدور كثير ممن يتقاطع مع مدرسة أهل البيت ، وأولئك الأشخاص وبإثرتهم لهذه المسألة بين الحين والآخر رأوا التشكيك فيما يرويه الأئمة عن رسول الله ، بدعى أنّها مواسيل وليس إسنادها صحيح متصل .

ونحن في هذه الليلة نريد أن نبين كذب هذه المدّعيات ، بل «توثيق روايات الشيعة الإمامية من الصحاح والسنن» وإنّ هذا

العمل . بنظرنا . ليس بالعسير ، ومحاضرتنا جاءت لتساهم في معالجة وردم هذه الفجوة التي أحدثتها أمثال : ابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرهم من أئمة مدرسة السلف ؛ لأنّ هؤلاء تلة يشككون في الرواة عن الأئمة ، وأخرى في مرويات نفس الأئمة ، وهدفهم في كلا العرحتين هو تضعيف مدرسة أهل البيت من خلال تشكيكهم في اتصال مرويات الأئمة الرواة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأخرى عن الراوين عنهم .

حوار بين الأستاذ المحاضر وأحد علماء السنة

لابدّ لي قبل أن أبدأ في بيان تفاصيل رأيي أن أنقل لكم قضية حدثت لي مع عالم من أهل السنة والجماعة زلني في مدينة مشهد ، وطرح عليّ هذه الإثارة ، وكان خلاصة كلامه : أنه لا خلاف بين المسلمين في مكانة الإمام علي ، فهو وصي رسول الله وخليفته من بعده عندكم ، أمّا عندنا فهو الخليفة الرابع ، وصهر الرسول ، والكلّ يشهد بفضلته وعلمه وتقواه ، فلو أمكنكم أن تثبتوا لنا أنّ الفقه الذي تعملون به هو فقه الإمام علي لقبنا مذهبكم ، واتبعنا سيرة أئمتكم ؛ لأنّ كلام الإمام علي هو حجة علينا وعليكم ، وهو واجب الاتباع عندنا وعندكم ، لكنكم تتسبون إلى علي والأئمة من أهل البيت أشياء لم تثبت عنهم ، ولا تصحّ هذه الطرق التي تروونها عنهم ، فعلي بن أبي طالب عندنا هو غير علي بن أبي طالب عندكم .

فقلت له : أنا لا أريد أن أدخل معك في مهاترات ، وأقول بمثل ما قلت

الصفحة 247

بأنكم تتقولون على الإمام علي ، لكنني سأثبت لك بالأرقام عدم صحة كلامك ، ثم أخذ ذلك العالم يكرر علي ما قاله الآخرون عنا ، مؤكداً لزوم إثبات مشروعية فقهننا من فقهم ، وصحة أحاديثنا من أحاديثهم حتى يصح العمل به عندنا وعندهم ؛ لأنّ منهج التوثيق هو المنهج الصحيح لتوحيد المسلمين على الطريق الصحيح .

فقلت له : لنتفق أولاً على منهجية في البحث ثم ننتقل بعد ذلك إلى الجهات الأخرى فيه .

فقال : لا مانع من ذلك .

فقلت له : من المعلوم إنّ الروايات المحكية عن الإمام علي . سلام الله عليه . لا تتجاوز عن أربعة محاور .

المحور الأول : ما اتفق عليه الفويقان سنة وشيعة على صدوره عن الإمام علي (عليه السلام) .

المحور الثاني : ما اختلف عليه الفويقان سنة وشيعة ، فالشيعة تروي شيئاً عن الإمام علي ، وأهل السنة شيئاً آخر .

المحور الثالث : ما انفوتت به أهل السنة والجماعة عن علي ، ولم يؤثر ما يماثلها عند مدرسة أهل البيت .

المحور الرابع : ما انفوتت به الشيعة الإمامية عن علي ، ولم يؤثر ما يماثلها في مصادر أهل السنة والجماعة .

أمّا المحور الأول : فلا خلاف في حجيتّه عندنا وعندكم ، وذلك لعدم وجود ما يثير الريب فيه ، لكن الخلاف في المختلف

فيه عن الإمام علي سلام الله عليه ، فنحن نحكي عن علي شيء ، وأنتم تتسبون إليه شيئاً آخر ، والفويقان يدعيان صحة

طريقيهما إلى الإمام علي ، فما هو الصحيح عن علي ؟ هل ما تنقله الشيعة الإمامية ، أم ما روته كتب العامة ، وهذا هو

الجانب الأهم . ضمن المحاور الأربع . الذي يجب الوقوف عنده ، ومن خلاله يمكننا أن نعرف قيمة المحورين الثالث

والرابع ؛ لأنه لو ثبت وجود نور للسياسة في الاختلاف عن الإمام علي سلام الله عليه لعرفنا عدم إمكان اعتماد ما تنفرد بها العامة عن أهل البيت ؛ لكونه فقه حكومي ابتدى على المصالح ويصبّ في مشوعة الخلفاء .

فقد يروى النهج الحاكم أخيراً عن الإمام لتحكيم أحكام سلطانية صاورة من قبل الخلفاء وأصحاب النفوذ ، ولا نشكّ في أن كثيراً من كبار الصحابة كانوا خصوماً بارزين للإمام علي (عليه السلام) ، كما لا نشكّ في أن لهذه الخصومة مودها السلبي على أصول الدين الإسلامي ، والمنقول عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على وجه الخصوص .

أمّا عن المحور الرابع : فلا يمكننا أن نعتبر ما تنفرد بها الشيعة الإمامية شيئاً غريباً عن فقه المسلمين ؛ لأنهم أتباع مدرسة أهل البيت وأبنائهم ، وهؤلاء قد يختصّون بأمور لا يطّلع عليها الآخرون من فقه وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو أمر طبيعي يشاهد عند أتباع كلّ مذهب ، فقد تقف على أشياء عند أتباع مالك لا يعرفها أتباع أبي حنيفة النعمان عن مالك ، وأبو حنيفة توفّد بأشياء لا يعرفها الشافعي ، وهكذا ؛ فإنّ لكلّ مذهب معايير وأمور خاصة به ، وقد يتبلور ما نقوله بعد ووقوفنا على الجو السياسي الحاكم آنذاك ، ومطرده الحكام لأهل البيت ، فقد يكون أهل البيت قد خصّوا بعض أتباعهم ببعض الروايات والأخبار خوفاً من الاتجاه الحاكم .

فقلت لذلك العالم السنّي : هذا هو المنهج المقترح ، فهل لك إقراح آخر ؟

قال : لا .

فقلت له : فاطح موضوعاً . من المسائل المختلفة عن الإمام علي . كي أطبق لك رؤيتي ، فقال : كيف تجوزون المتعة ، وعلي بن أبي طالب قد روى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد حرم متعة النساء ⁽¹⁾ .

1- زاد المعاد ٣ : ٤٦٢ لابن قيم الجوزية .

قلت : هذا الكلام غير صحيح ؛ لأنه لو ثبت عن علي . كما وعم مدرسة الخلفاء . منعه من المتعة ، فلماذا الإصرار من قبل آل في الدفاع عن حليّة التمتع ، والتأكيد على أنها مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

ولماذا غدا أشياع علي موضع سهام الانتقاد والمحرّبة من أجل القول بمشروعيتها ؟ ولم تحلب الشيعة من أجله حتى اليوم ؟

إنّ حليّة المتعة ثبت صدرها عن علي بطرق متعدّدة عند الويقين ، وأجمع على حليتها أئمة أهل البيت ، وهو المحفوظ عنه في الصحاح والأخبار ، وأمّا حديث المنع المدعى فيها على علي . فهو افّواء عليه وعلى غوه ⁽¹⁾ . لأنّ أنصار مدرسة الخلفاء والرأي قد انفردوا في هذا النقل عن علي ؛ لمصالح رتضوها . كما سيتضح لك بعد قليل . وممّا يزيد الأمر التباساً أو تلبساً هو اختلاف نقلهم عن علي ، فتارة نقلوا عنه أنّه قال : نهى عنها رسول الله يوم خيبر ، وفي آخر : في يوم حنين ،

(2)

وفي ثالث : في غزوة تبوك .

في حين أنّ الباحث وبإلقاء نظرة سريعة إلى أخبار الباب يقف على عدم صحّة ادعاء نهج الخلفاء ؛ وذلك لوجود عيل من الصحابة ، مثل : ابن عبّاس (3)

1 - نسبوا القول بالتحريم إلى ابن عباس وابن مسعود وجابر كذلك (انظر فتح الباري ٩ : ١٤٢ ، أحكام القرآن للجصاص ٢ : ١٤٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٥ : ١٣٢ ، المعنى لابن قدامه ٧ : ٥٧٢ ، المبسوط للسرخسي ٥ : ١٥٢ ، المهذب ٢ : ٤٦ ، تحفة الأحوذى ٤ : ٣٦٧) في حين أن الثابت القطعي عن هؤلاء هو قولهم بتحليل المتعة (انظر المحلى ، لابن جزم ٩ : ٥١٩) ، وقد روى عن علي وابن عباس قولهما (لولا نهى عمر لما زنى إلا شقي) انظر النهاية ٢ : ٢٤٩ و ٤٨٨ وهو يضعف ما نسب إليه من القول بالتحريم .
2- فتح الباري ٩ : ١٣٧ ، أحكام القرآن للقرطبي ٥ : ١٣١ .
3- زاد المعاد ١ : ١٢١ - ٢١٢ ، مسند أحمد ١ : ٣٢٧ ، إرشاد النقاد للصنعاني : ٢٤ - ٢٥ ، سنن الترمذي ٢ : ٢٩٥ .

الصفحة 250

(1) وابن عمر (2) وسعد بن أبي وقاص (3) وأبي موسى الأشعري (4) وغورهم كانوا يعتقدون بمشروعية التمتع بالنساء ، ويعتبرونه فعلاً شرعياً نصّ عليه الله ورسوله ولم ينسخ ، كما كان الإمام علي (5) يعتقد بذلك .
بخلاف عمر بن الخطّاب (6) وعثمان بن عفّان (7) ومعاوية بن أبي سفيان (8) وبقية أئمة النهج الحاكم فكانوا لا يرتضون ذلك الفعل ؛ لأنّ عمر بن الخطّاب نهى عنه بقوله «متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالاً أنا أحرمهما وأعاقب عليهما» (9) .
إنّ الحكومات هي التي كانت وراء ظاهرة اختلاف النقل عن الصحابي الواحد ، والأمر لا يرتبط بالإمام علي وحده ، فهناك نقولات مختلفة عن أنس بن مالك في البسمة (10) وغورها من الفروع الفقهية ، وكذا عن عبدالله بن عبّاس في أكثر المسائل الفقهية ، وهكذا الأمر بالنسبة إلى كبار الصحابة أمثال : ابن مسعود ، وأبو سعيد الخوري ، ومعاذ بن جبل ، وجابر بن عبدالله الأنصلي ، وغورهم ، فقد

1- سنن الترمذي ٢ : ٨٢٣/١٥٩ ، إرشاد النقاد ، للصنعاني : ٢٥ .
2- السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ١٧ ، زاد المعاد ١ : ١٧٩ ، سنن الدرّامي ٢ : ٣٥ .
3- صحيح مسلم ٢ : ١٥٧/٨٩٦ ، مسند أحمد ١ : ٥٠ ، سنن النسائي (المجتبى) ٥ : ١٥٢ ، السنن الكبرى ، للبيهقي ٥ : ٢٠ ، تيسير الوصول ١ : ٢٤٠/٢٠ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٢٩٧٩/٩٩٢ .
4- كعمران بن الحصين ، انظر صحيح مسلم ٢ : ١٦٨/٨٩٩ ، شرح صحيح مسلم للنووي ٧ - ٨ : ٤٥٦ .
5 - مسند أحمد ١ : ٥٧ ، سنن النسائي (المجتبى) ٥ : ١٥٢ ، المستدرک على الصحيحين ١ : ٤٧٢ الموطأ ١ : ٤٠/٣٣٦ ، سنن الترمذي ٢ : ٢٩٥ .
6- أحكام القرآن للجصاص ١٥٢٦٢ وغالب المصادر السابقه .
7- سنن النسائي «المجتبى» ٥ : ١٥٢ المستدرک على الصحيحين ١ : ٤٧٢ ، مسند أحمد ١ : ٥٧ ، الموطأ ١ : ٣٣٦ .
8- السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٢٠ ، سنن أبي داود ٢ : ١٧٩٤/١٥٧ زاد المعاد ١ : ١٨٩ .
9- احكام القرآن للجصاص ٢ : ١٥٢ .
10- تفسير الفخر الرازي ١ : ٢٠٦ وانظر الأم ١ : ١٠٨ وأحكام البسمة للرازي : ٧٦ .

الصفحة 251

نقلوا نصوصاً عن أمثال هؤلاء تتفق مع فتوى الخلفاء ، ففي بعض تلك النقول ما يستشتم منهاراتحة الفقه الحكومي ، وهناك نصوص برينة وصحيحة موجودة في الصحاح والسنن تؤيد مدرسة أهل البيت وإن سعى علماء البلاط لتضعيفها ، لكنّها لو جمعت . تلك الروايات . مع ما جاء عن علي في مرويات أهل البيت عند الشيعة الإماميه لأيت أنّ نقل أهل البيت عن علي هو الأمتن والأصحّ ، للرواية عنه (عليه السلام) بطويقين :

١ . بأحد نقلي العامة عن علي ٢ . ما صحّ في طرق الخاصة عنه (عليه السلام) .

إذن الروايات التي تصبّ في مصبّ السنة النبوية الأصيلة لا يمكن تضعيفها بروايات مكنوبة على أهل البيت ، وبعض الصحابة تخدم أهداف الخلفاء ؛ إذ كيف يكون موقف الخلفاء . وهم أشرس خصوم أهل البيت . معيلاً لتجريح بعض المرويات على أخرى .

وهنا انوى هذا العالم ليسأل سؤالاً آخر وبلحن اعتراضي شديد .

فقال : ما تقول في روايات علي في المسح على الخفين والذي تواتر النقل عنه بأنه كان يقول : للمسافر ثلاث ليال وليلة للمقيم ، أو ما روي عنه أنه كان يغسل رجليه ؟

قلت : هذا هو الآخر لا يمكن الاعتماد عليه ؛ لأنّ موضوع المسح على الخفين كان حكماً حكومياً صدر عن عمر بن الخطّاب ، وكان بعض الصحابة لا يرتضونه ، فقد ثبت عن عمر بن الخطّاب أنه كان يمسخ على خفيه ، ويفتي بذلك ⁽¹⁾ ، ويأمر به ⁽²⁾ ، وكتب إلى زيد بن وهب الجهني وهو بأذربايجان كتاباً في ذلك ، يشترط الثلاث للمسافر وليلة للمقيم ⁽³⁾ ، وروي عنه أنه قال : لا يختلجنّ في

- 1- موسوعة فقه عمر بن الخطّاب : ٨٧٠ .
- 2- المصنّف ، لعبد الرزاق ١ : ١٩٧ / ح ٧٦٦ .
- 3- المصنّف ، لعبد الرزاق ١ : ٢٠٦ / ح ٧٩٧ . وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المصيصة أن اخلعوا الخفاف في كلّ ثلاث ، المصنّف لابن أبي شيبة ١ : ١٩٣ / ح ١٨٧٩ .

الصفحة 252

نفس رجل مسلم أن يتوضّأ على خفيه وإن كان جاء من الغائط ⁽¹⁾ وقد بال عمر موة فمسح على خفيه ⁽²⁾ .
كلّ هذه النصوص تؤكد أن الإفتاء بمشروعية المسح على الخفين كان من قبل عمر ، وأنه هو الذي أمر به وكتب إلى الأمصار ، فلا يبعد أن يروي عن علي ، وابن عباس ، وعائشة ، وابن عمر ⁽³⁾ ما يؤيد موقف عمر بن الخطّاب في المسح على الخفين .

فقد نسب إلى علي بن أبي طالب أنه مسح على خفيه ⁽⁴⁾ وقال : للمسافر ثلاث ليال ويوم وليلة للمقيم ⁽⁵⁾ ومثله نسب إلى ابن عباس ⁽⁶⁾ وابن مسعود ⁽⁷⁾ .

في حين ثبت عن علي وابن عباس قولهما : سبق الكتاب الخفين ⁽⁸⁾ .

ونحن في كتابنا (وضوء النبي) ذكرنا أنّ الإمام علي كان من المعترضين على عمر لقوله بالمسح على الخفين بقوله : (ما يروي هذا عليك) بدلاً من (عك)

- 1- المصنّف ، لعبد الرزاق ١ : ١٩٥ / ح ٧٦٠ ، و١٩٦ / ح ٧٦٣ .
- 2- المصنّف ، لابن أبي شيبة ١ : ١٦٦ / ح ١٩٠٥ .
- 3- انظر المحلى ٢ : ٦٠ ، والمجموع ١ : ٤٧٧ - ٤٧٨ ، وفتح الباري ١ : ٢٤٥ ، وأحكام القرآن ، للجصاص ٢ : ٢٥٠ .
- 4- المصنّف لابن أبي شيبة ١ : ١٦٥ / ح ١٨٩٤ .
- 5- المصنّف لابن أبي شيبة ١ : ١٦٥ / ح ١٨٩٢ .
- 6- المصنّف ، لعبد الرزاق ١ : ٢٠٨ / ح ٨٠٢ ، المصنّف لابن أبي شيبة ١ : ١٦٥ / ح ١٨٩٣ و١٩١١ .
- 7- المصنّف ، لعبد الرزاق ١ : ٢٠٧ / ح ٧٩٩ ، المصنّف لابن أبي شيبة ١ : ١٦٤ / ح ١٨٨٣ و١٨٨٨ و١٨٩٠ .
- 8- مصنّف بن أبي شيبة ١ : ١٦٩ / ح ١٩٤٦ (قول علي) وفي ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ قول ابن عباس . وانظر عن ابن عباس في زوائد الهيثمي ١ : ٢٥٦ قال : رواه الطبراني في الأوسط ، انظر الطبراني (١١٤٠) ، وجامع المسانيد ٢٢ : ٢٦٦ و ٢٠ : ٢٤٥ عن المعجم الكبير للطبراني

لاحتماله النقول على عمر . . .

وجاء عن خصيف أنّ مقسماً أخوه أن ابن عباس قال : أنا عند عمر حين سأله سعد وابن عمر عن المسح على الخفين ؟ فقضى عمر لسعد فقال ابن عباس : فقلت : يا سعد ، قد علمنا أنّ النبي مسح على خفيه ، ولكن أقبل المائدة أم بعدها ؟ قال : فقال روح لـ هو من رواية السنّة] أو بعدها ؟

قال : لا يخوك أحد أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) مسح عليها بعدما أتت المائدة فسكت عمر (1) .

فكثير من الصحابة كانوا لا يقبلون بفقوى عمر في المسح على الخفين منهم علي ، وابن عباس ، وعائشة ، التي جاء عنها أنّها قالت عن المسح على الخفين : لأن أخوهم أو أجز أصابعي بالسكين أحب إليّ من أن أمسح عليهما (2) أو : لأن تقطع قدماي أحب إليّ من أن أمسح على الخفين . أو : لأن أمسح على جلد حمار أحب إليّ من أن أمسح على الخفين (3) . وقد أزعج عمر من تصويحات عائشة فقال : لا تاخنوا بقول امرأة (4) .

إذن عائشة ، وعلي ، وابن عباس كانوا يقولون بعدم جواز المسح على الخفين ، وهذا ينبئنا عن وجود تعرض بين نقلين أحدهما يدعم الفقه الحاكم ، والآخر يحكي سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فليس لنا إلا أن نفترض أن النقل الثاني عن

1- رواه الإمام أحمد في مسنده ١ : ٣٦٦ وإسناده صحيح . ونقل الهيثمي في مجمع الزوائد (١ : ٢٥٦) نحو هذا عن ابن عباس ، ونسبه للطبراني في الأوسط ، كما في هامش جامع المسانيد والسنن لابن كثير ٢٢ : ٦ - ٤ .
2- مصنف بن أبي شيبة ١ : ١٧٠ / ح ١٩٥٣ .
3- التفسير الكبير ، للرازي ١١ : ١٦٣ .
4- مسند زيد بشرح الروض ، والاعتصام بحبل الله ١ : ٢١٨ وانظر سنن الدارمي ٢ : ٢١٨ / ح ٢٢٧٤ .

الصحابي . المؤيد للنهج الحاكم . كان قد طبخ في مطابخ السلطة والحكومة ؛ فهي الوحيدة القادرة على الصاق ما تريد بالصحابي ، بل بأي صحابي ، وإلا لا يمكن لأى أحد أن يلصق بالصحابي ما يريد ، ولولا أن هناك قوى عظمى وراءه ، وما هي إلا السلطة والحكام ، وعليه فلا يستبعد أن تكون السلطة قد نسبت إليهم أقوالاً تؤيد موقف عمر في المسح على الخفين . نحن لو أخذنا بأحد النقلين عن علي عند أهل السنّة وجمعناه مع ما روي عن أئمة الطالبين ، كمحمد بن علي الباقر ، وزيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) لعرفت صحّة مدعانا ؛ لأنّ الثابت عن علي هو عكس ما تطوّه مدرسة الخلفاء عنه (عليه السلام) .

فجاء في مسند الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي قوله : إنا ولد فاطمة لا نمسح على الخفين ، ولا العمامة ، ولا كمة ، ولا خمار ، ولا جهار (1) .

وروي ابن مصقلة عن الإمام الباقر (عليه السلام) ، أنّه قال : فقلت : ما تقول في المسح على الخفين ؟ فقال : كان عمر راه ثلاثاً للمسافر ، ويوماً وليلة للمقيم ، وكان أبي لا راه في سفر ولا حضر .

فلما خرجت من عنده ، وقفت على عتبة الباب ، فقال لي : أقبل ، فأقبلت عليه ، فقال : إن القوم كانوا يقولون وأبهم

فيخطؤون ويصييون ، وكان أبي لا يقول وأيه (2) .

وعن حبابة الوالبيية ، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قالت : سمعته يقول : إنا أهل بيت لا نمسح على الخفين ، فمن كان من شيعتنا فليقتد بنا وليستن بسنتنا ؛ فإنها سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) (3) .

1- مسند الإمام زيد : ٧٤ .

2- التهذيب ١ : ١٠٨٩/٣٦١ ، الوسائل ١ : ٤٥٩ أبواب الوضوء ب ٣٨ / ح ١٠ .

3- الفقيه ٤ : ٨٩٨/٣٩٨ ، الوسائل ١ : ٤٦٠ أبواب الوضوء ب ٣٨ / ح ١٢ .

الصفحة 255

وقال قيس بن الربيع : سألت أبا إسحاق عن المسح على الخفين ، فقال : أركتُ الناس (1) يمسحون حتى لقيت رجلاً من بني هاشم ، لم أر مثله قط ، محمد ابن علي بن الحسين ، فسألته عنها ، فنهاني عنه ، وقال : لم يكن علي أمير المؤمنين يمسح على الخفين ، وكان يقول : سبق الكتاب المسح على الخفين ، قال : فما مسحت منذ نهاني عنه (2) .

وفي الأنساب للسمعاني : إن جعفر الموسائي . نسبة إلى موسى بن جعفر . يقول : إنا أهل بيت لا نقيه عندنا في ثلاثة أشياء : كثرة الصلاة ، وزيلة قبور الموتى ، وترك المسح على الخفين (3) .

وقبله جاء عن جعفر بن محمد الصادق . كما في التهذيب والاستبصار . قوله : لا أتقي من ثلاث . . . وعد منها المسح على الخفين (4) .

كل هذه النصوص تؤكد كذب ما تدعيه مدرسة الاجتهاد والرأي في نسبة المسح على الخفين إلى الإمام علي ، وذلك لعدم تطابقه مع المنقول عن أهل بيته في صحاح مروياتهم ، والثابت من سيرتهم العملية فيه لحد هذا اليوم ، ولوجود صحابة كثر يقولون بقوله ولا يقبلون المسح على الخفين إلا انتقاء من الرد أو ما يشابهه ، ولمعرفتنا بأن النهج الحاكم يسعى لتأصيل فقه عمر على لسان الصحابة .

أما موضوع غسل الإمام علي لرجليه ، وهي أكنوبة أخرى وضحنا أبعادها في كتابنا (وضوء النبي) ، كان هذا هو مجمل لقائى بهذا العالم السنّي ، الذي استغرق قابة الساعتين ، ومن خلال البحث وفتت على ضرورة توثيق فقهننا من الصحاح والسنن ، وأعلمته بأن هذا ليس بالعسير علينا ، وذلك لوجود ما يؤيدنا في مرويات

1- لاحظ قول ابن عباس «أبي الناس إلا الغسل» .

2- ارشاد المفيد ٢ : ١٦١ ، الوسائل ١ : ٤٦٢ أبواب الوضوء ب ٣٨ / ح ٢٠ .

3- الأنساب للسمعاني ٥ : ٤٠٥ .

4- انظر الكافي ٣ : ٣٢ / ح ٢ ، التهذيب ١ : ٣٦٢ / ح ١٠٩٣ ، الاستبصار ١ : ٧٩ / ح ٢٣٧ .

الصفحة 256

وأقوال الصحابة والتابعين المعتوة عندهم ، وإنا يمكننا أن نوثق فقهننا ومروياتنا بطريقة علمية إيجابية لا سياسية سلبية ، كما فعلتموه مع الصحابة ؛ لأن إثبات فقه متكامل شيعي على لسان الصحابة لا يمكن تصور وقوعه من قبل الشيعة في كتبكم ، وهم المطرودين والمشرّدين من قبل حكامكم ، والمحظور في الأخذ عنهم من قبل رجالكم ، فكيف يمكن الوقوف على فقه متكامل

شيعي عندكم إن لم يكن له رصيد صحيح من قبل الصحابة في صحاحكم ؟ !

لأننا نعلم . ويعلم كثير من العلماء معنا . بأنّ المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد انقسموا إلى نهجين أساسيين ، فمنهم : من يتبع الأصول الشوعية ولا يأخذ بالآراء ، والثاني : يجعل الآراء قسيماً للقرآن والسنة ، وذلك بعد أن رسمت معالمه في الشورى ، وهؤلاء هم الذين قالوا : «على كتاب الله وسنة نبيه وسورة الشيخين» في حين أنّ الشيخين كانا . في أوائل خلافتهم . يسألان الصحابة ما جاء عن رسول الله ⁽¹⁾ أو الذكر الحكيم . لكن عمر غير منهجه بعد أن خطأ من قبل كثير من الصحابة في فتواه ، وفيما يروي عن رسول الله ⁽²⁾ ، وحكت كتب السير عنه أنّه قال لمن أتى إليه بمصاحف الحديث استجابة لأمره : «نأخذ منكم ونودّ عليكم» ⁽³⁾ وثبت عن عمر أنّه حدّد الإفتاء بمن يكون أمواً ، فقال لبعض الصحابة : كيف تفتي الناس ولست أمواً ؟ ول حلّها من تولى قّلها ⁽⁴⁾ .

وجاء عن أبي موسى الأشعوي أنّه كان يفتي بالمتعة ، فقال له رجل : رويك

- 1 - انظر السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ١١٤ ، ٦ : ٤٧٥ ، ٨ : ٢٢٦ ، الموطأ ١ : ١٨٠ ح ٨ ، ٢ : ٥١٣ ح ٤ ، سنن أبي داود ١ : ٣٠٠ ح ١١٥٤ ، ٢ : ١٢١ ح ٢٨٩٤ ، سنن ابن ماجة ١ : ٤٠٨ ح ١٢٨٢ ، ٢ : ٩٠٩ ح ٢٧٢٤ .
- 2- انظر ما كتبه الأستاذ المحاضر في «منع تدوين الحديث» .
- 3- تاريخ دمشق ٤٠ : ٥٠٠ ، كنز العمال ١٠ : ١٣٠ ح ٢٩٤٧٩ .
- 4- الجامع لمعمر بن راشد ٢٢٩٦١١ ، مصنف عبد الرزاق ٨ : ٣٠١ ح ١٥٢٩٣ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٤٩٥ ، ٤ : ٦١٢ .

الصفحة 257

ببعض فتياك ، فإنّك لا تنوي ما أحدث أمير المؤمنين [يعني به عمر] في النسك ⁽¹⁾ .

فإذا كان هذا فعلهم مع كبار الصحابة الأحياء كأبي موسى ، فكيف بمن ماتوا منهم . وبعد قرون من الزمن . ؟
إننا لا نستبعد . من أجل تقوية النهج الحاكم . أن ينسوا إلى أعيان الصحابة قلاً يوافق ما يذهب إليه الخليفة ، وهذا ما فعلوه . غالباً . في كثير من المسائل .

لكن الأمر لم يخف علينا ، ويمكننا إثبات أنّ هناك تلاعباً مقصوداً من قبل الحكام في الفقه والحديث ، وذلك من خلال ما يروي النهج الآخر من الصحابة ، وهم الذين لا يرتضون إلا نقل كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فتوى هؤلاء يخطئون من يسير على سيرة عمر في المتعة ، والتكبيات على الميت وغيرها .

فيقول أحدهم : «لا أتوك سنة أبي القاسم لقول أحد» ⁽²⁾ أو يقول ابن عمر : «أفسنة عمر تتبع أم سنة رسول الله ؟» ⁽³⁾
ويقول ثالث : «فعلها أبو القاسم وهو خير من عمر» ⁽⁴⁾ .

وعدد مرويات هؤلاء ليس بالقليل في الصحاح والسنن والمصنّفات ، فيمكننا بكل بساطة تصحيح ما ضعفه الآخرون . تبعاً للخطّ الحاكم . عن الإمام علي بالمتابعات والشواهد الصحيحة المنقولة عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعائشة وغيرهم ، فإنّ قول عائشة مثلاً في النهي عن المسح على الخفين يدعم ما ضعف عند القوم عن علي ، ويخرجه على مبانيهم من حيز الضعف إلى الصحة ؛ لرواية ذلك بالطريق الصحيح عن عائشة ، فحديث عائشة يكون داعماً لأحد

النقلين عن علي .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى موضوع المتعة ، فالقول بالجواز عن جابر بن عبدالله الأنصلي ، أو ابن عباس ، وأبي موسى الأشعري يرفع الخبر المضعف عند القوم عن علي إلى درجة الصحة ؛ لوجوده في المتابعات الصحيحة عندهم .
إذن الحديث الضعيف يمكن تصحيحه بشاهد صحيح أو تابع صحيح . حسب معايير أهل السنة . وهذا ما نريد تطبيقه في المرويّات عن علي (عليه السلام) ، وعملنا هذا هو تعويض وإبدال الأسانيد المضعفة عند أهل السنة عن علي بالصحيح عن الصحابة الآخرين ، وذلك بعد الوقوف على صحة مضمون الخبر عندهم .

وبذلك فقد أخرجنا الحديث المنسوب إلى الإمام علي والمختلف فيه بين الفريقيين ، ذلك المضعف عندهم بسبب رواية الشيعة له أو أخذهم به ، واعتبرناه حديثاً ثابتاً صحيحاً عندهم عن علي ، يجب الأخذ والعمل به ، وذلك لصحة عندهم من طريق آخر .
وعليه فما تروية الخاصة عن علي له أربعة دعائم .

الأول : رواية الشيعة لها حسب طرقهم الخاصة .

الثانية : وجود ما يؤيدهم في أحد النقلين عن علي في كتب أهل السنة والجماعة .

الثالثة : اتخاذ ما يرويه بعض الصحابة كروايات داعمة لما نرويه عن علي ، وقد رأيت أنّ عائشة تدعم رأي الإمام علي في المسح على الخفين ، وأبو موسى الأشعري وجابر بن عبدالله الأنصلي فقد رويّا مثل رواية الإمام في المتعة ، وبذلك صار المنسوب إلى الإمام علي في عدم جواز المسح على الخفين وجواز المتعة ثابتاً صحيحاً عنه ، لهذه الطرق الثلاث .
وقد يمكننا أن نضيف دعامة رابعة إليها ، وهي أنّ النقل الآخر عن علي .

الذي لا يقول به أهل البيت . نجده دائماً يصبّ في محوى أعدائه من الأمويين ومن غوهم ، وحسبنا أنّ الآية المطروحة في ذلك قد جزم بها ابن عباس لما قال : «لعنهم الله تركوا السنة من بغض علي» ؛ فالذي لا يتورّع أن يتوك دين الله وسنة رسول الله بغضاً لعلي ، فبالجزم واليقين هو لا يتورّع أن يكذب على علي بأيّ نحو وبكل وسيلة ، وهذا هو تفسيرنا للنقل الثاني عن علي الذي يخالف مرويات أهل البيت والشيعة تبعاً لعلي ، ولمتابعات الصحابة له كما تبين في مسألة المتعة .
وعلى هذا الأساس فالنقل الآخر عن الإمام علي ، وهو المروي عنه لتأييد مدرسة الخلفاء ، فلا يمكننا الاعتماد عليه ، لوقوفنا على نور الحاكم في نسبة الأشياء إلى الصحابة ، ولتنبّي أمثال عمر لها ، مثل : متعة النساء ، وصلاة التوايح ، والتكبيرات على الميت ، والمسح على الخفين إلى غوها من الأمور الكثيرة .

وإنّ تبنّي الدول الشيعية كالحمدانيين ، والفاطميين ، والبويهيين وغوهم لبعض هذه المفردات الفقهية مثل «حيّ على خير

العمل» أو الجهر «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلّاة ، أو الجمع بين الصلاتين ، وعدم أكل السمك الذي لا فلس له ، وأمثالها تؤكد لنا وجود تحريف في الشريعة لا يقبله الطالبيون ، وإنك لو بحثت كلمة (كذبوا) وما يماثلها والذي جاء على لسان الإمام الصادق وغوه من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، في المعاجم الحديثية لوقفت على الكم الهائل من التحريف عند مدرسة الخلفاء .

نعم ، هناك طويق آخر يمكننا من خلاله توثيق رواياتنا ، وهو جمع الوفاقيات بين الفريقين ، للتأكيد على أنّ ما يرويه الأئمة عن رسول الله ليس بأجنبي عن روايات المسلمين كما ادعاه ابن خلدون والدكتور كامل حسين .

أقول نحن لو قلنا على رغباتهم وانتهجنا ما رأوا أن ننتهجه ، مع علمنا واعتقادنا بأن روايات الأئمة (عليهم السلام) مسندة عالية الإسناد عن رسول الله ، وهو كما قال الإمام الباقر (عليه السلام) إنّ حديثه هو حديث أبيه ، وحديث أبيه حديث جدّه عن

الصفحة 260

رسول الله ، لكان هو الحديث الصحيح لرواية الأبناء عن آبائهم ، وهل هناك إسناد أحسن وأعلى من هذا الإسناد ، فالرواية كلّهم أئمة يشهد الجميع بفضلهم وعلمهم ⁽¹⁾ .

ومن المؤسف أنّ الآخرين يريدون بهذه الأقوال أن يُبعوا الناس عن المعرف الحقّة الموجودة في مثل هذه المصنّفات والمنقولة عن لسان هؤلاء الأئمة .

فالمهم في أطروحتنا هذه هو البحث عن المتابعات والشواهد الموجودة في كتب أهل السنّة والجماعة ، وجمعها لتوثيق فقها وإمام الآخرين به ، لأنّ في ذلك تصحيح لروايتنا الفقهية ، ومن خلاله يمكننا فتح آفاقاً جديدة في العمل الفقهي والعقائدي ; فاتّباع هذا السبيل سيميط اللثام عن الأيدي المتلاعبة بالدين الإسلامي ، وتكشف من هو وراء نسبة هذه الأقوال إلى الإمام علي ، بل من هو القائل الأوّل في مدرسة الخلفاء المخالف لما ترويه الشيعة عن علي والأئمة من ولده ، وكذلك فهي ستسلط الضوء على الملابسات في مثل هكذا أمور في الشيعة ، لأنّ الأخبار المحكية عن الإمام علي . عند القوم . تأتي دائماً في سياق دعم رأي شخص أو مجموعة خاصّة ، فلا يمكننا الأخذ بما يخالف مدرسة أهل البيت ، بل يجب الوقوف عندها والبحث عن ملابساتها لكي نعرف من هو المنتفع والمستفيد ، ومن هو وراء الستار ، وغالباً ما يكون أحد الرجال ولا أحدّه بالشيخين ، فقد تكون عائشة ، وقد يكون أبا هريرة ، وقد يكون شخص ثالث ، فإنّ ما يفتى به أمثال هؤلاء ، يحبّ أن يدعم من قبل أعيان الصحابة إن كان مخالفاً لفقوى الإمام علي ، فلا يستبعد أن ينسوا إلى الإمام علي نفسه ، أو إلى ابن عباس ، أو أنس بن مالك ما يدعم رواية عائشة ، وأبي هريرة ، ومعاوية وغوهم . وعليه فأئمة الفقه الحاكم هم وراء نسبة هكذا أقوال متضاربة في الشريعة والتي تخالف أصول الشيعة الإسلامية ، كوقوع التطبيقات الثلاث في تطبيق واحدة والتي تخالف صريح القرآن في قوله

تعالى ﴿الطَّلَاقُ مُرْتَانٌ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ...﴾

دعوة إلى البحث

فعلى الإخوة الباحثين وأصحاب الفكر والقلم أن يتابعوا خيوط هذه المفردات الفقهية في الفقه الإسلامي لكي يقفوا على المنتفع والمستفيد ، وخصوصاً حينما نرى انفراد أهل السنة في نقل هذه المفردات المروية عن علي وابن عباس ، ولا نجد ما يؤيدها في كتب الشيعة الإمامية ، فنحن لو أخذنا هذا الأمر بنظر الاعتبار مع وقوفنا على منهج الفقه الحاكم في التأكيد على فقه بعض المذاهب دون الآخر ، لأن من الثابت تليخياً أن المنصور العباسي أمر مالكا أن لا يأخذ بفقه علي وابن عباس (2) .

فنسأل : إذا كان منهج النولة هو عدم الأخذ بروايات الإمام علي وابن عباس ، فلماذا نرى مالكا يروى أحاديث عن علي تخدم فقه السلطة فقط ، دون نقله للروايات الأخرى عنه .

فقد يقال في تعليل ذلك أنهم لو نقلوا الرأي الآخر عن الإمام علي لكان فيه ما يدعم فقه العزة الطاهرة ، المضطهدة في كل القرون وهذا ما يُضعف ما ينقلوه عن الصحابة .

بلى إن أتباع أهل البيت كان لا يمكنهم نشر علوم أئمتهم . وحتى أنهم كانوا لا يقرون على نشر فضائلهم . ولأجل هذا لا ترى القوم يروون عن أئمة أهل البيت في كتبهم الحديثية ، إلا ما يصب في فقه الحكام .

وإن وقفوا على رواية بعض التابعين عن علي أو عن أحد ولاده المعصومين ما يخالفهم ، سوا لتضعيفه أو حمله على وجه ضعيفه بما يشلؤون ، في حين هو مروى في كتبهم عن الصحابة والتابعين بطرقهم المعتادة وحسب معايبهم الوائية والرجالية ، فنحن نريد أن نجمع هذه الشواهد والمتابعات المعتوة في مصنفات أهل السنة لرفع التهمة عن أهل البيت ، وإن ما

يروونه موجود

1- البقرة : ٢٢٩ .
2- ترتيب المدارك : ١ : ٢١٢ .

في الصحاح والسنن المعتمدة الطرق عن الصحابة والتابعين ، وليس هو بالغريب عن فقه وحديث المسلمين . وبهذا نكون قد رُلنا ما علق من القذى بتلك العين الصافية المستقاة من أهل بيت الوحي ، موضحين بالأدلة القاطعة وبالأرقام أن ما نقلوه مخالف لروايات الشيعة يصب في ساقية النهج الحاكم وفقه الخلفاء ، إذن لا يمكن الاعتماد عليه والاطمئنان به .

أقول وبضوس قاطع أن غالب فقهاء وحديثنا مروى في كتب القوم ، وعلى لسان الصحابة والتابعين ، من كتاب الطهارة إلى كتاب الديات ، وهذا ما يجب جمعه وتبويبه طبق الأبواب الفقهية .

نعم ، قد يقال بأن تلك الروايات ضعيفة أو منسوخة عندهم . وهذا ما يقولوه غالباً في أكثر المسائل المختلفة . وأنهم يرون

إلى ميّز النسخ في غالب الأمور المختلف فيها ، وذلك لعدم إمكانهم إنكار أصل وجود القول الآخر عندهم ، فالذي أدعو إليه الباحثين هو التأمل والتدبر في مسألتني التضعيف والقول بالنسخ في المسائل المختلف فيها ، لأنهما أداتان يستخدمهما الفقه الحاكم في المسائل الفقهية والعقائدية إذا ما ضاق عليه الخناق ، ويا حبّذا أن يقوم بعض المحققين بواسطة مستوفاة عن النسخ ، فيجمع المسائل الفقهية والعقائدية المدعى النسخ فيها ، لوى هل حقاً أنّها منسوخة ، أم أنّهم قالوا بالنسخ كمبرر لعمل الخلفاء والصحابه بذلك ؟ !

نعم ، أنّهم وبعد ثبوت مشروعية المتعة مثلاً عندهم قالوا أنّها نسخت ، دعماً للخليفة عمر الذي نهى عنها ، وهكذا الحال بالنسبة إلى مشروعية المسح على القدمين ، التي جرم بعضهم أنّها دين الله فادعوا نسخها ، وقالوا عن أخبار المسح على القدمين الصحيحة أنّها تعني المسح على الخفين ، واني رأيتهم يتمسكون بهذا المبرر حتى في موضوع الكتابة . والذي هو أصل حضري . فقالوا : و أنّ الكتابة كان مسوح بها ، لكن الرسول لما رأى الأحاديث تكتب مع الوآن نهى عنها ، خوفاً من أن يزوج الوآن بالسنة ، فمنعها ، وبذلك تكون الروايات الدالة على لزوم تنوين المعلومات هي منسوخة عندهم ، كل ذلك دعماً لموقف عمر بن الخطاب

الصفحة 263

من منع تنوين حديث رسول الله ، إذن فما من مسألة مختلف فيها إلا وتوى موضوع النسخ قد أثير فيها . وهذا ما يجب بحثه وواسته من قبل الباحثين .
وعموماً فالنهج الحاكم كان لا يرضى نقل فقه الإمام علي ولا نقل فضائله ، وهناك أكثر من هذا ، فهم كانوا يحرقون المنقول عنه ، فعن أبي بكر بن عيَّاش ، قال : سمعت المغيرة يقول : لم يكن يصدق على علي في الحديث عنه ، إلا من أصحاب عبدالله بن مسعود (1) .
وجاء عن الحسن البصري أنّه إذا أراد أن يحدث عن الإمام علي لم يجرأ أن يصوح باسمه فيقول : قال أبو زينب (2) .
كنايه عنه ، والشواهد على ما أقول كثرة .

ومن ثمّ فاني أدعو الباحثين إلى واسة الفقه المقلن مع ملابساته السياسية والاجتماعية ; للوقوف على الأمور الداعية للاختلاف في المنقول عن رسول الله ; لأنّ معرفة العقائد والآراء ، وما يحمله هؤلاء الرجال من نفسيات كفيل لحلّ العقد ، والوقوف على العلل والأسباب المؤدية للاختلاف ، وأنّ معرفة الاتجاهات والآراء المطروحة آنذاك مهم للتعرف على جنور الخلاف وتريخ الفقه والتشريع .

وبمعنى آخر يجب أن تُخرج بحوثنا الفقهية المقلنة من دائرة مناقشة الأدلة الشوعية البحتة ، لتشمل واسة الملابسات السياسية والاجتماعية ، ومنها الوقوف على الاتجاهات والعقائد الموجودة حين صدور النصوص .

فلو عرف الباحث أنّ النهج الحاكم كان يتخذ سياسة الاكتفاء بالقوان الكريم مثلاً للحدّ من نشر أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المثالب والفضائل ، ولكي لا يقف الصحابة أو الرواة على سوء فهم الخليفة ، وأنهم قالوا بمشروعية تعددية

الرأي للوقوف أمام مسار الوحدوية في الشيعة .

فلو عرف الباحث أمثال هذه الأمور لتعامل معها بصورة أخرى ، ويواقع بعيد عن التقليد الأعمى للسلف ، ولعرف بأن

الأمر لم يرتبط باختلاف وجهات النظر ،

1- صحيح مسلم ١ : ١٣ ، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحمّلها ، المدخل إلى السنن الكبرى : ١٣٢ / ح ٨٢ ، توجيه النظر إلى أصول الأثر ١ : ٥١ .
2- صحيح مسلم ١ : ١٣ ، باب النهي عن الرواية الضعفاء والاحتياط لتحملها المدخل إلى السنن الكبرى : ١٣٢ / ح ٨٢ ، توجيه النظر إلى أصول الأثر ١ : ٥١ .

الصفحة 264

أو اختلاف الموثقات والمسموعات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بل إنّ للسياسة والهوى نور في تحكيم الخلاف

الفقهي بين المسلمين .

فالخلفاء أمويين كانوا أم عباسيين كانوا يريدون التّعوّف على الطالبين ، فاستغلّوا اختلاف نظر الصحابة والتابعين في

الأحكام والعقائد ، واعتبروه خير ميدان للتّعوّف ؛ لأنّ الاختلاف كان موجوداً قبل هذا التلويح ولا ننكوه ، بل إن الأمويين

والعباسيين استغلّوه ، لأنّ الفقه الحاكم كان قد أسس على لزوم الاقتداء بالشيخين ، ثم رُدّف عثمان معهما دون الإمام علي

أذاك ، ثم صار الخلفاء أربعة أضيف إليهما عثمان ، ثمّ عشرة مبشّوة ، حتى وصل الأمر بهم أن يقولوا بعدالة جميع الصحابة

، في حين أنّ الله سبحانه كان قد أكد على الوحدوية في قوله تعالى : ﴿ **أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا**

السُّبُلَ ﴾⁽¹⁾ أو ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾⁽²⁾ .

بلى ، إنّ الأمويين والعباسيين كانوا وراء تنوين السنة النبوية⁽³⁾ والتمذهب بالمذاهب الأربعة⁽⁴⁾ ، أي أنّهم أصّلوا فقه

الخلفاء حديثاً في العهد الأموي ، وفقهاً في العصر العباسي ، ثمّ جمّعوا الأمة على فقه يغيّر فقه أهل البيت بشكل ملحوظ ؛

للتّعوّف عليهم وإبعادهم عن الأمة . فعلينا التدبّر والعمل بشكل وبآخر ، لتمييز الغث عن السمين ، والصحيح عن السقيم ، بل

يؤم علينا أن نرسم منهجاً نتلافى فيه ما أدخله المبدعون ، وإنّ توضيح هكذا منهج يحتاج إلى برمجة ، وتشاور بين العلماء

للخروج بمنهج موحد صحيح .

إنّ المسألة الفقهية أخذت منحىً حكومياً . مضافاً إلى اختلاف وجهات النظر والمبتهيات . وذلك بتدوينهم الحديث النووي في

العهد الأموي ، وتعميم ما كتبه ابن شهاب الزهري مندبيل الأواء⁽⁵⁾ إلى الامصار ، وإلزام الآخرين في الأخذ

1- الأنعام : ١٥٣ .

2- النساء : ٨٢ .

3 - أمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب الزهري أن يجمع الأحاديث عن رسول الله فجمعها (انظر كتاب منع تدوين الحديث للأستاذ المحاضر) .

4- انظر كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر .

5- تاريخ دمشق ٥٥ : ٣٧٠ .

الصفحة 265

عنها لا عن غيرها .

وفي العهد العباسي بدا التمهذب الفقهي انطلاقاً من تقيب أبي حنيفة ودعوته لطرح مسائل شداد على الإمام الصادق ، ومروراً بأمر المنصور بعدم جواز الافتاء في الموسم إلا مالك بن أنس ، لقوله : « لا يفتين إلا مالك »⁽¹⁾ وختاماً بانحصار المذاهب الإسلامية بالأربعة فقط في العصور اللاحقة .

بلى إنهم سوا لإبعاد أئمة أهل البيت عن مجريات الأحداث ، وكانوا يهدفون بعملهم هذا التعرف على الطالبين ، لكونهم المخالفين السياسيين للحكومتين الأموية والعباسية ، ولو تابعت النصوص الحديثية والمواقف الفقهية لصدقتونا في مدعانا ، فلنأخذ مثلاً قضية علي بن يقطين [وزير هارون] حينما وشى به إلى الوشيد بأنه من الشيعة ، فزاد هارون أن يتأكد ويتحرى عن الأمر بنفسه ، فانتظر وقت الصلاة ، فنظر من ثقب الدار إلى وضوء ابن يقطين فآه يتوضأ وضوء العامة ، فتركه ؛ لأن علي بن يقطين كان قد أرسل إلى الإمام الكاظم برسالة يسأله عن مسألة مسح الأرجل منكوساً ، فأجابه الإمام بجواب آخر غير ما سئل به ، وأمره بغسل الأرجل في الوضوء ، فتعجب ابن يقطين من جواب الإمام ، لكنه امتثل أمر الإمام ، وأخذ يتوضأ بوضوء العامة ، وعندما انتهى الأمر ، وتغير رأى هارون فيه جاءه كتاب آخر من الإمام يأمره بالرجوع إلى الوضوء السابق⁽²⁾ .

وهذا النص يعرفنا بأن الحكام كانوا يتعرفون على الطالبين من خلال الوضوء والصلاة ، وغوها من الأمور المختلف فيها بين المسلمين ، لأن الطالبين . هم أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وهؤلاء كان لا يمكنهم مخالفة سنة جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والذي عرفوه بواسطة آبائهم وأجدادهم . أي أنّ الحكام استخدموا الدين كمدخل للإطاحة بالمتدينين والمخالفين السياسيين ، وهناك أمثلة كثيرة على ما نقول ، يمكن للباحثين الوقوف عليها واستقصاءها والتدبر فيها ، واليك مثال آخر في هذا

1 - انظر تهذيب الكمال ١٨ : ١٥٧ ، تاريخ بغداد ١ : ٤٢٦ ، التعديل والتجريح ٢ : ٦٩٩ ، عن ابن وهب قال حججت سنة ثمان وأربعين ومائة وصائح يصحح لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وعبد العزيز بن أبي سلمة .
2- أنظر الخرائج والجرائح ١ : ٢٢٥ ، بحار الانوار ٤٨ : ١٣٦ ، ٧٧ : ٢٧٠ .

السياق ، وهو ما جاء في مقاتل الطالبين : عن هارون الوشيد وأنه كان يريد القبض على يحيى بن عبد الله بن الحسن ، وقد عين جائزة لذلك ، فجاءه شخص وقال إنّي عثرت عليه .

قال هارون : كيف عرفت أنه يحيى بن عبد الله ؟

قال : شهدته وقت الصلاة فصلّى الظهر ، فلما كان بعد الزوال صلّى صلاة ظننتها العصر ، أطال في الأوليين وحذف

الأخريتين .

(1) فقال له الوشيد : لله أبوك لجاد ما حفظت تلك صلاة العصر ، وذلك وقتها عند القوم .

فإذن الحكام كانوا يتعرفون على الطالبين من خلال الوضوء والصلاة ، وغوها من الأمور العبادية ، والوشيد عرف أنّ

المصلي هو من الطالبين ، لأنه قصر الصلاة وجمع بين الظهر والعصر فقال له : «لجاد ما حفظت تلك صلاة العصر وذلك وقتها عند القوم» ، وعليه فالمسائل الدينية صلت خاضعة لأمر سياسية في كثير من الأحيان وأن الحكام بهذه الأعمال كانوا ورجون أهدافاً كثرة ، منها كسب تعاون البسطاء من الناس معهم ، لأن الناس كانوا قد اعتادوا على فقه نمط خاص في الشريعة ، فلوروا شخصاً يصلي أو يتوضأ بغير الشكل الذي ألفوه لثروا عليه غضباً وأبعده عن دائرة الإسلام .

بمعنى آخر : أن السلطة لو قبضت على شخص من الطالبين ، فالناس سيتعاونون مع الجهاز الحاكم ، بدعى أن هذا ليس بمسلم ، بل هورافضي يرفض الإسلام في أحكامه ، انظر إلى وضوءه فهو ليس مثل وضوءك ، وإلى صلاته فهو ليس كصلاتك ، وإلى حجّه فهو ليس كحجك ، فهو مخالف لدينك وشريعتك ، فالناس البسطاء سيتأثرون بهذه الأقوال ، ويعتقدون بأن هذا الشخص مبدع وخرج عن الإسلام ، يخالف السنة المطهورة وشريعة رب العالمين ، لأن صلاته تخالف صلاتهم ووضوئه يخالف وضوئهم . في حين أن هذا الشخص العلوي كان قد تحمل ما تحمل ، وثابر وكافح للحفاظ على السنة الصحيحة ، المنقولة عن العزة الطاهرة الذين هم عدل الكتاب العزيز .

1- انظر مقاتل الطالبين : ٣١٠ ، تاريخ الطبري ٤ : ٤٦٤ - ٤٦٥ .

الصفحة 267

نعم إنهم اتهموهم بالرفض ، لرفضهم الفقه الحاكم ، لا لرفضهم الإسلام ، بل إنهم الناشرون لأحاديثه ، والموضحون لأحكامه ، والواقفون أمام ما أبدعه الحكام في الأحكام . ولو أحببتم التأكد مما قلناه والوقوف على خيوط الفقه الصحيح لؤيتموها كثرة في كتب التريخ والحديث ، متناثرة يجب جمع فتاتها ، فقد جاء في كتاب «اعتقاد أهل السنة» عن شعيب بن جريز أنه طلب من سفيان الثوري أن يحدثه بحديث السنة ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم .
الآن كلام الله غير مخلوق . . . إلى أن يقول : يا شعيب لا ينفك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين ، وحتى ترى أن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر به ، وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والصبر تحت لواء السلطان جاؤاً أو عدلاً .

فقلت : يا أبا عبدالله الصلاة كلها ؟

قال : لا ، ولكن صلاة الجمعة والعيدين ، صلي خلف من أدركت ، أما سائر ذلك فأنت مخير ، لا تصل إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة (1) .

فموضوع البسمة على سبيل المثال من المواضيع الاختلافية الهامة ، فمترسة أهل البيت ترى الجهر بالبسمة من علائم المؤمن (2) إذ جاء عن الأئمة من ولد علي . الباقر والصادق والرضا (عليهم السلام) . قولهم : اجتمع آل محمد على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم .

(3) وعن الباقر قوله : لا ينبغي الصلاة خلف من لا يجهر .

(4) وعن السجاد قوله : اجتمعنا ولد فاطمة على ذلك .

وعن ابن عباس أنّ رسول الله كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم⁽⁵⁾ .
في حين أنّ الناس انساؤوا في موضوع البسمة وراء مدرسة بني أمية ، إذ

- 1- اعتقاد أهل السنة اللالكاني ١ : ١٥٤ / ح ٣١٤ .
- 2- مصباح المتهد : ٧٨٨ .
- 3- أحكام البسمة ، للفخر الرازي : ٤٠ .
- 4- دعائم الإسلام ١ : ١٦٠ .
- 5- في هامش جامع المسانيد ٣٢ : ١٣٥ رواه الطبراني (١٠٦٥١) وإسناده صحيح .

الصفحة 268

قال فخر الدين الوري : أنّ علياً كان يبالغ في الجهر ؛ بالتسمية (أي البسمة) فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعياً في أبطال آثار علي⁽¹⁾ .

وعن أبي هرة أنّه صوّح بأنّ الناس تركوا الجهر بالبسمة بعد رسول الله ، إذ قال : كان رسول الله يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثمّ تركه الناس⁽²⁾ .

ولأجل هذا ترى النقول تختلف عن أنس وغوه ، فترة يروى عنه الجهر ، وأخرى الإخفات ، وثالثة بشيء ثالث فقال فخر الدين الوري في نفسه : فلعلّ أنساً خاف منهم ، فلهذا السبب اضطربت أقواله فيه ، ونحن وإن شككنا في شيء فإننا لا نشك أنّهما وقع التعرض بين قول أنس وابن المغفل وبين قول علي بن أبي طالب (عليه السلام) [في الجهر بالبسمة] . الذي بقي عليه طول عمه . فإنّ الاخذ بقول علي أولى فهذا جواب قاطع في المسألة⁽³⁾ .

فهذه المفودات التي ذكرناها ما هي إلاّ غيظ من فيض ، وقطرة من بحر ، ذكرناها كنماذج تطبيقية لفقه النهجين . الطالبين والحكام . وإنّ الآخرين نسوا كذبا أحاديث إلى أهل البيت تدعم فقهم ، والباحث بواجعة سريعة لتاريخ المسألة وملابساتها يقف على أكتوبتهم .

الخلاصة : نحن لو أخذنا بأحد النقلين عن الإمام علي ثمّ قرناها مع ما جاء في كتبنا الحديثية لاتضح لنا ملابسات تلك الأحكام ، فانظر إلى ما روى في الكافي عن محمد بن مسلم قال : نشر أبو عبدالله صحيفة فأول ما تلقاني فيها ابن أخ وجدّ ، المال بينهما نصفان .

فقلت جعلت فداك إنّ القضاة عندنا لا يقضون لابن الأخ مع الجدّ بشيء !!
فقال : إنّ هذا الكتاب بخطّ علي وإملاء رسول الله⁽⁴⁾ .

وعنه في رواية أخرى قال : نظرت إلى صحيفة ينظر فيها أبو جعفر فوّات

- 1- التفسير الكبير ١ : ٢٠٦ .
- 2- احكام البسمة : ٤٥ عن سنن الدارقطني ١ : ٢٠٧ والحاكم في مستدرکه ١ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- 3- التفسير الكبير ١ : ٢٠٦ .
- 4- الكافي ٧ : ١١٢ ، ح ١ وعنه في وسائل الشيعة ٢٦ : ١٥٩ ح ٣٢٧١٤ .

الصفحة 269

فيها مكتوباً : ابن أخ وجدّ المال بينهما سواء .

فقلت لأبي جعفر : إنّ من عندنا لا يقضون بهذا القضاء ولا يجعلون لابن الأخ مع الجدّ شيئاً ؟
فقال أبو جعفر : أما إنّه إملاء رسول الله وخطّ عليّ من فيه بيده ⁽¹⁾ .

فانظر إلى محمّد بن مسلم تراه ينقل عن قضاة بلده أنّهم لا يقضون بما يوافق كتاب عليّ ، والباقر (عليهما السلام) ، أقرّ كلامه وقرّر أنّ القضاة في المدينة لا يقضون بما يقضي به أئمة أهل البيت ، لذلك أكدّ الباقر عليّ أن حكمه مأخوذ من فيه بيده ، وأنّ الكتاب بخطّ عليّ وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وهناك مفودة أخرى أتى بها ، وهي : مسألة الصيد ، فقد روي عن الحلبيّ أنّه قال : قال الصادق : كان أبي يفتي وكان يفتي ، ونحن نخاف في صيد الزاوة والصقور ، أما الآن فإننا لا نخاف ولا يحلّ صيدها ، إلا أنّ ترك ذكاته ، فإنه في كتاب عليّ إنّ الله عزّ وجلّ قال : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوْلُحِ مَكْلَبِينَ ﴾ ⁽²⁾ فسمّى الكلاب ⁽³⁾ .

انظر إلى الإمام الباقر (عليه السلام) كيف كان يتخوّف من أن يفتي وهو عالم آل محمد ، لكونه يعيش تحت ضغط الإهابة الفكري .

وعليه فالنهج الحاكم كان لا يروي عن أهل البيت (عليهم السلام) ، ولا يريد نشر ما تلقّوه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو يوضّح لنا أنّ عدم وجود مرويات لأهل البيت (عليهم السلام) في كتب الآخرين كان مقصوداً من قبلهم ، وهو ليس لضعف مروياتهم ، أو كونها مراسيل ، حسبما يقولون ، والباحث بنظرة سريعة إلى الصحاح والسنن يقف على الأرضية الخصبة الموجودة لتوثيق مرويات أهل البيت من كتبهم ، وإنّ كلّ ما تناقلوه (عليهم السلام) بأسانيدهم الصحيحة ، عن آبائهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) موجود عند بعض

1- الكافي ٧ : ١١٣ ، ح ٥ ، والتهذيب ٩ : ٣٠٨ ح ١١٠٤ ، وسائل الشيعة ٢٦ : ١٦ ح ٣٢٧١٨ .

2- المائدة : ٤ .

3- الكافي ٦ : ٢٠٧ ، ح ١ ، التهذيب ٩ : ٣٢ - ٣٣ ح ١٢٠ والنص عنه ، الاستبصار ٤ : ٧٣ الباب ٦٤ ح ٢٦٦ .

⁽¹⁾ الصحابة عن رسول الله .

وعليه فنحن لو اتخذنا مسألة البحث عن المتابعات الصحيحة لهذه المرويات عن الصحابة والتابعين لخرجنا بالفقه الذي نحن فيه إلى فقه إسلامي أممي كما أراد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وبذلك تتجلي الغوة عما يريدون أن يتهمونا به ، ويتبين أنّه ليس بالفقه الطائفي . الذي هو حجة على البعض نون الآخرين . بل إنه فقه إسلامي أممي يستقي من معين النوة لصحة عندنا ولموافقة بعض الصحابة لنا .

كان هذا هو إجمال لإطروحتي ، وهو ما توصّلت إليه بعد كتابتي لكتاب «وضوء النبي» فإنّي فكّرت في الطريقة التي يمكننا أن نوفق فيها بين فقه الإمامية وفقه العامة ، رغم كثرة التقاطعات والإشكاليات الأساسية بينهما ، أو قل الوقوف على طريقة يمكننا من خلالها توثيق فقه الإمامية من طرقهم لتكون حجة عليهم كما هي علينا ، فإودنتني هذه الفكرة التي وضّحت

بعض آفاقها وساوضحها أكثر هذه الليلة وأطلب من الإخوة الأساتذة الفضلاء في الحوزة العلمية أن يطوّروها لاعتقادي بلزوم الاهتمام بهذا مناهج ; لأنه يعود بالخير الكثير على الفقه والعقائد .
وعليه فالمحاور الأربعة التي أريد أن اقترحها هذه الليلة يمكن اعتبارها الانطلاقة لتوثيق فقه الإمامية ، وسيكون جميع شخصيات هذه المحاور هم من الصحابة ، الذين يمكن أن نعدّهم أقرب فكرياً لمدرسة أهل البيت من الآخرين إلى فكر والمحاور ، هي :

المحور الأول : المدوّنين

عرفنا سابقاً بوجود نهج حاكم يرأسه أشخاص أمثال : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وهؤلاء كانوا لا يرتضون التحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويدعون إلى الاكتفاء بالقوآن الكريم ، ويخالفون تنوين الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1- تهذيب الكمال ٥ : ٧٧ / ت ٩٥٠ ، للإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) ، وانظر سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٧ .



والتحديث به ، وفي المقابل كان هناك مجموعة من الصحابة يصرّون على التحديث والتوين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإن وضعت الصمصامة (السيف) على أعناقهم⁽¹⁾ .

ونحن أوضحنا ليلة أمس بأنّ المخالفين لعمر بن الخطاب . في المفودات الفقهية . كانوا من أصحاب المودّات ، أي من الذين يتحدّثون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويتبعون النصوص ، ولا يرتضون الوأي ، وهذا يروشدنا إلى أنّ الخلاف بين عمر والآخرين لم يكن في الأمور السياسية فقط ، بل كان يشمل المسائل الفقهية أيضاً ، وقد أثبتنا في كتابنا (منع تنوين الحديث) أنّ أغلب المخطئين لعمر بن الخطاب في فتواه كانوا من أصحاب المودّات ، وهذا يدلنا إلى إمكان الاستفادة من مرويات أمثال هؤلاء الصحابة ؛ لدعم ما تنقله مدرسة أهل البيت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فنحن لو تتبعنا مرويات أصحاب المودّات . التي أحرقتها عمر والتي لم يبق بأيدنا شيئاً منها ، إلاّ أحاديثهم المتناثرة في الصحاح والسنن والمصنقات . في إحدى المسانيد كمسند أحمد مثلاً لوجدنا أنّ ما يروونه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتفق بنسبة عالية مع ما يروى عن أئمتنا في معاجمنا الحديثية ، وإتي تتبعت مرويات أربعة أو خمسة من هؤلاء الصحابة وأيت مضامين ما يروونه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريبة إلى مروياتنا بنسبة ٧٠ % إلى ٩٠ % .

فعلية يمكننا اعتبار مرويات أصحاب المودّات هو المحور الأوّل ، الذي يمكننا أن نستفيد منه في توثيق مروياتنا ، لأنّ هؤلاء هم الذين نهاهم عمر عن الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتبهم ، وقال لمن جمعهم من الصحابة : نحن أعلم ، نأخذ منكم ، ونؤدّ عليكم⁽²⁾ .

1- انظر صحيح البخاري ١ : ٢٧ ، باب العلم قبل القول والعمل ، سنن الدارمي ١ : ٥٤٥/١٤٦ ، باب البلاغ عن رسول الله وتعليم السنن ، الطبقات الكبرى ٢ : ٢٥٤ ، باب أهل العلم والفتوى ، سير اعلام النبلاء ٢ : ٦٤ .
2- تاريخ دمشق ٤٠ : ٥٠٠ ، كنز العمال ١٠ : ١٣٠ / ج ٢٩٤٧٩ .

وجاء في طبقات ابن سعد أنّ عمر بن الخطاب جمع ما في أيدي الناس من الأحاديث فأمر بحرقها⁽¹⁾ .
في حين هؤلاء الصحابة كانوا لا يتصورون بأنّ الخليفة سيقوم ما جمعه من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بل كانوا يعتقدون أنّه سوى عدلها وأقومها ، فيثبت الحسن منها في مصاحف ويحرق ما سواها ، لكنهم واجهوا بإحراقه لجميع ما روه ، مع ما فيها من أسماء الجلالة .
إذن الخلاف بين عمر وبعض الصحابة كان سياسياً وفكرياً وإيدولوجياً معاً ، وإنّ تطور لاحقاً فأصبح ينظر إليه اختلاف سياسي .

بلى ، إني بجودي الأوّل لمرويات بعض هؤلاء الصحابة مع مرويات أهل البيت قد تولدت في نفسي قناعة الاعتماد على مرويات هؤلاء الصحابة لتكون شاهدة على غيرنا ، وأنّ هذا الغير لا يمكنه إلاّ أن يعترف بمصادقية مروياتنا بحكم صحة مرويات الصحابة عنده ، فأحببت أن اذكر الإخوة بهذه الحقيقة ، بما توصلت إليه نظرياً والتي طبقت بعض جوانبها بالفعل عند رواستي لمرويات عبدالله بن عباس في الوضوء⁽²⁾ عملياً ، فكان أغلب الذين روى المسح عن ابن عباس من المودّين ، بعكس

من روى الغسل عنه ، فكانوا من القضاة وعلماء البلاط .

وعليه يمكننا أن نعتبر مسألة التكوين منعطفاً فكرياً لمعرفة جنور الخلاف بين المسلمين ، ومن خلاله يمكننا توثيق فقه الإمامية للآخرين من غير الشيعة ، الذين يعتبرون مرويات الشيعة مخالفة لمرويات غورهم من المسلمين .

فلو أردنا ان نستخدم هذا المحور كمنطلق للعمل يجب علينا أولاً أن نتعرف على أسماء المدونين ، ثم ندرس مروياتهم لنرى مدى تطابقها مع مروياتنا ، وإنّ

- 1- انظر طبقات ابن سعد ٥ : ١٨٨ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٥٩ / تقييد العلم : ٥٢ .
- 2- المطبوع على انفراد تحت عنوان (عبد الله بن عباس واختلاف النقل عنه) وكذا ضمن «وضوء النبي» المجلد الثاني .

الصفحة 273

تلك النسبة التي سنحصل عليها هل تجعلنا ندعي أنّ المدوتين هم أقرب فوكا إلى مدرسة أهل البيت من الذين يخالفون التكوين أم لا ؟ ! وماذا نعمل لو اطلعنا بين تلك المرويات على ما يخالفنا ؟ وبتصوري لا أراها تريد على نسبة ١٠ % إلى ٣٠ % . وهذا يدعونا إلى البحث عن أسبابها ؛ لكي نقف على المنتفع والمستفيد من نسبة هذه الأقوال إلى أمثال هؤلاء الصحابة ، وما هي الخلفيات والملابسات في صدور هكذا روايات عنهم ، فهل حقاً قالوها ؟ أم نسبت إليهم تلك الروايات دعماً للحكام ؟ وقد يمكن أنّهم رووها عن معتقد بها ، وقد تكون هناك أمور أخرى يجب الكشف عنها .

المحور الثاني : فقه الأنصار

من الثابت المعلوم أنّ الانصار وأهل البيت يقفون على رُضية واحدة وهي أنّ حبهم إيمان وبغضهم نفاق ⁽¹⁾ ، وهذا ما رسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهما ، وإنّك لو تابعت سيرة الانصار وتاريخهم لرأيتهم من المضطهدين في عهد الخلفاء ، ولذا لم يوالوا أباً بكر ولا عمر ، ولم يولّهم هؤلاء الخلفاء في السوايا والإموات ⁽²⁾ ، بل كانوا على خلاف دائم مع أبي بكر وعمر وعثمان فلم يف أباً بكر بما تعهد به للأنصار (نحن الأبراء وأنتم الوزراء) ⁽³⁾ وقال عمر بن الخطاب : وتخلّفت عنّا الأنصار بأسوأها ⁽⁴⁾ ، وإنّي بجد إحصائي لأسماء المخطئين للخلفاء الثلاثة ، وقفت على أنّ أكثر هؤلاء المخطئين كانوا من المدونين والأنصار ⁽⁵⁾ ، وهذا يرشدنا إلى التخالف

- 1- صحيح مسلم ١ : ٨٥ كتاب الايمان ٤ : ١٩٤٨ باب فضائل الأنصار وصحيح الترمذي ٥ : ٧٦٣٥ كنز العمال ١٣ : ١٠٦ .
- 2- انظر في ذلك الكامل في التاريخ ٢ : ٣٤٦ ، ٤٠٢ ، ٤٢٠ في حين عقد أحد عشر لواءً كان غالبهم من قريش .
- 3- أنساب الأشراف ١ : ٥٨٤ .
- 4- صحيح البخاري ٤ : ١١١ تاريخ الطبري ٤٤٦٦٢ ، مسند أحمد ١ : ٥٥ .
- 5 - انظر ما كتبه الأستاذ المحاضر في المجلد الثاني من كتابه «وضوء النبي» صفحة ٤١١ - ٤٢٥ نسبه الخبر إلى عبد الله بن زيد الانصاري .

الصفحة 274

السياسي والفقهي بينهما ، إذن يجب الاستفادة من مرويات هؤلاء كمحور ثان للوقوف على فقهننا ، ولا أريد بكلامي أن أقول بأنّ الأنصار كلهم صالحون ، فهناك نسبة عالية يروون بمثل ما روى أئمتنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفي

الوقت نفسه لا ننكر وجود شخصيات من الأنصار يقومون النهج الحاكم ، كزيد بن ثابت ، فلو قمت بمقارنة بسيطة بين روايات زيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود مثلاً لعلمت بأنّ مرويات ابن مسعود عن رسول الله هي الأقرب لما تزويه مدرسة أهل البيت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) . أما زيد بن ثابت فمروياته تتقاطع مع مرويات أهل البيت . وهكذا الحال بالنسبة إلى عائشة وأم سلمة ، فروايات عائشة طالما صبّت في إطار الفقه الحاكم ، بخلاف مرويات السيدة أم سلمة الموافقة لمدرسة أهل البيت ، في كثير من الأحيان .

فما أقرحه في هذا المجال هو القيام ب دراسات مقارنة بين هكذا شخصيات من النهجين ، لتوضيح معالم النهجين ، ولا رى أن يختص الأمر في المقايسة بين مرويات الإمام علي ومرويات عمر بن الخطاب مثلاً ، بل يجب تعميمه على بقية الصحابة ، لأنّ مرويات عمرو بن العاص ومعاوية ، والمغيرة بن شعبة وأمثالهم تصبّ في جهة ، ومرويات ابن عباس ومعاذ ، وابن مسعود وأمثالهم تصبّ في جهة أخرى ، ويا حبداً أن يقوم أحد الإخوة بواسطة شخصية الرسول الأعظم من منظار زوجتيه عائشة وأم سلمة ، لأنّ عائشة تصوّر رسول الله شيئاً وأم سلمة تصوّر شيئاً آخر ، في حين ترى أن ما صورته عائشة هو السائد والمعروف عند المسلمين ، أمّا نقل أم سلمة عن رسول الله فهو خاف على المسلمين كخفاء شخصيتها عليهم . وحينما أوكد على مرويات الأنصار لا أعني كل الأنصار لأنّ قبيهم السيء والحسن ، لكن الصفة الغالبة عليهم كان الحسن ، لقول الرسول لهم : أنكم ستلقون

الصفحة 275

الأثرة بعدي ، فاصبروا فمعدكم الجنة⁽¹⁾ . إلى غوها من الروايات التي جاءت في مدحهم .

المحور الثالث : رواة الفضائل

وهناك محور ثالث يمكن الاستفادة منه لتوثيق فقهنّا عند غيرنا من باب الإلزام ، وهو من خلال رواة روايات فضائل الإمام علي ، فيجب أولاً أن نتعرف على أسماء هؤلاء الصحابة الذين رروا فضائل الإمام علي ، ثم تنظر بعد ذلك في مروياتهم ونجمها ، فقد يكون في مرويات هؤلاء ما يدعم الفقه الإمامي ، لا أقولها بوضوح قاطع ، بل أطوحه كاحتمال يمكن الاستفادة منه في مسألة التوثيق .

المحور الرابع : الذين شهروا علياً حروبه

وهم الصحابة الذين لم يحرّفوا ولم يغيروا ولم تأخذ بهم الأهواء وزخلف الدنيا مأخذها منهم ، الذين شهد لبعضهم الرسول بالصدق ، ولاحر بالإيمان ، وشهد التريخ بسوء حياتهم المستقيمة وجهادهم الصادق ، وكذا شهد لهم الإمام علي (عليه السلام) بأكثر من ذلك وحزن عليهم وخاطبهم بإخواني ، فعلينا أولاً البحث عن هؤلاء وعن مروياتهم في كتب القوم لوى مدى قربها أو بعدها عن مدرسة أهل البيت فقد تكون الحكم ، وقد تكون المؤيد لمروياتنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

كان هذا هو خلاصة أطروحتي وبنظري هو منهج جديد ، يتخذ مرويات الصحابة طويلاً لتوثيق مدرسة أهل البيت عند من لا واهما موثوقة ، ولا يخفى عليك بأنّ الصحابي المقترح البحث عن مروياته يمكن أن يمتاز بأكثر من محور من المحاور

فكّما لرداد محورا لرداد احتمالا وقوبا إلى مدرسة أهل البيت . مؤكداً بأن أطروحتي هذه لم تدخل في حيز التطبيق الكامل بل إنها مطروحة على شكل نظرية ، ومن أحبّ الوقوف على جنورها ومبنياتها فلراجع كتاب (منع تنوين

1- مسند أحمد ٣ : ١٧١ .

الصفحة 276

الحديث) و(وضوء النبي) وكتبي الأخرى .

وعليه فتوثيق «فقه الإمامية من الصحاح والسنن العامية» ليس بالشيء العسير كما يتصور البعض ، وإنّ لو وفقنا إلى تطبيق هذه النظرية بحذافرها لخرجنا مما نحن عليه من الاتهام ، وأدخلنا فقها إلى حيّز يقبله الجميع ، ومنه يخرج فقها من إطره الطائفي . كما يقولون . إلى حيّز فقه إسلامي ، يجب على جميع المسلمين اتبّاعه والافتداء به ؛ لأنه مروى عن الصحابة بطرق صحيحة عندهم ، علاوة على أنه مروى عندنا .

وإنّك لو راجعت الكتب الفقهية الخلافية لعرفت بأنّ ما نقول به قاله أحد أئمة المذاهب الأربعة أو علمائهم ، وعلى أقلّ تقدير قالت به بعض المذاهب المنقوضة ، استناداً لتلك المرويّات عندهم عن الصحابة والتابعين ، فوى تلة مالك يوافقنا ، وأخرى أبا حنيفة ، وثالثة الشافعي وهكذا ، فيجب علينا التّعرف على المذاهب التي توافقنا للنظر في أدلّتهم التي اعتمدوا عليها ، وكيفية ردّهم لأدلّة المذاهب الأخرى المخالفة لهم ولنا ، فمثلاً القبض والإرسال في الصلاة ، فالمالكية تبعوا لإمامهم قالوا بكراهة وضع اليدين ⁽¹⁾ أحدهما على الأخرى ، بل في الاستنكار ⁽²⁾ إنّ الإمام مالك قطع بأنّ السنة هي لرسال اليدين ، وهؤلاء روى ما استدلّ به الآخرون على القبض ، وحملوا ما رواه مسلم عن وائل بن حجر ⁽³⁾ على أنّ رسول الله التحف بثوبه ووضع يده اليمنى على اليسرى كان اتقاءً من البرد ، لأنه لو كان سنة لزم القول باستحباب الالتحف بالثوب أثناء الصلاة وهذا ما لم يقله أحد .

1- بداية المجتهد ١ : ١٩٢ (المسألة الخامسة وانظر رسالة مختصرة في الفيض للدكتور عبد الحميد بن المبارك) .
2- الاستنكار لابن عبد البر ٢ : ٢٩١ وانظر بدائع الصنائع ١ : ٢٠١ .
3- صحيح مسلم باب ١٥ رقم ٤٠١ .

الصفحة 277

وهذا منهج دعانا إليه الأئمة وجاء عن أبي حنيفة أنه سأل الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : أنتم تقولون كذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ، ونحن نقول كذا ، فربما تابعنا ، وربما تابعهم ، وربما خالفنا جميعاً ثم قال أبو حنيفة . إن أعلم الناس ⁽¹⁾ أعلمهم باختلاف الناس .

إذن علينا النهوض بفقه وحوي مدره فقه آل الرسول ، مسنداً ومؤيداً بأقوال الصحابة ؛ لأنهم عدل القوان وأحد الثقلين الذين خلفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمته ، فلو فعلنا هذا لكان فيه سدّ الطريق على من زعم الطائفية والانوادية لمذهبنا وفقها .

ونحن اليوم ، والحمد لله في معقل العلم والثقافة (قم) وإنّ الدروس الفقهية والاستدلالية فيها في أعلى مستوياتها ، وفقهاءنا

ليسوا بالقليل ، فالذي أقرحه على الإخوة الأساتذة والطلاب النابهين هو أن يأخذوا الرأي الآخر بنظر الاعتبار وليناقشوه ، ونحن في بحوثنا الفقهية . من منطلق البحث العلمي التريه المستند إلى ثوابت أهل البيت في الفقه والعقيدة . نناقش أقوال الشيخ الطوسي أو الشيخ الأنصاري أو صاحب الجواهر أو . . . ، بكلّ احترام ومثانة ، وكذا لا نهاب من مناقشة رأي الشافعي ومالك وأبي حنيفة ، حتّى نخرج برؤية وحنوية ، وعليه فعرض الآراء وأقوال المذاهب الأخرى وإن كان ضرورياً للوقوف على مواطن الضعف والقوة فيها ، لكن لا يمكن الاكتفاء بها وحدها ، بل علينا مناقشة الرأي الذي لا يتفق معنا ، لأنّ لأولئك رأئهم ولنا أدلتنا ، فلنناقشها بروح علمية ، ورؤية وحدوية يقبلها الجميع ، وهو ما سعيت تطبيقه في كتابي (وضوء النبي) وفي أبحاثي ووراساتي الأخرى .

فلا أكتفي بعرض الأقوال فقط ، بل أشير إلى ملامساتها ، فبعض الخلافات يعود سببها إلى جهل الصحابة ، وبعضها الآخر يرجع إلى سوء فهمهم ، وثالث إلى

1- جامع مسانيد أبي حنيفة ١ : ٢٢٢ ، مناقب أبي حنيفة للموفق ١ : ٧٣ .

الصفحة 278

أغراض سياسية ، وهناك رابع وخامس وسادس ، وليس هذا نقلاً على الصحابة ، ولو أحببت التأكيد راجع كتابي (منع تدوين الحديث) .

وعليه فتطبيق هذه الأطروحة وغورها يحتاج إلى جهد مضاعف من قبل إخواننا ، مع إيماننا بأنّ المقومات الأساسية لهذا العمل موجودة في رواياتنا ورواياتهم ، غاية ما في الأمر هو أنّه يحتاج إلى بذل الوسع من قبل الباحثين للوقوف عليها ، وإنّ مدرسة أهل البيت قد أعدت لهذا الغرض ، وعلمتاً وجه التفسير والتأويل ، وانهم (عليهم السلام) علموا كيف نحمل كلامهم على المحامل لقول الصادق (عليه السلام) : ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتّى يعرف معريض كلامنا وإنّ الكلمة من كلامنا لتتصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج (1) .

إذن قوّة الاجتهاد موجودة عندنا ، وقوّة الاستنباط موجودة كذلك ، والحمد لله لنا أساتذة مرموقون ، وطلاب نابهون في الحوزات العلمية يقضون غالب وقتهم في الفقه والأصول ، فياحبداً أن تكون دروسهم الفقهية هي دروس مقلنة تأخذ الفقه الآخر بعين الاعتبار ، وليناقشوا ما استدللّ به الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل ، كما هم اعتادوا أن يناقشوا أدلّة من يختلف معهم من فقهاء الإمامية .

أثر البحث التاريخي على الاستدلال الفقهي

من المؤسف حقاً أن نرى التريخ الإسلامي . بالنظر لملابساته . لا يعطى له تلك الأهمية في حوزاتنا العلمية ، في حين أن كثيراً من الأمور المؤثرة في فهم الفقه يمكن أن نستوحيها ونستنتقها من التريخ ، لعلنا بأنّ أحد الأدلّة الشرعية هو السنة النبوية ، وما هو إلّا قول وفعل وتقرير المعصوم ، والتريخ يوضّح هذه الأمور ، فمواقف وأقوال النبي هي سنة ، كما أن

سورة أئمتنا سنة ، ففي مواقفهم

وأهلهم المتناوذة في كتب التريخ ما يفيدنا في العمل الفقهي كذلك ، وإنّ الوقوف على تريخ الاختلاف . في أيّ فرع من الفروع . ومعرفة ملابساته والمستفيدين منه يمكن أنّ تحلّ لنا كثراً من المسائل الخلافية ، وانّي من خلال بحثي قد استفدت كثيراً من مادة التريخ ، وقد بدأت كتابي (وضوء النبي) بتحديد تريخ اختلاف المسلمين في الوضوء خلافاً لما اعتاد عليه الفقهاء في عوض الأدلة ، ومن خلاله أمكنني أنّ أحلّ مشكلة اختلاف النقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الوضوء ، وإنّ البحث التريخي بنظري أهمّ من بحث اختلاف القواءات وما يشابهها في مسألة الوضوء من البحوث ؛ لأنّ مبحث القواءات ومناقشة الأدلة لم تحلّ لنا المشكلة ومنذ قرون ، لكننا ومن خلال تحديد زمن الاختلاف وواعيه أمكننا أن نقوم بخطوة إجابيه في هذا المضمار .

لأنّنا بوقوفنا على تريخ الخلاف في الوضوء وأسبابه وواعيه ، ومعرفة المنتفعين منه ، أمكننا أن نعتوه مرجحاً لأحد القولين ، وهو ما يسمّى في اصطلاح الفقهاء بجهة الصدور ؛ لأنّ الفقيه يستعين بهكذا أمور عند التعرض وخصوصاً في الأمور الخلافية ، سواء كان الاختلاف في الرواية أو في القواءات القوانية أو غيرها . والكلّ يعلم بأنّ فقهاءنا ومتكلمينا ومفسرينا كانوا يبحثون مسألة الوضوء من الوجهة اللغوية ، والنحوية ، والقواء القوانية ، متناسين البحث عن نواعي الاختلاف وأسبابه من الجهة التريخية ، وتحديد زمن الاختلاف ، في حين أنّ هذه المسألة لم تحلّ بالطريقة الأنفة بل بقيت عالقة لقرون متمادية ، أمّا نحن ومن خلال البحث التريخي أمكننا أن نوضح بأنّ عثمان بن عفان . الجامع للذكر الحكيم فيما قيل . كان وراء غسل الأرجل في الوضوء الذي اختلفت القواء القوانية فيه ، وذلك بالغاء قواء الصحابة الآخرين الذين سمعوا القرآن من فم النبي سماعاً .

ونحن بتصويرنا وتحديدنا لتريخ الخلاف في الوضوء رفعنا . ولحد ما . ما

يقال من وجود التعرض بين نقولات المسح ونقولات الغسل ، بل وضّحنا بأنّ هناك مستفيداً الشوعية في غسل الأرجل ، وهو عثمان بن عفان ، والأمويون الذين كانوا يهدفون إلى أمر ما في مثل هذا الاختلاف ، ومن خلاله اتضحت لنا أموراً كثيرة أخرى ، مثل أنّ قتل عثمان لم يكن لتقريبه لأقربه وعشيرته بل كان لإحداثاته الشوعية الموجبة لهدر دمه ، أي لعدم عمله بالكتاب والسنة ، وإتيانه ما لم يكن في الشريعة ، فقال ابن مسعود : إنّ دم عثمان حلال (1) . وقال عبدالرحمان بن عوف : إنّما قتله أصحاب رسول الله (2) . وقال الحجاج بن غزيه الأنصلي : والله لو لم يبق بين أجله إلّا ما بين العصر إلى الليل لتقربنا إلى الله بدمه (3) . وقال ابن عمر : والله ما فينا إلّا خاذل أو قاتل (4) . وقال سعد بن أبي وقاص : وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعنا عنه (5) .

وجاء في رسالة من بالمدينة من أصحاب محمد إلى من بالآفاق وفيه : فإنّ دين محمد قد أفسده من خلفكم (وفي الكامل : خليفتم) وترك . . . فهلّموا فأقيموا دين محمد⁽⁶⁾ .

وهذه التغوّات والإحداثاات في الدين لم يُسلطّ الضوء عليها ، بل إنهم يفسرون الإحداثاات بأنها كانت لتقويبه أقربيه ، في حين أنّ تقريب الأقرب وإعطائهم الأموال لا يستوجب القتل ، بل إنّ ذلك يعتبر سوء سوء لا إحدائاا بينما الصحابة جوزوا قتله وأحلّو دمه ، والله سبحانه يقول في محكم كتابه ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾⁽⁷⁾

- 1- أنساب الأشراف ٥ : ٣٦ .
- 2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٢٧ - ٢٨ .
- 3- أنساب الأشراف ٥ : ٩٠ .
- 4- شرح النهج لابن أبي الحديد ٣ : ٨ .
- 5- الإمامة والسياسة ١ : ٤٨ .
- 6- تاريخ الطبري ٤ : ٣٦٧ ، الكامل في التاريخ ٣ : ١٦٨ .

الصفحة 281

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ⁽¹⁾ وَقَوْلُهُ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾⁽²⁾ وَنَحْنُ أَمَامَ مَا جَرَى لَا يسعنا إلا أن نقول بعقول جميع الصحابة عن جادة الصواب ، وتهاونهم بالأحكام الإسلامية ، وأما أن نذهب إلى انحراف عثمان وخروجه عن رأي الجماعة ، ولا ثالث .

فإن قلنا بعدالة الصحابة وعدم اجتماعهم على الخطأ ثم القول بانحراف عثمان عن الجادة ، وخصوصاً حينما زى من بينهم من سموا بالعشوة المبتوثة أمثال : سعد بن أبي وقاص ، وطلحة ، والزبير ، وأما لو قلنا بواءة الخليفة فهو يستلزم فسق الصحابة .

نترك الكلام عن مثل هذه الأمور ونوجع إلى ما قلناه عن لزوم نواصة الأمور التلريخية مع المسائل الفقهية ، لتحديد تليخ الاختلاف في المسائل المختلفة وبيان وداعي الاختلاف ، فنحن وبفضل البحوث التلريخية أمكننا أن نفتح كلام الإمام الصادق في الوضوء : (الثالثة بدعة) وأته (عليه السلام) كان يعني عثمان بن عفان ، لأن الأخير كان يؤكد في وضوئه على الورة الثالثة ويعتوها سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، في حين ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه توضع الورة والموتين ، أما الثالثة فكان اختلافي بين المسلمين ، تبعاً للصحابة ، فمدرسة أهل البيت كانت تعتوه بدعة ، أما عثمان ومواليه كحمران بن أبان كانوا يرونها سنة ، وإنّ إسهاد عثمان الصحابة على الوضوء ثلاثا يفهمنا بأنه كان على خلاف مع الناس⁽³⁾ في هذه المفودة ، لأنّ الإسهاد يأتي غالباً في أمر مختلف فيه .

فإنّ البحث عن المسائل الخلفية يدعونا للبحث عن جنورها التلريخية معها ، وإنّ مناقشة الأدلة . بنظونا . لا تكفي إلا لو بحثت مع جنورها وعلها ،

- 1- الأنعام : ١٥١ .
- 2- النساء : ٩٣ .
- 3- صحيح مسلم ١ : ٢٠٧ ح ٨ ، كنز العمال ٩ : ٤٢٣ ح ٣٦٧٩٧ .

وهذا ما يعبر عنه بفلسفة التلويح والمناشيء والأسباب وهو (ما نوجوا لحاظه) في مثل هكذا أبحاث فقهية ، كلامية ، عقائدية .

وفي الختام أكرّر تأكيدي على لزوم توثيق فقهما من الصحاح والمسانيد ، وأقترح المحلور الأربعة كمنطلق للوقوف على من هم أقرب إلى فكر ومنهج أهل البيت ، وباعتقادي أنّ مرويات المنوتين ، والأنصار ، ورواة الفضائل ، والذين شهتوا الإمام علي حروبه هي مادة أولية يمكننا من خلالها توثيق فقهما ورواياتنا عند من رواها مكنوبة على لسان الأئمة ، وباعتقادي أنّ غالب فقهاء أهل البيت موجود عندهم من الطهارة إلى الديات ، وهو يدعونا للعمل على انزاعه من مطوي المصنّفات والمسانيد ، وأن لا نكتفي في بحوثنا بما قالت به الشافعية أو المالكية أو غورهما ، بل علينا الخروج بروؤية وحنودية توثق مرساة أهل البيت وتضعف ما سواها من أتباع المنهج الحاكم ، لأنّ النهج الحاكم كان يسعى جاداً لمخالفة الإمام علي فكوا وسياسة ، فعن الإمام الصادق أنّه قال : أتوي لم أوتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة ؟ فقلت : لا أوي .

فقال : إنّ علياً (عليه السلام) لم يكن يدين الله بدين إلا خالفت عليه الأمة إلى غوره ، رادة لا يبطال أمره ، وكانوا يسألون أمير المؤمنين عن الشيء الذي لا يعلمونه فإذا أفاتهم ، جعلوا له ضدّاً من عندهم ليلبسوا على الناس (1) .

وجاء عن الإمام الباقر أنّه قال : ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق ، إلا ما خرج من عندنا أهل البيت ، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم ، والصواب من علي .
وعن سعيد بن أبي الخطاب عن جعفر بن محمد [الصادق] في حديث : أنّه قال لابن أبي ليلى : بأي شيء تقضي ؟ قال : بما بلغني عن رسول الله وعن علي وعن أبي بكر وعمر .

1- علل الشرائع : ٥٣١ ح ١ وعنه في وسائل الشيعة ٢٧ : ١١٦ .

قال : فبلغك عن رسول الله أنّه قال : إنّ علياً أقضاكم ؟

قال : نعم .

قال : فكيف تقضي بغير قضاء علي وقد بلغك هذا ؟ . . . (1)

وهذه النصوص تؤكد . وبوضوح . بأنّ النهج الحاكم كان مخالفاً لعلي ، وكان يسعى دوماً أن يجعل آخرين معه ، لأنّ الإمام

عليّاً والزهاء والأئمة من ولده كانوا لا يرتضون ما شوّعه الآخرون من أعمال اعتادوا عليها وعرفوها في الجاهلية وادخلوها

في الإسلام .

وهكذا الحال بالنسبة إلى واسة الفقه المقلن فكان أئمة أهل البيت يشجعون الآخرين في التعوّف على فقهاء غورهم ، وأن

يسمروا بوج فقهم بجنب فقهاء الآخرين ، وواستها معاً .

فعن أبي بصير عن أبي جعفر [الباقر] قال : الحكم حكمان : حكم الله عزّ وجلّ ، وحكم أهل الجاهلية ، وقد قال الله عزّ

وَجَلَّ **وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ حِكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴿٢﴾ وَأَشْهَدُ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ لَقَدْ حَكَمَ فِي الْوَأَضِّ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ ^(٣) .

وفي الفقيه : الحكم حكمان حكم الله ، وحكم أهل الجاهلية ، فمن أخطأ حكم الله حكم بأهل الجاهلية ، ومن حكم بوجهين بغير ما أقر الله عز وجل فقد كفر بالله تعالى ^(٤) .

وعن معاذ بن مسلم النوري عن أبي عبدالله [الصادق] قال : بلغني ، أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس ؟ قلت : نعم [ثم أضاف معاذ] أردت أن أسألك عن

-
- 1- الكافي ٧ : ٤٠٨ ح ٥ وعنه في وسائل الشيعة ٢٧ : ٢٠ .
 - 2- المائدة : ٥٠ .
 - 3- الكافي ٧ : ٤٠٧ ح ٢ وعنه في وسائل الشيعة ٢٧ : ٢٣ .
 - 4- الفقيه ٣ : ٦ ح ٦ .

الصفحة 284

ذلك قبل أن أخرج ، إني أقعد في المسجد ، فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء ، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون ، ويجيء الرجل أعرفه بمودتكم وحبكم ، فأخوه بما جاء عنكم ، ويجيء الرجل لا أعرفه ، ولا أوري من هو ، فأقول : جاء عن فلان كذا ، وجاء عن فلان كذا ، فأدخل قولكم في ما بين ذلك ، فقال لي : إصنع كذا ، فإنّي كذا أصنع ^(١) .

إنّ التعرّف على فقه العامة خطوة لتأصيل فقها عند غيرنا وأنه فقه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وحديثنا هو حديث رسول الله ، ورأى ضرورة تدريسها مع دروسنا ، لأنّ الفقه المقلن خير ميدان للتعرف والتعرّف على المبتنيات الفكرية عند المذاهب الإسلامية ، وباعتقادي أنّ فتح الحوار الفقهي الأصولي بين المذاهب سيقبّل من حدة الصدام ، ويوقف كل طرف على أدلّة الطرف الآخر ، وفي ذلك ما يعذر الآخرين .

وأختم كلامي كما بدأت بواقعة حدثت لي مع أحد علماء أهل السنّة والجماعة في مدينة مشهد حيث زرني ودار الحديث بيننا عن وضع الأمة الإسلامية ، وما وصلت إليه من التفرّق والتشتت ، ووضعها الحالي المؤسف .
وأخذ كلّ واحد منا يحمل المسؤولية على الآخر ، حتى حضر وقت الصلاة .

فقلت له : نقوم نصلي ، قال : نعم جعلك الله من المصلّين ، ولكن كيف نصلي ؟ هل أصليّ بصلاتك أم تُصلي بصلاتي ؟
فقلت له : كلامك هذا دعائي أن نبحت معك صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : كيف ؟ وهل هناك اختلاف في الصلاة عن رسول الله ، قلت : نعم ، وأنت تعرف ذلك ، نحن ننقل عن رسول الله شيئاً وأنتم تحكون عنه شيئاً آخر . قال :
وضّح لي صلاتك ؟

قلت : حسناً لننقّق على منهج يعوقنا بصلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وليكن القاسم المشترك بيننا وبينكم الإتيان بما هو لآرم وواجب ، وترك ما هو مخلّ ومبطل

-
- 1- وسائل الشيعة ١٦ : ٢٣٣ .

الصفحة 285

للصلاة عند الطرفين ، طوبين كشحاً عن الأفضل ، وجائز ويجوز .

قال : مرحباً وهلمّ ما عندك .

فقلت : نعم جميعاً أنّ الصلاة أولّها التكبير وآخرها التسليم ، قال : نعم .

فكوت وأرسلت يديّ . لكي أصورّ له صلاتي . فقال : هذا أولّ فعل أتيت به مخالف لصلاتنا .

فقلت : إذن ماذا أفعل ؟ هل أقبض بيديّ ، اليمنى على اليسوى ، وأجعلها تحت السوّة كما جاء عن أبي حنيفة ؟ أو فوق

السوّة كما قال بها الشافعي ؟ وهل يجب أن أقبض بيديّ اليمنى على اليسوى أم أضعها عليه كما جاء عن أحمد ، أم يؤزم على

الأخذ بالعضد بأحد قولي أحمد ؟ أم أبقئها على الإرسال كما ثبت عن مالك .

فالمسألة خلافية عندكم ولا يمكنكم تحديد فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بالصور التي تصوّرتها ، فسكت ، فقلت له

: لو صليت مسبلاً هل تصحّ صلاتي طبق أصول فقهاءك أم أنّها باطلة ؟ فأصبح لا يحير جواباً ، وبعد هنيئة قال : إفعل ما

شئت فقد فعلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

قلت : نعم ، إنّها سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد فعلها الصحابة وأهل البيت ، وقطع بها الإمام مالك .

وهنا انوى ليعلق على كلامي : لكن كان يمكنك القبض ، لما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) . . .

قلت له : دعني عما هو ممكن وغير ممكن ، وأسألك . بالتحديد . هل صلاتي بنظرك باطلة ؟ قال : لا ، بل صلاتك صحيحة

فقلت له : الحمد لله ، لكن صلاتك طبق فقهاءنا باطلة ؛ لأنك تودّي فعلاً ليس من أفعال الصلاة ، وهو مبطل للصلاة بنظونا ،

فعليك تركه احتياطاً ، لأنّ الإرسال حسب رواياتك ، وأحد فقهاءك لا يبطل الصلاة ، أما القبض فهو مخل بالصلاة

الصفحة 286

ومبطل له حسب رواياتنا وفقهنا ، فالاحتياط يدعوك إلى ترك المشكوك والعمل بالمتفق عليه عندنا وعندكم ، ولأجل هذا

وغره ترى الصحابة مؤعجين من التعريفات التي ادخلت في الصلاة ، لأنّ كثراً من الأحكام شرعية سلطانية ، وإن قيلت

عنها أنّها نبوية :

فقد جاء في صحيح البخاري ، بأنّ الناس كان يؤمرون بأن يضع الرجل يده اليمنى على فواحه اليسوى في الصلاة (1) .

وهذا النصّ يؤكد بأنّ الناس كانوا يؤمرون بوضع اليمنى على اليسوى ، وهو الذي دعا بعض الصحابة أن لا يصلوا إلا

سواً .

فمن حذيفة بن اليمان قال : ابتلينا حتّى جعل الرجل لا يصلّي إلا سواً (2) .

نعم ، إنّ الصحابة كانوا يأسفون على تلاعب الحكّام بالأحكام الشرعية لتغييرهم السنة ، لأنهم كانوا يغيرون مواقيت الصلاة

، ويؤمرون الناس بأمر غير واجبة ، مصوّرين الأمر لهم على أنّها واجبة .

فجاء عن الزهري أنّه قال : دخلت على أنس بن مالك بدمشق ، وهو وحده يبكي قلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئاً

(3)

مما أُرُكَّتْ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةُ وَقَدْ ضَيِّعَتْ .

وأخرج البخاري بسنده ، عن أمّ الرداء قال : دخل عليّ أبو الرداء وهو مغضب ، قلت : ما أغضبك ؟ فقال أبو الرداء : والله لا أعرف فيهم من أمر محمّد شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً⁽⁴⁾ .

وعن عبد الله بن مسعود : إنّها ستكون أئمة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فلا

-
- 1- صحيح البخاري ٢ : ٦٩٧/٤٨٠ باب : ٤٨٠ .
 - 2- صحيح مسلم ٩١/١ ، صحيح البخاري ١١٦/٢ .
 - 3- جامع بيان العلم ٢ : ٢٤٤ ، الطبقات الكبرى ترجمة أنس ، صحيح البخاري ١ : ١٤١ ، جامع الترمذي ٤ : ٦٣٢ .
 - 4- مسند أحمد ٦ : ٢٤٤ ، صحيح البخاري ١ : ١٦٦ ، فتح الباري ٢ : ١٠٩ .

الصفحة 287

تتنظروهم واجعلوا الصلاة معهم سبحة⁽¹⁾ .

وفي آخر : نظر عبدالله بن مسعود إلى الظلّ فأه قدر الثواك فقال : إن يصب صاحبكم سنة نبيكم يخرج الآن ، قال : فوالله ما فوج عبد الله من كلامه حتّى خرج عمّار بن ياسر يقول الصلاة⁽²⁾ .

وعن عبد الله عمرو بن العاص إنّ قال : لو أنّ رجلين من أوائل هذه الأمة خلوا بمصاحفهم في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه⁽³⁾ .

وروى الإمام مالك عن عمّه أبي سهل ابن مالك عن أبيه أنّه قال : ما أعرف شيئاً مما أُرُكَّتْ في الناس إلا النداء في الصلاة⁽⁴⁾ .

وعن الصادق قال : لا والله ما هم على شيء ممّا جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا استقبل الكعبة فقط⁽⁵⁾ .

وعن عمران بن حصين قوله لمطوف بن عبد الله لمّا صليّاً خلف علي بن أبي طالب : لقد صلى صلاة محمّد ، ولقد ذكرني صلاة محمّد⁽⁶⁾ .

وعن أبي موسى الأشعري قال : ذكرنا علي صلاة كناً نصليها مع النبيّ إما تسيناها وإما تركناها عمداً ، يكبر كلّما خفّض وكلمارفع وكلّمنا سجد .

فإذا كانت صلاة علي بن أبي طالب في ذلك الزمان تذكر الصحابة بصلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فما بالناس الآن وقد طال الزمان وتغيّرت المعالم وبعدت الشقّة ، فمن

-
- 1- مسند أحمد ١ : ٤٥٥ - ٤٥٩ والسبحة تعني النافلة .
 - 2- مسند أحمد ١ : ٤٥٩ .
 - 3- الزهد والرفائق : ٦٦ كما في الصحيح في سيرة النبي ١ : ١٤٤ .
 - 4- الموطأ (المطبوع مع تنوير) ١ : ٩٣ ، جامع بيان العلم ٢ : ٢٤٤ .
 - 5- بحار الأنوار ٦٦ : ٩١ .
 - 6- مسند أحمد ٤ : ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٥ ، كنز العمال ٨ : ١٤٣ ، سنن الكبرى ٢ : ٦٨ .

الصفحة 288

رأى من يصلّي بصلاة الإمام علي (عليه السلام) التي أقرّ بها عمران بن حصين وأبو موسى الأشعري بأنّها صلاة محمّد ،

فما يقول وبماذا يقرّ؟ وألم تكفينا هذه النصوص التي ذكرناها أن تحريفاً وقع في الشريعة سيما في الصلاة ، فأطرق وأسه متفكراً ، فقلت : لا عليك ، فلنواصل الحديث من حيث انتهينا .

وقلت بعدها : بسم الله الرحمن الرحيم قال : ما هذه البسملة ؟ قلت : أريد أن أقرأ سورة فأبدأ بالبسملة ، ماذا يكون ؟ قال : وما يكون لو قرأت السورة بدون البسملة ، كما فعل بعض الصحابة والمنقول عن الرسول .

قلت : لا ، بل إنّي أطرح عليك سؤالاً : ألم يكن عندنا وعندكم لزوم الإتيان بسورة كاملة ؟ قال : نعم ، قلت : فعندنا البسملة جزء من السورة ، وإن لم ناتي بها تكون السورة غير كاملة ، أي غير مجزية ، فقال : ولم ، وكيف ، وبعض الصحابة لم يأتوها وأبو بكر وعمر أخفياها قلت : جاء في التفسير الكبير للزري : أن علياً (عليه السلام) كان مذهبه الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات (1) .

وهذا يعني بعض آخر من الصحابة كانوا يأتون بها ، وهو يؤكد وجود نهجين عند الصحابة ، وقد علق الزري على هذه الرواية بقوله : إنّ هذه الحجة قوية في نفسي ، راسخة في عقلي ، لا تزول البتة بسبب كلمات المخالفين (2) أي المخالفين للجهر بالبسملة .

وروى الشافعي في الأم : بإسناده أن معاوية قدم المدينة فصلّى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود ، فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية سوت من الصلاة ، أين بسم الله الرحمن الرحيم ، وأين التكبير عند الركوع والسجود ؟ فصلّى بهم صلاة أخرى (3) .

- 1- تفسير الكبير للرازي ١ : ١٦٨ .
- 2- تفسير الكبير للرازي ١ : ١٦٨ .
- 3- الأم ١ : ١٠٨ .

ثم رُدّف الشافعي ما رواه بالتعليق قائلاً : إنّ معاوية كان سلطان عظيم القوة ، شديد الشوكة ، فلو لا أن الجهر بالتسمية كان كالأمر المنقور عند كل الصحابة من الأنصار والمهاجرين والإلّما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسمية . ثمّ سود الشافعي رواية أخرى في الأم مفادها : أن معاوية جاء بالتسمية في فاتحة الكتاب ولم يأت بها في السورة الثانية ، إن الصحابة اعتزوا عليه حتّى اضطرّ إلى إعادة الصلاة .

قال الزري : إنّ علياً كان يبالغ في الجهر بالتسمية ، فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر ، سعياً في إبطال آثار علي (عليه السلام) (1) .

وروي في أحكام القوّان عن أمّ سلمة : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلي في بيته فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (2) .

واعترض مؤّدّ ابن عباس على عثمان لعدم الإتيان ببسم الله الرحمن الرحيم ، وهو يؤكد بأن الطالبين كانوا لا يرتضون الصلاة بدون البسملة .

وغوها من الروايات التي تصوّح بوجوب الإتيان بالبسملة والجهر بها .

فأسألك بالله ، ألم تكن هذه الروايات موجبة للإتيان ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ؟ ثم أعود وأسألك طبقاً لما اتفقنا

عليه ، هل أنّ قِراءة السورة مع بسم الله الرحمن الرحيم مبطلّة للصلاة أم لا ؟

قال : لا إشكال في إتيانكم لها ، وكذا عندنا من أتى بها لا شيء عليه ، فقلت : الحمد لله ، فقد وافقتني على ذلك .

ثم استوسلت في قِراءة الفاتحة الى (الضالين) ، ورُدفت بعدها بسم الله الرحمن الرحيم لقِراءة سورة صغرة أخرى ،

فانتفض معترضاً وقال : أين

1- التفسير الكبير للرازي ١ : ١٦٩ . أنظر رحمك الله إلى ما قال الرازي بتأمل .
2- أحكام القرآن ١ : ١٦ .

الصفحة 290

أصبحت أمين ؟

قلت : نحن لم نأتِ بها ؛ لأنها كلام إضافي ، أي زائد عما أمرنا الله ورسوله به ، فيكون مبطلاً للصلاة عندنا .

فقال : قد أتى بها الصحابة وغيروهم .

قلت : لا نخرج عما اتفقنا عليه وقل لي عدم الإتيان بها عندكم مبطل للصلاة عندكم ، وخصوصاً إذا صلّى منفرداً أم لا ؟

قال : لا ، قلت : فنحن لم نأتِ بها لبطلانها للصلاة عندنا ، أمّا عدم الإتيان بها عندكم غير مبطل ، فما المانع من تركها

احتياطاً وتحاشياً من الوقوع في البدعة .

قال : لا مانع من ذلك .

وانحدرت في إكمال السورة الصغرة بعدها ، فأشار بيده : اقطع ، فقطعت القِراءة .

فقال : لماذا نقوّ سورة كاملة ويجزئك بعد الحمد أن نقوّ آية أو آيتين ، قلت : نحن عندنا لا يجزي بعد الحمد إلا سورة

كاملة ، ونحن نقوّ في صلاتنا السور الصغار .

فأجابني : يكفيك الآية والآيتين وقد فعلها الصحابة .

فقلت : يا أخي دعني عن هذا ، وقل لي : هل الإتيان بسورة كاملة بعد الحمد مبطل للصلاة أم لا ؟

قال : يجوز لك إن لا تأتي بها .

قلت : أعيد عليك كلامي وأقول دعني عن هذا ، وقل لي صلاتي صحيحة بنظرك أم لا ؟

قال : نعم صلاتك صحيحة حسب مذاهبننا .

فقلت : أمّا عندك فلا يجوز أن تأتي بسورة كاملة بعد الحمد ، فما المانع من أن تأتي بسورة كاملة من السور الصغار بدل

الآية والآيتين ؟ ألم يكن الإتيان

الصفحة 291

بسورة كاملة هو الأقرب إلى الاحتياط والأوفق إلى الشريعة ، لأنّ مدرسة أهل البيت توجب الإتيان بسورة كاملة بعد الحمد ، أما أنتم فلا تقولون ببطلان الصلاة بسورة كاملة بعد الحمد ، ألم يكن من الاحتياط قراءتها ؟ قال : صدقت أكمل ، قلت : يؤيدّ كلامي ما رواه عبد الرزاق في مصنّفه عن معمر عن الزهري عن عبدالله ابن أبي رافع قال كان . يعني علياً . يقرأ في الأولين من الظهر والعصر بأَم القوان وسورة ولا يقرأ في الآخرين .

قال الزهري : وكان جابر بن عبد الله يقرأ في الأولين من الظهر والعصر بأَم القوان وسورة ، وفي الآخرين بأَم القوان ، قال الزهري : والقوم يقتنون بإمامهم ⁽¹⁾ .

قلت : نحن بعد أن نكمل القاء نذهب إلى الركوع الذي نقول فيه ذكر الله تعالى . فقال : ونحن كذلك .

فقلت : وأفضل ذكر عندنا فيه ﴿سبحان ربي العظيم وبحمده﴾ .

فقال : ونعم الذكر ، ولم يعترض عليّ ذلك .

فقلت : الان رُفِع رأسي من الركوع وانتصب ثم أهوي إلى السجود .

فقال : هنيئة قد وصلنا إلى الطامة الكبرى .

قلت : رحمك الله ورحمني ، وماهي ؟ قال : إذا هويت إلى السجود تسجد على ماذا .

قلت : أسجد كما علمني النبي وأهل بيته بقوله : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ⁽²⁾ أي أسجد على الأرض وما ينبت منه

بشوط أن لا يكون مأكولاً ولا ملبوساً فقال : أنتم تسجدون على حجر أو كما تسمونها توبة ، فقلت : أنا فحصت

1- مصنف عبد الرزاق ٢ : ١٠٠ وقول الزهري (والقوم يقتنون بأمامهم) إشارة إلى الشيعة في عهده ، وأنهم يقتدون بعلي بن أبي طالب وان فقههم ليس بأجنبي عنه .
2- صحيح البخاري ١ : ١٢٨ باب من لم يجد ماء ولا تراباً حديث : ٢٢٨ .

بذلك لو تأملت ، وأنقل لك رواية ذكرها أحمد في مسنده عن وائل بن حجر في ذلك قال : رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض .

وهناك روايات أخرى تؤكد بأن النبي كان يسجد على الحصى والخرة ⁽¹⁾ .

وقد روى البيهقي في سننه عن ابن عباس إن النبي (صلى الله عليه وآله) سجد على الحجر ⁽²⁾ .

وورد في كنز العمال ان عائشة قالت : ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) متقياً وجهه بشيء ⁽³⁾ .

وجاء عن أبي الرداء إنّه قال في حديث . هذا بعضه . : وتغفّر وجهي لربي في التواب فإنه مبلغ العبادة من الله تعالى .

فلا يتقي أحكم التواب ، ولا يكرهنّ السجود عليه ؛ فلا بدّ لأحدكم منه . ولا يتقي أحكم المبالغة ، فإنه إنما يطلب بذلك فكاك

رقيبته وخلصها من النار ⁽⁴⁾ .

فقال ذلك العالم السنّي على استحياء مبتسماً : البعض يقول أنتم تسجدون لصنم ، فقلت قد أجبتك بعدة روايات من كتبكم

وأنت تقول لي بهذا الكلام ، ومعاذ الله من أن نسجد لغير الله ، وكيف نسجد لصنم ونحن نقول في سجودنا : سبحان ربّي الأعلى وبحمده ، فلمن هذا التحميد والتفديس الذي يجري على ألسنتنا في السجود لله أم للأصنام ؟ ! وكيف يكون ذلك ونحن نصوخ في اليوم واللييلة بالأذان والإقامة بأشهد أن لا إله إلا الله وأن لا إله إلا الله .

كيف طوعتكم أنفسكم على هذه التهم وتزانا نسجد على التربة الطاهرة امتثالاً لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ألم ترقّ أخي العزيز بين السجود للشيء والسجود على الشيء ؟ ، فنحن نسجد على هذه التربة لله ، لا إننا نسجد لهذه التربة وإن

كنا

- 1- تهذيب الآثار ١ : ٣٠١/١٩٣ .
- 2- سنن البيهقي ٢ : ١٠٢ .
- 3- كنز العمال ٤ : ٢١٢ .
- 4- طبقات الحنابلة ١ : ٣٣١ .

الصفحة 293

نحترمها ، لأنها مأخوذة من تربة سيد الشهداء الحسين .

قال : هوّن عليك يا أخي ملحتك ، قلت : لا تثريب عليك رحمك الله ، ولكن نعود لما اتفقنا عليه ، وأقول : سجودي على هذا التراب أو الخشب أو القوطاس ، أو على أرض اذا كان ميسوراً ، هل يصح أم لا ؟ مبطل ام غير مبطل ؟

قال : لا غير مبطل ، وتصح الصلاة ، لأنه جاء عندنا في صحيح البخاري . . . فصلّى بنا النبي (صلى الله عليه وآله) حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول (صلى الله عليه وآله) ورأيت⁽¹⁾ .

فقلت : أثابك الله ، فقال : وأثابك ، فقلت : الآن تمت الصلاة النظرية فقم نجعلها صلاة عملية ، فضحك ، وقال : إذن نصلي صلاة شيعية ، قلت : وما يمنعكم من ذلك إن كانت تلك الصلاة صحيحة بنظرك ، وإن أردت أن لا تصلي بصلاتنا فلا تحملوا علينا ولا تقولوا بما ليس لكم به من علم .

وعليه فقد عرفت أنّ البحث الفقهي الخلافي والتعوق على الأسس الفكرية والمباني الرجالية والأصولية للآخرين تخدم الفكر والعقيدة ، وإني من خلال هكذا بحوث أمكنني التعوق على وضوء رسول الله ، وصلاة رسول الله ، وكذا يمكنني أن أتوقّف على حجّ رسول الله ، وهل الخمس واجب وأمثالها ، ولي واسات مقرنة أخرى في هذا المجال أتحاشى من ذكرها هذه اللييلة لضيق الوقت ، فاستمبحكم عنواً من الإطالة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- 1- صحيح البخاري ١ : ٧٨٠/٢٨٠ ، وأخرجه مسلم ٢ : ٨٢٦ ح ١١٦٧ .

الصفحة 294

الصفحة 295

(٧١) دور النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) في تثبيت العقيدة وروء الشبهات

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (1) .

في المقدمة بودي أن أشكر المركز على إتاحة هذه الفوصة للحديث في الموضوعات التي ترتبط بالبعد العقائدي لمدرسة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وكذلك بودي أن أشير إلى أن البحث الذي أعدته لا يرتبط كثير الارتباط بما عنوانه جناب الشيخ ، ولكنه بنحو من الأنحاء يرتبط بمعرفة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام والدور الذي يقومون به في هذا العالم .

وظيفة النبي والإمام (عليهم السلام)

نحن عندما نراجع الآيات القوانية نجد أن هناك مجموعة من الوظائف والمسؤوليات ألقيت على عاتق أئمة الدين ، وعندما أقول أئمة الدين مراد الأعم من الأنبياء والموسلين والأوصياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، ولعله في بعض الأحيان يشمل أيضاً العلماء الربانيين التابعين لهم ، فمن أهم هذه الوظائف التي ألقيت على عاتق أئمة الدين وولاية الأمر مسألة إبلاغ الدين وإيصاله إلى الناس كما قأنا هذه الآية المبركة في صدر البحث ، وهو أن الله سبحانه وتعالى بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، والهدف من ذلك توكيتهم وتعليمهم الكتاب ، هذه من

الوظائف العامة التي لا تختص بنبي أو رسول أو إمام أو عالم وإنما هي وظيفة عامة للجميع أو عندما نأتي إلى قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (1) أيضاً هداية الناس .

ومن الواضح أن الهداية ليست وظيفة خاصة بالنبي أو الإمام ، بل تشمل كل هؤلاء ، وكذلك عندما نأتي إلى قوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (2) فمن الواضح

أنها تشمل العلماء ولا تختص بالنبي أو الإمام ، أو عندما نأتي إلى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ

الْكِتَابَ وَالْمُؤَانَ لِيُقَوْمَ النَّاسَ بِالْقِسْطِ . إقامة القسط في حياة الناس هذه أيضاً من الوظائف العامة التي تجب على جميع الأنبياء والأوصياء والعلماء ونحو ذلك .

وهذه وظيفة عامة إن صحَّ التعبير عنها ولكن وظيفة ظاهرية . وليس حديثي في هذه الليلة يرتبط بهذه النقطة ، إذ ولعلَّ الأعلام الذين سوف يتكلمون عن دور الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) في حياة الناس سوف يشبعون هذا البحث ، ولكن أريد أن أقف في هذه الليلة على وظيفة أخرى ومسؤولية أخرى ، وهذه المسؤولية مختصة بالنبي والإمام (عليهما السلام) ولا توجد عند غوهم ويمكن التعبير عنها بأنها وظيفة ومسؤولية باطنية وليست مسؤولية ظاهرية .

كما تعلمون المسؤوليات تنقسم إلى قسمين : مسؤوليات ظاهرية يمكن للإنسان أن يقف عليها ، ومسؤوليات باطنية لا يمكن للإنسان أن وaha وأن يسمع بها أو أن يحسّها بإحدى الحواس الظاهرية ، من قبيل المسؤولية الملقاة على عاتق الملائكة .
القوان الكريم يبيّن لنا أنّ الملائكة هم من المدوّات أوا ، وعندما نقول

- 1- السّجدة : ٢٤ .
- 2- التوبة : ١٢٢ .
- 3- الحديد : ٢٥ .

الصفحة 299

المدوّات أوا كما يقول أهل التفسير كلّ أمر يرتبط بنظام عالم الإمكان ، لا تجد شأننا إلاّ وللملائكة دور في تدبير ذلك الشأن من حياة وموت ورزق وبعث وبرزخ وسؤال وجنة ونار وميزان ونحو ذلك ، ولا تجد شأننا من الشؤون المرتبطة بالإنسان سواء على مستوى قوس النزول أو على مستوى قوس الصعود إلاّ وللملائكة دور وشأن في ذلك الأمر ، ولكن من الواضح أنّ هذا الدور وهذه المسؤولية هل يمكن أن تعرف من خلال الحواس الظاهرة أو لا يمكن ؟

الجواب : كلاً ، فإنّها أمور مرتبطة بباطن هذا العالم لا أنّها مرتبطة بظاهر هذا العالم ، وبتعبير القوان الكريم مرتبطة بغيب هذا العالم لا أنّها مرتبطة بشهادة هذا العالم ، وبتعبير ثالث في القوان الكريم مرتبطة بملكوت هذا العالم لا أنّها مرتبطة بملك هذا العالم ؛ لأنّ القوان الكريم يعبر عن هذه الحقيقة ، وأنّ النشأة الإمكانية نشأة ظاهرية ونشأة باطنية يعبر عنها بتعبيرات متعدّدة : ثلّة يعبر عن ذلك بالظاهر والباطن : ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾⁽¹⁾ ، وهذا معناه أنّ الآخرة باطن هذه الدنيا ، أو قوله تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ** ﴾⁽²⁾ ، ولكنّه في آية أخرى نجد أنّه يقول : ﴿ **بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾⁽³⁾ ، وفي تعبير آخر يقول : ﴿ **عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾⁽⁴⁾ .

هذه اصطلاحات وتعبيرات متعدّدة تريد أن تبين أنّ نظام عالم الإمكان ليس مقتصوا على هذا الظاهر الذي يمكن إواكه بهذه الحواس الظاهرة ، وإنّما لهذا الظاهر باطن ، وإنّما لهذه الشهادة غيب ، وإنّما لهذا الملك ملكوت ، المسؤوليات الملقاة على عاتق الملائكة شؤون مرتبطة بعالم الغيب وعالم الملكوت لا

بعالم الشهادة وعالم الظاهر .

الغفلة عن دور النبي والإمام (عليهما السلام) الباطنية واستواض بعض الأئمة

نحن عندما نبحث عن أوار الأنبياء في القرآن الكريم وعن أوار أئمة أهل البيت في الأعم الأغلب ينصبّ وينصرف الذهن إلى الأوار الظاهرية ، وهناك غفلة عن الأوار الباطنية للأنبياء ولأئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وهذه القضية ما لم تفهم جيداً خصوصاً في مدرسة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام فإن كثراً من الأبحاث التي تطرح في مدرسة أهل البيت غير قابلة للفهم ، ولا يمكن توجيهها توجيهاً منطقياً صحيحاً . يعني نحن إذا آمنّا بأن تور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودور أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ينحصر في بيان الشريعة وفي تطبيق الشريعة وفي إقامة العدل في حياة الناس فإذا غاب أحد الأئمة فلا يستطيع أن يؤدي تلك الأوار فيتبادر إلى الذهن هذا التساؤل وهو ما هو فائدة مثل هذا الإمام الغائب عن الأنظار ؟

ما هي فائدة هذا الإمام الذي لا يدير دولة ولا يقيم عدلاً ولا يمكن الاتصال به لتوجيه الناس وهدايتهم ؟ وجوده حينئذ لا يكون إلا لغواً ، وحيث إن اللغو قبيح على الله سبحانه وتعالى فإن وجود إمام غائب عن الأنظار لا يقوم بدوره يكون لغواً ، واللغو قبيح ، بل ممتع على الله سبحانه وتعالى فوجود الحجّة يكون ممتعاً عقلاً .
هذا إذا اقتصونا على هذه الأوار الظاهرة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) أو للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أو عندما توجع إلى الروايات تجد أنّ العلم الذي يذكر للنبي الأكرم ويذكر لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإذا كان دور الأنبياء والأئمة ينحصر في هذه الأوار الظاهرية والتشويعية والتطبيقية والقيادية فما هي الضرورة أن يعلموا ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى قيام الساعة ؟



ولماذا ينبغي أن يعرفوا كل شيء ؟

وما هي ضرورته بالنسبة إلى هؤلاء ؟

هل يرتبط بدورهم ؟ كلاً فإنّ الدور الذي أوكل إليهم لا يستلزم مثل هذا البعد العلمي في وجودهم .

لماذا تفترضون العصمة المطلقة في كل شيء في النبي والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام ؟ وانما نحتاج إلى عصمتهم فيما يرتبط ببيان الدين وبتطبيق الدين أمّا مازاد على ذلك فما هي الحاجة إلى العصمة ؟ حتى يقال بأنهم معصومون من ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه وتعالى في أمرهم التشريعية وفي أمورهم العادية وفي الأحكام وفي الموضوعات ؟ ما هي ضرورة مثل هذه العصمة المطلقة في النبي الأكرم وأئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام ، لو اقتصر على ذلك الدور الذي أشير إليه في بعض الآيات القوانية ، وهو أنهم أرسلوا إلى الناس ليبلّغوا دين الله وليطبّقوه عليهم ، ومازاد على ذلك فهم أناس عاديون مثلي ومثلك لا فوق بيننا وبينهم ؟

من مسؤوليات النبي والإمام (عليهما السلام) الشهادة على أعمال أممهم

إذن من هنا في هذه الليلة المباركة إن وقفت ريد أن أفق على بُعد من أبعاد شخصية الأنبياء عموماً وشخصية النبي الأكرم وأئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام خصوصاً ، ويرتبط بالبعد الملكوتي والبعد الباطني والبعد الغيبي من مسؤوليتهم عليهم أفضل الصلاة والسلام ، عند ذلك سوف تجد أن الجواب يكون واضحاً على كثير من التسؤلات التي تطرح من قبيل ما هو نور الحجّة في زمن الغيبة ؟ ولماذا هذه العصمة المطلقة ؟ ولماذا هذا العلم الذي لا يغوب عن علمهم شيء في عالم الإمكان ؟

عند ذلك سوف تتضح من الإجابة على مثل هذه الأسئلة .

وهنا في هذه الليلة لا أتصور أنّ الوقت يسع للإشارة إلى أكثر من مسؤولية

الصفحة 302

واحدة ، وهي المسؤولية التي ريد أن أفق عندها قليلاً هي مسؤولية الشهادة على أعمال الخلق يوم القيامة ، هذه المسؤوليات التي صوّح بها القرآن الكريم لجميع الأنبياء (عليهم السلام) يعني ما من نبي بعث إلا وهو شاهد على أعمال أمته يوم القيامة .

وفي مقدّمة البحث بودّي الإشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى في الحشر الأكبر عندما يريد أن يحاسب هذا العبد لا يكتفي بأن

يقيم عليه شاهداً واحداً بل يعدّد عليه الشهود بحيث إن الإنسان عندما رى هؤلاء الأَشْهَادَ واقعا يقول ﴿ لا يُغَادِرُ صَغْوَةً وَلَا

كِبْرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (1) والقرآن الكريم أشار إلى جملة من هؤلاء الأَشْهَادَ ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا

عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (2) أو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَادُ ﴾ (3) نلاحظ أنّ الآية تبيّن بأنّ الأَشْهَادَ ليسوا واحداً ، الشاهد يوم القيامة ليس واحداً وانما هو متعدد .

ومن باب الإشارة أقف على بعض هؤلاء الأَشْهاد الذين أشار إليهم القرآن الكريم وإلا هناك أشهاد آخرون أشير إليهم في الروايات ولكن أجعل بحثي في هذه الليلة إن شاء الله بحثاً قانياً إلا إذا دعت الضرورة إلى غير ذلك .

الشاهد الأول

فمن الأَشْهاد يوم القيامة : الأرض قال تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُرَّالِهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا

يَوْمَئِذٍ تَحْدُثُ أَخْذُهَا ﴾ (4) إذن الشاهد الأول الذي يشهد على الإنسان يوم القيامة هي الأرض التي أطاع الله تعالى عليها أو عصى الله تعالى فيها .

- 1- الكهف : ٤٩ .
- 2- هود : ١٨ .
- 3- المؤمنون : ٥١ .
- 4- الزلزلة : ١ - ٤ .

الصفحة 303

طبعاً هذه الزلزلة التي أشير إليها في الآية المباركة لا يتبادر إلى ذهنك هي الزلزلة المتعارفة بل هي زلزلة أخرى أشير

إليها في سورة الحجّ قال تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (1) تلك زلزلة غير هذه الزلزلة تلك الزلزلة التي تؤدي إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات كل شيء أساساً يتبدل .

هذا هو الشاهد الأول ، ولا تستعجب بعد أن تقولاً قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ

تَسْبِغِهِمْ ﴾ (2) إذ من الواضح أنّ الأرض شيء أيضاً وتسبّح ولكن أنا وأنت لا نفقه تسبيح الأرض والسموات . ووجدت أن

البعض يقول بأنّ الآية ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِغِهِمْ ﴾ ، يعني أنّ الأرض نفسها تسبّح نفسها أو السموات تسبّح ﴿ وَإِنْ مِنْ

شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ ﴾ وهم لا يفقهون . إلا أن هذا مناف للقرآن الكريم لأنّ القرآن يقول : ﴿ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صِلَاتِهِ وَتَسْبِغِهِ ﴾ فنحن

لا نفقه وإلا فإنّ كل شيء فهو يفقه أنه يسبّح ، والفقه والفهم لا يكون إلا عن علم وشعور فإذا لم يكونوا من أهل العلم ومن أهل الشعور لا معنى لأن يكونوا من المسبّحين ، هذا هو الشاهد الأول في القرآن الكريم .

الشاهد الثاني

الشاهد الثاني في القرآن الكريم : هو الأعضاء فهي تشهد على الإنسان يوم القيامة قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتَمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ

وَتَكَلَّمْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ رِجْلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (3) . أو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ

الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (4) .

وهذه الآية المباركة لا بدّ أن يقع فيها بحث مهم ، وهو أنّ الآية تقول كلُّ

شيء ناطق وليس الإنسان ناطقاً فقط وعلى أي الأحوال فإنّ له حديث آخر لست الآن بصدده .
إنّ الشاهد الثاني يوم القيامة الذي يشهد على الإنسان الأعضاء .

الشاهد الثالث

الشاهد الثالث في القآن الكريم هم الملائكة : قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾⁽¹⁾ ، وقال تعالى :
﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ يَرَامُوا كَاتِبِينَ ﴾⁽²⁾ .

الشاهد الرابع

الشاهد الرابع على الإنسان يوم القيامة : هم البشر ، طبعاً إلى الآن لم أصل إلى أصل البحث وحديثي يبدأ من هذه النقطة وهم البشر ، قال تعالى : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ وَجِيَّ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ ﴾⁽³⁾ وهناك فائدة أبينها للإخوة وهي أنّ القآن الكريم لم يستعمل الشهداء والشهيد بمعنى المقتول في سبيل الله كما ذكر جملة من المفسرين بأنّ اطلاق الشهيد على المقتول في سبيل الله ، هذا تعبير روائي وليس قرآنيّاً ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ﴾⁽⁴⁾ ، فتعبير قتلوا في سبيل الله موجود ، أمّا تعبير بلفظ الشهيد عن المقتول في سبيل الله فهذا التعبير لم يستعمل في القآن الكريم ، وفي الأعم الأغلب استعمل الشهيد بمعنى الشاهد ، وهذه الآية عندما تقول : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ وَجِيَّ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾⁽⁵⁾ ، أو قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ ﴾

1- ق : ١٨ .
2- الانفطار : ١٠ - ١١ .
3- الزمر : ٦٩ .
4- آل عمران : ١٦٩ .
5- الزمر : ٦٩ .

وَلَوْ سَئَلْ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا⁽¹⁾ للإشارة إلى ذلك المعنى .

إنّ يظهر أنّ الذين يشهدون على الإنسان يوم القيامة لا يقتصر أمرهم على الأرض والجلود والزمان والمكان ونحو ذلك وإنّما البشر أيضاً يشهدون على الإنسان ، ولكن يبقى السؤال من هم أولئك الشهداء من البشر على الإنسان ؟ يجيبنا القآن بأنّ الذين يشهدون على الإنسان في كلّ أمةٍ ولا : نبي تلك الأمة ، فإنّه الشاهد على أعمال أمته ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَاحِدًا ﴾

أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون⁽²⁾ . وقال تعالى : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دَمَّتْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾⁽³⁾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾⁽⁴⁾ .

إلى هنا اتضح لنا هذه النقطة وهي أنّ في كل أمة يوجد نبي من تلك الأمة يكون شاهدا على أعمالها .

السؤال المطروح هنا هو أنّ الشهداء في القرآن هل يقتصر على أنهم أنبياء أو يوجد عندنا شهداء من غير الأنبياء في القرآن

الكريم ؟

وهذه نقطة مهمة ؛ لأنه نحن إذا أردنا أن نثبت أن الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام أيضا من الشهداء على أعمال أممهم

كل في زمانه فلا بد أن يثبت قوّانياً أنّ الشهادة على الأعمال ليست من اختصاصات مقام النبوّة والا لو ثبت أن ذلك من

اختصاصات مقام النبوّة فيكون الأمر مشكلاً ، ومن هنا نحتاج إلى أن نرجع إلى

1- النساء : ٦٩ .

2- النحل : ٤٨ .

3- المائدة : ١١٧ .

4- النساء : ١٥٩ .

البحث القرآني لإثبات ذلك .

أنا إنّما أشير إلى هذه الأبحاث وبحمد الله تعالى المجلس مجلس علم وطلبة فلماذا أحاول أن أشير فقط إلى النقاط المهمة من

دون إطالة الكلام فيها .

بيان الآيات القرآنية الدالة على شمول الشهداء لغير الأنبياء (عليهم السلام)

في الواقع آيات متعدّدة في القرآن يمكن أن نستند إليها لإثبات أنّ الشهادة على أعمال البشر ليست من المقامات المختصة

بالأنبياء (عليهم السلام) ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَوُكِّلْهُ مَعَهُ أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصّٰدِقِيْنَ وَالشّٰهِدَاءِ وَالصّٰلِحِيْنَ ﴾⁽¹⁾ ، وأنتم قوّاتم في محلّه من الناحية النحوية أنّ العطف يقتضي المغاورة ، إذن عندما

قالت : نبيين وصادقين وشهداء فبمقتضى قاعدة أنّ العطف يقتضي المغاورة أنّه ولو بنحو الموجبة الجزئية أنّ بعض الصديقين

ليسوا من الأنبياء ، وأن بعض الشهداء ليسوا من الأنبياء ، وأنّ بعض الصالحين ليسوا من الأنبياء لذا تجد القرآن الكريم عندما

يأتي إلى مريم (عليها السلام) يقول : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾⁽²⁾ ، وهنا أيضاً يقول : ﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِيْنَ ﴾ .

إذن هذه الآية المباركة عندما قالت ﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِيْنَ وَالشّٰهِدَاءِ وَالصّٰلِحِيْنَ ﴾ نستكشف منها بأنّ هناك من الشهداء

من ليسوا بأنبياء هذه آية في القرآن الكريم .

الآية الثانية التي يمكن أن يُستدَد إليها وهي قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ**

لِرَسُولٍ عَلَيْكُمْ شُهَدَاءً ﴾ (3) فمن الأبحاث التي وقع فيها كلام كثير بين علماء التفسير في معرفة ما هو المراد من الأمة الوسط

؟

- 1- النساء : ٦٩ .
- 2- المائدة : ٧٥ .
- 3- البقرة : ١٤٣ .

الصفحة 307

المشهور بين أتباع الخلفاء لا أنّ المراد من الأمة الوسط يعني الأمة الإسلامية ، من هنا وقع الكلام بينهم في ما هو المراد من الوسط التي أشرت إليه الآية المبركة ؟

ذهب البعض إلى أنّ الوسط يعني أنّهم وسط بين الإفراط وبين التقيط ، وذهب البعض إلى أنه كانت هناك اتجاهات تميل لتغلب الروح على الجسم واتجاهات تريد أن تغلب الجسم على الروح ولكن الطريقة الوسطى هي أن لا يغلب أمر الروح على الجسد وأمر الجسد على الروح ، وكلمات من هذا القبيل كثرة جداً ولكنه في اعتقادي أننا لا نحتاج إلى أن نذهب يميناً ويسيراً في فهم هذه الآية المبركة ؛ لأنه من ذهب إلى تلك الأقوال فكأنه أخذ المقطع الأول منها وهي قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ**

أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ولم يلتفت إلى المقطع الثاني من الآية المبركة : ﴿ **لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ .

حسناً ، تعالوا معنا لنرى ما هو المراد من الشهادة على الناس ؟ وما هي مستلزمات الشهادة على الناس وعلى أعمال الناس ؟ وهل يمكن لكلّ أحد أن يكون شاهداً على الناس أو أن الشهادة على الناس لا تكون إلا لطبقة خاصة ؟

إذا عرفنا أنّ الشهادة على الناس بقوينة قوله تعالى : ﴿ **وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ وادّ بها الشهادة على أعمال الناس وعلى أعمال العباد يتّضح - بمقتضى البحث المضموني في الآية قبل أن تنتقل إلى الروايات لنقول لنا الروايات - أنّ المراد من الأمة الوسط هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حتى لا يقول لنا قائل بأن هذا البحث صار بحثاً كلامياً مذهبياً وأنتم تقبلون رواياتكم ونحن لا نقبل تلك الروايات ونقول نحن نريد أن نبحث في الآية بحثاً مضمونياً لنرى المراد من الأمة الوسط فهل يمكن أنّ واد به جميع أواد الأمة الإسلامية أو أن ذلك أساساً غير معقول في الآية المبركة ؟ تعالوا معنا لنرى الشهادة على الناس وعلى أعمال الناس ماذا تستلزم .

الصفحة 308

الشهادة على أعمال الناس تتوقف على أمرين

في الواقع أن الشهادة على أعمال الناس تستلزم أمرين أساسيين :

الأمر الأول : أنّ الشهادة لا تكفي أن تكون على ظاهر أعمال الناس ، يعني على الأعمال الجوارحية للناس ؛ لأنّ الأعمال

التي يقوم بها الناس على قسمين : أعمال جورحية كالصلاة مثلاً وأعمال جوانحية مرتبطة بالقلب كالنفاق والرياء والشرك والإيمان والإخلاص ، لذا تجد القرآن الكريم يقول : ﴿ **وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾⁽¹⁾ ، حيث يظهر بأن الأعمال لا تقتصر على الظاهر وإنما تشمل الباطن أيضاً .

إذن اللزم الأول للشهادة على الناس أن الشاهد لا بد أن تكون له القوة على أن يقف على أعمال الناس ظاهراً وباطناً ، واللزم الثاني ، هو أن هذه الشهادة هل يمكن أن تكون شهادة قابلة للخطأ والاشتباه والسهو أو لا يمكن ؟ إذا نحن قلنا بأن الله سبحانه وتعالى على أساس شهادة الأَشْهَاد يدخل الإنسان إلى الجنة ويدخله إلى النار ويثيب المطيع ويعاقب العاصي فإذا افترضنا أن الشهادة صلت من إنسان قد يصيب وقد يُخطئ مثل هذه الشهادة هل يمكن أن تقبل يوم القيامة أو لا يمكن أن تقبل ؟

القرآن الكريم عندما يأتي إلى الشهادة يقول : إنما تقبل شهادة من يشهد بالحق أما من لم يشهد بالحق فلا تقبل شهادته ، والإنسان إذا لم يكن معصوماً شهادته يمكن أن تكون حقاً مطلقاً أو لا يمكن ؟ حتى لو كان عادلاً وفي أعلى درجات العدالة فإن العادل يخطئ ويسهو وينسى ونحو ذلك لذا تجد القرآن الكريم يقول : ﴿ **لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ نُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ** ﴾

1- البقرة : ٢٢٥ .

الصفحة 309

يَعْلَمُونَ⁽¹⁾ إذن الشاهد لا بد أن يكون شاهداً بالحق وإلا إن لم يكن شاهداً بالحق ، ولو كان عن سهو فإنه قد يؤدي إلى عقاب المطيع أو يؤدي إلى إثابة العاصي ؛ لأنه يشتهبه .

إذن من خلال الشوط الثاني أو الأمر الثاني نستكشف بأن الشاهد لا بد أن يكون معصوماً ، ومنه يتضح بأن العصمة التي نقول بها ونوسّع دائرتها لها أثر مهم جداً ، وهو أنه لماذا نحن نقول بأن الإمام أو النبي لا بد أن يكون معصوماً في الموضوعات وما هو الدليل على عصمة الأنبياء والأئمة في الموضوعات لا في الأحكام ؟ واحدة من أهم الأدلة على ذلك إثبات أنهم الشهداء على الأعمال يوم القيامة ؛ لأن معرفة هذا يزيد وهذا عمرو وهذا خالد وهذا عمله كذا وهذا لا يرتبط ببيان الأحكام أو تطبيق الأحكام وإنما يرتبط ببيان الموضوعات .

إذن هل نستطيع أن نقول بأن القدر المتيقن من عصمة المعصوم في غير الموضوعات ؟ الجواب ، ليس الأمر كذلك فإن الدليل الدال على العصمة كما يشمل الأحكام يشمل الموضوعات أيضاً يعني دليلنا على العصمة كما هو يشمل دائرة الأحكام وبيان الأحكام وتطبيق الأحكام يشمل دائرة الموضوعات أيضاً .

إذاً اتضح هذان الأمران من نفس الآية المباركة ؛ لأن الآية قالت : ﴿ **لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ والشهادة على الناس تستلزم أولاً الوقوف على كل أمر من أمور الناس فوداً فوداً ظاهراً وباطناً ، هذا أولاً ، وثانياً لا بد أن يكون هذا الوقوف على

فإذا كان الأمر كذلك هل نستطيع أن نقول : ﴿ **وَكذلكَ جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ العواد من الأمة ; الأمة الإسلامية بما فيهم خيلهم وأشولهم ، بما فيهم طواغيتهم وجبايرتهم ، إذ بناءً على ذلك هؤلاء يستطيعون أن يكونوا شهداء على

1- الزخرف : ٦٨ .

الصفحة 310

الناس ، يوجد تعبير للإمام الصادق عليه أفضل الصلوة والسلام في ذيل هذه الآية المبركة يقول : « لا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والوسل ، فأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهد الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل » !! (1)

فإذا قلنا بأن العواد من الأمة هنا كل الأمة من الواضح أن العموم هنا الاستغراقي وليس العموم المجموعي ، يعني كل فرد من أفراد الأمة والعموم المجموعي أساساً لا معنى له في الآية المبركة فهنا تقع في مشكلة وهي كيف يمكن أن يقال بأن العواد من الأمة هنا كل فرد من أفراد الأمة وفي الأمة من لا تقبل شهادته على حزمة بقل انظر إلى هذه الرواية الواردة في تفسير العياشي الجزء الأول صفحة ١٦١ ، الإمام الصادق عليه أفضل الصلوة والسلام في تفسير العياشي في ذيل

هذه الآية المبركة هكذا تقول : الرواية عن أبي عبد الله الصادق : « قال : قال الله : ﴿ **وَكذلكَ جَعَلناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتكونوا** »

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » فإن ظننت - يقول للسائل - فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية .

أساساً هذا هل يقبله وجدان سليم ووجدان عاقل ؟ ! وهو أنه لا تقبل شهادته على حزمة بقل أو على صاع تمر الله يأتي بمثل هذا الإنسان يوم القيامة ليشهده على إنسان أمام جميع الأمم الماضية أساساً هل يقبل هذا ؟ ثم قال عليه أفضل الصلوة والسلام : « كلاً لم يعن الله مثل هذا من خلقه » إذن ما ذا عنى يا بن رسول الله ؟ قال : « يعني الأمة التي وجبت لها دعوة

إواهم : ﴿ **كُنتم خير أمة** »

1- بحار الأنوار ٢٣ : ٣٥١ حديث ٦٣ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣١٤ .

الصفحة 311

أُخْرِجَت لِلنَّاسِ (1) وهم الأمة الوسطى ، وهم خير أمة أخرجت للناس (2) ، طبعاً عشرات الروايات وردت بهذا

المضمون .

إذن إلى هنا يتضح لنا بأن الشهود أو الشهداء على الأعمال من البشر لا يقتصر أروهم على الأنبياء فقط وإنما يوجد في

الشهداء من البشر من غير الأنبياء .

والآن أنت شيئاً فشيئاً عندما تسأل ما هي وظائف الحجة في زمن الغيبة؟ فهل يذهب ذهنك مباشرة إلى الوظائف التشريعية حتى تقول إن هذه الوظائف الآن يقوم بها ولا يقوم بها؟ فهناك مسؤوليات أخرى ألقبت على عاتق الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ومنها مسؤولية تبليغ الشريعة .

إذن النكته المهمة الموجودة عندي الآن هي هذه وهو أنه نحن استفدنا من نفس الآية أن الأمة الوسط لا يمكن أن تكون جميع الأمة ، ولم نستدل بالرواية حتى يقول لنا قائل إن الرواية عندكم حجة ولكن عندنا ليست بحجة ، بل استفدنا هذا المعنى من مضمون الآية المبركة ، وأن الأمة الوسط التي ينبغي أن تشهد على الناس لا بد أن تكون طبقة معينة معصومة والروايات بيّنت مصداق ذلك .

الآية الثانية الدالة على شمول الشهادة لغير الأنبياء

ومن هنا ننقل إلى الآية في سورة الأعراف عند ذلك يتضح من هم على الأعراف قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾

يَعْرِفُونَ كَلًا بِسِيْمَاهُمْ ﴿٣﴾ فمن هم أولئك الذين يعرفون كلاً بسيماهم ؟

فهل أي إنسان يستطيع أن يعرف الناس بسيماهم ؟ أم هم الشهداء على الأعمال الذين يعرفون الناس بسيماهم ؟ فهل يمكن لأحد أن يعرف الناس بسيماهم ، أن يعرف الجميع بسيماهم إلا إذا كان واقفاً على بواطنهم عند ذلك

- 1- آل عمران : ١١٠ .
- 2- بحار الأنوار : ٢٣ : ٢٥٠ .
- 3- الأعراف : ٤٦ .

الصفحة 312

يستطيع أن يعرفهم عند ذلك يقول للنار هذا محبيّ فدعيه ، وذلك عوتيّ فخذيه ، عند ذلك نستطيع فهم الروايات لاحظوا هذا الربط اللطيف فعندما استفدنا هذا المعنى من الآية المبركة راجعت الروايات والله تعالى يعلم قبل مراجعة الروايات وجدت ربط بين الآيات ورجعت إلى الروايات وجدت هناك رواية عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يقول فيها : رجال الأعراف هم الشهداء على الأعمال ، والمصدر موجود عندي اعطيه إلى الأخوة إذا رأوه بعد انتهاء البحث .

إن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قال لهم : بأنهم رجال الأعراف ليسوا مطلقاً ، لا يمكن أن يكونوا عموم الأمة وهناك اختلاف شديد بين المفسرين حول مواد من هم رجال الأعراف ؟ يوجد ١٢ قول في المسألة ولكنه نحن لا نحتاج إلى تلك الأقوال في المسألة نحن نرجع إلى نفس القرآن ، القرآن يعين لنا من هم رجال الأعراف ؟

يقول القرآن الكريم : ﴿ يَعْرِفُونَ كَلًا ﴾ يعني كلاً من أهل الجنة وأهل النار ؛ لأن الآيات السابقة واللاحقة تبين مراده من

(كلاً) يعني أهل الجنة وأهل النار ولا يستطيع أن يعرف أهل الجنة وأهل النار جميعاً إلا من كان من شهداء الأعمال يوم

القيامة ثم وأتم في الفقه أن أداء الشهادة يتحملها في ظرف وقوع الفعل لا يمكن أن يشهد حين أداء الشهادة . إذن هؤلاء كيف

تحملوا الشهادة في الدنيا؟ فوجع إلى القرآن مرة أخرى لنجد أن هذه القضية واضحة جدا قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ اَعْمَلُوا فُسْوَىَ** **اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾⁽¹⁾ ، طبعاً الآية كما تعلمون ﴿ **اَعْمَلُوا** ﴾ والبراد بالأعمال أعم من الأعمال الجورحية والأعمال الجوانحية ، بما كسبت قلوبكم والمهم هو ذلك وإلا العمل الجورحي من العمل الجوانحي ، في يوم العاشر من المحرم عقدت جماعتان للصلاة جماعة الإمام الحسين سلام الله عليه في معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) وجماعة أخرى في المقابل ، وبعد الانتهاء من الصلاة قالوا إلى الجنة أبشر ، جماعة عمر بن سعد كانوا يصلون الصلاة المتعرفة أربع

1- التوبة : ١٠٥ .

الصفحة 313

ركعات بركانها وأجزائها وكذا ولكن ليست لها قيمة؟ لأن العمل إنما يقوم على أساس النية وعلى أساس الإخلاص وعلى أساس الإيمان . إذن هنا عندما نقول عمل لا يتوجه ذهنك مباشرة إلى العمل الجورحي بل المقصود الأعم من الجورحي والجوانحي : ﴿ **وَقُلْ اَعْمَلُوا فُسْوَىَ اللَّهِ عَمَلِكُمْ** ﴾ - **إِنَّ اللَّهَ يَرَى الْأَعْمَالَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً . ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾**⁽¹⁾ صريح القرآن الكريم يقول ذلك أما السؤال الأساسي هو ما معنى أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يرى أعمال كل عامل؟ وأساساً بعض الأعمال قابلة للرؤية وبعضها ليس قابلة للرؤية؟ الأعمال الظاهرة قابلة للرؤية أما الأعمال الباطنية هل هي قابلة للرؤية أو ليست قابلة للرؤية؟

هل يستطيع أحد منا أن يرى النفاق أو يرى الشرك أو يرى الكفر؟

نعم ، يستطيع أن يرى العمل الظاهري إلا أن توجع وتقول بأن البراد من الرؤية في الآية المباركة ليست هي الرؤية

المادية البصرية بل ما يشمل الرؤية الباطنية الملوكوتية كما في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ يُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمَوْفِقِينَ ﴾⁽²⁾ ، تلك رؤية أخرى والآية تشير إلى هذه الحقيقة قال تعالى: ﴿ **وَقُلْ اَعْمَلُوا فُسْوَىَ اللَّهِ عَمَلِكُمْ**

وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾⁽³⁾ إن الله ورسوله يريان أعمال الناس فما هو البراد من المؤمنين هل مطلق المؤمنين؟ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا ﴾ يمكن أن يكون البراد من المؤمنين في الآية المباركة مطلق المؤمنين في الآية هل أنا وأنت أيضاً من المؤمنين بحسب

الظاهر ، بل بحسب الواقع من المؤمنين ، نحن أيضاً نستطيع أن نرى أعمال الخلائق؟ ﴿ **وَقُلْ اَعْمَلُوا فُسْوَىَ اللَّهِ** ﴾ المؤمنون

يرون أعمال غورهم .

1- العلق : ١٤ .

2- الأنعام : ٧٥ .

3- التوبة : ١٠٥ .

الصفحة 314

ما هو العراد من المؤمنين الذين يرون أعمال العباد ؟

والمستفاد من الآية أنه ليس العراد من المؤمنين مطلق من قال عنه القَوَان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ؛ لأنَّ الآية تعطف هؤلاء المؤمنين على الله ورسوله ، ومن الواضح أنَّ الرؤية التي توجد لله تعالى وتوجد لرسوله لا توجد لجميع المؤمنين وإنما توجد لطبقة خاصّة من المؤمنين والآن من هم أولئك ؟ القَوَان عيّنهم فقال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (1) عندنا ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ في القَوَان عامّة وخاصّة هذه ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ مَرَّة تأتي عامّة ومَرَّة تأتي خاصّة : ﴿ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ هنا مباشرة يبيّن أنّ العراد من الذين آمنوا هنا ليس كلُّ مَنْ قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إنّما العراد إيمان خاص ، ﴿ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزُّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (2) هؤلاء هم العراد من الذين آمنوا أو العراد من المؤمنين ، عند ذلك نفهم الروايات الواردة في ذيل هذه الآية المبركة ، وبما أنّ الوقت مع الأسف لا يسع أن أقرأ جميع الآيات فأشير إلى مصابوها والإخوة إن شاء الله تعالى رجعون إليها .

الروايات التي تقول : تعوض الأعمال على الله والرسول والأئمة ولكنها لا تبيّن أنّها تعوض مَرَّة واحدة أو أكثر في اليوم ، في الأسبوع مَرَّة ، في الشهر مَرَّة ، وإنما هي عامّة مطلقة لا تبيّن هذه وردت في الكافي (3)

ومن الروايات ما تبيّن أنّ الأعمال تعوض عليهم في كلِّ خميس ، واللطف الموجود في الرواية أنّ الأعمال التي تعرّض هي أعمال العباد كلّهم وليس أعمال المؤمنين وليس أعمال شيعتهم وليس أعمال الأئمّة الإسلامية ، وإنما أعمال العباد

1- المائدة : ٥٥ .

2- المائدة : ٥٥ .

3- الكافي ١ : ٢١٩ ووكذلك وردت في البحار ٢٣ : ٣٣٣ .

تعرّض عليهم ، أعمال العباد في كلِّ يوم خميس .

(1) ومن الروايات رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) إنّهم شهدوا الله في أرضه .

ومن تلك الروايات ما تبيّن أنّها تعوّض عليهم الأعمال في كلِّ يوم اثنين وخميس .

ومن الروايات ما تبيّن أنّها تعوّض عليهم في كلِّ يوم .

ومن الروايات ما تبيّن أنّها تعوّض على الرسول بعضها وتعوّض على الأئمّة وعشوات . إن لم أدر أكثر . وردت في

عوض الأعمال على النبيّ وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذا يرتبط بمسألة تحمل الشهادة حتّى يمكن تصحيح أداء

الشهادة يوم القيامة ، ولكنّ النقطة الجدوة بالاهتمام والتي ينبغي أن نقف عندها جيّداً وهي : ما هي الوسيلة التي يعتمدها النبيّ

(صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) لمعرفة أعمال العباد ، وهو موخى عليه سوره في بيته كما خوّت الروايات ، فبأيّ

طريق يستطيع أن يعرف ذلك ؟

وهذا سؤال ورد إلى أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) أنّهم كيف يستطيعون أن يعرفوا ما يجري في الأرض والسّماء وهم في

هنا أيضاً وردت مجموعة من الروايات في هذا المجال ، ومن هذه الروايات ما ورد في البحار ⁽²⁾ . وهي العشرات
أنا أشير إلى رواية أو روايتين منها لضيق الوقت الرواية هذه عن أبي عبد الله الصادق قال سمعته يقول : أن الله إذا أراد
أن يخلق الإمام إلى . أن تقول الرواية . فيخلق الله منه الإمام فيسمع الصوت في بطن أمه فإذا وقع على الأرض رفع له منار
من نور وى به أعمال العباد . الآن ما هو حقيقة ذلك النور . لسنا بذاك الصدد ،

1- بحار الأنوار ٢٣ : ٣٤٤ ، الأحاديث ٢٣ و٢٦ و٤٥ و٢٤ وغيرها عشرات الأحاديث الواردة بهذا المضمون .
2- البحار ٢٥ : ٢٧ حديث ٣ .

الصفحة 316

لاحظوا هذه الرواية ، أنت إذا لم تقوها في مساق مسألة الشهادة على الأعمال واقعاً نقول : ما هي الضرورة أنه يخرج
من بطن أمه ويعلم كل شيء ؟ يعلم أعمال العباد ما هي الضرورة إلى هذا ؟ هو إمام مسؤول أن يبين الشريعة يطبق الشريعة
أما أن يعلم أعمال العباد إلى يوم القيامة ، هذه ما هي الضرورة لذلك ، هذه الأعمال أساساً لا يوافق عليها العقل أما بينكم وبين
الله في مساق الشهادة على الأعمال في هذا السياق . أنظر إلى الرواية فهل هذا العلم ضروري أو ليس بضروري ؟
فلا يمكن لأحد أن يقول : إن هذا العلم ليس علماً ضرورياً ، رواية أخرى عن الإمام الباقر «إذا دخل أحدكم على الإمام
فلينظر ما يتكلم به فإن الإمام يسمع الكلام في بطن أمه» عندما تقف أمام الإمام الرضا وتقول له تسمع الكلام وتورد الجواب :
لا تستغوب هذا المعنى ؛ لأن الإمام يقول يسمع وهو في بطن أمه «فإذا هي وضعت سطع له نور ساطع إلى السماء إلى أن
تقول الرواية فإذا هو تكلم رفع الله له عموداً يشرف به على أهل الأرض يعلم به أعمالهم» . الآن هذا النور وهذا العمود من
النور افتوضه عمود من النور الملكوتي واقعاً أنا أتصور بحمد الله تعالى العلوم الحديثة أعانتنا كثيراً على فهم هذه المسائل ،
الآن شخص يجلس في بيته من خلال هذه الأجهزة الكمبيوترية وواجم الانترنت يستطيع أن يقف على كل شيء لعله يوجد
انترنت ولكن مرتبط بعالم الملكوت لا بعالم الملك ، النبي أو الإمام (عليه السلام) يوجد عندهما ذلك العلم الخاص الذي
يستطيع أن يقف به على أعمال كل واحد منا وهو في بيته موحى عليه سوره .

خاتمة البحث

إلى هنا تكلمنا عن هذه القضايا وهو أن القوان الكريم كما بين أن لكل أمة شأها من تلك الأمة على أعمال تلك الأمة ،
وفي زماننا الشاهد على أعمال أمته هو الإمام الثاني عشر عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولكن القوان الكريم بالإضافة إلى هذه
الحقيقة أشار إلى حقيقة أعظم من جميع هذه الحقائق وهي أنه بين أن

الصفحة 317

جميع الشهداء يوم القيامة وكل شاهد هو شاهد على أمته يوم القيامة ، وكل أمة تدعى بإمامها وبنبيها ، ولكن ذكر القوان
أن فوق هؤلاء الشهداء جميعاً شاهد يشهد على هؤلاء ، لذا قال تعالى في القوان الكريم في هذه الآية المبركة قال : ﴿يَوْمَ

نَبِئْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا⁽¹⁾ الضمير هؤلاء يعود على الأمة .

فالحديث ليس عن الأمة وإنما الحديث عن كل شهيد على الأمم ، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ، وعندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد أنه يؤكد هذه الحقيقة قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ لُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ﴾⁽²⁾ هؤلاء الذي أرسل إليهم ، وهم الناس نسألهم ولا بد أن يجيبوا ويثبوا الإجابة من خلال الأَشهاد ، أما بعد ﴿ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، هؤلاء المرسلين عندما يسألون من يشهد على صحّة ما يقولون ، عندما النبي يقول أنا أديت ما على يحتاج إلى شاهد يشهد على صدقه ، فهذا أوأ هذه الرواية المبركة في تفسير الوهان عن علي بن أبي طالب في صفة يوم القيامة قال : «يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً»⁽³⁾ ، محل الشاهد فتقام الوسل فتسأل ، وهذه إشارة قوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ لُرْسَلِ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾⁽⁴⁾ ، فذلك قوله لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾⁽⁵⁾ ، وهو الشهيد على الشهداء ، والشهداء هم الوسل - عليهم أفضل الصلاة والسلام

إذن هذه أيضاً من المقامات الخاصة للخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس فقط شاهداً على أمته بل هو الشاهد على الشهداء جميعاً ، لذا ذكر جملة من

- 1- النحل : ٨٩ .
- 2- الأعراف : ٦ .
- 3- تفسير البرهان ٢ : ٢٢٧ .
- 4- الأعراف : ٦ .
- 5- النساء : ٤١ .

الصفحة 318

أهل المعرفة ومن أهل التحقيق أنّ واحدة من أهم معاني الخاتمية هذا المعنى ، وهو أنه الخاتم على صحيفة أعمال الأنبياء يوم القيامة فهو خاتم : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾⁽¹⁾ يعني الذي يختم على صحيفة الأنبياء يوم القيامة .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من التابعين لهم أفضل الصلاة والسلام وأن يعوق بيننا وبينهم وأن لا يفوق بيننا وبينهم طرفة عين أبداً في الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

1- الأحزاب : ٤٠ .

الصفحة 319

الأسئلة والأجوبة

سؤال : كما أشرت إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه شاهد يستوثم أن يكون مطلعاً على كل ظواهر الناس

وبواطنهم ولكن لريد أن أستفيد منكم مسألة الآية القوانية التي تتحدث في قول تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ (1) . والروايات الواردة بهذا الشأن تبين أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان لا يعلم بموجب هذه الآية فإذا كان الرسول شاهداً على الأمة وعلى الأنبياء يستثوم من الشاهد أن يعرف بواطن كل الصحابة فكيف كان الرسول لا يعرف بنص الآية باطن بعض الصحابة ؟

الجواب : في الواقع بأنه في مقام الجواب على سؤال الأخ طبعاً هذا السؤال وإن كان سؤال جزئي ولكن له ما يشابهه الكثير في القرآن وليس من طبعي الجواب على القضايا الجزئية والقضايا التفصيلية ولكني أعطي الضابطة الكلية وأنت عليك التطبيق من حيث النقص أنا أستطيع مباشرة أن أنقض عليك بروايات أخرى تذكر أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعلم ، تقول الرواية : إن رسول الله وقف على المنبر فقال : «أتعلمون ماذا في يدي هذه» ؟ قالوا : لا .

قال : «أسماء من يدخل الجنة هم وأبنؤهم إلى قيام الساعة» .

أتعلمون ما في يسري هذه ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : «أسماء من يدخل النار هم وأبنؤهم إلى يوم القيامة» (2) .

إذن هذه تقف أمام تلك إذن على مستوى البحث الروائي ما يمكن أن

1- التوبة : ١٠١ .
2- انظر بحار الأنوار ٥ : ١٥٨ حديث ١٣ .

نبتع الروايات ونأخذ بهذه الرواية ونترك الروايات الأخرى . والمنهج الصحيح قرانياً وروائياً أن يؤخذ القرآن بكلمه أن تؤخذ الروايات بكلمها ثم نخرج بنتيجة .

نحن إذا استطعنا أن نثبت لك قرانياً أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شاهد على أعمال الأنبياء فضلاً على أعمال أمتة فإذا وجدت رواية على خلاف ذلك فلرمي بها عرض الجدار .

نحن عندنا ضابطة في الرواية أن الروايات لا بد أن تعرض على كتاب الله فإن كان عليه شاهد أو شاهدان فنحن الذي قلناه أما إذا لم يكن فهو زخرف لم نقله إلى غير ذلك من الأخبار وعندما أقول كلامنا يعرض على كتاب ربنا لا يذهب ذهنك أنه تعرضه على آية في القرآن لأن آية في القرآن ليس كلام ربنا هذه آية من كلام ربنا عندما تقول الروايات أعضوا كلامنا على كتاب ربنا يعني على كل القرآن الكريم إذن ليس من حق أحد بمجرد فتح القرآن يقرأ آيتين يقول الآية تقول هذه النتيجة لا ، ليس الأمر كذلك خصوصاً وأنت تعلم أن في القرآن الكريم بالإضافة إلى الاطلاق والتقيد والمبين والمجمل والعام والخاص و

.. يوجد في القرآن الكريم : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (1)

إذن لا بدّ للإنسان أن تكون له القدرة على تمييز المحكم من المتشابه وبعد ذلك يقول : يقول القآن الكريم هذا المعنى أما يأخذ آية من القآن الكريم يقول صريح القآن يقول : ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا** ﴾⁽²⁾ صريح القآن الكريم وبين الله هذه الآية وليس في الآية غموض ، بل واضحة في مجيء الله تعالى ، ولكن هذا ليس كلّ القآن الكريم ، القآن هذا فهناك وقوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ** ﴾

1- آل عمران : ٧ .
2- الفجر : ٢٢ .

الصفحة 321

﴿ **كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾⁽¹⁾ ، وقوله : ﴿ **لَا تتركه الأَبْصَارَ** ﴾⁽²⁾ .

إذن لا يجوز لك أن تأخذ بعض القآن وتترك البعض ، أو بعض الروايات وتترك البعض الآخر إذا اتضح لك ذلك فالقآن الكريم ما من مورد من المورد رُاد أن يثبت شيئاً لخلقه سواء كان على مستوى التدبير أو على أي مستوى من المستويات ، أولاً نفى عن خلقه ذلك وبعد ذلك أثبتته لخلقه بإذنه ، ولو كان الوقت يسع لاستعرضت لك عشرات الآيات القآنية ، لاحظ القآن الكريم من جهة يقول : ﴿ **اللَّهُ يُتَوَفَى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾⁽³⁾ ولكن من جهة أخرى يقول : ﴿ **قُلْ يُتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ** ﴾⁽⁴⁾ ، من جهة القآن الكريم يقول : ﴿ **قُلْ إِنْ الْحَكَمَ إِلَّا لِلَّهِ** ﴾⁽⁵⁾ ، من جهة أخرى يقول : ﴿ **وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾⁽⁶⁾ .

إذن الحاكم واحد أو متعدّد ؟

من جهة يقول أنّ الله : ﴿ **هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتِينِ** ﴾⁽⁷⁾ ، وأنتم قأتم في العربية هو (ذو القوة المتين) الألف واللام في الخبر تفيد الحصر ، ولكن من جهة أخرى يقول : ﴿ **وَهُوَ خَيْرَ الرَّزَاقِينَ** ﴾⁽⁸⁾ يقول : ﴿ **فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ** ﴾⁽⁹⁾ ، والألف واللام في الخبر تفيد الحصر ، ولكن من جهة أخرى يقول : ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ﴾⁽¹⁰⁾ .

1- الشورى : ١١ .
2- الأنعام : ١٠٣ .
3- الزمر : ٤٢ .
4- السجدة : ١١ .
5- الأنعام : ٥٧ .
6- هود : ٤٥ .
7- الذاريات : ٥٧ .
8- المؤمنون : ٧٢ .
9- الشورى : ٩ .
10- المائدة : ٥٥ .

الصفحة 322

إذن القآن إذا قال لنبيّه لا تنوي ﴿ **مَا الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانَ** ﴾⁽¹⁾ . من يريد أن يقول أنت لو كنت ونفسك أساساً تعرف شيئاً

أو لا تعرف شيئاً أنت لك قيمة أو لا قيمة لك ؟

لا قيمة لك أما عندما يضاف هذا الموجود إلى الله سبحانه وتعالى فهو مالك لكل شيء ، يعني إذا نظرت إلى نفسك منقطع عن الله فأنت عين الفناء ، وعين الفقر وعين الجهل ، أما إذا صار هناك ارتباط بالله فأنت عين الغنى وعين العلم وعين الهداية . . . فهذه الآية أيضاً تصبّ في هذا المضمون العام .

سؤال : طرحتم مصطلح الشهادة ومصطلح العمل وربطتوهما بالرؤية ، فالشهادة على العمل ، ولكن ما هو تعريف الشهادة ؟ فعندما ترتبط الشهادة بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن فرقوا الحياة نفهم منها أنّها شهادة معنوية ، ولكن عندما ترتبط بالإمام الثاني عشر نفهم أنّها شهادة مادية أي أنّها رؤية مادية وعندما نقول بأنّها رؤية مادية يقودنا ذلك إلى تعريف العمل فأى عمل هو الذي يشهد عليه النبى أو يشهد عليه الإمام الثاني عشر ؟

هل أي عمل ؟ هل هي أية حركة ؟ وهل العمل الذي يشهد عليه مرتبط بزمان معين ؟ فنحن نعرف أنّ حياتنا مرتبطة بزمان فأى حركة لا بدّ أن تستمرّ في زمن فبالتالي تخلص إلى أن هناك زمن لا متناهي وكبير جداً يجب أن يشهد عليه الإمام الموجود سواء الإمام الثاني عشر الذي نعتقد أنه موجود الآن وبالتالي لا يكون هنالك وقت نستطيع أن نعيش فيه إلا أن يكون عمله الدائم هو رؤية هذه الأعمال اللامتناهية من البشر التي تقدّر بمليارات الناس فأعتقد أنّ العمل والشهادة شيء معنوي وليس شيئاً مادياً يمكن أن تقوبه إلينا وتستخدم عبارات الرؤية والشهادة في القوان الكويم لتصف بها أنّها مادية ؛ لأنّ المادية في هذا الشأن أنا أعتقد أنّها ممكنة جداً .

1- الشورى : ٥٢ .

الصفحة 323

النقطة الثانية القوان الكويم أيضاً ركّز على بشوية النبى وبشوية الوصل فهل البشوية بمعنى أن البشوية تحمل أيضاً نفس المكونات المعنوية والمكونات النفسية وبمكونات جسدية هذا في معوض سؤالي لماذا الناس كانوا يحتجّون على الوصل على الله أو عن طريق الوصل لماذا لا ترسل لنا ملائكة ؟ لأنّ الناس كانوا يعتقدون أنّ الملائكة هم أقدر معنويّاً وأقدر روحياً وأقدر مادياً على التعامل مع الناس ولكن الله أرسل لهم بشر فهل البشوية بحدّ ذاتها تتناقض مع ما تقول به أنّه شهادة على كل أعمال البشر وشهادة على كلّ ما يقوله البشر ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، في الواقع أتصور أنّه جملة من هذه التسؤلات اندفعت من خلال حديثي المتقدّم والحديث ، كان منصباً على أنّه الرؤية التي أشار إليها القوان الكويم ليست رؤية مادية وانما هي رؤية معنوية ورؤية ملكوتية وقلنا في أول الحديث حيث إننا ميّزنا بين عالم الملك وعالم الملكوت وبين عالم الغيب وعالم الشهادة أو بين عالم المادة وعالم المعنى أتصورّ لكان الأمر بالنسبة إليه واضحاً في الواقع لو أردنا أن نفهم هذه الحقائق جميعاً من خلال البعد المادي الزماني المكاني فلا يمكن فهمها إذ كيف يمكن لإمام يريد أن يفهم القضايا بنحو مادي كما أنا وأنت إذا أردنا أن نفهم شيئاً يفهم أعمال العباد مليارات أعمال العباد في آن واحد أو في ساعة واحدة هذه بحسب المولدين المادية والزمانية والمكانية غير معقول .

وأنا أقرب به إلى ذهن السائل هذا المعنى نفس هذا الإنسان يوم القيامة عندما يعطى كتابه بيده مباشرة بمجرد أن يعطى كتابه بيده إذا أراد أن يفهم هذا الكتاب كتاب أعماله يعني ماذا؟ يعني أعمال سبعين سنة من عمره أعمال ثمانين سنة من عمره أعمال مائة سنة من عمره بكلّ صغوة وكبوة وحركة وسكنة وظاهر وباطن ونية و... و... و... كلها لعله إذا أراد أن يكتب لها إذا أردنا أن نكتب كلّ هذه الأعمال في كتاب لعله بلغت الآلاف من الصفحات كيف أن الإنسان بمجرد أن

الصفحة 324

يعطى هذا الكتاب بيده يقول: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغْوَةً وَلَا كِبْرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾⁽¹⁾. واقعاً كيف استطاع في آن

واحد يقرأ هذا الكتاب ويتأكد من صحته إذن تبين أن هناك قوانين أخرى، نشأت أخرى، عوالم أخرى، لها قوانينها الخاصة بها، إذن لم يكن مدعاي بأنه النبي أو الإمام عندما يعلم وعندما يرى المراد من هذا العلم هو العلم المادي، والمراد من

الرؤية هي الرؤية المادية، وإنما المراد هي الرؤية ما فوق المادية هي الرؤية التي يعبر عنها القرآن الكريم: ﴿لَا تَعْمَى

الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾⁽²⁾.

إذن يظهر من هنا أن الآية تبين أنه كما يوجد بصر ظاهري يوجد بصر باطني يرتبط بقلب الإنسان: ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ

وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ حتى أقرب هذا المطلب إلى ذهن الأخ السائل أكثر أنا أسأله هذا السؤال فليتأمل فيه

جيداً وهو أنه شخص ينام لمدة ربع ساعة ثم يجلس من النوم فحاً يقول رأيت في الرؤيا في هذه الليلة هو لم ينام إلا ربع

ساعة فليكن ساعة فليكن خمس ساعات يقول في هذا الليلة رأيت رؤيا عجيبة. ماذا رأيت؟ يقول رأيت رؤيا رأيت نفسي

سافرت إلى الحج وبقيت هناك مدة كذا ثم ذهبت إلى المدينة وزرت قبر النبي الأكرم ثم رجعت منه إلى هناك فلو نحسب مدة

الذهاب والإياب والبقاء هناك لبلغ بحسب الزمان العادي أياماً أو على الأقل يحتاج إلى يومين ثلاث هذا الأخ كيف في النوم

استطاع وهو خمس ساعات لم ينام إلا خمس ساعات يذهب ووجع كيف هذا؟ يقينا تجيبني على ذلك تقول سيدنا ما حدث في

النوم لم يكن على أساس قوانين مادية زمانية ومكانية وإنما كان على أساس قوانين أخرى خرج الزمان والمكان نحن عندما

نعتقد بأن النبي والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام يقومون بهذا الدور لا ندعي ذلك أنه على أساس

1- الكهف : ٤٩ .

2- الحج : ٤٦ .

الصفحة 325

مادي زمني ونحو ذلك ولا طبعاً، والقرآن الكريم يثبت هذه الحقيقة بنحو واضح في سورة النمل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ

مِنَ الْكِتَابِ إِنَّا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ﴾⁽¹⁾ وجملة من المفسرين قالوا: قبل أن يرتد إليك طرفك يعني الزمن .

إذن هناك قوانين أخرى هذا ولا .

وثانياً: فيما يرتبط بما سأله أنه الحجة حتى وأن الرسول الأعظم ميت ففي الواقع من المسائل المحققة في الأبحاث الفلسفية

والكلامية أنّ الموت ليس عدماً ، والموت ليس فناء ، كما يتصور الإنسان العرفي ، يتصور أن الموت عدم ، فناء لا شيء ، مع أنّ القوّان الكريم لا يعدّ الموت عدماً لا يعدّ الموت فناء ، وبتعبير الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) : «إنّما تنتقلون من دار إلى دار» (2) . ونحو انتقال من نشأة أضعف إلى نشأة أقوى ، ومع الأسف أنّ الوقت لا يسع أن أوضح للسائل لماذا أقول أنّه ينتقل من نشأة أضعف إلى نشأة أقوى يعني هنا إذا كان الزمان والمكان يمنعه من الرؤية والسمع ونحو ذلك فإنّه ينتقل إلى نشأة أخرى فلا يمنعه الزمان ولا المكان يمنعه ، يستطيع أن يتجاوز المكان في تلك النشأة التي يذهب إليها وهي نشأة البرزخ ، وإذا انتقل إلى الحشر الأكبر فالنشأة أشدّ بكثير من نشأة البرزخ على هذا الأساس بني السؤال الثاني .

إذن عندما نقول : إنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) مات كأنّ السائل يفترض مات يعني عدم ، يعني صار عدماً ، مع أنّه ليس الأمر كذلك ، بل باعتقادنا أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انفتح على عوامل أقوى وأشدّ وأوسع مما كان في هذه النشأة هذا السؤال الثاني .

السؤال الثالث : المتعلّق ببشرية الأنبياء فلا تعني بشورية الأنبياء أنّه لا يوجد فيهم بعد ما وراء البشرية والإلّا الأخ السائل

كيف يفهم قوله تعالى : ﴿نزل﴾

- 1- النمل : ٤٠ .
2- انظر بحار الأنوار ٣٧ : ١٤٦ حديث ٣٦ .

الصفحة 326

به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنزولين ﴿1﴾ يفهم نزول الوحي على أساس مادي أو غير مادي ؟ لا إشكال أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له بعدان كما في أيّ إنسان بعد مادي وهو البشرية يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق ، وبعد ما وراء المادة الذي به ارتباط بعالم الغيب وبعالم الملكوت ، وعلى هذا الأساس عندما نقول ببشرية الأنبياء ليس مقصودنا أنّهم إذن هم مادة ليس إلّا ، وإنّما هوادنا أوسع من ذلك .

أمّا لماذا أنّ الله لم يجعل الملائكة قنوة وأنبياء ؟

الجواب : باعتبار أنّه لا توجد بيننا وبين الملائكة جهة اشتراك ، الله أراد أن يبيّن للبشر أنّ البشر بما هو بشر يستطيع أن يصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى وإلّا لو ملكاً وصل إلى قاب قوسين أو أدنى ثم قيل لإنسان اتبعه اجعله قنوة لقال ذلك ملك وأنا إنسان أمّا إذا إنسان استطاع أن يرقى إلى ذلك المقام عند ذلك يمكن أن يكون قنوة صالحة .

سؤال : حول قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْأَعْوَابِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيمًا هُمْ﴾ (2) نقول أليس ممكن أن يكون لكل إنسان مؤمن

أو مسلم سيماء تموّه عن الآخر مثلاً كقوله تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (3) أو ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ﴾

﴿بَسِيمَاهُمْ﴾ (4) أو ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ (5) أفلا يمكن أن يكون لكل إنسان سيماء تموّه كمؤمن عن المشوك .

الجواب : هذا ممكن ولكن القوّان الكريم عندما يبيّن لنا هذه الحقيقة ولا يبيّن لنا بأنه هذا مختص بطبقة خاصة لا للجميع ،

- 1- الشعراء : ١٩٣ و ١٩٤ .
- 2- الأعراف : ٤٦ .
- 3- الفتح : ٣٩ .
- 4- الرحمن : ٤١ .
- 5- القلم : ١٦ .

رجال ﴿ (1) يعني هل أن جميع الناس على الأعواف أو أن طبقة معينة على الأعواف ؟

هذه الآية عندما تقول : ﴿ وَعَلَى الْأَعْوَابِ رِجَالٌ ﴾ فيها عدة خصوصيات فيها ولا أن هؤلاء ليسوا من الملائكة وليسوا من الجن وأنهم رجال ما معنى رجال ؟

القآن الكريم عندما يستعمل رجال يريد منهم أنهم أصحاب قدر وشأن : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (2) وآيات من هذا القبيل ، يعني يبين أن هؤلاء لهم مزية يختلفون بها عن غورهم . ما هي تلك الميزة التي توجد في هؤلاء تمترهم عن غورهم ؟ إذا كانوا من عدول المؤمنين فهذه موجودة عند الجميع فلماذا امتاز هؤلاء عن غورهم ؟

إن لا بد أن توجد في هؤلاء الذين ﴿ هم رجال على الأعواف ﴾ خصوصية ، وهذه الخصوصية لا توجد في أهل المحشر فإذا قلنا أن هذه الخصوصية الموجودة في هؤلاء موجودة في غورهم من أهل المحشر فلماذا يكون هؤلاء على الأعواف وهم يميرون الناس بين هذا وبين ذلك ؟

إن بالضرورة لا بد إنك تفترض من الناحية العقلية أن هذه الطبقة من الناس لهم خصوصية بها امتازوا عن غورهم فاستحقوا أن يكونوا على الأعواف ، بل يميرون هؤلاء عن هؤلاء .

سؤال : سيدنا تفضلتم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو يشهد على باقي الأنبياء . والأنبياء هم معصومون ، ولا يحتاجون إلى من يشهد على أعمالهم ، وأيضاً من هذا يستلزم أن يكون النبي محمد (صلى الله عليه وآله) موجوداً في زمن النبي آدم (عليه السلام) كي يشهد على أعماله

- 1- الأعراف : ٤٦ .
- 2- النور : ٣٧ .

وموجود إلى نهاية الدنيا ، كما تفضلتم أن الموت ليس العدم أو الفناء أما وجوده من خلق نبي آدم كيف يكون ذلك وأيضاً كيف هذا ينافي العصمة أن يشهد على الأنبياء والأنبياء هم معصومون ؟

الجواب : فإن هناك سؤالان لديك ؛ السؤال الأول بأنه هؤلاء معصومون والمعصوم لا يحتاج إلى من يشهد على عمله ؟

الجواب : نعم لا يحتاج ولكنه أساساً القوان الكريم يبين لنا بأن المعصومين ليست لهم درجة واحدة وانما المعصومون لهم درجات متعدّدة ، والقوان الكريم يبين لنا بأن الأنبياء جميعاً والمعصومين جميعاً ليست لهم درجة واحدة وانما لهم درجات متعدّدة يكفي أن نقول هذه الآيات من سورة الكهف قال تعالى - الحديث عن موسى سلام الله عليه وتعلمون أن موسى نبي من أولي الغم ، يعني أحد الأنبياء الخمسة الذي فضلوا على جميع الأنبياء - انظر ماذا يقول القوان الكريم بالنسبة إلى نبي من أولي الغم قال فوجداه يعني موسى وذلك العبد الذي كان معه ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلما من

لداً علماً ﴾ (1) تبيّن أنّ عبد خاص ؛ لأنّ القوان يعبر عنه بأننا نحن قد أعطيناها علماً خاصاً إلى هذا ﴿ وعلما من لداً علماً ﴾

اي كان للعبد علم خاص ماذا يقول له موسى الذي هو نبي زمانه : ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت

﴿ ﴾ (2) رُشداً

سؤال يطرح ؟ هل النبي موسى كان على الرشد أو لم يكن ؟ فإذا كان على الرشد لماذا يطلب أن يتعلم رُشداً ؟ إذن تبيّن أن درجة الرشد هل هي واحدة أم متعدّدة .

1- الكهف : ٦٥ .
2- الكهف : ٦٦ .

الصفحة 329

أوضح من ذلك : ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صورا ﴾ (1) أساساً أنت في مقام وأنا في مقام آخر ، وأنا عندي مسألة وأنت

عندك مسألة أخرى : ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً ﴾ (2) ففي هذه الآية عبد من عباد الله يقول لنبي من أنبياء الله :

﴿ ما لم تحط به خيراً ﴾ أما في سورة النمل الهدد يقول لسليمان : ﴿ لم تحط به ﴾ (3) هدهد يقول لنبي لم تحط به ، بل أكثر

من ذلك في سورة النمل نملة تقول لسليمان : ﴿ لا يشعرون ﴾ (4) هذه كلّها آيات قرآنية ، إذن أنت عندما تسمع هؤلاء

معصومون لا يذهب ذهنك مباشرة أنّ هؤلاء كلّهم في درجة واحدة وإلا لو كانوا جميعاً في درجة واحدة ما كان يحتاج إواهم

الذي هو شيخ التوحيد شيخ الأنبياء وفي القوان يقول : ﴿ وألحقتي بالصالحين ﴾ (5) فمن هم الصالحون الذي يريد إواهم أن

يلحقه الله بهم ؟ القوان الكريم لم يقل في القوان للنبي الأكرم ولا في مورد واحد أنّه طلب للقوق بالصالحين أبداً . نعم ، قال

: ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ (6) الله ولي النبي الأكرم ولكن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله

وسلم) لا يقول ألحقتي بالصالحين أما إواهم يقول ألحقتي .

إذن العصمة لا تتنافى أن يكون بعض فوق بعض وبعض شاهد على بعض .

السؤال الثاني الذي تفضلتم به وهو أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان متأخراً وجوداً فكيف يمكن أن يكون شاهداً

على المتقدم ؟

الجواب : الحقّ معك ولكن من قال لك أنّ النبي كان متأخراً في وجوده ! نعم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجوده

المادّي البشري كان متأخراً أما في وجوده الملوكوتي

- 1- الكهف : ٦٧ .
- 2- الكهف : ٦٨ .
- 3- النمل : ٢٢ .
- 4- النمل : ١٨ .
- 5- الشعراء : ٨٣ .
- 6- الأعراف : ١٩٦ .

الصفحة 330

فهو متقدّم ليس فقط على الأنبياء فحسب بل متقدّم على جميع الخلائق ، رواية واحدة أنقلها عن جابر بن عبد الله الأنصلي

يقول : سألته النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت يا رسول الله أول شيء خلق ما هو ؟

قال : «نور نبيّك يا جابر ، خلقه الله ثمّ خلق منه كلُّ خير» (1) .

أسئلة ثلاثة وردت ، السؤال الأول : أين كان العذاب ؟

الجواب : هناك بحث مهم طرحه علماؤنا في علم الكلام وهو أنّ الجنة والنار هل هما مخلوقتان بالفعل أو أنّهما ستخلفان

بعد انتهاء الدنيا أيّ منهما الصحيح ؟ تروياً المشهور بين علماء الإمامية أنّ الجنة والنار مخلوقتان بالفعل الآن ، وأنّ الإنسان

المنعم منعم الآن ، وأنّ المعذب معذب الآن ، لذا يقول الشيخ الصدوق في كتابه : ومن عقيدتنا أنّ الجنة والنار مخلوقتان (2)

بالفعل الآن ، وهناك رواية أيضاً عن الإمام الرضا عليه السلام تدلّ على أنّ من لم يؤمن أنّهما مخلوقتان فليس منا (3) إذن

كانت مخلوقة أنا لماذا لا ألتفت لماذا لا أفهم لماذا ؟ ذلك حديث آخر فقط المهم لريد أبيّن بأنّ الجنة والنار الآن موجودتان وأنّ

المؤمن منعم فيها وأنّ الكافر الآن معذب فيها (4) عندنا روايات صريحة في هذا والآيات القوانية من قبيل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ

جَهَنَّمَ لَمَحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ﴾ (5) . أنتم تعرفون بأنّ اللام في الخبر تفيد التأكيد ، ومحيط اسم فاعل ، وقأتم في علم النحو وفي

علم الأصول أنّ اسم الفاعل من المشتقات ، والمشتق إذا استعمل استعماله في ما سيأتي مجاز ، يعني إذا كانت النار غير

مخلوقة الآن ، إذا قيل محيطة ، هذا الاستعمال يكون استعمالاً مجزئياً ؛ لأنّ النار الآن محيطة أو ستحيط بعد ذلك ؟

1- بحار الأنوار : ١٥ : ٢٤ حديث ٤٣ .

2- الاعتقادات : ٧٩ .

3- عيون أخبار الإمام الرضا (عليه السلام) : ١ : ١٠٥ حديث ٣ باب ١١ .

4- التوحيد : ١١٨ .

5- التوبة : ٤٩ .

الصفحة 331



صريح الآية أنّ النار الآن محيطة بالكافرين ، ولا معنى بأن نقول إنّ النار تخلق بعد ذلك لأنّ الآية تقول : ﴿وَأِنْ جَهَنَّمَ

لَمَحِيطةً بِالْكَافِرِينَ﴾ (1) . وعندما زاجع الروايات الواردة في هذا المجال أيضاً نجد بنحو واضح هذا المعنى ، الرواية عن

الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي رأسه مصوّماً لونه إلى أن قال له رسول الله : كيف أصبحت يا فلان ؟

قال : أصبحت يا رسول موقناً . فعجب رسول الله من قوله وقال : إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟

فقال : إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحرزني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعرفت نفسي عن الدنيا وما فيها . يقول كأنّي

أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق ، وأنا فيهم ، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة

ويتعرفون وعلى الأرائك متكئون ، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطوخون ، وكأنّي الآن أسمع زفير النار

يدور في مسامعي .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه : هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان . يعني ما يقوله حقّ فأذن استطاع

الإنسان أن يصل إلى مقام أن يتنور بالإيمان ثمّ قال له : اؤم ما أنت عليه (2) ، وهذا صريح القوّان الكريم : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ (3) . صريح القوّان الكريم لو استطعت أن تحصل على علم اليقين لأيت الجحيم الآن .

لا يقول قائل : هذا مرتبط بيوم القيامة .

الجواب : إنّ يوم القيامة لا يحتاج أحد أن يحصل على علم اليقين ، الكلّ

1- التوبة : ٤٩ .

2- الكافي ٢ : ٥٣ حديث ٢ .

3- التكاثر : ٥-٦ .

يروون الجحيم هناك تقول الآية : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ .

إذن الجواب : العذاب كان في النار البرزخية ؛ لأنّ البرزخ والحشر والجنة والنار الآن مخلوقة ، ورسول الله صلى الله

عليه وآله في ليلة الإسراء والمواج انتقل إلى ذلك العالم ورأى ما رأى وجاءنا بتلك الأخبار .

السؤال الثاني : يقول ما الذي يُعذب من الإنسان ؟

الجواب : الذي يُعذب من الإنسان هذا البدن الذي يعبر عنه القوّان الكريم : ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا

لِيُنْفِقُوا الْعَذَابَ﴾ (1) .

صريح القوّان أنّ هذا البدن يعذب ، ولكن المتعذب ولا هو النفس ، والبدن وسيلة لتعذيب النفس ، التعذب أو التألم أو الألم

إنّما هو للنفس ولكن بواسطة هذا البدن بدليل أنّ النفس لو خرجت من البدن لا يتألم البدن . إذن الجواب الذي يتعذب من

الإنسان هو بدنه في تلك النشأة ، أما الرواية التي نقلها قال والعقل أيضاً شاهد بالإضافة إلى النبي وأهل البيت (عليهم السلام) نعم ، نحن ذكرنا في أول البحث قلنا بأنّ الأَشهاد يوم القيامة لا يقتصر أمرهم على ما ذكرناهم هناك أشهاد متعدّدون يوم القيامة ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾⁽²⁾ فلهذا الإنسان نفسه يعلم ما هو الصحيح ويعلم ما هو الخطأ ويوم القيامة إذا قرى الإنسان الأخرى من شهوية وغضبية ونحو ذلك أدّت به إلى أن يخالف العقل ، العقل يوم القيامة يشهد على الإنسان ولا منافاة كما يقولون بين أن يكون العقل شاهد وبين أن يكون الأشياء الأخرى شاهدة كما يقولون في علم الأصول هذه مثبتات والمثبتات لا تنافي بينهما .

السؤال الثالث : كيف يتغيّر القضاء والقدر عن طريق الدعاء ؟

الجواب : الأخ لو يفهم القضاء والقدر ما هو معناه يستطيع أن يفهم ما هو

1- النساء : ٦٥ .

2- الشمس : ٨ .

دور الدعاء في تغيير القضاء والقدر .

وهذا البحث مرتبط بأبحاث متعدّدة ومتابطة . وإن كان السؤال خراج المحور ولكن بنحو الإجمال أشير إليه ؛ لأنّ هذا البحث مرتبط بالبداة من جهة ، ومربط بالدعاء من جهة ، ومربط بحرية الإنسان واختياره من جهة ، والقضاء والقدر يعني أنّه كيف يمكن أن تؤمن بالقضاء والقدر ومن جهة أخرى تؤمن من أنّ الدعاء يغيّر القضاء وتؤمن أن الإنسان مختار إذا كان كلّ شيء بقضاء الله تعالى وقدره فما هو دور الإنسان ؟

معنى القضاء والقدر أنّ الله سبحانه وتعالى في عالم الإمكان جعل هذه القوانين لا تختلف ولا تتخلف ولا تتبدل ، قال تعالى : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسَانَتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَانَتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾⁽¹⁾ يعني أنّ الله سبحانه وتعالى جعل نظاماً في هذا العالم : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سَوْءًا يَجْزُ بِهِ ﴾⁽²⁾ هذا قانون من القوانين الإلهية ومن القوانين أنّه أنت إذا احتجت إلى رفع العطش ماذا تفعل ؟ .

الله جعل قانوناً ، ما هو هذا القانون ؟

هذه المقدمات التي تقوم بها للوصول إلى نتيجة القدر الإلهي : ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾⁽³⁾ يعني جعلنا للوصول إلى كلّ هدف وكلّ غاية طويلاً وسبيلاً معيناً ، لا تستطيع أن تصل إلى ثمر التفتح من غير شجرة التفتح ، وطريقك للوصول إلى تحصيل ثمر التفتح أن تزرع بذرة التفتح لتحصل على ثمر التفتح أمّا لو زرعت بذرة الحنظل فتحصل على حنظل ، قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾⁽⁴⁾ فكلّ شيء في هذا العالم له طريقه الخاص ،

1- فاطر : ٤٣ .

2- النساء : ١٢٣ .

3- القمر : ٤٩ .

4- طه : ٥٠ .

وسبيله الخاص وهذه المقدمات للوصول إلى الهدف وإلى الغاية ، يعبر عنها بالقدر ، وتلك الغاية والهدف يعبر عنه ، بالقضاء فمن الناحية الفنيّة كما ذكرت أنا في «كتاب التوحيد» الجزء الثاني لا بدّ أن نقول القدر والقضاء لا القضاء والقدر إلا ببيان آخر .

إذن معنى القضاء والقدر أو بعبارة أدق معنى القدر والقضاء يعني قانون الأسباب والمسببات الذي يحكم عالم الإمكان . إذن اتضح ذلك فالآن يأتي سؤال وهو أنّ هذا القانون الذي وضعه الله في هذا العالم هل من أحواله الذي يغيره الدعاء أو ليس من أحواله ؟

الجواب : نعم ، الله تعالى كما جعل الماء وسيلة لرفع العطش في بعض المورّد كذلك جعل الدعاء وسيلة لتغيير القضاء والقدر .

إذن لا تنافي بين القدر والقضاء وبين الدعاء فإنّ الدعاء يمكن أن يغيّر القضاء والقدر أيضاً .

سؤال : عندنا سؤالان :

السؤال الأول : نحن نعلم أنّ عالم البرزخ يبدأ من بعد موت البدن وتكون الروح إلى قيام الساعة ، فقبل قيام الساعة هل هناك موت للروح ، وكيفية هذا الموت فهل تموت الروح ومن ثمّ تحضر مع البدن للحساب .

السؤال الثاني : القوان الكريم عندما يتحدّث عن الأنبياء يقول : ﴿وَأَنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾ ، وكذلك في آيات كثيرة أنّ الأنبياء جميعاً يقولون بإنّهم من المسلمين أو المسلمين ، ولكن عندما يأتي القوان لتعريف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ﴿وَأَنَا أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽²⁾

سؤال : لدي سؤال بخصوص الآية التي يخاطب بها الله عزّ وجلّ الرسول

1- الأنعام : ١٦٣ ، الأحقاف : ١٥ .
2- الأنعام : ١٦٣ .

الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾⁽¹⁾ ، فما هو المقصود بكلمة «ضالاً» في هذه الآية ؟

سؤال : هناك رأي يطرح بين فترة وأخرى وهو نكوان عالم الذرّ أو هناك رأي آخر في قوله تعالى : ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ

أَنفُسِهِمْ﴾⁽²⁾ أرجو توضيح هذا الأمر ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين فيما يرتبط بالانتقال من البرزخ إلى الحشر الأكبر في الواقع هذه العوالم الثلاثة يعني عالم الدنيا وعالم البرزخ وعالم الآخرة ، نحن عندما نرجع إلى الروايات الواردة عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) نجد أنّ الرسول يقول : الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا . يعني يقايس بين

نشأة الدنيا وبين نشأة البرزخ ، كالمقايسة بين حال النوم وحال اليقظة ، يعني فكما أنّ الإنسان في اليقظة له حال يختلف عن حاله في النوم كذلك النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يحاول أن يقوّب هاتين النشأتين ، نشأة الدنيا ونشأة البرزخ فيقول : «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»⁽³⁾ .

إذن على هذا الأساس يتضح لنا أنّ نشأة البرزخ أقوى وأوضح وأشمل من نشأة النوم . إذا أردت أن أقرب إلى ذهن السائل الكريم هذا المعنى فإنّ نسبة عالم الآخرة إلى عالم البرزخ كنسبة البرزخ إلى عالم الدنيا ، فكيف أنّه إذا انتقلنا إلى البرزخ نستيقظ من النوم كذلك إذا دخلنا إلى الحشر الأكبر نستيقظ من نوم آخر ، هذا تقريب إلى الذهن فقط ؛ لأنّ البحث طويل ومعقدّ أيضاً قد يشوش ذهن الإخوة .

الحشر الأكبر هي اليقظة الحقيقية والحياة الحقيقية : ﴿وإنّ الدار الآخرة﴾

- 1- الضحى : ٧ .
- 2- الأعراف : ١٧٢ .
- 3- عوالي اللئالي ٤ : ٧٣ حديث ٤٨ .

الصفحة 336

لهي الحوان⁽¹⁾ ، الحياة الحقيقية هناك أمّا الحياة البرزخية والحياة الدنيوية فإذا سميت حياة فتسمى حياة مجرّاً لا حياة حقيقة ، والحياة الحقيقية في النشأة الأخرى ، أمّا عندما نأتي إلى الدنيا فكأنّ الدنيا نوم في نوم ، لأنّ البرزخ نوم ، واليقظة هي الحشر الأكبر ، فمن في الدنيا كأنه نائم روى في نومه حلماً .

إذن هذه النشآت الثلاث يعني الدنيا والبرزخ والآخرة هذه درجات الحياة إذا أردنا أن نتكلّم بلغة رياضية وبلغة الأعداد فإذا كانت درجة شدة الحياة في الدنيا خمسة مثلاً فالبرزخ درجة خمسين ، والآخرة درجاتها مائة .

أما السؤال الثاني : وهو أنّه لماذا أنّ النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) سمّي أول المسلمين ؟
الجواب : إنّ القوان الكريم ذكر كلّ الأنبياء أنّهم من المسلمين ، يعني ذكر فوح (عليه السلام) من المسلمين وذكر إواهيم (عليه السلام) من المسلمين وذكر سليمان (عليه السلام) من المسلمين ، هؤلاء كلّهم من المسلمين ، ولكن في موضعين في القوان الكريم ذكر عن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿أول المسلمين﴾⁽²⁾ .

هنا سؤال مطروح وهو أنّه ما هو المراد في الأولية التي ثبتت للنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

هنا توجد احتمالات ثلاثة :

الأول : أنّ نقول المراد من أول المسلمين في أمته ، وإذا كان كذلك فكلّ الأنبياء أول المسلمين في أمتهم ، فإنّ موسى (عليه السلام) أيضاً أول المسلمين في أمته ، وعيسى (عليه السلام) أول المسلمين في أمته . وهذا الاحتمال لا يمكن قبوله .

الثاني : أنّ نقول إنّ المراد من أول المسلمين يعني أول من أسلم .

وهذا ليس تاماً ؛ لأنه قبله إراهيم وموسى (عليهما السلام) وكلُّ الأنبياء قال تعالى :

- 1- العنكبوت : ٦٤ .
- 2- الأنعام : ١٦٣ ، الزمر : ١٣ .

الصفحة 337

﴿ **وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ نَرَيْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً** ﴾⁽¹⁾ ، وَالنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ مِنْ نَرِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) حيث قال : «أنا دعوة إراهيم»⁽²⁾ .

وهذا الاحتمال الثاني أيضاً غير مقبول .

الثالث : وهو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يقول أنا أول المسلمين هذه الأوليّة غير مرتبطة بهذا العالم وانما مرتبطة بنشأة قبل هذه النشأة ، يعني مرتبطة بعالم الملكوت لا بعالم الدنيا ، وبتعبير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : «فنحن الأولون ونحن الآخرون»⁽³⁾ .

قيل له : يا أمير المؤمنين كيف أنتم أول وأنتم آخر ؟

قال : فنحن الأولون في الخلق أو خلق أولنا ، ونحن الآخرون في الظهور في عالمكم ، لأنه آخر من ظهر من الأنبياء والأوصياء ، نحن ، كنا في عالمكم ، فنحن الأولون في الخلق ، ونحن الآخرون في الظهور . إذن هذه الأوليّة التي نعتقدها للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أوليّة مرتبطة بالرتبة لا بالزمان والمكان ولا أي شيء آخر .

وبعبارة أخرى سئل أمير المؤمنين نفس هذا السؤال بأي شيء صار النبي الأكرم أول المسلمين ؟

قال : «أول من قال : بلى في قوله ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾»⁽⁴⁾ .

هناك في تلك النشأة التي قبل هذه النشأة عندما أشهدهم الله على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا : بلى . أول من قال بلى هو النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهو أول من أسلم ولكن في تلك النشأة لا في هذه النشأة .

- 1- البقرة : ١٢٨ .
- 2- بحار الأنوار : ٢٨ : ٦٣ .
- 3- خاتمة المستدرک ٢ : ٢٢٠ .
- 4- الخصال : ٣٠٨ .
- 5- الأعراف : ١٧٢ .

الصفحة 338

أما السؤال عن قوله تعالى : ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ** ﴾ ، يعني فوجدك متحوراً فهداك ، أما تفصيل أكثر من ذلك ففي وقت آخر .

أما الآية ١٧٢ من سورة الأعراف وهي التي يعبر عنها بآية الذر ، وهو تعبير من العلماء وإلا فالآية المبتركة ليس فيها

اسم ذر قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ نُرْيَتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾ .

والجواب : إنه يوجد قبل هذا العالم الذي نحن نعيش فيه والذي نعبر عنه بعالم نشأة الدنيا ، وعالم المادة عالم آخر نعبر عنه بالبرزخ التزولي في قبال العالم الذي سوف نذهب إليه بعد هذا العالم والذي نسميه بالبرزخ الصعودي ، يوجد عندنا برزخان

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (2) ، هذه إشارة إلى البرزخ الصعودي ، يعني من بعد هذا العالم سوف

نذهب إليه ، وهناك برزخ آخر ما بين عالم الغيب وعالم الدنيا قبل هذا العالم التي عوّت عنه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي

آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ نُرْيَتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ (3) . يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : في

مثل هذا الموقف ثبتت الفطرة عليها لا تتبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ونسي الناس الموقف . لا يعلمون من أين جاءتهم ؟ فطرة التوحيد .

جاءتهم من ذلك الموقف الذي أشهدهم الله فيه على أنفسهم بالتوحيد ، ولكنهم نسوا الموقف لذا يقول جملة من المفسرين : إن

وظيفة الأنبياء ليست هي التعليم حقيقة وإنما وظيفة الأنبياء هي التذكير : ﴿ وَذَكَرْنَا لِنُذَكِّرَ قَبْلَ الدُّكُورِ ﴾ .

1- الأعراف : ١٧٢ .

2- المؤمنون : ١٠٠ .

3- الأعراف : ١٧٢ .

تَتَفَعَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (1) .

التذكير يكون في قبال شيء منسي ؛ لأنه إذا كان الشيء غير معلوم لا يقال له ذكوره وإنما يقال له علمه .

الآيات القوانية تقول للنبي الأكرم : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾ (2) ، مذكر بماذا ؟ لابد أنه شيء ثبت والآن يحتاج إلى تذكير .

إذن من لم ينكوه يلتفت إلى معنى الآية المبكرة وإلا هي من الحقائق القوانية وأن هناك نشأة قبل هذا النشأة ويعبر عنها

بعالم الذر باعتبار أن الروايات ورد فيها هذا التعبير حيث سئل الإمام كيف أخذ الله تعالى من بني آدم من ظهورهم نريتهم ؟

قال الإمام : كالذر فسُمِّي ذلك العالم بعالم الذر (3) .

ولكن في علم الإخرة أن ذلك العالم ليس من أجزاء هذه النشأة وإنما هو من أجزاء نشأة أخرى قبل هذا العالم لا بعد هذا

العالم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

1- الذاريات : ٥٥ .

2- الغاشية : ٢١ .

3- انظر : بحار الأنوار ٣ : ٢٧٩ حديث ١١ و ٢٦ : ٢٨٠ حديث ٢٢ و ٢٩٤ حديث ٥٤ .

(٧٢) دور فاطمة الزهراء (عليها السلام) في تثبيت العقيدة وهوى الشبهات

الشيخ محمد السند

بسم الله الرحمن الرحيم

وإثبات ذلك للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم وصلي اللهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين ، السلام عليكم أيها الحضور الكرام ورحمة الله وبركاته .
وبعد : فإن الحديث عن بضعة المصطفى وبنت النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لا يتم عبر نواة أو نوات أو كتاب أو كتب ، مع ذلك لابد من تناول أطراف الحديث حولها وفي البدء نريد أن نشير إلى أن مما أمتاز به مذهب أهل البيت أنهم يسجلون ضمن أصول الاعتقادات في الدين الإسلامي حجبة لمقام امرأة وهي بنت المصطفى فاطمة الزهراء ، وهذا الاعتقاد بحجبة هذه المرأة مما تميّز به مذهب أهل البيت (عليهم السلام) دون بقية المذاهب الإسلامية ، فإننا لا نجد في المذاهب الإسلامية الإشارة إلى أن هناك امرأة حجة من الحجج نصبها الله تعالى لمقام الحجبة .

فإذن هذه العقيدة مما تميّز بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في الاعتقاد وليس ذلك بدعاً في العقيدة ، بل هي عقيدة أصيلة وثابتة جلية في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، بل وهي ثابتة أيضاً في الشرايع السماوية السابقة ، فإن القرآن الكريم يحدثنا عن شريعة النبي عيسى (عليه السلام) فيذكر مريم في سورة آل عمران قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾ ، فإن التعبير بعنوان الاصطفاء والتطهير عنوان خاص

1- آل عمران : ٤٢ .

استعمله القرآن الكريم في خصوص الأنبياء والمرسلين ومن يحنوا في ركبهم من الحجج الإلهية ، وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾⁽¹⁾ ، فلم يخصّ الحجبة بعيسى (عليه السلام) ، بل أشرك في الحجبة بين النبي عيسى ومريم بنت عمران المصطفاة ، والقرآن الكريم في سورة المائدة لا يخطئ أتباع النبي عيسى (عليه السلام) في اعتقادهم بأن مريم (عليها السلام) أصلاً من أصول الديانة الاعتقادية ، وإنما يخطئهم في تأليه عيسى ومريم (عليهما السلام) ، فالتخطئة منصبية في القرآن الكريم على تأليه النبي عيسى وأمه مريم لا على جعلهم مريم والنبي عيسى (عليهما السلام) من الأصول الاعتقادية في ديانتهما

قال تعالى في سورة المؤمنين : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾⁽¹⁾ ، أي يأمرنا القرآن الكريم بالاعتقاد بحجبة مريم (عليها السلام) ومقامها كما يأمرنا بالاعتقاد بحجبة النبي عيسى (عليه السلام) ؛ لأن من الفوائض القرآنية على المؤمنين أنه لا بد لهم من الاعتقاد بجميع كتب الله ورسله وملائكته وآياته ، ولا يجحدوا آية من آياته .

على ضوء ذلك فالقرآن الكريم لا يكلف فقط ولا يقرّر أتباع النبي عيسى على اعتقادهم بأن حجبة مريم أصلاً من الأصول الاعتقادية فقط ، بل ويكلف عامة البشرية من المسلمين إلى يوم القيامة بالاعتقاد بمقام حجبة مريم كما أن وظيفتهم الاعتقاد بالنبي عيسى (عليه السلام) وبقية الأنبياء : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾⁽²⁾ ، ﴿ وَإِذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾⁽³⁾ .

بعد أن حدّثنا القرآن الكريم قبل ذلك فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾⁽⁴⁾ . عبّر بالاصطفاء عن جميع الأنبياء والموسلين كما عبّر بالاصطفاء عن مريم .

- 1- المؤمنون : ٥٠ .
- 2- المؤمنون : ٥٠ .
- 3- آل عمران : ٤٢ .
- 4- آل عمران : ٣٣ - ٣٤ .

الصفحة 345

فإذن كيف تخلو الشريعة المحمدية السحاء الكاملة البيضاء التي تهيمن على جميع الشرائع والديانات السابقة من مثل هذه الموضة ، وهل يمكن ذلك ؟

والجواب إنّ ذلك غير ممكن والإيمان الإسلامي أقل رتبة من الديانات السابقة مع أنه القرآن الكريم مهيم على الكتب السابقة والدين الإسلامي أكمل الأديان وأكمل الشوايع . والحق أنّ الدين الإسلامي والقرآن الكريم فيهما هذه الموضة ويحدّثنا القرآن في عدة سور بوجود امرأة في الديانة الإسلامية امتزّت بمقام الحجبة ما امتزّت مريم (عليها السلام) بذلك ،

قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾⁽¹⁾ وَسَنَتَعَوَّضُ إِلَيْ

تحليل هذه الآية وكيف أنّها في مقام الاحتجاج بالمباهلة بالخمس أصحاب الكساء ، وأنّ التعيين من الله عزّ وجلّ للنبي (صلى الله عليه وآله) مع الأربعة الباقيين وهم : فاطمة وبعها وابناها ولم يكن التعيين اختيلاً من النبي (صلى الله عليه وآله) بل كان ذلك احتجاجاً من الله على بقية أتباع الأديان السماوية الأخرى ، وفي حقانية وصدق وحجبة بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فجعل منها حجّة على الدين وحجّة على صدق نوة النبي (صلى الله عليه وآله) .

ثمّ سنتعرّض تفصيلاً إلى آية التطهير وهي : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾⁽²⁾ حَيْثُ جَاءَ بضمير المذكّر بعد قوله تعالى : أن كان الضمير مؤنثاً لتمييز الرواد وتمييز المخاطب بهذه الآية عن بقية الآيات السابقة

واللاحقة لها إذ كان لحن الخطاب القواني ونوته هي الوعيد والتشديد في الآيات السابقة على هذه الآية ، وكذلك في الآيات اللاحقة على هذه الآية ، بينما لحن الخطاب القواني في هذه الآية مضافاً إلى تذكير الضمير اختلف

1- آل عمران : ٦٠ - ٦١ .
2- الأحزاب : ٣٣ .

الصفحة 346

إلى المديح العظيم والهائل مضافاً إلى ما رواه الفريقان في المصادر المعروفة والمعهودة التي لا حاجة لذكرها في المقام أنها تولت في أصحاب الكساء .

فنفس العنوان الذي استعمله القوان الكريم وعبر به عن مريم حينما قال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى**

نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾⁽¹⁾ ورد في حق بنت النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) إذ قال : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾⁽²⁾ . وَسَنَعُوْضُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى أَدْلَةٍ حَجِيَّتُهُ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ فِيمَا بَعْدَ .

إذن يتبين من ذلك أن ما قالت به الإمامية ورسخه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من أن أصلاً من أصول الديانة والاعتقاد هو حجية فاطمة الزهراء (عليها السلام) وعصمتها له نظير في الديانات السماوية الإلهية السابقة ، ويفصح عنه بأبين الفصيح كتاب الله تعالى المتول ، وهذا مما يتلائم ويتناغم مع الفطرة البشرية حيث كما أن للرجال قوات معصومة تقتدي وتحتذى بها كذلك لابد للنساء من قوات نسوية تحتذى بها ، فكانت فاطمة (عليها السلام) سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة كما روى ذلك أصحاب الصحاح من أهل المذاهب الأخرى وفي رواياتنا نحن ، فهي قوة للنساء وحجة تقتدي وتحتذى بها نسوة البشرية ، وهي مثال قائم لهن ، بل إن القوان الكريم يتجاوز ذلك ويقول : **إِنَّ النِّسَاءَ الْقُوَّةَ الْحُجَّةَ اللَّاتِي ضَرْبُهُنَّ مَثَلُهُنَّ**

قوة للرجال أيضاً فيما يشترك فيه الرجال والنساء ، فزى في سورة التحريم يقول القوان الكريم : ﴿ **ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا لِلَّذِينَ**

آمَنُوا ﴾ ، ولا يعبر القوان الكريم ضرب الله مثلاً باللاتي آمن ، يعني جعل القوان الكريم مريم بنت عمران (عليها السلام)

قوة للذين آمنوا رجالاً ونساءً ، غاية الأمر أن هناك مختصات نسوية في الجنس البشري تكون مريم وفاطمة (عليهما السلام) قوة لهن فقط ، وفيما اشترك الجنسان من الرجال والنساء تكون مريم وفاطمة (سلام الله عليهما) قوة لهما .

1- آل عمران : ٤٢ .
2- الأحزاب : ٣٣ .

الصفحة 347

فإذن في سلسلة الحجج التي نصبها الله عز وجل للبشرية هنالك نساء اعتوهن القوان قوة لعموم المؤمنين .

وهذا أمر مما لا ريب فيه ؛ لأنه يتناغم مع الفطرة البشرية ، وهو مدعاة لنداء الفطرة أن يكون للجنسين قوات في ذلك .

وهذا هو الأمر الثاني في المقدمة

الأمر الثالث في المقدمة أنّ الفضائل والفضيلة والمناقب قد تذكر سوداً في الآيات الكريمة أو في الأحاديث النبوية المتفق عليها بين الفريقين ، وهذه الفضائل والمناقب تارة تكون فضائل عملية وتارة تكون فضائل علمية ، والفضيلة والمنقبة ترداد تارة فترجة إلى أن تصل إلى حدّ ومقام الحجّية ، فهناك فضائل ومدائح ومناقب لا تتفكّ أو تلازم الحجّية ، فكما أن المدائح والمناقب إذا تردّدت في درجاتها وصلت إلى تارة الحجّية والعصمة في جانب العمل كذلك الفضائل في جانب العلم تصل إلى العصمة والحجّية بتسديد وتأييد من الله عزّ وجلّ .

في بيان معنى الحجّية

ومفهوم الحجّية له معنيان :

المعنى الأوّل : الحجّية في الجانب العملي وتسمّى في اصطلاح أهل المعقول الحجّية العملية وبلغت الصفات العملية ، وبلغت العقل العملي والحكمة العملية .

المعنى الثاني : الحجّية في الجانب العلمي أو قلّ النظري وهي من العناوين الوأنية التي وردت في الحجّية كعنوان النبوّة وعنوان الإمامة وعنوان الرسول والرسالة ، فهذه من العناوين التي تبيّن مفهوم الحجّية في الجانب العلمي .

وهناك عناوين وأنية ونبويّة وردت في الحديث النبوي متفق عليها بين الفريقين أيضاً تشير إلى الحجّية لكن لا بلفظ الحجّية وإنّما بلفظ المنقبة والفضيلة

الصفحة 348

التي تصاعدت في درجاتها إلى أن وصلت إلى تارة ملازمة للعصمة نظير التطهير والاصطفاء والإبعاد عن الوجس والأنجاس وما شابه ذلك ، فمثل هذا كان بلسان المديح والمنقبة والفضيلة إلّا أنّ التحليل العلمي سواء بالغة العقلية أو بالغة الكلامية أو بالغة القانونية أو بأي من اللغات والعلوم المتكفّلة بهذا البحث وتشدنا إلى أنّ الحجّية بمعنى أن هذه الفضيلة هي الحجّية العملية فمثلاً قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مخاطباً فاطمة (سلام الله عليها) : «إن الله يرضى لوضائك ويغضب لغضبك»⁽¹⁾ .

أنّ الوفاء (عليها السلام) حجة وعصمتها من الأصول العقائدية

هذا التعبير من التعابير التي تدلّ على مقام الحجّية والعصمة ؛ لأنّه يدلّ على أنّ سورها وسلوكها العملي لا يتخطى رضى الله ، وهذا مما يعني العصمة والحجّية .

وكذلك مما ورد في التعابير في الأحاديث النبوية التعبير بأنّها سيّدة نساء أهل الجنّة ، ومما لا ريب فيه أنّ مريم (عليها السلام) من نساء أهل الجنّة ، فهذه السيادة بتعبورها الابتدائي ربّما يتعامل أو يوقّأها الإنسان قراءة جملة مبهمة على أنّها فضيلة من الفضائل ، ولكن بتحليلها بالأدوات العقلية أو الفقهية أو الكلامية أو بالمؤرّخين العلمية نعرف أنّ السيادة تعني وصول شخص إلى قمة نسوة أهل الجنّة ، وإذا سادت فتسود في الفضائل والصفات فتبلغ مقام الحجّية .

وإذا كانت مريم كذلك وهي من أهل الجنّة فمن يسود على مريم (عليها السلام) تكون لها الحجّية من باب أولى .

فإذن يجب أن نلتفت إلى أنّ الفضائل إذا تصاعدت في روجتها سواء العلمية أو العملية يصبح صاحبها حجةً علمياً وعملياً ، ولكن بالالتفات والتنبّه يظهر أنّ للحجبة العلمية لغات وعناوين كما أنّ للحجبة العلمية لغات وعناوين معينة .

1- الاصابة ٨ : ٢٦٥ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٣٩٢ .

الصفحة 349

نبدأ حديثنا عن هذا الأصل الذي هو من الأصول الاعتقادية ولكن بشكل مختصر يسعه الوقت وبمقدار ما يمكن بيانه في ضمن هذه العجالة وهو أنّ الرهواء (عليها السلام) حجةٌ وعصمتها أصلاً من الأصول الاعتقادية القوآنية ، وهي في الديانة الإيمانية التي نادى بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وامتاز بها عن غورهم من المذاهب الإسلامية الأخرى وفي الختام نذكر إن شاء الله العطاء العملي لها (سلام الله عليها) .

ونبدأ حديثنا بسورة آل عمران آية المباهلة ، وأنتم على علم بأنّ هناك حاجة جرت بين النبي (صلى الله عليه وآله) ونصرى أهل نجران ، والقصة معروفة مبسوطه في كتب التفسير والروايات ولم ينثن أهل نجران والنصرى للحق ولم يذعنوا بذلك مقابل الحجج التي أقامها النبي (صلى الله عليه وآله) لهم ، فوصلت المرحلة إلى آخر حجة من الحجج التي أقامها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هي الملاعنة ، والدعاء بلعن المبطل ونصر المحق ، ولكن في اصطلاح الشرائع السماوية وتسمى استقضاء معجل طلب لقضاء أخروي في العاجل الدنوي ، والحاكم فيه هو الله عزّ وجلّ ، غاية الأمر القضاء المبرز بدل التأجيل إلى يوم الميعاد والآخرة .

فإذن المباهلة في عرف الشرائع السماوية هي نوع من طلب القضاء الإلهي المباشر الأخروي في دار الدنيا هذا من جانب ومن جانب آخر إنّ طوفي المقاضات يجب أن يكونا طوفي الدعوة الأصليين وطوفي المنزعة بالأصالة ؛ لأنّ المباهلة متضمنة لنوع من الحلف والاستنجد بالله عزّ وجلّ ، وفي الزواع إذا وصل الأمر إلى الحلف أو الدعاء أو ما شابه ذلك لا يتحمّل حينئذ النيابة والوكالة ، بل لا بدّ حينئذ أن يكون الطوف أصلياً ، وهذا متفق عليه .

والله سبحانه وتعالى هو الذي أمر نبيّه عليه الصلّاة والسلام بالمباهلة ، ليكون نوع احتجاج باق إلى يوم القيامة نظير العذاب النزل العاجل على عاد وثمود وقوم لوط وشعيب .

الصفحة 350

وبما أنّ المباهلة قد أمر بها الله تعالى فالمعيّن لطرف الزواع من الجانب الإسلامي هو الله تعالى أيضاً ، قال تعالى : ﴿فَمَنْ

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾⁽¹⁾ ، ثمّ بيّن الله تعالى من يحاجّ بهم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فقال : ﴿فَقُلْ

تَعَالَوْا تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ . . .﴾⁽²⁾ ، وهؤلاء الذين خرج بهم النبي (صلى الله عليه وآله)

وآله) للمحاجة هم أصحاب الكساء الخمسة !

كيف يحتجّ الله تعالى لإثبات صحة الديانة الإسلامية لغير النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ؟

وهنا يرد سؤال وهو كيف يحتجّ الله تعالى لإثبات صحّة الديانة الإسلامية لغير النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فيخرج للمباهلة الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، وهما لم يبلغا سنّ الوشد بحسب طبيعة الآخرين ؟ وبتعبير آخر أنّ هنالك جمعاً غفراً من الصحابة ممن لهم سابقة في الإسلام لم يخرج بهم النبي (صلى الله عليه وآله) للمباهلة ، وخروج هؤلاء الخمسة ، وفيهم من لم يبلغ سنّ الوشد وهم الحسن والحسين (عليهما السلام) ؟

ولماذا لم يفرد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالاحتجاج لكونه صاحب الشريعة وهو المبلّغ عن الله تعالى ؟ فالمفروض أن يكون المحاج لإثبات صحّة ديانة الإسلام النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ؛ لأنّه صاحب الرسالة وهو المشوّع .

وفي مقام الإجابة على هذا الاستفهام نقول : إنّ الله سبحانه وتعالى ومن خلال هذه الآية الكريمة بيّن لنا أن علياً وفاطمة والحسين (عليهم السلام) لهم مقولة عظيمة في الدين الإسلامي ، وأنّهم حجج الله تعالى بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في حفظ وتبليغ الرسالة ؛ لأنّه جعلهم طرفاً أصلياً في المباهلة والمخاصمة مع النصري لاثبات حقانية الإسلام أي راد أن يظهر على أيديهم معجزة أحقية الدين وصدقه .

1- آل عمران : ٦١ .
2- آل عمران : ٦١ .

الصفحة 351

ومما يرشدنا إلى ذلك أيضاً آخر الآية المباركة حيث قالت : ﴿ثُمَّ نَبْتَهَلُ فَنَجْعَلُ لُغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِبِينَ﴾ .
فلو كانت المسألة من جهة صدق النبي (صلى الله عليه وآله) في نبوته وصحّة معجزاته لكان بقیة المسلمين ومنهم الصحابة وزوجات النبي (صلى الله عليه وآله) يعرفون ذلك ومع ذلك لم يجعلوا طرفاً في المباهلة ، فهذا يدلّ على أن طرف المباهلة ليس لإثبات صدق معجزات النبي (صلى الله عليه وآله) عن طريق الرؤية وإثبات شهادة عيانة لتزول الوحي بالحقّ على النبي (صلى الله عليه وآله) ورؤية نوره وسماع دويبه ناشئة ممن عين ذلك بالحقّ والصدق ، وليس ممن شاهد المعجز بالحسّ العادي .

ويدل ذلك على أنّ هؤلاء الأربعة سلام الله عليهم لديهم علم لدني راسخ في نفوسهم ، وهذا العلم اللدني أشار إليه القرآن في آيات عديدة أنه وهب وأعطى لغير الأنبياء (عليهم السلام) كصاحب موسى (عليه السلام) الذي قال عنه تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعِلْمِنَاهُ مَن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (1) مع أنّه ليس نبياً ، وكذلك في قصة طالوت إذ قال تعالى : ﴿وَزَادَهُ بُسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (2) . مع أنّه ليس نبياً وكان حجة على بني إسرائيل .

وكذلك ذو القرنين حيث قال تعالى : ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ وَإِنَّا نَتَّخِذُ فِيهِمْ حَسَنًا﴾ (3) .
وقد ذكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) العلم اللدني في روايات عديدة وأشاروا إليه وأنّ الله تعالى قد وهبه لهم كما في

(4)

شهادة القَوَانِ بذلك : ﴿ إِنَّهُ لَقَوَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يُمَسَّهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴾ ^١ قَالَتِ الْكَاتِبَةُ الْمَكْنُونُ لَا يَحِيطُ بِهِ وَلَا

- 1- الكهف : ٦٥ .
- 2- البقرة : ٢٤٧ .
- 3- الكهف : ٨٦ .
- 4- الواقعة : ٧٧ - ٧٩ .

الصفحة 352

يدركه إلا المطهرون لا المتطهرون بالتوبة بل المطهرون ممن شهد لهم القَوَانُ بالطهارة في آية التطهير ، وهم أهل البيت (عليهم السلام) .

فإذن بما أن النبي (صلى الله عليه وآله) طرف نواع أصلي في المباهلة ، وينظر إلى الغيب نظر عيان كذلك من خرج معه إليها يكون طرفاً أصلياً في النزاع ، وينظر إلى الغيب نظر عيان ، ومنفتح انفتاح كامل على السماء ، وإن كان علمهم يختلف عن العلم النوي اللدني إلا أنهم على اطلاع كامل ونظر لا شوب فيه إلى عالم الغيب .

وعليه ففي مطلع الرسالة الإسلامية وبداياتها نصب الله سبحانه وتعالى الخمسة أصحاب الكساء حججاً على الدين الإسلامي ، وبقيت هذه الحجج خالدة خلود الرسالة المباركة ، ويدل ذلك على أن الحسنين (عليهما السلام) قد آتاهم الله علماً لدنياً في حين الصبا قال : ﴿ ثُمَّ نَبَّهْتُ ﴾ ^٢ يشتمل عموم الخرجين للمباهلة لا خصوص النبي وعلي وفاطمة (عليهم السلام) ، وليكونا حجة من قبل الله تعالى ، يتلون جدّهم وأباهم (عليهم السلام) ، حجة على جميع الديانات السماوية من ناحية الزمان والمكان إلى يوم القيامة .

ويدل أيضاً أن القَوَانِ الكريم قد جعل امرأة ، وهي فاطمة الزهراء (عليها السلام) حجة إن لم تكن بإمام ، وكما جعل مريم (عليها السلام) حجة في الشريعة المسيحية عندما بشّوها بابنها عيسى (عليه السلام) ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ

إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ مَقْبُوبِينَ ﴾ ⁽¹⁾ ، فبشّرت بالمسيحية

من خلالها لا من خلال زكوي (عليه السلام) بواسطة العلم اللدني الذي وهبها الله إياها .

فمريم (عليها السلام) حجة مصطفاة وليست بنبيّة ، ومن قال إنها نبيّة كالقوطني في تقسوه ⁽²⁾ فقد شدّ وخالف المتسالم عليه

بين المسلمين وأهل الأديان .

- 1- آل عمران : ٤٥ .
- 2- أحكام القرآن ٤ : ٨٢ .

الصفحة 353

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَلَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا

فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ أُنِّيَ أَعُوذُ بِالرُّوحِ مِنْكَ إِنَّ كُنْتُ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى

يَكُونُ لِي غَلامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هِينٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْ سَيِّئَاتِي * فَوَدَّعَتْهُا فَمَا تَرَينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . . . ﴿١﴾ ، فَهَذَا مَرْيَمُ وَهِيَ

أمرأة ليست نبيّة تبشّر بنوّة عيسى (عليه السلام) قبل غوها ، وورد عليها أمر مباشر من عند الله تعالى لا من خلال النبي زكريا (عليه السلام) ولا من قبل أي نبي آخر ، وإنما هو أمر مباشر من عند الله تعالى إلى مريم (عليها السلام) . ولو لم تكن مريم (عليها السلام) ولم تبشّر بني إسرائيل بعيسى (عليه السلام) ونبوته لما تمت الحجة والبيّنة لوسالة المسيح (عليه السلام) ولما تحققت حقايتها لدى المؤمنين من بني إسرائيل .

والمخاطرة بعرض مريم (عليها السلام) بحملها من دون مقربة رجل فاتهما قوما بقولهم : ﴿ يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ﴿٢﴾ ، ليست إبتدالاً لعرضها بل هي كمخاطرة مواجهة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لأصحاب السقيفة بعد رحلة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وهو لأجل كشف القناع عن حقيقة نوايا وهوية الطرف الآخر وإقامة الحجّة وإثبات دعائم الديانة السماوية العيسوية والمحمدية .

1- مريم : ١٦ - ٢٦ .

2- مريم : ٢٨ .

تقول الآية الكريمة : ﴿ فَأَشْرَتْ إِلَيْهِ ﴾ ﴿١﴾ ، فمن هو الذي أمرها بأن تشير على قوما بأن يكلموه ؟

الجواب : إنّ الذي أمرها بذلك الله سبحانه وتعالى ، حتى تكون المبلغة والناوذة بقوم شريعة جديدة تتسخ شريعة موسى (عليه السلام) . وهذا نور خطير كلّف الله تعالى به مريم (عليها السلام) .

تقول الآية المبركة حاكية عن استنواب قوما من طلبها : ﴿ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ﴿٢﴾ ، إلا أنّ مريم

(عليها السلام) كانت على يقين تام بأمرها وما يأمرها الله به ، قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمُ ابْنْتُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَوْحِنَا وَوَدَّعَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ ﴿٣﴾ ، فهي مصدقة لأمر ربّها الذي رأته عياناً وخاطبها مباشرة قبل ابتعاث نبي جديد .

دور المرأة في الإسلام

ومن ذلك يتّضح الدور العظيم الذي يمنحه الإسلام للمرأة ألا وهو نور الحجية مع المحافظة على العفة والستر ، وفتح المجال لها في التكامل والنمو بطرق تحفظ كرامتها وكيانها . .

وهذا ما فقدته جميع المذاهب الوضعية والعلمانية حيث لم تمنح المرأة ما منحها الإسلام والقآن الكريم ؛ إذ يهب المرأة

مقاماً عظيماً ألا وهو مقام الحجية ، والعلم اللدني الإلهي ، مع أنها ليست نبية أو صاحبة شوع ، بل هي تابعة لشوع عيسى (عليه السلام) .

وهذا مقام عظيم لا تجد له نظير في جميع المذاهب الوضعية الداعية لحقوق المرأة .

- 1- مريم : ٢٩ .
- 2- مريم : ٢٩ .
- 3- التحريم : ١٢ .

الصفحة 355

عودة إلى الموضوع السابق

فلم يكن الدور الذي قامت به مريم (عليها السلام) دوراً بسيطاً ، ولم يكن اصطفؤها وتطهوها أمراً اعتبارياً ؛ وإنما كانت حجةً لله تعالى في أرضه ، وقد أدت وظيفتها بالشكل المطلوب .

وهكذا عندما تأتي إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام) بضعة المصطفى ، فقد اصطفها الله تعالى وجعلها حجةً ، وأدت دورها في حياة أبيها وبعد رحلة أبيها وقفت مواقف جليلة وعظيمة كانت تحدّد مسودة الرسالة من خلال ذلك التحرك ، فكما كان لها دور في إثبات أحقية الديانة الإسلامية أمام باقي الديانات في المباهلة كذلك كان لها دور فعال في إثبات الطريق الإسلامي الصحيح ، وأخذ معالم الدين ممن نصبهم الله تعالى لذلك ، وإثبات الإمامة الإلهية بشكل لا غبار عليه . وقد أوضحت ذلك فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها المملوءة بلاغة وحكمة ، رسمت فيها الخطوط العامة والنهج الصحيح للديانة السماوية .

القآن الكريم عندما يحدثنا عن مريم (عليها السلام) يذكرها في سياق وذكر في الكتاب موسى وإبراهيم وإسماعيل وإيريس ، ويعد جملة من النبيين ثم يقول : ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمَنْ نُورِيَهُ إِبرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلْكِتَآبِ ٱذْكُرْ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (١) ، ومريم (عليها السلام) لم تكن نبيّة لكنّها كانت ممن هداه الله سبحانه وتعالى واجتباها بمعنى إصطفاه .

فإذن من الأصول الاعتقادية التي تعتقد بها الإمامية تبعاً لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وانسياقاً مع الفطرة السليمة هو وجود حجة إلهية على جميع البشرية ، وإن لم تكن إماماً وإن كانت امرأة وهي بضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، فهي حجة الله تعالى على الديانة الإسلامية وأسّ من أسسها كما أوضحته آية المباهلة وآية التطهير وحجة مع علي (عليه السلام) وابنائهم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) .

- 1- مريم : ٥٨ .

الصفحة 356

وأقرّ وقد روى بذلك الخليفة الأول فيما رواه الفويقان من خطبتها واحتجاجها عليه حيث قال في وصف الصديقة : «انت .

. ركن الدين وعين الحجة»⁽¹⁾ وقال أيضاً : «أنت سيدة أمة أبيك» أي سيدة للرجال والنساء معاً .

فاطمة الزهراء (عليها السلام) وآية التطهير

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾⁽²⁾ ، وَفَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) كَانَتْ مَتَمَّوَةً

لعلي (عليه السلام) على الحسين (عليهما السلام) المقصود بهذه الآية حسب حديث الكساء المفسر لها والمبين للمقصود منها ، وقد أشبعت الآية المباركة بحثاً ، وشغلت حوزاً كبيراً ، ولكن أشير إلى نقطة مهمة في هذه الآية وهي أن القآن الكريم ذكر

عنوان المطهرين في سورة الواقعة فقال : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقَوْلَانِ كَرِيمٍ * فِي

كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾⁽³⁾ فتبدأ الآية بالقسم ، والقسم يقع على مفاد جملة خوية . ويشير إلى أن القآن في

(كن) ، وأتته لا يمسه إلا المطهرون ، والمطهرون هم الذين أشرت إليهم آية التطهير : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، وهم أصحاب الكساء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم .

فهنا القآن الكريم يثبت لأهل البيت (عليهم السلام) مزية ومنقبة عظيمة ، وهي أنهم يمسون العلم اللدني الباطني للكتاب

الكريم الذي هو في اللوح المحفوظ ، وإلا فالمس الظاهري للقآن الكريم متحقق حتى من الكفار ، فلا معنى لهذا النفي إلا

المسّ الواقعي والحقيقي للموقع الغيبي للكتاب المكنون في اللوح المحفوظ .

وإذا تأملنا في هذه الآيات وقوانها فإزاء تحليليه متأنية لا فؤاء عاجلة ،

1- الاحتجاج ١ : ١٤٣ - ١٤٤ .

2- الأحزاب : ٣٣ .

3- الواقعة : ٧٥ - ٧٩ .

وقمنا بضم بعض الآيات إلى بعض نجد أهل البيت لهم مقامهم الخاص وحجبتهم المتعينة .

فإذا ضمنا الآيات السالفة ، آية التطهير والآيات في سورة الواقعة ومن ثم ذهبنا إلى حديث الثقلين وجدنا أن أهل البيت هم

أصحاب العلم اللدني والمس الباطني للقآن الكريم .

والقآن الكريم وصف بعض منزله ومقاماته الغيبية وهي الكتاب المبين بقوله : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مَبِينٍ ﴾⁽¹⁾ ، فكل شيء في هذا الكتاب المبين ، وهو كتاب مكنون لا يمس إلا من قبل المطهرين . وفاطمة الزهراء

(عليها السلام) تعلم بحقائق القآن بنص آية التطهير والواقعة . وهناك سور عديدة تشير إلى ذلك ، وهي واضحة وجليّة لمن

راجعها .

استواض مناقب أخرى للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

في سورة الدهر يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شُوهُهُ مَسْطُورًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ

حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَوْسًا * إِنَّمَا تَطْعَمُكُمْ لُوجُهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٢﴾ ، وَهَذِهِ آيَةٌ نَزَّلَتْ فِي حَقِّ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ (عليهما السلام) حينما صاموا وتصدقوا بطعامهم لمدة ثلاثة أيام (3) .

وسورة الدهر تقسم مقامات العباد المؤمنين إلى ثلاثة :

- ١ . مقام الأوار .
- ٢ . مقام عباد الله .
- ٣ . ومقام فوق تلكم المقامات .

1- النمل : ٧٥ .

2- الإنسان : ٧ - ٩ .

3- تفسير الثعلبي ١٠ : ٩٩ .

الصفحة 358

وسورة الدهر تعطي لعلي و فاطمة والحسين (عليهما السلام) مقاماً فوق مقام الأوار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَوَارِ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (1) ، حيث أشرت إلى مقام الأوار .

وقال تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (2) ، إشارة إلى المقام الثاني ، ثم ذكرت الآية المتقدمة التي

جعلت فيها مقام أهل البيت فوق مقام الأوار . والذين هم فوق مقام الأوار هم المقربون كما تذكر ذلك سورة المطففين قال

تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَوَارِ لَفِي عِلْيَيْن * وَمَا أَوَّاك مَا عِلْيُون * كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمَقْرَبُونَ ﴾ (3) .

ومن طريق ما تذكره هذه السورة أنها توعد بالجنة أشخاصاً بأعينهم ونواتهم ومن دون قيود وشروط ، خلافاً لغيرها من

الآيات حيث توعد عناوين عامة بالجنة مع شروط الاستقامة والعاقبة الحسنى .

وهذا يدل على عصمتهم واجتباؤهم من قبل الله تعالى بحيث يوعدون بالجنة بأشخاصهم من دون قيد أو شرط .

وهناك مقامات أخرى لفاطمة الزهراء (عليها السلام)

إذ روى الفريقان أنها أم أبيها (4) ، فهي أم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بينما نساء النبي (صلى الله عليه وآله) هنّ

أمّهات المؤمنين ، فهي فوق مقامهنّ ؛ لأن مقام النبي فوق مقام المؤمنين فمن كانت أمه فمقامها فوق مقام الأمّهات الأخريات .

وهذا يعطيها مقام الحجية أيضاً .

ومن مقامات فاطمة الزهراء (عليها السلام) : ما ذكره الله تعالى في سورة الحشر إذ

1- الإنسان : ٥ .

2- الإنسان : ٦ .

3- المطففين : ١٨ - ٢١ .

4- المعجم الكبير للطبراني ٢٢ : ٣٩٧ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٩ حديث ١٩ .

الصفحة 359

يقول : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلِ فَلِلَّهِ وَاللَّسْوَلِ وَلِلْغَنِيِّ ﴾ (1) ، واللام في قوله : ﴿ وَاللَّسْوَلِ ﴾ ولِلرَّسُولِ وَلِذِي

الْقُرْبَى ﴾ لام اختصاص ، حيث خصّتهم ، الآية بالملكية ، خلافاً لـ (اليتامى والمساكين وابن السبيل) فإنهم مصروف وليسوا

أصحاب سلطة وولاية ولذلك لم تدخل ولم تكرر اللام ، والآية تولت في إعطاء فذك لفاطمة (عليها السلام) ، ولكن النبي

(صلى الله عليه وآله) خشي المنافقين من إثارة الزوبعة ، فتول جويل بآية أخرى تقول : ﴿ وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ (2) ، بل

تولت مرة ثالثة للتأكيد ﴿ فَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ (3) وهي تأكيد للنبي (صلى الله عليه وآله) على إعطاء فذك لفاطمة (عليها

السلام) ، نظير قوله في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (4) ، كذلك أمره الله تعالى أن يعطي نوي قرباه . وهي فاطمة . حقهم في

المال .

وعندما احتجّت الزهراء (عليها السلام) على أبي بكر لم تحاجه بخصوص فذك وإنما طالبته بالفيء والأنفال والخمس كما

ذكر ذلك البخاري في كتاب المغزى (5) ومسلم في صحيحه (6) .

فإن الآية المبركة في سورة الحشر مفادها أن العدالة لا تتحقق في الدين الإسلامي إلا بجعل الفيء لنوي القربى ، ويعلّ

القآن ذلك بقوله : ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (7) . أي إن أردتم أن لا تحصل طبقة في الدين

1- الحشر : ٧ .

2- الإسراء : ٣٦ .

3- الروم : ٣٨ .

4- المائدة : ٦٧ .

5- صحيح البخاري ٥ : ٨٢ .

6- صحيح مسلم ٥ : ١٥٥ .

7- الحشر : ٧ .

الإسلامي فيجب جعل إدرة الأموال العاملة في نوي القربى ، ومصداق ذي القربى الأوّل فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

وقد روى أبو بكر بل أقرّ عند محاكاة فاطمة (عليها السلام) إياه بجملة من المقامات العظيمة لفاطمة (عليها السلام) في

الدين في ذيل خطبتها التي رواها الفويقان (1) حيث روى وأقرّ أولاً : بقوله : «إنك انت سيّدة أمة أبيك» . وهذا مقام أعظم من

مقام سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء أهل الجنّة ؛ لأنّ رواية لمقام سؤدها على كل الأمتة رجالها ونسائها ، فهي قنوة إلهية

للعالمين رجالاً ونساءً فهي سيّدة الأمة .

ثانياً : وقوله رواية وإقره أنت . . . ركن الدين» وركنيتها للدين صريح وواضح في أنّ الاعتقاد بحجيتها وولايتها وطاعتها

من أصول ديانة الإيمان .

ثالثاً : قوله «أنت . . . عين الحجّة» وهذا الوصف الذي رواه وأقرّ به من كتاب الله وسنة النبي (صلى الله عليه وآله)

يختلف عن التعبير او انت حجّة أو (أنت الحجّة) فعين الحجّة بمعنى مبدأ ومركز الحجية للحجج الإلهية وقطب الوحي لها ،

وهذا مقام يفيد أنّ لها الأمومة والفوقية في الحجج الإلهية في الدين .

رابعاً : قوله رواية : «صدق الله وصدق رسوله وصدق ابنته» فإنّ الترتيب المزبور في الصدق وهو بمعنى الحجية أن

حجيتها وولاية طاعتها بعد حجية وولاية الله ورسوله ، وهو إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾⁽²⁾ وأنها (عليها السلام) وليّة الأمر الواجب طاعتها .

خامساً : قوله «انت معدن الحكمة وفي رواية أخرى (منطق الرسالة) وموطن الهدى والرحمة . . . لا أبعد صوابك ولا

أنكر خطابك» وهذه الأوصاف أوسمة في العصمة العلمية والعلم اللدني الإلهي والعصمة العملية ، والتعبير بعدم نكران خطابها

في مقابل الجحود ، وهذا التعبير إنّما يورد في الأمر الاعتقادي .

1- الاحتجاج للطبرسي ١ : ١٣١- ١٤٦ ، وبلاغات النساء لابن طيفور ١ : ٨ .
2- النساء : ٥٩ .



سادساً : وقال بعد ما روى جملة من فضائلها وفضائل علي (عليه السلام) «فأنتم عزة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الطيبون والخوة المنتجبون ، على الخير أدلتنا ، والى الجنة مسلكننا» فخطبها بأنتم لا بأنتما كي لا يحصر الخطاب بها وبعلي (عليهما السلام) بل ليشمل الحسين (عليهما السلام) ، وفي هذا المقام الذي يرويه بيان لاصطفاء أصحاب الكساء وطهرتهم وأن فاطمة شريكة الأئمة من العزة (عليهم السلام) في كونها قوة إلهية للأمة ، دليل إلهي على الخير ومسلِك رباني للجنة . وسابعاً : قوله : «وانت . . . الشجرة الطيبة لبنيك لا يدفع مالك من فضلك ولا يوضع من فُوعك وأصلك» وفي رواية هذا المقام لها بيان للوراثة الاصطفائية لها من سلسلة الآباء الطاهرين من إراهيم وإسماعيل ووصولاً إلى أبيها سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) ، ثم منها إلى نريتها المطهرة .

ثامناً : قوله : «حكمتك نافذ فيما ملكت يداي فهل تزين أن أخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله)» فتعبيره بحكمها يغير التعبير بطلبك أو سؤالك أو حاجتك إذ الحكم يفيد الحاكمية والولاية ، وكذا التعبير بنافذ كما أن جعله متعلق حاكميتها ما ملكت يداه ، وهي الخلافة ، ثم يضيف مستقهما أنه هل تأمره بمخالفة النبي (صلى الله عليه وآله) . حسب ما زعمه . ولكن هذا الاستفهام يبين مدى مقام شأنها في الحجية والولاية .

تاسعاً : قوله : «سابقة في وفور عقلك غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك» فالسبق في وفور العقل هو القوية الإلهية بالعقل اللدني والعلم الوهبي . ثم أنه لا عجب في إقرار أبو بكر وروايته لهذه الفضائل لها من الكتاب والسنة فإن كثرة ما ذكره القرآن من فضائلها وكثرة ما ذكره النبي (صلى الله عليه وآله) من مقاماتها ومناصبها وولايتها قد غرز في ذهن الصحابة هذه الفضائل ، ولذلك يروي السيوطي في الدر المنثور ⁽¹⁾ في ذيل سورة النور ذيل آية في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» أن رجلاً سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن هذه البيوت فقال : بيوت

1- الدر المنثور ٥ : ٥٠ .

الأنبياء فقام أبو بكر وسأله أهذا البيت منها وأشار إلى بيت علي وفاطمة فقال (صلى الله عليه وآله) : نعم هو من أفاضلها» وأخرجه السيوطي عن الحافظ ابن مردويه فوى أن أبا بكر ينقح في ذهنه هذا السؤال والربط بين بيوت الأنبياء وبيت علي وفاطمة (عليهما السلام) مع أنهما ليسا من الأنبياء ، وليس ذلك إلا لما بناه القرآن الكريم والحديث النووي من مقامات علي وفاطمة في ذهن المسلمين .

وهذه من الغرايا البارزة لفاطمة الزهراء (عليها السلام) وإن لم تكن إماماً ، وإنما هي حجة من حجج الله تعالى ، وحينما حرم نوي القوي من حقهم في الولاية ، وأبعدوا عن مناصبهم ساء الوضع المالي وسادت الفوضى المالية في عهد الأول ثم الثاني واشتدّت في عهد الخليفة الثالث ، ثم جاء بعدهم بنو أمية وبنو العباس ، فالله سبحانه وتعالى أخبر عباده بأنكم إن تروا أن يستأثر الأغنياء بالأموال العامة فعليكم لرجاع تدبير الأموال إلى نوي القوي ، وقد أشرت إلى ذلك في خطبتها المعروفة

وعلى كلِّ حال فإنَّ هنالك مقامات أخرى للسيدة الزهراء تبيِّن حجيتها وعظم مكانتها عند الله تعالى وفي الدين الإسلامي الحنيف ، لكن لضيق الوقت نقتصر على ما تقدّم ذكره .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الصفحة 363

الأسئلة والأجوبة

سؤال ١ : ذكروا أن الأموال تعود لنوي القوي ، والإمام علي (عليه السلام) هو الإمام وهو من نوي القوي فتعود إليه لا إلى فاطمة (عليها السلام) ؟

الجواب : قلنا بأن المصداق الأول لنوي القوي هو الزهراء (عليها السلام) ، وهي حجة وتشرك أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحجية وإن لم تكن إماماً ، لكن ما يكون لعلي (عليه السلام) يكون للسيدة الزهراء سلام الله عليها ، ولذلك عندما احتج الإمام علي (عليه السلام) على أصحاب السقيفة احتج عليهم بنفسه وبفاطمة (عليها السلام) باعتبار أنهما ورثة النبي (صلى الله عليه وآله) ، فما يكون لعلي يكون للزهراء (عليها السلام) ، وهي وإن كانت تابعة لزوجها وهو إمامها ، وما يكون تحت ولايتها هو تحت ولاية زوجها سلام الله عليهما .

سؤال ٢ : الروايات الواردة في المؤاخاة بين النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام) ورد فيها المؤاخاة بين السيدة الزهراء (عليها السلام) وأم سلمة (رضي الله عنها) ومؤاخاة أبي بكر وعمر فهل يمكن استنتاج شيء لأم سلمة من هذه المؤاخاة ؟

سؤال ٣ : إن الحجية على ما ذكر في الكتب السماوية وعلى مرّ العصور ثابتة للأنبياء والأوصياء ، ولم نلاحظ امرأة نبيّة أو وصيّة فضلاً عن فوض امرأة لها كمالات تفوق كمالات رجال عصوها ؟

سؤال ٤ : إن الوحي الذي ذكرته لمريم (عليها السلام) ليس ذا مزة يمونها بها عن غيرها ، فقد وحي الله تعالى إلى أمّ موسى (عليها السلام) فقال : ﴿ **وَوَحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ** ﴾⁽¹⁾ ، ووحى الله تعالى إلى النحل فقال : ﴿ **وَوَحَىٰ رَبِّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ** ﴾⁽²⁾

، وهو بمعنى الإلهام وهذا ينفي المقولة والمقام الذي فوضنا لمريم (عليها السلام) ؟

الجواب : بالنسبة إلى السؤال الأول فنقول : إن هذا الأمر (المؤاخاة بين

1- القصص : ٧ .
2- النحل : ٦٨ .

الصفحة 364

فاطمة (عليها السلام) وأم سلمة) ورد من طرق أهل السنة ، ولكن على أي حال فإنّ لأم سلمة (رضي الله عنها) مقاما كريماً ومقولة جليلة لحبها ومولاتها لأهل البيت (عليهم السلام) ، حتّى أنها طلبت من النبي (صلى الله عليه وآله) الدخول معهم في الكساء عند نزول آية التطهير ، لكنّه رفض طلبها بأمر الله تعالى . فلعلّه لأجل هذه المقولة والمقام كرمها الله تعالى

وأذن بموآخاتها مع فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

وأما الجواب عن السؤال الثاني فنقول : مقام الحجية ليس مختصاً بالرجال فقط ؛ إذ ذكرنا فيما تقدم كيف أن الله تعالى اصطفى مريم (عليها السلام) ، مع أنها ليست بنبي ، وطهرها وجعلها حجة ومبشرة بنوّة عيسى (عليه السلام) لعموم المؤمنين من بني إسرائيل ، رجالاً ونساءً ، وكذلك عندما يحدثنا القرآن عن صاحب موسى (عليه السلام) فيقول : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً ﴾⁽¹⁾ ، فهو لم يكن نبياً ولا إماماً ومع ذلك عنده علم لدنيّ ؛ لذلك يصفه القرآن في آخر السورة فيقول : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾⁽²⁾ .

فإذن هنالك حجج الله تعالى مصطفون ومجتبون مع أنهم ليسوا بأنبياء ولا أئمة .

وأما بالنسبة للسؤال الثالث : استخدام لفظ الوحي في أم موسى (عليه السلام) يختلف عن استخدامه في النحل ، حيث إن معنى الوحي في النحل بمعنى الفطرة ، أي إنّ الله تعالى فطر النحل على اتّخاذ بيوت لها وتشكيل خلية سداسية لإنتاج العسل ، كما فطر كلّ مخلوق إلى التحرك نحو ما يحتاجه بدءاً من الإنسان وانتهاء بالنبات ، أما الوحي لأم موسى (عليه السلام) فهو ناشئ من الشعور والافواك الغيبي كما تشير الآيات إلى ذلك كقوله تعالى : ﴿ فافذنيه في اليم ﴾⁽³⁾ ، وقوله تعالى : ﴿ إننا رآوه إليك ﴾⁽⁴⁾ ،

- 1- الكهف : ٦٥ .
- 2- الكهف : ٨٢ .
- 3- طه : ٣٩ .
- 4- القصص : ٧ .

الصفحة 365

ويذكر القرآن ستة قيود للوحي ، وكلّها تشتمل على أوامر ووعد إلهية ، مما يميّز هذا الوحي الشعوري عن الجبلة والفطرة فهو رسالة غيبية ، لكنّها ليست بنبيّة أو وصيّة . وأما في قصة مريم فلم يكن استشهاداً بلفظ الوحي بل كان تصويحاً حيث يقول تعالى : ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾⁽¹⁾ ، وقال تعالى : ﴿ كذلك قال ربك ﴾⁽²⁾ ، فهناك تصريح بوجود وحي عند مريم ولتباط مباشر بينها وبين الله تعالى ، وهو ما عرّفنا عنه بالعلم

اللدنيّ الذي أهل مريم (عليها السلام) للاطلاع على الغيب وسماع نداء السماء .

سؤال ٥ : هل يجب على المسلم أن يتمذهب بمذهب معين أم لا يجب عليه ذلك ، وإنّما يتوك الأمر إلى حين اتّضح الحقيقة من نصّ صويح أو غير ذلك ؟

الجواب : إنّ الدين الإسلامي دين الفطرة قال تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾⁽³⁾ ،

وبما أنّ العقل أترك وجود الله تعالى وأنّ له لتباطات معينة لا يستطيع الوصول إليها لوحده ، وإنّما بحاجة إلى

رابط بينه وبين الله تعالى يوصل إليه ما يريد ، وهذا ما نعبر عنه بالسفرة الإلهية للبشر المتمثلة بالوسل الكوام (عليهم السلام) ، واتباع ما جاؤوا به من عند الله تعالى ، وهو ما يعبر عنه بالشريعة بأحكامها المختلفة ، الجزئية والكلية ، ومعرفة الأمور المتعلقة بالتوحيد والنوّة والإمامة والمعاد وغير ذلك .

وحيث يقع اختلاف بعد الوسل سلام الله عليهم ، وتعدّد الاتجاهات والطرق فيجب على الإنسان تحديد طريق معيّن واتخاذ منهج خاص ، وهو المنهج الذي حدّده للوسل ، أي رسول كان ، ومن هنا يأتي حديث الفوقة الناجية ، وهو يعني

1- آل عمران : ٤٢ .

2- مريم : ٩ .

3- الروم : ٣٠ .

الصفحة 366

وجوب تحديد المنهج الذي يسير عليه ، ولا بدّ أن يكون واقعاً في ضمن الفوقة الناجية ، ومن هنا يحصل التمهذب ، فبالتالي يجب على الإنسان التمهذب بمذهب الفوقة الناجية .

ومن هنا تنشأ المذهبية . أي المذهبية حالة مفوزة عن اختيار منهج معيّن وليست أصلاً موضوعياً يتخذ لينتج منهجاً خاصاً

سؤال ٦ : ذكرتم أنّ لفاطمة (عليها السلام) مقام الحجية ، وأنّ الأئمة (عليهم السلام) هم حجج الله تعالى ، لكن هنالك حديث ينصّ على أنّ الأئمة هم حجج الله تعالى ، وفاطمة حجة الله تعالى عليهم فهل يعني ذلك أوسعياً دائرة حجبة فاطمة (عليها السلام) من أبنائها ؟

الجواب : هذا الحديث لم يرد في المصادر الموثقة عندنا ، وإنّما ذكره بعض المفسرين في تفسير أطيّب البيان ، وبالتالي لا يمكن عدّه إلا رواية موسلة أو ضعيفة ، لكن مضمون هذا الحديث ورد في روايات أخرى كحديث النور : أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، ثم نور علي ، ثم نور فاطمة ، ثم نور الحسنين (عليهما السلام) ⁽¹⁾ ، أو ما ورد في زيارة الأئمة (عليهم السلام) كزيارة الإمام الوضا (عليه السلام) حيث يقول : «السلام عليك يا ورث أمير المؤمنين علي ولي الله ، السلام عليك يا ورث فاطمة سيدة نساء العالمين ، السلام عليك يا ورث الحسن والحسين» ⁽²⁾ حيث جعلت مرتبتها بعد مرتبة الإمام علي (عليه السلام) . ثم إنّ الحجية لا حين حياتها كانت للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، ثم الإمام علي (عليه السلام) ، ولم يكن الحسن والحسين إمامين عليها في زمانهما ، مما قد يعطي لها منزلة عظيمة وشأناً كبيراً لمقام الحجية ويجعل رتبتها فوق مرتبة أبنائها الأئمة (عليهم السلام) كما ذهب إلى هذا الرأي السيد عبد الله شبر كما في كتاب شوح الزيارة أو غوه من كتبه ، وأنّ مرتبتها في الفضل بعد رتبة النبي والوصي (عليهما السلام) .

وهذا الأمر ليس بغريب حيث يحدثنا القرآن عن صاحب موسى (عليه السلام) الذي

1- بحار الأنوار ١٥ : ١٠ حديث ١١ .

2- كامل الزيارات : ٥١٧-٥١٨ حديث ٨٠١ .

هو ليس بنبي أو وصي ومع ذلك هو أفضل من موسى (عليه السلام) في العلوم اللدنية ، قال تعالى حاكياً عن موسى (عليه السلام) : ﴿ هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَنَ مِمَّا عَلِمْتَ رِسْدًا ﴾⁽¹⁾ . وأن كان موسى أفضل من ناحية علم النبوة والشريعة .

فإذن مقام الحجية قد يرقى مرتبة فوق مرتبة النبي والوصي كما لاحظنا ذلك في موسى (عليه السلام) وصاحبه .

سؤال ٧ : شيخنا الجليل ما ذكرتموه من مطالب نسلم بها ، لكن يمكن لقائل أن يورد عدة إوادات على الاستدلال الذي ذكرتموه .

الارواد الأول : إن الأصل العقائدي أو الاعتقادي لأجل إثباته يحتاج إلى دليل قطعي ، واضح الدلالة وصحيح السند خلافاً للوع الفقهي الذي يكفي فيه ظنية الدليل مع اعتباره من قبل الشروع ، وما ذكرتموه كدليل على المدعى ليس قطعي الدلالة ، وإنما عيلة عن تجميع قوائن كآية التطهير والأخواب وغوها ومن ضم بعضها إلى بعض وصلتم إلى ما ذكرتموه . أي ما ذكرتموه كدليل ليس واضحاً بحيث يثبت به أصلاً عقائدياً ، بل دلالاته غير واضحة .

الارواد الثاني : إنكم انطلقتم من آية المباهلة لإثبات المركبة المهمة لأهل البيت (عليهم السلام) ، وهم أصحاب الكساء الخمسة في الدين الإسلامي ، وحجيتهم المطلقة فيه ، مع أنه يمكن أن يعترض على ذلك بشيئين :

وأولاً : إن ما صدر من النبي (صلى الله عليه وآله) في المباهلة فعل ، والفعل صامت لا يمكن الاستفادة منه ومعرفة حدوده وأبعاده ، فمن أين أمكنكم الاستفادة المركبة والقطبية لأصحاب الكساء ؟

ثانياً : إن القضية سالبة بانتفاء الموضوع ؛ إذ لا ضرر محتمل على هؤلاء الخمسة الكرام (عليهم السلام) ، لأحقية الدين الإسلامي الحنيف فكيف يمكن الاستفادة المترلة التي ذكرتموها لأهل البيت (عليهم السلام) ؟

1- الكهف : ٦٦ .

ثالثاً : إننا نؤمن بما ذكره القرآن الكريم في حق السيدة مريم (عليها السلام) من أنها حجة من الحجج الإلهية ، لكن لا يمكن إثبات ذلك للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، لعدم قيام أدلة قطعية واضحة على ذلك .

الجواب : الأخ السائل أثار عدة نقاط جدوة بالاهتمام والتأمل ، وهي تستدعي مزيد بيان على ما ذكرناه في البحث المتقدم فنقول : إن الأصول الاعتقادية لا تثبت إلا بالدليل القطعي ، وأما تفاصيل الأصول الاعتقادية فنثبت بالدليل الظني المعتمد . هذا من جهة ومن جهة أخرى : إن جمع الدلالات القوانية وضم القوان بعضها إلى بعض تنتج دليلاً قطعياً على المسألة التي تراكمت عليها الدلالات القوانية ، كالتواتر المبحوث في الفقه والأصول حيث يبدأ بخبر واحد إلى أن يصل إلى حد التواتر نتيجة تراكم الأخبار المتشابهة على واقعة واحدة حتى تصل إلى حد القطع واليقين .

فكذلك الدلالات القوانية بعضها صريح وبعضها ظاهر ، والظهور تختلف توجهه بين القوة والتوسط والضعف ، ومن خلال جمع تلك الدلالات بعضها إلى جنب بعض تنتج دليلاً قطعياً يمكننا التمسك به .

وهذا ليس مقتصواً على إثبات الحجية لخواء (عليها السلام) ، بل جميع الحجج والأصول العفائية كذلك .
فإذن تجميع الدلالات والظهورات والقوان وضّم بعضها إلى بعض ليس أمراً خارجاً عن نطاق البحث العلمي لا يمكن من خلاله إثبات الاعتقادات .

وما نحن فيه لم تكن الدلالات دلالات ظنية ، بل الدلالات قطعية لذا صوّح القوان الكريم بالحجة والاحتجاج في آية المبالهة ، ووصلت المحاجة إلى مستوى المبالهة ، وهذا تصويح قواني أيضاً ، وكذلك تعيين طرف النزاع فيه تصريح أيضاً ، وهو إخراج هؤلاء الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام) لمحاجة نصرى نوان .
ومسألة المبالهة مسألة معلومة في الديانات السماوية وفي القوانين

الصفحة 369

الوضعية ، فإنّ الحلف والتحالف عند وقوع النزاع أمرٌ متعارف عليه منذ أن خلق الله تعالى الخلق ، إذ عند وقوع التنزع وتصل المسألة إلى حدّ الاختلاف فلا يبقى طريق إلاّ التحالف والتباهل .

ويقوم بالمبالهة الطرف الأصلي من النزاع ؛ لأنه صاحب الحقّ ، والمطلوب منه إثبات ذلك . وعندئذ نفهم بأن أصحاب الكساء كلّهم طرف أصلي في دعوى النزاع وإثبات أحقية الديانة الإسلامية ، وحينئذ يرد هذا السؤال وهو : كيف أصبح أصحاب الكساء الخمسة (عليهم السلام) في مرتبة واحدة ومساوية لمرتبة النبي (صلى الله عليه وآله) لإثبات أحقية الدين الإسلامي ، مع أنّها ملقاة على عاتق النبي (صلى الله عليه وآله) ومن وظائفه ؛ فكيف شك الله سبحانه وتعالى مع النبي (صلى الله عليه وآله) غره ؟

والجواب : إنّ نفس قضية جعل أصحاب الكساء من قوام دعوة الإسلام وأنهم من أسسّ الدين والممثلين الشوعيين له دليل على أنّ الدعوى قائمة عليهم ، وأنّ شأنهم في الوسالة الإسلامية كشأن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، لكنهم ليسوا بأنبياء وإنما هم حجج الله تعالى وعندهم علم لدني من الله تعالى .

ومع وجود الصحابة وجمهورهم ووجود زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) إلاّ أنّ الله تعالى لم يحتج بهم وإنما احتجّ بهؤلاء الخمسة (عليهم السلام) ، ومنه يتضح أنّ لهم مقولة عظيمة وأنهم أئمة ، ونستطيع فهم بقية الأدلة وتتشكل لدينا قوائن وأدلة كثرة تصل بنا إلى اليقين بأنّ هؤلاء حجج الله تعالى على خلقه .

وأما جواب النقطة الثانية : فالبحث ليس دائراً حول الضرر وعدمه ، ولم تصل بنا النوبة إلى قاعدة الضرر ، وإنما الدليل مبني على أنّ إخراج هؤلاء الخمسة (عليهم السلام) بين جموع المسلمين والوقوف بهم بوجه نصرى نوان دليل على أنّ لهم مقولة وشأناً رفيعاً ، حيث أمرهم الله تعالى بالوقوف والمبالهة من أجل إثبات أحقية الدين الإسلامي ، وهذا معنى أنهم حجج الله تعالى المفروضة على الخلق .

وأما جواب السؤال الثاني فنقول : إنّنا في كلامنا لم نسلك القياس سواء كان

الصفحة 370

قياس الأولوية أو غوه ، وإتّما سلّكنا العناوين التي ذكرها القرآن الكريم ، وتدبرنا تلك العناوين وماهياتها ومن خلالها أثبتنا

لفاطمة (عليها السلام) مقولة الحجّية وإن لم تكن نبية أو إماماً ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ (1) ،

وتدبرنا العناوين الواردة في حقّ مريم (عليها السلام) وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْتَبَاكِ عَلَى نِسَاءِ

الْعَالَمِينَ ﴾ (2) ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ (3) ، وغير ذلك من الآيات التي تحكم بحجّية مريم (عليها

السلام) ، خصوصاً بعد ضمّها إلى الآيات الأخرى الحاكية عن الأنبياء (عليهم السلام) إذ يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ

وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (4) .

ثمّ بعد ذلك نلاحظ أنّ الاصطفاء والتطهير الورد في حقّ مريم (عليها السلام) ورد في حقّ أهل البيت (عليهم السلام) حينما

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (5) ، وفي سورة الواقعة ورد أنّ هنالك ثلّة من

هذه الأمة الإسلامية مطهرون ولهم اطلاع تام على الغيب المكنون في القرآن الكريم . فمن خلال هذا البحث في القرآن وقراءة

الآيات المبركة قراءة متأنّية أوصلتنا إلى أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) طاهرة مطهّرة وحجة من الله تعالى ولديها علم

لذني يمسنّ الغيب مساس ، إحساس ومشاهدة .

سؤال ٨ : هل إنّ الحديثين التاليين صحيحان ، الحديث الأول : « لا تشدّ ألوحال إلا لثلاثة مساجد : مسجد الحوام ،

ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » (6) .

1- محمّد : ٢٤ .

2- آل عمران : ٤٢ .

3- المؤمنون : ٥٠ .

4- آل عمران : ٣٣ .

5- الأحزاب : ٣٣ .

6- مسند أحمد ٢ : ٢٧٨ ، صحيح البخاري ٢ : ٥٦ ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، صحيح مسلم ٤ : ١٢٦ .

الحديث الثاني : « إنّ الله اخترني واختر لي أصحاب وأصهلي ، وسيأتي قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا

تشربوهم ولا تآكلوهم ولا تناكحوهم . . . » (1) ؟

سؤال ٩ : ما رأيكم فيمن ضعّف حديث الكساء ، وهو ينتسب إلى نزيّة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وياحبّها لو ترشدونا

إلى سند الحديث ؟

سؤال ١٠ : كتب بعض المراجع الكوام كتاباً في فقه السيدة الزهراء (عليها السلام) واستطاع استخراج بعض الأحكام

الشوعية من مواقفها وخطبها ، فما رأيكم في ذلك ؟

سؤال ١١ : اتفقت الإمامية على أنّ السيدة الزهراء لها ولاية تكوينية كبقية المعصومين (عليهم السلام) ، وهي مع أهل بيتها

واسطة في الفيض الإلهي كما ورد في النصوص الشوعية أنّ ولّاهم لساخت الأرض بأهلها (2) ، وهم سبب قيام الكون

واستقرار تولّنه ، فما تقولون في ذلك ؟

الجواب : أما الجواب عن حديث : « لا تشدّ الرحال . . . » ، وحديث : « إن الله اختلني . . . » فلا بدّ ولا من عرضهما على الكتاب والسنة ، أي محكمات القرآن والسنة المطهرة ، وإذ أرجعنا إلى القرآن الكريم وجدناه يحكي قصة أصحاب الكهف إذ يقول : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَوْهَامِهِمْ مَسْجِدًا ﴾ (3) ، وقرّر القرآن الكريم ذلك ولم يردّ عليه وينهى عنه ، مما يدلّ على شوعيته ، وكذلك في السنة الثريفة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) تقوير ذلك ؛ إذ ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : « نهيتكم عن زيارة القبور فروروها » (4) ، وورد عن الصحابة

1- كنز العمال ١١ : ٥٢٩ .

2- الكافي ١ : ١٧٩ الأحاديث ١٠ - ١٢ .

3- الكهف : ٢١ .

4- صحيح مسلم ٢ : ٦٥ ، سنن ابن ماجة ١ : ٥٠١ .

الصفحة 372

فعل ذلك حيث ورد أنّ مروان مرّ على قبر النبي (صلى الله عليه وآله) : « فوجد رجلاً وُضِعَ وجهه على القبر ، فقال : أتتري ما تصنع ، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيّوب ، فقال : نعم ، جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم أت الحجر . سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا عليه إذا وليه غير أهله » (1) ، وغير ذلك من الأحاديث الواردة من طرق السنة ، ومن راد المزيد فعليه بمراجعة كتاب الغدير الجزء الخامس : ص ١٤٨ حول هذا الموضوع .

وقد مرّ رواية الحافظ ابن موديه ان البيوت التي اذن الله ان ترفع هي بيوت علي وفاطمة (عليهما السلام) وقبرهم بيوت لهم .

وأما من طرق أهل البيت فالروايات المصوّحة بجواز زيارة القبور واستحباب زيارة قبور الأنبياء والصلحاء فيه كثرة جداً ، وغنية عن البحث فيها . وأهل البيت هم الحجّة كما دلّ على ذلك القرآن والأحاديث الصحيحة كحديث الثقلين وغيره .
وأما الحديث الثاني فهو غير صحيح ، لضعف سنده عند أهل السنة من جهة ، ومن جهة أخرى لا يمكن الاتّام به إذا رُيد به عموم الصحابة بهذا المفهوم الواسع الذي يذكّره أهل السنة ، من أنّ كلّ من رأى النبي (صلى الله عليه وآله) صحابي ، فهذا لا يمكن قبوله ؛ لأنّه ورد في حقّهم التبدّل والتغيير ، وفيهم المنافقون ، وفيهم مرضى القلوب ، وفيهم من قتل وظلم وغيرّ وبدلّ ، فلا يمكن الاتّام بالحديث إذا ما رُيد به عموم الصحابة بمفهومها الواسع عند أهل السنة .

حتّى إنّ ورد عن الصحابة أنفسهم نفي ذلك الأمر فهذا ابن عباس يقول : «أيقول أحدهم أبي صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولنقل خلق خير من أبيه» (2) .

1- مسند أحمد ٥ : ٤٢٢ .

2- مجمع الزوائد ١ : ١١٢ وقال : «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح» .

وقد صوّح القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرِّسَالُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾⁽¹⁾ ، وفي آيةٍ أُخرى يقول تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ

الشُّكُورِ ﴾⁽²⁾ ، ممّا يعني أنّ القليل من يثبت ويبقى على الدين الصحيح الذي قول على النبي (صلى الله عليه وآله) .

وإذا أُريد بالحديث بعض الصحابة ممن بقي على عهده ، واتبع مارسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأُمَّته ، واتبَع وصيَّته فالحديث صحيح ، كيف ورأس الصحابة وعميدهم الأول الإمام علي عليه الصلاة والسلام ، والبقية الصالحة كعمارَ وأبي ذر والمقداد وسلمان وحذيفة وغير ذلك ممن لم يغيّر ويبدل .

وأما الجواب حول حديث الكساء : فهو إنّ الحديث لم يرد في موطن واحد وحادثة معينة ، وإنما ورد في عدة مواطن ، فورد في واقعة المباهلة ، وورد عندما تولت آية التطهير وورد في أماكن أُخرى ، وقد ورد بطرق صحيحة من طرق أهل السنة والشيعة .

وأما جواب سؤال حجّية قولها : فنقول إنّ الحديث كله يَنور حول حجّية قولها ، وأن ما يصدر منها قولاً وعملاً حجّةً ، والشيعَة تستدلّ بمواقفها وأفعالها وخصوصاً الحوادث التي وقعت بعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، حيث كانت مواقفها وأفعالها حجّةً وهدى ونور لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) .

فقولها وفعلها حجّة في العقائد والفروع الفقهيّة على السواء .

وأما جواب السؤال الأخير : فنقول أمّا أصل ثبوت ولايتها فهو من الأصول الاعتقادية ، وأمّا التفاصيل والفروع فإن ثبت على ذلك دليل فيجب الاعتقاد به ، وإن لم يقدّم على ذلك دليل فلا يجب الاعتقاد به .

1- آل عمران : ١٤٤ .

2- سبأ : ١٣ .

سؤال ١٢ : ما حقيقة ما في مصحف فاطمة (عليها السلام) ، فهل هو عبارة عن مسائل شوعية أم أنّه حاو لأمر غيبية ؟
الجواب : عبارة عن صحف كانت تكتب فيها ما يمليه عليها جبريل (عليه السلام) ، وفي بعض الأخبار أنّه من إمام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا تدافع المفادين لأنّه يمكن أن يكون بعضه من إخبارات جبرئيل (عليه السلام) وبعضه من إمام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا بدع في ذلك ولا ضير مادام أنّه ليس بقرآن فلا محذور فيه ، ولا غلو في نزول جبرئيل (عليه السلام) عليها مادام النزول ليس نزول نبيّة ، كنزول الملائكة وجبرئيل على السيدة مريم (عليها السلام) ، خصوصاً بعدما تقدّم وبيناه من ثبوت الحجّية لبعض النساء المؤمنات المصطفيات ، وكذلك ما ذكرته سورة الواقعة من وجود مطهّرين مطلعين على عالم الغيب ، وبيّنت هؤلاء المطهّرين وأفصحت عنهم سورة الأحزاب وهم أهل البيت (عليهم السلام) .
فإنّ هنالك مصحف للهؤلاء (عليها السلام) ، ليس هو بقرآن ، ولا تدعي الشيعة أنّه قرآن ولا يستغنى به عنه ، وإنما فيه

إخبارات غيبية تولت من عند الله تعالى بتوسط جبرئيل (عليه السلام) ، تسلياً لفاطمة الزهراء بعد وفاة أبيها ، وفيه بعض الإملاءات من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو متولث عند الأئمة (عليهم السلام) .
ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى نقطة مهمّة وهي أنّ الروايات الواردة عن مصحف السيدة الزهراء (عليها السلام) لم ترد في خصوص كتاب الكافي للشيخ الكليني في باب مصحف فاطمة (عليها السلام) ⁽¹⁾ ، وإنّما وردت في كتب أخرى .
فبالخلاصة إن هنالك مصحف للسيدة الزهراء باملاء جبرئيل (عليه السلام) ، وهو غير القوان ، ولا تعتقد الشيعة أنّه قان ، وورد الحديث عنه بأسانيد صحيحة وطرق قوية ، وورد في مصادر عديدة في المصادر الشيعية .

1- الكافي ١ : ٢٣٨ الأحاديث ١ - ٦ و ٨ ، وعيون أخبار الإمام الرضا (عليه السلام) ١ : ١٩٣ ، ومعاني الأخبار : ١٠٣ حديث ٤ ، وعلل الشرائع ١ : ٢٠٧ حديث ٧ ، والإرشاد ٢ : ١٨٦ .

الصفحة 375

سؤال ١٣ : هل يوجد فرق كبير بين روايات المذاهب الإسلامية ؟

وإذا لم يكن هناك فرق كبير فلماذا هذا التحامل على أهل البيت (عليهم السلام) ؟

الجواب : بالنسبة إلى روايات المناقب والفضائل لأهل البيت (عليهم السلام) فهي ولادة في روايات الفوقين الشيعة والسنة

، فالكل يقول بأنّ توي القوي الورد في قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُورَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

الْقُرْبَىٰ ﴾ ⁽¹⁾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ ⁽²⁾ أنّ مصداق ذلك هي فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وتسالوا أيضاً

على أنّها خصت بالفيء والأنفال والخمس ، ومقتضاه أنّها لها حق الولاية والحجبة على الأموال العامة ، إلا أنّها ليست بإمام ، ولكن لها الولاية على تدبير وتوزيع الأموال العامة حتّى لا يكون دولة بين الأغنياء ولا يبقى محصوراً ضمن طبقة معينة ، وهذا يدلّ على عصمتهم العلمية والعملية ؛ لأنّ من لا يتمتع بهذه الكفاءة الغيبية لا يمكنه أن يقيم العدالة الاجتماعية ، ويحقق التوازن العادل في كيفية إدرة الأموال وتوزيعها .

خصوصاً بعد ملاحظة أنّ النظم الاقتصادية العالمية المتلاحقة المتعاقبة بين فترة وأخرى تصوّح بنظرية جديدة من أجل إيجاد العدالة المالية ، وتوزيع الثروات بصورة عادلة تفاقياً لإخفاق النظرية السابقة عليها ، وهلمّ جرا ولم يصلوا إلى الوقت الراهن إلى هذه الغاية ، والقوان يجعل وينبأ لأهل البيت القورة والكفاءة في حقّ توزيع الثروة المالية وإدرة شؤونها بنحو عادل مما يدلّ على كمالهم العلمي والعملية على حدّ سواء ، والإمعّ عدم ذلك لا يمكنهم تحقيق العدالة المطلوبة في الآية المباركة .
خصوصاً إذا ما طالعنا الآيات المباركة الواردة في قصة يوسف ؛ إذ يخاطب

1- الحشر : ٧ .
2- الإسراء : ٣٦ .

الصفحة 376

الملك بقوله : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ قَرَأَنَ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ⁽¹⁾ . أيّ لديّ عصمة عملية أعلم أين أضع المال وأين أنفقه

وبالتالي أقيم العدل الاجتماعي ، فذلك أهل البيت (عليهم السلام) فلأجل أنّ لديهم العصمة العلمية والعملية أهلهم الله تعالى لأن يكونوا أمناء على خزائن وودائعهم في الأرض وأن يقيموا العدل الاجتماعي المطلوب ، وتوزيع الثروات بشكل عادل .
سؤال ١٤ : وهو يتكون من فوعين :

الفوع الأول : مارأي سماحتكم في ففوى السيد محمدّ تقى الطباطبائي القمي من أنّ الذي يشكّ في عصمة السيدة الزهراء (عليها السلام) فهو كافر وداخل في دائرة الكافرين ؟

الفوع الثاني : هناك من يقول بأنّ الزهراء (عليها السلام) امرأة عادية وهي كخديجة أمّها وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران ، حيث إنّ هذه النسوة وصلن إلى هذه المقامات العالية بسبب وجودهنّ في بيوت مقدّسة ، فذلك الزهراء (عليها السلام) لأنّها في بيت مقدّس فهي على هذه المقولة الرفيعة ، ولولا وجودها في هذا البيت المقدّس لما كانت سيدة نساء العالمين ، فهو ينكر الخصائص الروحية والكمالات النفسية للسيدة فاطمة (عليها السلام) فمارأي سماحتكم في ذلك ؟

سؤال ١٥ : ما معنى مقولة : والسرّ المستودع فيها فهل فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي محور الأئمة ولأجل ذلك صلت سراً مستودعاً ؟

سؤال ١٦ : ما هو المميّز بين الحقيقة والخرافة ، مع ملاحظة أنّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فيه أمور مغالية كالاتقاد بأنّ الأئمة يؤمنون بالغيب والتوسّل بهم وغير ذلك مما يجعلنا الآخرون عرضة للاتهام والتحامل ؟
الجواب : ونبدأ بالإجابة على سؤال رقم ١٥ فنقول : إنّ هنالك اتهامات باطلة توجه إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، ومنها اتهامهم بالباطنية والغنوصية والسعي

1- يوسف : ٥٥ .

الصفحة 377

إلى تحجيم الإسلام ضمن مبادئ باطنية غريبة عن الدين . وهي اتهامات باطلة ليس لها من الواقع شيء ، لأنّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) مذهب واقعي ، وهو الممثل لحقيقة الإسلام الذي هو وسط بين الديانات السماوية ، لا إواط فيه في جانب المادّة ولا تقيوط في جانب الغنوص والتكيف الباطني . . .
وهذا هو الذي أوقع الكتاب الإسلاميين في خطأ فاضح في فهم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، فهم نتيجة الانغماس في الجانب الحسّي الذي مثله المذهب الآخر والماديّة الحديثة أخنوا يتحاملون على مذهب أهل البيت أنه مذهب باطني .
والحقيقة إنّ الأمور الغيبية لا يمكن إنكلها ، وقد صدع بها الدين الإسلامي الحنيف فنشأة الآخرة ، والنشأة البرزخية ، والنشأة في يوم القيامة ، ونشأة المعاد ، ونشأة الجنّة والنار ، ونشأة الرضوان ، ومقعد صدق عند مليك مقتدر ، ونشأة الذرّ ، ونشآت أخرى لا حدّ لها ولا حصر وردت في تعاليم الدين الإسلامي ، وكلّها نشآت غيبية لا يمكن إنكلها أو إغماض النظر عنها .

وكذلك هنالك ظاهر محسوس للقوان الكريم وهناك باطن تؤول إليه هذه الظواهر عند رجاعها إلى محكمات الكتاب قال

تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ

مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَاسْخُونِ فِي الْعِلْمِ ⁽¹⁾ .

فهناك ظاهر للقوان ، وهناك باطن له ، وعلى المسلم أن يؤمن بهما وبأن هناك غيب مكنون للكتاب في لوح محفوظ يعلمه المطهرون من عباد الله تعالى بنص سورة الواقعة .

فإن الغيب أمر واقعي نطق به القوان الكريم والسنة النبوية المطهورة ، ولا ينبغي الإفراط في جانب ، والتقيط في جانب

آخر .

1- آل عمران : ٧ .

الصفحة 378

بقي أمر آخر : وهو كيف نميز الغيب الحق عن الخرافات والأوهام الباطلة ؟

والجواب عن ذلك : أن المميز هو الكتاب والسنة المطهورة ، فمحكمات الكتاب والسنة هي المزان في الغيب الحق والخوافة

والوهم ، وكذلك بالفطرة الإنسانية السليمة ، قال تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ

الْقِيمُ ⁽¹⁾ ، فالفطرة السليمة هي الممورة لذلك .

ولابد من التنبيه إلى أن القواء الدينية يجب أن يكون بنؤها وأساسها صحيحا حتى يصح أن يقال عنها أنها قواء دينية ،

فحيث أن القوان قول باللغة العربية فيجب بواسطة اللغة العربية بواسطة جيدة وصحيحة ، ومن ثم التوج إلى استنباط الأحكام

من مداليلها بعد ما يتجاوز من اللفظ باللغة إليها ، وكل ذلك يتم من خلال تحكيم المحكمات من الآيات القوانية .

وأما الإتهام والتهجم على الآخرين بأنهم باطنيون وغنوصين فهذا غير صحيح ، ولا يصح اتهام الدين الإسلامي بأنه

غنوصي لأجل جوح بعض الأواد إلى الباطنية بالمعنى الخاطئ .

وهناك روايات كثرة تصوح بأن القوان له بطون أكثر من سبعين بطن ، وهذه البطون لا تعني أن القوان يدعو إلى الباطن

الهلوسي وإلى الغنوص بل يدعو إلى فهم القوان فهما صحيحا منطلقا من مسلمات ظاهرية وصحيحة .

وأما السؤال الأخير : فإن أصول الدين الإسلامي غير منحوسة في ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، وإنما الأصل في الدين كل ما

ثبت بالدليل اليقيني القطعي أنه من الاعتقادات التي يجب الإيمان بها ، وعلى ذلك فلا يصح التهجم على الآخرين ونكفروهم

لأمر لم تثبت بدليل قطعي يقيني أنها من الاعتقادات .

وأما السيدة الزهراء (عليها السلام) فقد قلنا بأن موقفها بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وما واجهته من أحداث

جسيمه وقامت به فقد خطت للدين الإسلامي خطأ صحيحا

1- الروم : ٣٠ .

وحددت مساره ، وأثبتت إمامة الثقلين الذين أوصى بهما النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) خلافاً للاتجاهات والطوائف الأخرى التي انحرفت عن مسار الدين .

وإيماننا بأن الاعتقاد بالهراء (عليها السلام) من أصول الاعتقادات لا يعني أن من تشهد الشهادتين لا يحكم بإسلامه ، بل هو مسلم كما صوّح القرآن بذلك قال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قَلَّ لَمُ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾⁽¹⁾ ، فالآية تصوّح بأن هنالك فرقاً بين الإسلام والإيمان ، وأنّ التشهد بالشهادتين أول مرتبة وهو الإسلام ، ومن ثم يتّوج الإنسان حتى يصل إلى مرحلة الإيمان ، وهي الاعتقاد بكلّ ما جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والعمل به .

ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) يحكم بإسلام الجميع ولا تكفّر أحداً من المسلمين ما لم ينكر ضرورة من ضروريات الدين المتسالم عليها ، فيحكمون بإسلامه وحرمة دمه وصيانة ماله وعرضه ، لكن النجاة في الآخرة إنّما هي بالإيمان لا بمجرد صورة الإسلام ، وإنّما يدور مدار التمسك بالتعاليم الإلهية ولزوم الفرقة الناجية التي أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) عنها حينما قال : «لَتَفْتَقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فُرْقَةً وَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»⁽²⁾ .

وهذه الفرقة الناجية هي الفرقة المتبعة لأهل البيت (عليهم السلام) طبقاً لحديث الثقلين ، ولقوله (صلى الله عليه وآله) : «مثل أهل بيتي مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»⁽³⁾ ، ولأحاديث أخرى كثيرة دالة على تحديد هذه الفرقة الناجية ومعينة لها بأشخاصها وصفاتها ، وهم المتبعون لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله تعالى عنهم الرّجس وطهّرهم من الدنس ، وجعلهم أعلام يهتدى بهم في الظلام وعند الافتراق في المتاهات والمترقات التي توالى وما زالت على الأمة الإسلامية والمسلمين .

1- الحجرات : ١٤ .

2- سنن ابن ماجه ٢ : ١٣٢٢ حديث ٣٩٩٢ .

3- المستدرک للحاکم النيسابوري ٢ : ٣٤٣ .

وأما جواب السؤال الأول : فلا بد من عدم توهم أن الكفر الورد في الآيات والروايات ليس بمعنى واحد فرد ولا هو منحصر في الإخراج عن الدين ككفر المشركين وأهل الكتاب ، وإنّما المقصود به كما هو ورد في القرآن والسنة النبوية ما يقابل الإيمان أو قد واد به كفر النعم ، والقرآن الكريم في آيات عديدة تحدّثنا عن الإيمان وأنه ذو مراتب ودرجات ، والهداية

لها درجاتها أيضاً ، والمسلم يوقأ في كلّ يوم خمس مرات سورة الحمد ويطلب من الله الهداية : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * ﴾⁽¹⁾ .

فالمسلم الموحد يطلب الهداية من الله تعالى ورفع روجه الإيمانية إلى مقام عال ، ويطلب منه تعالى أن يلحقه بصراط الذين أنعم عليهم ، أي أنّ هناك ثلاثة مؤمنة منعم عليها بالهداية ويسأل الله تعالى أن يلحقه بها ، وهؤلاء هم الأئمة المعصومون الذين

يمتلكون علم لدني رباني ، فهم مهنتون وهادون ويهدون غوهم ، ولم ينالهم من الله تعالى غضب أو سخط ، فكما أن لهم عصمة علمية لهم عصمة عملية أيضاً .

والدليل على ذلك أن الإنسان المسلم يطلب الهداية في تمام مراحلها ودرجاتها ، وهو يطلب أن يكون مع الذين أنعم الله تعالى عليهم بذلك ، فلا بد أن يكونوا واصلين إلى مرحلة الهداية التامة والانفتاح المطلق على عالم الغيب حتى يطلب أن يكون معهم ، وهذه هي العصمة العلمية والمقام الأسمى والعلم اللدني الذي وهب لهؤلاء الأطهار من عند الله تعالى .
وكذلك يصفهم بأنهم لم يُغضب عليهم الله تعالى قط في علمهم ولم يضلهم في تولهم ، أي أن لهم عصمة عملية وعلمية .
فهم المعصومون عملاً وعلماً . وهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

1- الفاتحة : ٥- ٨ .

الصفحة 381

إن القوان يصوح بأن الإيمان له درجات وراتب ينبغي على الإنسان المسلم السعي إليها والوصول إليها ، والأصول الاعتقادية تدخل في الباب ، أي أن الإيمان يزداد وينقص ويرفع الإنسان إلى الكمال ، ومن تلك الأصول الاعتقادية الإيمان بأهل البيت (عليهم السلام) ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (1) .
وأما الإجابة على سؤال السرّ المستودع في فاطمة الزهراء (عليها السلام) فنقول : ذكر علماء الطائفة وجهاً واحتمالات عديدة لتفسير هذا الكلام :

الوجه الأول : ما ذكرته سورة الواقعة من أنها طاهرة مطهورة ، وعندها علم الكتاب المبين ، وعلم الكتاب المبين لأنه يستنظر فيه كل غائبة وهذا يعني أن كل ما يحدث في الكون تعلمه ومطلعة عليه ، فكل غائبة في السموات والأرض هي مطلعة عليه ، فتعلم بكل شيء كائن وتعلم بما أوتي النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) من رسالة سماوية وعلم إلهي وهذا المعنى يرتبط بكون حقيقتها مرتبطة بليلة القدر المرتبطة بنزول القوان .

الوجه الثاني : أنها الأرضية الطاهرة المطهورة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) والنزيرة النبوية المباركة ، وهذه النزيرة بعضها من بعض كما يصفها القوان الكريم : ﴿ نَزِيرَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ (2) ، ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (3) . وهذا اصطفاء واجتباء إلهي وليس وراثته دنيوية كما هو الموجود في الممالك الغائرة والحاضرة حيث يورث بعضهم بعضاً الملك والحكم ، بلا ضوابط اجتماعية أو عرفية أو عقلية ما عدا اللحمة النسبية ، خلافاً للوراثة الإلهية حيث إنَّها مبنية على الاجتباء والاصطفاء والمؤهلات الخاصة .

1- الشورى : ٢٢ .
2- آل عمران : ٣٤ .
3- آل عمران : ٣٣ .

الصفحة 382

الوجه الثالث : إنّ من نسلها الإمام المهدي (عليه السلام) ، وهو السرّ الكوني والمستودع الإلهي ، وخالصة جميع النوات والوصيات ، إذ سيظهر دين الله في الأرض عموماً بعد ما لم يتحقّق ذلك على يد الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ، والأئمة من قبله ، لم تأتّم الظروف لإقامة العدل ، وإظهار معالم الدين ، وتشبيد أركانه ، ونشر رايته في روع المعمورة ، وهو الذي سيقوم بذلك وينشر الإسلام في روع الأرض ويحيي الدين بعد ما أميت من قبل الجائرين .
وصلّى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .

الصفحة 383

(٧٣) دور الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تثبيت العقيدة وروء الشبهات

الشيخ حسن الجاهري

الصفحة 384

الصفحة 385

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين .

السادة الحضور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قبل البدء في حديثي هذا أودّ أن أقدّر وأشكر الإخوة العاملين في هذا المركز لإتاحة هذه الجلسات القيّمة التي تجيب على بعض ما يثار من شكوك ومن اتهامات باطلة للمبدأ الحقّ الذي تعيشه ونعيشه وهو الإسلام العظيم وحديثي حول حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ينصبّ على نقاط ثلاث قد تتبعها خاتمة إن فسح المجال .

تمهيد وفيه بيان ثلاث نقاط :

النقطة الأولى : ما قام به الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من تصدّي للخطّ الذي كان موجوداً في زمان النبي (صلّى الله عليه وآله) من اتّباع المصلحة في مقابلة النصّ الذي كان يصدر من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، هناك خطّ في زمان النبي (صلّى الله عليه وآله) جرّوت جنوره من قبل بعض الصحابة ، وهذا الخطّ كان لا ينصاع للنصّ النوي وللنصّ الديني ، وإنّما كان يخضعه لعقله وما يدعيه من وجود المصلحة ، فإن وجدت مصلحة في مخالفته خالفه وأعرض عنه .

هذا الخطّ أخطر ما يكون على الأمة الإسلامية وعلى الدين ، وقد وقف منه الأئمة وبالخصوص الإمام علي (عليه السلام) الموقف الذي سوف زاه .

النقطة الثانية : أتعرض لنور الإمام أمير المؤمنين في حفظ السنة النبوية التي هي الجزء الثاني من الدين : إذ أن الدين عبارة عن القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبدونهما لا يمكن استخلاص رأي الإسلام في أي واقعة من وقائع الحياة ، فالذي

حفظ السنة لنا بعد أن رحل الرسول (صلّى الله عليه وآله) ليس إلاّ علياً (عليه السلام) نعم ، هناك بعض

الصحابية الذين حفظوا قسماً من الروايات التي قالها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن الذي حفظ السنة بأجمعها ليس إلاً علياً والأئمة من بعده .

النقطة الثالثة : هو كون الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المطلع على الشريعة بأكملها وأنا سنة هو الأولى بالخلافة ، وهو الأجدر بها ، وفي هذه النقاط سوف لا أسلك الطريق المعروف من إثباتها بالأدلة العقلية والأدلة النقلية ، فهناك أدلة عقلية ونقلية كثرة تثبت خلافة علي (عليه السلام) ، وتثبت حفظه لسنة ، وتثبت عصمته إلا أنني سوف أنتهج النهج الإقناعي الذي تقبله النفس وتطمئن إليه .

النقطة الأولى : وقوف الإمام علي (عليه السلام) ذلك الموقف المناهض لمن لم يتعبد بالنص الشوعي بأكمله ، وانما يخضع النص الشوعي إلى عقله فإن وافق العقل أخذ به ، وإن خالف العقل تركه ، أو قد يخضع النص الشوعي لما واه من المصلحة التي يدعيها فإن كان يرى مصلحة في اتباع هذا النص اتبعه وان لم ير المصلحة خالفه ووقف في وجهه .

وهذا مسلك جؤه بعض الصحابة في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قد يعبر عن هذا الخط بعض العلماء

بالاجتهاد ، ولكني لا أعبر عنه بالاجتهاد ؛ لأن الاجتهاد المقبول عندنا هو في حدود النص ، الاجتهاد في فهم النص ، مثلاً

حينما انتهى النبي (صلى الله عليه وآله) من معركة الخندق فقال لأصحابه : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين

العصر إلا في بني قريظة»⁽¹⁾ ؛ لأن بني قريظة كانوا متعاهدين مع المسلمين على عدم فسح المجال للأعداء من دخول المدينة ، وقد خانوا العهد ، ففتحوها للمشركين في دخول المدينة ، فغرم على التوجه إليهم فقال لأصحابه : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»⁽²⁾ .

فتحرك أصحاب رسول الله إلى حي بني قريظة لمحاصرتهم ومجراتهم

1- صحيح البخاري ٥ : ٥٠ ، المعجم الكبير ١٩ : ٨٠ ، الاستذكار ١ : ٧٨ .
2- تقدم تخريجه .

على ما فعلوا ، وفي وسط الطويق حلت صلاة العصر ، فبعض الصحابة قال : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما

أمرنا بالتوجه إلى بني قريظة بذلك النص لم يرد تأخير الصلاة عن وقتها فلنصل صلاة العصر في وقتها وفي أول وقتها ،

وبعض الصحابة قالوا : لا النبي قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ، لا نصلي العصر

حتى نصل إلى بني قريظة ونصلي العصر هناك ، فاختلف الصحابة في فهم النص هذا اجتهاد مقبول ، بعض صلى العصر

وهو في الطويق ، وبعض لم يصل العصر حتى وصل إلى بني قريظة .

هذا اجتهاد مقبول ؛ لأنه يور حول فهم النص وفي إطار النص وما عليه علماءنا المجتهدون أنهم يدورون حول النص

وحول فهم النص ، ولا يخالفون النص ، ولا يتبعون العقل في مخالفة النص ، العقل حجة ، جعله الله سبحانه وتعالى حجة على

الإنسان ، ولكن في حدود النصّ ، إذا أخذنا بالعقل تركين النصّ أصبحنا من العلمانيين الذين يؤمنون بالله وهم مسلمون ، ولكن العلماني يدّعي بأنّ الشريعة لها مجالها الخاص في المسجد ، وأما الحكم فيتبع فيه عقله ، فهو يتبع العقل مخالفاً للنصّ ، هذا علماني إسلامي ؛ لأنّ العلمانيين منهم من المسلمين .

أما نحن فرقنا عن العلمانيين الإسلاميين هو أننا نتبع النصّ ونعمل بالعقل ، لكن في حدود النصّ ، وفي نطاق النصّ . ولا نعمل بالعقل في مخالفة النصّ ، على كلّ حال هذا اجتهاد مقبول كان في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمل به الصحابة وأيّده عليّ (عليه السلام) ، ولكن هناك الاجتهاد الباطل لمن يسميه بالاجتهاد ، وإن كان حقيقة ليس اجتهاداً وهو الذي وقف منه الأئمة (عليهم السلام) وبالخصوص الإمام عليّ موقفاً قوياً ، وعلّوه وحذروا منه ، وهو في واقعه ليس اجتهاداً وإنما اتباع الهوى وإخضاع النصّ لهوى الإنسان وعقله ، حسب ما يدعى هو إخضاع النصّ للمصلحة فإن وافق النصّ مصلحته عمل به ، وإن خالف النصّ مصلحته ضربه عرض الجدار هذا كان يُسمى قياساً في الزمان السابق .

الصفحة 388

معاني القياس

القياس له معنيان :

المعنى الذي عليه علماء العامة وعلماء السنة في هذا الزمان ، وهو يختلف عن القياس الذي كان موجوداً في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد عمل به بعض الصحابة .

أما القياس الموجود في زماننا هذا ويعمل به أهل السنة ، فهو عبارة عن وجود حكم في واقعة ، وتوجد واقعة أخرى مشابهة لها ، فيسرون الحكم من الأصل إلى النوع ، هذا هو أحد الأدلة الأربعة على الحكم الشرعي عند أبناء السنة . أما القياس الذي كان موجوداً في صدر الشريعة فهو غير هذا ، وإنما حوروه وبدلوه إلى هذا المعنى لشناعة ذلك القياس وقبحه ، وأنه أخطر شيء على الشريعة ، وهو إخضاع الحكم الشرعي لعقل الإنسان ، فما وافق عقله وما وافق مصلحته أخذ به ، وما خالف عقله ترك ونبذ .

وهذا هدم للشريعة ، ولذلك يقول المعصوم الإمام الصادق (عليه السلام) : «إنّ السنة إذا قيست محق الدين»⁽¹⁾ ؛ لأنه إذا فرضنا أنّ الروايات المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي ألف وأخضعناها لعقلنا فسوف لا يقبل عقلنا بعضها ، فنترك ، ويأتي في الجيل الآخر أيضاً من عقله لا يقبل بعضها فنترك ، وهكذا إلى أن تمحق السنة ، وتصبح السنة كما قال أبو حنيفة : أنه لم يصحّ من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ثمانية عشر حديثاً ؟ !

لماذا لم يصحّ من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا هذا المقدار ؟

لأنه أخضعها إلى عقله فما وافق عقله أخذ به وما خالف عقله تركه ، وهذا معنى محق السنة ، ولذلك تقول الروايات : «إنّ أول من قاس إبليس»⁽²⁾ . إبليس لم يقل بهذا القياس الذي عليه أبناء السنة الآن ، وإنما أخضع النصّ الإلهي إلى عقله ،

شاهد أنه خلق من نار وهذا خلق من طين ، فقال : أنا أفضل منه ولم يقبل النصّ الذي توجه إليه من الله سبحانه وتعالى ، فكان يقول إبليس بالقياس الذي هو إخضاع النصّ الشوعي إلى العقل فما وافق العقل أخذ به ، وما خالف العقل تركه ، ولذلك قال الأئمة (عليهم السلام) : «أول من قاس وأيه إبليس» ، فهو كان يقول بالقياس من القسم الأول لا بهذا القياس الذي ذهب إليه أبناء السنة نتيجة قُبْح المعنى الأول ، وأنه مصادم للشريعة ، وفيه محق للدين ومحق للشريعة .

ذكر بعض الأمثلة التي خولف فيها النصّ لأجل القياس

نستطيع أن نجد نماذج لهذا القياس الذي يُعبر عنه البعض بالاجتهاد المفروض المنحرف الذي يهدم الدين ، نستطيع أن نضرب بعض الأمثلة ، مثلاً النبيّ (صلى الله عليه وآله) حينما أمر أصحابه بالذهاب إلى الجيش الذي أمر فيه أسامة بن زيد ، وأمر الصحابة بالدخول فيه والتوجه إلى الغزو ، زى أن بعض الصحابة لم يمتثلوا أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، وكانوا يقولون : إنّ المصلحة تقتضي أن نبقى مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) لئلا نحالته الصحبة ، وليس من المصلحة أن نتبع النصّ ، هذا مثال واحد .

كثير من الصحابة ومن قبلهم تخلّوا عن جيش أسامة الذي أمرهم النبيّ (صلى الله عليه وآله) بالخروج ، حتى أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) صعد المنبر ولعن من تخلّف عن جيش أسامة⁽¹⁾ ، وكان يقول : «أنفوا جيش أسامة»⁽²⁾ ومع هذا تخلّف البعض عنه ؛ لأنّه أخضع النصّ إلى عقله ، حكم بأنه ليس من المصلحة أن نتوك النبيّ (صلى الله عليه وآله) في هذه الحالة من الموض ونخرج ، بل لا بدّ من البقاء معه لئلا نحالته الصحبة ، يعني أخضعوا النصّ إلى عقلهم وادعوا بأن المصلحة هي البقاء وعدم اتباع النصّ .

ومنها : المنع من كتابة الكتاب الذي أراد أن يكتبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو على

1- الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٢ .
2- الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ٦٧ .

فأش الموت حينما قال : «انتوني بواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»⁽¹⁾ .

وكانت فرصة ثمينة لأن يكتب للمسلمين كتاباً يحفظهم من الضلال لكن الخليفة الثاني اخضع الحديث لعقله فقال : إن هذا يخالف المصلحة ، وهي تقتضي أن تتوك الأمة هكذا ، يعني هي تنتخب من تنتخب للخلافة ؛ لأنه كان يربط بين أقوال النبيّ السابقة وبين هذا الكلام ، فكان يعتقد بأنه سوف ينصبّ أمواً وخليفة عليهم ويكتب اسمه ، وهو يرى أن المصلحة أن لا يكتب هذا الكتاب ، فخالفه وقال : «حسبنا كتاب الله»⁽²⁾ هذا في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ومنها : أنه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام الخليفة الثاني بحذف جملة «حي على خير العمل» من الأذان . كانت موجودة في زمان النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، وهي جزء من الأذان ، وحذفت بهذه الحجة أنه إذا قلنا : حي على

خير العمل ، وهي تعني أتكم تعالوا إلى خير الأعمال ، فمعنى ذلك أن الناس لا يذهبون إلى الجهاد ؛ لأن الصلاة خير الأعمال ، فلا يتوجهون إلى الجهاد ، وهو روى أن الجهاد خير الأعمال ، فرفع هذه الجملة من الأذان حتى لا يتوهم المسلمون بأن الصلاة هي خير الأعمال إذ أنه كان يريد توجيه الناس إلى الجيش وإلى الحرب وإلى الغزو ، فبهذه الحجة رفعت هذه الجملة ووضع في مكانها في صلاة الفجر : الصلاة خير من النوم !!

ومنها : التختّم باليمين الذي وردت به السنة ، ولكن يقولون بأن التختّم باليمين بما انه صار شعرا عند الإمامية ولا بد من مخالفته ، يخالفون النص ؛ لأن جماعة من المسلمين وهم الشيعة عملوا به .

1- المستدرک للحاکم ٣ : ٤٧٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ : ٢١٩ .
2- مسند أحمد ١ : ٢٢٥ ، صحيح البخاري ٥ : ١٢٨ ، صحيح مسلم ٥ : ٧٦ ، المصنف للصنعاني ٥ : ٤٢٨ .



ومنها : إصلاح القبور أيضاً حيث قامت السنة على استحباب تصليح القبور ، ولكنهم خالفوا السنة النبوية ؛ لأن الوافضة اتخذته شعراً لها ، فيخضعون الحكم إلى عقلهم ، فإذا خالف عقلهم وخالف مصلحتهم رفضوه .
طبعاً ليس الكلام في أنه كل ما يخالف العقل يرفضه هؤلاء ؛ لأن المصلحة هم الذين يقررونها ، وهي تبع لهوهم ، والمفسدة ما يخالف هوامهم ، فكل ما يخالف الهوى مفسدة ، وكل ما يوافق الهوى مصلحة .
ولو كان هناك اتباع للعقل بمعناه الدقيق فلا بأس به ، ولكن كُله ادعاء من أن هذا النص يخالف العقل وهذا النص يوافق العقل .

ومنها : المتعة ، والمقصود متعة النساء حيث حرّمها الخليفة الثاني ، فقال : «متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما ، متعة النساء ومتعة الحج»⁽¹⁾ ، المتعتان كانتا حلالاً في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي زمان الخليفة الأول ، ولكن الخليفة الثاني حرّمها ، وأخضع النص لعقله وهواه ، فأى أن هذا لا يوافق عقله فحرّمه .

ومنها : صلاة التراويح التي منعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) جماعة ، وأمر أن تصلى في البيوت ، لكن الخليفة الثاني أخضعها لعقله وجمع المصلّين في المسجد الحرام على إمام واحد . وهناك أمثلة كثيرة عن إخضاع الأحكام الشرعية والنصوص الدينية إلى عقل الإنسان .

استمرارية منهج الاجتهاد مقابل النص إلى يومنا هذا

طبعاً هذا الخط له جنوره وكذلك بقي مستمراً حتى في هذه الأيام ، يعني لم ينمحق ويندرس رغم وقوف الأئمة (عليهم السلام) ذلك الموقف المشرف القوي في مواجهته وتحريمه ، كما في الروايات الموجودة في الاحتجاج⁽²⁾ في مخالفة أبي حنيفة

1- التفسير الكبير للرازي 5 : 167 .
2- الاحتجاج 2 : 111 - 118 .

حينما يحاججه الإمام تلك المحاججات الكثيرة لبيان فساد هذا المسلك القبيح الذي يؤدي إلى محق الدين ومحق السنة ، لكن بالرغم من ذلك بقي هذا المنهج إلى عصونا الحاضر ، وهناك من يتبع هذا المسلك من نون تصريح به ، مثلاً يقول : إن هذه الرواية لا توافق عقلي ، ومعنى عدم موافقتها لعقله ، مع أنها نصّ صحيح ورواية صحيحة ، هو إخضاعها إلى عقله فإرها أنها لا تتفاعل معه ولا تتسجم مع عقله فيطوحها أو يقول : إن هذا شيء غير معقول ، مع ورود النصّ به كقضية الرجعة مثلاً ، والتي تعني أنه في آخر الزمان يرجع جماعة إلى الدنيا بعد مماتهم ، وقد ورد في ذلك نصوص كثيرة وصحيحة ، ونحن نؤمن بها لإيماننا بأن هذه النصوص صحيحة ، وقد وردت عن الأئمة (عليهم السلام) وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، إلا أن البعض يقول : إنه لا يقبلها عقلي وهذا يعني إخضاع النص إلى عقل الإنسان .

طبعاً للأمانة نذكر أن أبناء أهل السنة في هذا الزمان أصدروا فتوى جماعية بتحريم هذا العمل ، وهو الاجتهاد في مقابل

النصّ والوقوف في مقابل النصّ حيث أصدر مجلس مجمع الفقه الإسلامي في جدة فتوى قبل سنين بإدانة الاجتهاد في مقابل النصّ ومنعه ، ولكن الأوائل الذين سلروا على هذه الطريقة في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعد زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تُغيّر تلك الأحكام التي صدرت نتيجة الاجتهاد مقابل النصّ ، ولكن المتأخرين لما التفتوا إلى قبح هذا المسلك منعوا الاجتهاد في مقابل النصّ بفتوى جماعية ، والآن لا أحد يجرأ حتى من أبناء العامة على مخالفة النصّ بصورة واضحة وجليّة ، وإنّما يتكلّمون هناك بكلمات فيها جنور ذلك المسلك الباطل .

إذن الاجتهاد كما يدّعون أنّه اجتهاد تدخل فيه المصلحة والمفسدة ، فيخضع للمصلحة والمفسدة فإذا وافق المصلحة قبلوه وإذا خالف المصلحة رفضوه .

الاجتهاد المقبول في الشريعة

والاجتهاد الآخر المقبول وهو الاجتهاد في فهم النصّ في إطار النصّ ،

الصفحة 393

الإمامية بما أنّهم بعد زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجعوا إلى الأئمة (عليهم السلام) في أخذ النصوص الشرعية منهم حسب إرشاد النبي (صلى الله عليه وآله) لهم ، فكانت النصوص عندهم كثرة من الأئمة (عليهم السلام) ومن النبي (صلى الله عليه وآله) فلم يحتاجوا إلى شيء غير النصّ ، وكان اجتهادهم في إطار النصّ ، وفي فهم النصّ ، بينما الطرف الثاني وهم أهل السنة فيما أنّهم لم يرجعوا إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومنعوا من كتابة الحديث بحجة أنّه يختلط بالقوان - طبعا القوان معجز والحديث غير معجز ، فالحجّة واهية - كانت النصوص عندهم قليلة ، ولذا احتاجوا إلى القياس وإلى الاستحسان ، طبعا القياس بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأوّل الذي عرضه الأئمة (عليهم السلام) عرضه الإمام علي (عليه السلام) ووقف منه موقفاً حاسماً ، أي احتاجوا إلى القياس بالمعنى الثاني وإلى الاستحسان وإلى المصالح الموسلة ؛ لأنّ الروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يصحّ منها إلاّ القليل ، هذه الخطوة الأولى التي قام بها الإمام علي (عليه السلام) مع أنصولة في رفض الاجتهاد في مقابل النصّ ، ورفض إخضاع الأحكام الشرعية لعقل الإنسان ؛ لأنّ دين الله لا يصاب بالعقول ، لكن لا يعني ذلك أنّنا نرفض العقل كلياً ، بل نقبله في إطار النصّ وفي ضوء النصّ ، وفي فهم النصّ .

فهذه النقطة الأولى التي وقف منها الإمام علي (عليه السلام) ذلك الموقف القوي في حفظ الرسالة الإسلامية وعدم استتوار ذلك الخطّ ، ولما بان لأبناء السنة قباحة ذلك الخطّ قالوا بالقياس بالمعنى الثاني الموجود في كتب الأصول .

الخطوة الثانية المضيئة في حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي : أنّ عقائد المسلمين ثلاثة كما تعلمون : التوحيد ومن ضمنه العدل ، والنوّة التي هي الرسالة ، والمعاد الذي هو الوجود إلى الله يوم القيامة . والقوان الكريم يدور حديثه حول هذه المحاور الثلاثة ، ثلثه في التوحيد تقريباً ، وثلثه في رسالة النبي والأحكام والتشريعات ، وثلثه في المعاد ، ولكن الإمامية أضافوا الإمامة والولاية والعصمة .

والبحت بأيّ دليل وحجّة أضافوا الإمامة والعصمة ؟

هذا ما نريد أن نتطرق إليه في هذه النقطة .

ما هو الدليل على الإمامة التي تقول بها الشيعة ؟

وسوف لن أذكر الأدلة العقلية والنقلية المألوفة ، وإنما أذكر شيئاً قد يكون أقرب إلى القبول ويسمى بالدليل الإقناعي ، وهو أيضاً وهاني ، يعني يجمع بين الوهان والإقناع .

وكمقدمة نقول : إن الدين هو هذا القرآن والسنة ، والقرآن حفظ في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإجماع المسلمين ، وكتب في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكانت هناك نسخ متعددة ، كان هناك قرآن فاطمة (عليها السلام) وقرآن الصحابي فلان وغير ذلك ، وكان القرآن محفوظاً في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والشيء المتفق عليه أيضاً أن السنة لم تكتب في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، هذا أيضاً متفق عليه أن السنة لم تكتب ، وإنما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يأتي إلى المسجد فوى الاثنين والثلاث والأربعة فيبلغهم ما أوحى إليه من حكم ، ويأتي في اليوم الثاني فيجد خمسة أو أربعة أو ثلاثة أيضاً فيبلغهم الحكم الثاني ، وهكذا كان النبي يبلغ سنته إلى الصحابة ، والصحابة منتشرون في الأرض ، وكان قسم منهم يموت ، وقسم منهم ينسى الحكم الذي سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

والسؤال هذا وهو كيف يمكن لعدل القرآن وهو السنة التي هي جزء من الدين أن تكون غير مكتوبة في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي حجة عليهم ؟

يعني كيف يعمل المسلمون في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما لم تكن السنة مكتوبة ؟ فالسنة لم تحفظ عند شخص واحد فكيف يكون دستور المسلمين وهو السنة غير مكتوبة ، وهي حجة ؟ يعني الآن الدولة الإسلامية إذا كان قانونها غير مكتوب فكيف يكون قانون لدولة وهو غير مكتوب ؟

هذا سؤال يوجه وهو أن السنة لم تكتب في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) باتفاق المسلمين ، يعني لم تكتب في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصورة واضحة مثل كتابة

القرآن ، ولكن حتى لو قبلنا أنها كتبت في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكنها لم تكتب كما كتب القرآن الذي وجدت منه نسخ كثيرة عند المسلمين في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فدستور الإسلام وهو القرآن والسنة قسم منه لم يكتب ، وكان الرسول يبلغ الحكم لاثنتين والثلاثة من الصحابة ، والاثنتين والثلاثة كانوا ينتشرون في أرجاءهم وفي أعمالهم ، وكان قسم منهم يموت ويستشهد في الحرب ، فكيف يكون دستور الإسلام وهو غير مكتوب ، وهو حجة المسلمين وقانونهم

الأول ؟

وفي مقام الجواب نقول : هناك ثلاثة فروض وكلها باطلة

الفرض الأول : أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يجعل كلامه حجة ولذلك لم يكتب . وهذا شيء باطل لا يقبله أحد من

المسلمين ; لأنّ كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) حجة عند الجميع قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَىٰ ۗ ﴾⁽¹⁾ ، فكلامه حجة بالاتفاق .

إذن هذا الفرض من أنّه لم تكتب السنة ; لأنّ كلامه ليس بحجة مرفوض .

الفرض الثاني : أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قصر في كتابة السنة ، فلم تكتب السنة تقصوا منه ، وهذا أيضا مرفوض ;

لأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) معصوم بإجماع المسلمين في الأحكام الشرعية ، وفي تبليغ الأحكام الشرعية والسنة فيها

الأحكام الشرعية فكيف يقصر فيها ؟

فالفرض الثاني الذي يقول بأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) فرط في هذه السنة ، لأنها لم تكتب من قبل المسلمين هذا أيضا

غير مقبول ومرفوض ; لأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) معصوم ، ولا يمكن أن يصدر منه خطأ أو تقييد في خصوص

الأحكام الشرعية كما يقول البعض ، وفي كلّ عمل يصدر منه كما هو الصحيح .

الفرض الثالث : يقول إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لا يعلم بما ينتج من عدم كتابة السنة من ضياع أكثر الأحكام بموت

الصحابة واستشهادهم أو نسيانهم .

1- النجم : ٣ - ٤ .

الصفحة 396

وهذا أيضا مرفوض ، فكيف لا يعلم النبيّ (صلى الله عليه وآله) ما ينتج من عدم كتابة السنة ، إذ أبسط شيء ينتج عن ذلك

ضياع الأحكام ، وهو مبلّغها وبريدها أن تبقى إلى أن يوثق الله الأرض ومن عليها ، كما قال في الحديث : «حلال محمد

حلال أبداً إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة»⁽¹⁾ ، فكيف نقول : إنّّه لا يعلم بما ينتج من عدم كتابة السنة وهو

هدم لنصف الدين ، فإنّ الدين عبوة عن قرآن وسنة ، ولا يتمكن أن يصلّي الإنسان إذا اعتمد على القرآن ولا يتمكن من

الصوم ، والقرآن فقط يقول : تجب عليك الصلاة ، أمّا أجزائها وشوائبها وموانعها ومبطلاتها فلا يذكرها القرآن يقول يجب

عليك الحج . ولكن ما هي أعماله ؟ ما هي أجزائه ؟ ما هي موانعه ؟ ما هي شوائبه ؟ هذه كلّها لا يتعرّض لها القرآن وانما

تجيب عليه السنة ، فكيف لا يعلم النبيّ (صلى الله عليه وآله) بذلك ؟ إذن السنة لم تكتب بالصورة التي كتب فيها القرآن هذا

باتفاق المسلمين فكيف يكون دستور الإسلام غير مكتوب ؟

أمّا أن نقول : إنّّه ليس بحجة ، وهذا لا يوافق عليه مسلم ، أو نقول : إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قصر قي ذلك ، وهذا

لا يوافق عليه مسلم ; لأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) معصوم في الأحكام الشرعية ، هذا متفق عليه وفي غير الأحكام

الشرعية أيضا كما هو الصحيح .

إذن كلّ هذه الاحتمالات باطلة ونحن ندعي كما عليه الأدلة الموجودة في كتبنا الموسوعية الحديثية أن السنة كتبت في زمان

رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأكملها للروايات المتظافرة المتواترة التي تقول إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أمر عليا

(عليه السلام) بالكتابة ، أخذ يملئ عليه وعليّ (عليه السلام) يكتب فقال له : أنتخشي عليّ النسيان ؟ قال : «لست أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً وقد أخونني ربّي جلّ جلاله أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك . . . فقلت : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : الأوصياء

1- الكافي ١ : ٥٨ حديث ١٩ .

الصفحة 397

متّي إلى أن يردو عليّ الحوض كلهم هاد مهتد»⁽¹⁾ . فأملئ عليه السنّة بأكملها حتى رُش الخدش للإشارة إلى أنّ كلّ الأحكام التي هي من السنّة أملاها النبي (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) وكتبها في كتاب يُسمّى الصحيفة أو يسمّى الجامعة ، وهذه الصحيفة والجامعة كانت مقلّدة عند الأئمة (عليهم السلام) من بعد علي (عليه السلام) ، حتّى أنّ الرجل الولي السنّي أو الشيعي حينما يأتي ويعترض على حكم صدر من الإمام قال علي بالجامعة ، عليّ بالصحيفة ، فيؤتى له بالصحيفة التي طولها سبعون ذراعاً يخرج المكان الذي هو محل الاختلاف يقول : هذا إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخطّ عليّ فينقطع الزاع ، فيقبل الولي الحكم من الإمام . هذه الصحيفة كانت عندهم فكانوا يرجعون إليها عند اعتراض المعترض ، فالسنّة كتبت وأودعت عند عليّ ، وهذا هو الذي يجب أن يكون ؛ لأنّ السنّة نصف الدين ولا يمكن أن يكون شيء حجة ولا يكتبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يحفظه عند المسلمين ، هذا غير ممكن .

هذه الروايات عندنا ، روايات الصحيفة وروايات الجامعة التي تعبر عن هذه الجامعة بأنّ طولها سبعون ذراعاً فيها كلُّ شيء حتّى رُش الخدش⁽²⁾ ، إشارة إلى الأحكام البسيطة ، رُش من خدش إنساناً في يده .

فالذي حفظ السنّة هو الإمام عليّ (عليه السلام) والأئمة من بعده (عليهم السلام) ، حفظوا السنّة ، والقآن مكتوب ، فكلّ الدين . وليس من الغريب أن يوصي النبي بالوحي إلى عليّ (عليه السلام) وبالوحي إلى أهل البيت (عليهم السلام) وبالوحي إلى العزّة ؛ لأنّ السنّة عندهم ليست عند غوهم .

نعم ، يوجد عند بعض الصحابة الرواية والاثنين والثلاث والأربع والخمس

1- كمال الدين : ٢٨٥ حديث ٣٧ .
2- بصائر الدرجات : ١٦٧ حديث ١ .

الصفحة 398

والعشرة والعشرين والمائة ، ولكن السنّة بأكملها أودعت عند عليّ (عليه السلام) بهذه الكتابة التي هي كتابة علي (عليه السلام) وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فتأكيد النبي (صلى الله عليه وآله) ، على الوحي إلى عليّ وأهل البيت (عليهم السلام) ليس بلا سبب ، هذا هو السبب ، وهو أنّ القآن مكتوب عند الصحابة ومنتشر ، ولكن السنّة ليست إلاّ عند جماعة خاصّة ، فأخذت الروايات بالتأكيد على الوحي إليهم حتّى يكمل دين الإنسان بالنظر إلى الكتاب والسنّة .

هذه يعبر عنها الإمامية في الحديث الإمامة في (حفظ السنة) ، طبعاً بعض أبناء العامة حينما يأتون إلى حديث الغدير يقولون هذا يدل على إمامة الفقه والحديث ، بصورة غير مباشرة يدل على إن إمامة الفقه وإمامة الحديث عند علي (عليه السلام)

كما كان يقول الخليفة الثاني : «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن»⁽¹⁾ ، طبعاً السورة الموجودة بعد زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي هذه أنه يرجعون إليه في كل واقعة أشكلت ، حينما تشكل المسألة على الخليفة الأول أو على الخليفة الثاني أو على غيره من الخلفاء الذين جاؤوا بعد ذلك كانوا يرجعون إلى علي (عليه السلام) أو يرجعون للأئمة (عليهم السلام) من بعد علي (عليه السلام) كالرجوع إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ، أو الإمام الباقر (عليه السلام) ، حينما تشكل عليهم الأمور يرجعون إلى أهل البيت (عليهم السلام) ، فهذه الإمامة في الحديث والإمامة في الفقه ، يعني في السنة مورد اتفاق طبعاً يفسرون حديث الغدير ويقولون المراد به الإمامة في الفقه والإمامة في الحديث ، إذن السنة حفظت عند هؤلاء .

في إثبات العصمة

كيف نثبت عصمة أهل البيت (عليهم السلام) ؟

عصمة الأئمة (عليهم السلام) من أهل البيت ، وعصمة العزة الطاهرة فيها نصوص

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٨ . وأنظر : نظم درر السمطين : ١٣٢ .

وآنية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾⁽¹⁾ ، وَحُدَيْتِ الْكِسَاءِ الصَّحِيحِ

السند فيه دلالة على عصمتهم ، وروايات كثيرة منها حديث : «إني مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله وعتوتي أهل بيتي ، وانهمّا لن يفتروا»⁽²⁾ ، يعني العزة لا تفتوق عن الكتاب ، ومعنى ذلك أنّ العزة لا يمكن أن تقول شيئاً مخالفاً للكتاب ؛ لأنها إن قالت شيئاً واحداً مخالفاً للكتاب فقد افتوت عنه ، فهذه الجملة : «لن يفتروا حتى يودا علي الحوض» معناها أن أهل البيت (عليهم

السلام) لا يخالفون الوان في حكم واحد ؛ فإنّ مخالفتهم للوان في حكم واحد معناه افتراق عن الوان ، بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : «لن يفتروا» وهذه هي العصمة .

لكن أنا لا أسلك هذه الطرق التي سلكوها والأدلة العقلية التي يذكرونها ، وإنما أسلك طريقاً آخر نعبر عنه بملاك العصمة ، لماذا العصمة في النبي (صلى الله عليه وآله) ؟ ما هو ملاك العصمة في النبي (صلى الله عليه وآله) ؟ لو سألنا المسلمين : هل

النبي (صلى الله عليه وآله) معصوم ؟ يقولون : نعم ، هو معصوم ، ما هي الأدلة ؟

يقولون : قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾⁽³⁾ ، أو غيرها من الأدلة التي تقول : إن النبي

(صلى الله عليه وآله) لا يتقول علينا .

ما هو ملاك العصمة هنا ؟ يعني هذه أدلة لها ملاك ، والملاك هو هذا أنه نريد أن ننفي احتمال أن الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول شيئاً من عند نفسه مخالفاً لله ، هذا الاحتمال لا بد من نفيه عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، نريد أن ننفي الشك الذي يساورنا في أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد يقول شيئاً ليس من الله ، قد يقول شيئاً لمصلحته ، قد يقول شيئاً لفائدته ، هذا الشيء ينبغي أن يزول ، هذا هو ملاك العصمة .

- 1- الأحزاب : ٣٣ .
- 2- مسند أحمد ٣ : ١٤ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٤٨ .
- 3- النجم : ٣ - ٤ .

الصفحة 400

فالعصمة التي فيها أدلة وآنية وروائية لها ملاك ، وملاكها أن ننفي احتمال أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله) قد قال شيئاً من عند نفسه ، متبعاً هواه ومصلحته الشخصية ، هذا الملاك بنفسه موجود في الأئمة (عليهم السلام) ؛ فإن الأئمة (عليهم السلام) عندهم السنة ، وعلي (عليه السلام) عنده السنة ، ونحن نريد أن ننفي هذا الشك ، ما يقوله علي (عليه السلام) هو ليس من النبي (صلى الله عليه وآله) ، هذا شك قد يقول شيئاً ليس من النبي (صلى الله عليه وآله) ، قد يقول شيئاً موافقاً لهواه ولمصلحته الشخصية ، هذا الشك موجود ، هذا نريد أن ننفيه ، فملاك العصمة الموجود عند النبي (صلى الله عليه وآله) هو بنفسه موجود عند الإمام (عليه السلام) ؛ لأن السنة عنده ، والسنة أحكام الله مثل القرآن الكريم ، القرآن فيه أحكام الله ، كتاب الله فيه أحكام الله ، فملاك العصمة الذي هو موجود في النبي (صلى الله عليه وآله) نفس هذا الملاك موجود في الأئمة (عليهم السلام) ؛ لأن السنة عندهم ، وما يقولونه هو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن الله . نريد أن ننفي احتمال أن يكون قد قال الإمام شيئاً ليس من النبي (صلى الله عليه وآله) ، هذا لا بد من نفيه حتى تصير السنة حجة ، السنة سنة النبي (صلى الله عليه وآله) عندهم حينما يخبرونا بها لا بد أن ننفي هذا الاحتمال أن يكون ما قاله الإمام (عليه السلام) هو ليس من النبي (صلى الله عليه وآله) .

الآيات القرآنية والروايات الشريفة الواردة في عصمة النبي (صلى الله عليه وآله) لها ملاك ، وملاكها نفي هذا الاحتمال الذي هو أن يقول النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً لم يقله الله ، هذا ملاك العصمة ، وهو موجود في الأئمة (عليهم السلام) ؛ لأن الأئمة (عليهم السلام) عندهم السنة بهذا البيان الذي بيناه ، السنة النبوية عندهم ، والا إذا لم تكن السنة النبوية عندهم للبيان الذي بيناه بالأدلة المتواترة فهذا إشكال على المسلمين أنه كيف يكون دستوركم وهو السنة غير مكتوبة ؟ هذا إشكال على المسلمين الذين يقولون : إن السنة لم تكتب في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) . هذا الإشكال لا بد من أن يجيوا عليه .

الصفحة 401

أما نحن الذين نقول إن السنة كتبت في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتبها علي (عليه السلام) حتى رُش الخدش فهذا الإشكال لا يرد علينا .

نحن نقول : إن الدين قرآن وسنة ، كتب القرآن ووجد عند جمع من الصحابة ، والسنة كتبت وهي عند علي (عليه السلام) تورثها الأئمة (عليهم السلام) من بعده إلى أن أوصلوها إلى الرواة ، فكتبها أصحاب الموسوعات الروائية ، ووصلت إلينا بهذه الكتب الموجودة .

إن هذه الروايات التي كتبها المحدثون من علمائنا والمحدثون من غير علماء الإمامية يوجد فيها دس وروايات مدخولة إلا أن السنة موجودة في هذه المجاميع الموجودة عند الإمامية والموجودة عند غوهم ، فوصل الدين إلينا بأكمله بشقيه من الكتاب والسنة .

إذن العصمة التي نريد أن نثبتها أثبتناها من هذا الطريق أن ملاك عصمة النبي (صلى الله عليه وآله) موجود عند الأئمة (عليهم السلام) ، فثبتت أن العقائد الثلاثة التي هي عقائد الدين : التوحيد والعدل في ضمنه والرسالة والمعاد والإمامة ، هذه الإمامة نحن ندعي أنها إمامة لحفظ السنة وللخليفة على الناس .

هذه النقطة الثالثة إن الإمام (عليه السلام) هو الخليفة الذي رآه النبي (صلى الله عليه وآله) أن يكون حاكماً على الناس ، ومن بعده الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) حكّام على الناس ؛ لأن الإسلام كما يحتاج إلى أحكام شوعية ، هذه الأحكام الشرعية هي ثابتة إلى يوم القيامة ، حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، كذلك يحتاج إلى أحكام حكومية تتبدّل تبعاً للظروف ، هذه الأحكام الحكومية يقوم بها المتصدّي والحاكم .

نحن هكذا نقول طبيعة الحكم في الإسلام وهذه هي النقطة الثالثة والاستدلال على خلافة علي والأئمة (عليهم السلام) من بعده بعيداً عن النصوص الواردة في خلافتهم (عليهم السلام) ، طبعا النصوص الواردة في خلافتهم كثيرة وواضحة الدلالة ودلالاتها

الصفحة 402

قطعية ، ولكن هناك طريق آخر نريد أن نبينه وهو الطريق الإقناعي ، نقول الحكم في الإسلام لا يستسيغ الفصل بين السلطة التشريعية والتنفيذية ، ولا يوجد هناك فصل بين السلطة التشريعية والتنفيذية ، يعني هناك جماعة يشعرون ، وهناك جماعة ينفّون ، هذا ممكن في غير الإسلام وفي الديمقراطية الذين يشعرون أحكامها ، ويسمى بالمجلس التشريعي الذي يوجد الأحكام ، ثم القوة الثانية وهي التنفيذية تنفذ هذه الأحكام . هذا ممكن ومتصور في الديمقراطية .

أما بالنسبة إلى الإسلام فإن الإسلام لا يعترف بوجود شخصية أو جماعة لها حق التشريع ، التشريع لله سبحانه وتعالى ، ولا يوجد حقّ لشخص أو جماعة في التشريع في مقابل ما يشعّره الله سبحانه وتعالى ، الآية القرآنية تقول : ﴿وَمَا كَانَ

لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخُورَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (1)

إذن التشريعات من السماء هكذا ، نحن نعتقد إن التشريعات من السماء ، جاءت هذه التشريعات عن طريق القرآن الكريم والسنة ، الله سبحانه وتعالى لم يغفل تشريعاً من تشريعاته مما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة ، فكل واقعة يحتاجها الناس إلى يوم القيامة لها حكم موجود في الشريعة الإسلامية ، هذا موجود في لسان الروايات أنه هذه السنة وهذا القرآن الذي وجدت

السنة لنا قواعد ، ولوجد القوان لنا قواعد ، هذه القواعد يمكن أن تجيب على ما يحصل من وقائع في لمنة متأخرة إلى يوم القيامة ، يعني الآن ما يحدث من الأشياء المستجدة من قبيل مرض الأيدز وأحكام من قبيل الاستنساخ وأحكامه ومن قبيل الهندسة الوراثية وأحكامها كل هذه الإسلام له فيها رأي .

لا تقل إن هذه أشياء مستجدة لم تكن موجودة في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، إذن ليس فيها حكم ، إذن نحن شوع الأحكام !

1- الأحزاب : ٣٦ .

الصفحة 403

الجواب : لا ، تشريعات الإسلام هي القواعد العامة ، لا ضرر ولا ضوار ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والقواعد الأخرى المهمة ، هي التي تجيب على ما يحدث من أمور مستجدة في عالمنا المعاصر ، حتى لا تتوقف حركة إعطاء الحكم الشوعي من قبل المجتهد المستخرجة من القوان والسنة ، ولا تقف هذه الحركة لما في القوان الكريم والسنة من حركة طبيعية على الإجابة على الأسئلة التي تحدث ، ولذلك الأئمة (عليهم السلام) حينما حصلت الغيبة الكوى أرشدوا الناس بالوجوع إلى رواية الحديث ؛ فإن المسائل المستجدة لا بد من الوجوع فيها إلى رواية الحديث ، فإنهم المطلعون على الحديث وعلى القوان الكريم ، وهم أقدر على أجوبة ما يحصل من وقائع : «فأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»⁽¹⁾ .

فالقوان الكريم حجة والسنة حجة متمثلة في علي وأولاده (عليهم السلام) ، وهم الذين نصبوا لنا العلماء ورواة الحديث ، فكل واقعة تحدث وتحتاج إلى حكم سواء كان هذا الحكم شوعيا أو كان هذا الحكم حكوميا «فارجعوا إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم» ، أو «ارجع له فاسمع له وأطع»⁽²⁾ ، تشير إلى سماعك للحكم الشوعي منه وللحكم الحكومي ، فالدولة التي رأسها الإمام لا بد لها من تشريع أحكام حكومية ، وهذه الأحكام الحكومية لا تبقى إلى يوم القيامة مثل الأحكام الشوعية التي تبقى إلى يوم القيامة ، هذه تتبدل نتيجة المصلحة التي تكون في ذلك الوقت ، مثلا الاحتكار محرم في ستة أمور أو سبعة أمور : الحنطة والشعير والتمر والزبيب والملح والسمن⁽³⁾ والزيت⁽⁴⁾ ، هذا الاحتكار حكم شوعي يبقى إلى يوم القيامة ، ولكن قد يجد الحاكم الشوعي المصلحة في أن يحرم احتكار الحديد أو

1- كمال الدين وتمام النعمة : ٤٨٤ ، وسائل الشيعة ٢٧ : ١٤٠ .

2- الكافي ١ : ٣٣٠ ، الحديث ١ .

3- المبسوط للشيخ الطوسي ٢ : ١٩٥ .

4- جواهر الكلام ٢٢ : ٤٨٢ .

الصفحة 404

يحرم احتكار الرز أو يحرم احتكار شيء من الأشياء التي يحتاجها البشر ، فيشوع حكما حكوميا ، ولكن في وقت من الأوقات يرفع هذا التشريع الحكومي ؛ لأن الحديد زداد ، مثلا أو الرز زداد فمن أراد أن يحتكر فليحتكر .

هذه الأحكام الحكومية يحتاجها رئيس الدولة .

إذن نوجع إلى النقطة الثالثة وهي إذا كان التشريع لله فما هي وظيفة الحاكم الشوعي ؟

وظيفة الحاكم الشوعي حفظ هذا التشريع وحفظ هذا الدستور وما يتوّج عليه من أنظمة دولية ، وقوانين دولية ويكون هذا

الحاكم عاملاً على سلامة تطبيق ذلك التشريع على المواطنين .

إذن وظيفة الحاكم الشوعي حفظ التشريع الذي هو من الله تعالى .

طبيعة الحفظ كيف تكون ؟

تستدعي أن يكون هذا الحاكم مطلعاً على جميع نقاط التشريع الصغرة والكبيرة ، حينئذ يكون عاملاً على سلامة التطبيق ،

وحافظاً لهذا التشريع ، فلا بد أن يكون الحاكم مطلعاً على هذا التشريع من أوله إلى آخره ، فمن هو المطلع على هذا التشريع

من أوله إلى آخره ؟

المطلع عليه من يعرف القرآن الكريم ويعرف السنة ، وهما عند الأئمة (عليهم السلام) ، فالحاكم الذي يكون عاملاً على

حفظ هذا التشريع وتطبيقه بسلامة وأمانة هو المطلع على هذا التشريع بأكمله ، وليس مطلعاً على هذا التشريع بأكمله إلا الأئمة

(عليهم السلام) الذين عندهم السنة النبوية مكتوبة ، ثم أودعوا إلى روايتهم ، فلذلك رجعونا في حالة غيبتهم وفي حالة الغيبة

الكوى إلى رواة الأحاديث ، فإنهم المطلعون على الإسلام بأكمله وأنا سنة .

إذن حامي الإسلام ومطبّقه يجب أن يكون محيطاً بالإسلام وأنظّمته وقوانينه ، القرآن الكريم فيه ناسخ ومنسوخ وخاص

وعام ومطلق ومقيّد وهذه

الصفحة 405

تبيّنها السنة المطهّرة ، والسنة موجودة عند الأئمة (عليهم السلام) .

إذن الحاكم الجدير بالحكم هو المطلع على هذا التشريع بأكمله وليس هو إلا الأئمة (عليهم السلام) الذين عندهم السنة ،

بالإضافة إلى القرآن الكريم ، وأما غير الأئمة (عليهم السلام) من الصحابة أو غير الصحابة فعندهم القرآن الكريم وليس عندهم

السنة فلم يكونوا مطلعين على جميع هذا التشريع ، فكيف يكونوا أمناء على حفظه وتطبيقه ؟

هذا هو الدليل على أن يكون الإمام هو الحاكم فهو إمام في حفظ السنة وإمام في الحديث ، وإمام في الفقه ، وإمام في الحكومة

والولاية على الناس من إيجاد الأحكام الحكومية التي تحتاج لها الدولة ، فأفضل شخص للحكومة هو المطلع على التشريع لأجل

أن يحفظه ويطبّقه على الناس ، ولا يوجد هناك أفضل من هذا الإنسان المطلع على التشريع ، هذه هي النقطة الثالثة .

البعض ينكر دور الأئمة في حفظهم للدين

الآن يوجد مجال للخاتمة التي أريد أن أربط بها هذه النقاط الثلاث ، وهي أن هناك من يحرب هذا الخط الأصيل هذا الخط

الذي واجه ذلك الخط المنحرف في بدء الرسالة الإسلامية من إخضاع الأحكام الشرعية لعقله ولمصلحته ، فإن وافق عقله

ومصلحته أخذ به ، وإن خالف عقله ومصلحته ضربه عرض الجدار ، هذا خط الإمامية الذي دافع عنه الأئمة (عليهم السلام)

بروايات كثيرة تبلغ مئات الروايات .

والشيء الثاني هذا الخطّ حفظ السنة الأصلية ، وغير هذا الخطّ لم يحفظ السنة ، هذا الخطّ هو الذي حفظ السنة ، الأئمة (عليهم السلام) حفظوا السنة ، عليّ (عليه السلام) حفظ السنة بأمر من النبي (صلى الله عليه وآله) كتبها وتولّتها الأئمة (عليهم السلام) وأودعها عند روايتهم ، يعني الرواة الذين كانوا يأخذون العلوم عن أهل البيت (عليهم السلام) ، سواء كانوا من أصحابهم الخُصّ أو من غير أصحابهم .

هذا الخطّ الثاني في حفظ السنة ، فما نحن عليه هو هذا الخطّ الصحيح

الصفحة 406

الإسلامي الذي ليس فيه اجتهاد في مقابل النصّ ، وليس فيه إلا قَوَانِ وسنة ، ولم يقولوا من عند أنفسهم شيئاً ، ليسوا بمجتهدين إن الأئمة (عليهم السلام) ، وليسوا من أصحاب الوأي ، لا يقولون شيئاً لم يقله رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا يقولون شيئاً لم يرض به الله تعالى ، الخلافة أيضاً ينبغي أن تكون فيهم ؛ لأنهم هم المطلعون ، ولكن هناك من يحارب هذا الخطّ ويحاول أن يميّع هذا الخطّ ويذهب إلى الاضمحلال والي الانصهار في خطوط أخرى لم تكن أصيلة مثل هذا الخطّ ، هناك من يدعو إلى التقرب مع خطوط أخرى ليست بهذه الأصالة ، هناك تشكيك لما جاء من الآثار الصحيحة عن الأئمة (عليهم السلام) ، تشكيك فيها ، هناك من يدعو إلى عدم الأخذ بما أكد عليه الأئمة (عليهم السلام) من أظهار شعائر الدين بحجة أنّ هذا يخالف الوحدة مثلاً ، فهناك مسلك موجود يشكك فيما جاء من هذه الأفكار التي هي مستقاة من سنة النبي (صلى الله عليه وآله) ومن القَوَانِ العظيم .

وهناك طرف ثاني يضوب رموز هذا الخطّ ، وهم الراجع ، هناك خطّ يقول لا تعطي الحقوق الشوعية إلى الراجع ، أنت قسّمها ، هذا تضعيف لرموز هذا الخطّ ، رموز هذا الخطّ الأصل هي الراجع في هذا الزمان ، رموزه في وقت الأئمة (عليهم السلام) هم الأئمة (عليهم السلام) ، هناك من يضوب هذه الأفكار الصحيحة التي قامت عليها الأدلة الشوعية ، يعني حتى بعضهم يقول : ما هو الدليل على عصمة الأئمة (عليهم السلام) ؟ مع كثرة الأدلة القوانية والروائية التي عندنا وكثرة الأدلة الإقناعية يشكك في عصمة الأئمة (عليهم السلام) أو يشكك في روايات الرجعة يقول : إن هذه روايات الرجعة لا يقبلها العقل !! عقلت يقبل أنّ الذي مرّ على قربة خاوية على عروشها فقال : ﴿ أَنَّى يَحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مَنَةً عَامٌ ﴾

﴿ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ (1) ، عقلت يقبل تلك ؟ !

عقلت أيضاً لا يقبل تلك ، لكنه نصّ قَوَانِي ، فإذا جاءت روايات متعدّدة

1- البقرة : ٢٥٩ .

الصفحة 407

متوازية متضافرة صحيحة في الرجعة إذن لماذا نشكك فيها ؟ ! إذا جاءت روايات مثلاً هذه الرواية التي تقول : إن الله

سبحانه وتعالى ما خلق هذه الأرض بالنسبة إلى هذا الحديث الموجود المعروف : «لولاك يا محمد ما خلقت الأفلاك ولولا عليّ لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»⁽¹⁾ ، هذا الحديث الموجود الذي هو حديث معتبر ، البعض يقول : أنا لا أعتقد بهذا ولا أقبل هذا !! لماذا ؟

لأنّ فيه تفضيل على النبيّ ، فيه تفضيل فاطمة على النبيّ وعلى عليّ !!

أين التفضيل الموجود في هذا الحديث ؟

وكيف يُخضع النصّ إلى عقله ويفسّره بتفسير خاطئ ؟ لا يوجد في هذا الحديث أي تفضيل لعليّ على النبيّ ، وأي تفضيل لفاطمة على عليّ وعلى النبيّ ؟ ! وإنما تفسير هذا الحديث بهذا المعنى أنه أنا أريد أن أبين الكمال الإنساني المتمثل في النبيّ فولا النبيّ لما خلقت هذه الأفلاك ، وهذا البشر ؛ لأنّي أريد أبين الكمال الخالص ، الإنسان الكامل المتمثل في النبيّ ، ولكن رسالة النبيّ وكونه أكبر الناس لا تظهر إلاّ بمعونة عليّ فإنه شريكه في إيجاد هذا الإسلام العظيم .

إذن لولا عليّ لما خلق محمد الذي هو الكمال بعينه . ثم يقول : لو لا فاطمة التي هي اللقاح بين عليّ وبنيتها حتى يتكون الأئمة الاثنا عشر (عليهم السلام) الذين يوجدون هذا الشأن الإسلامي الخالص .

إذن لما خلقت محمد ولما خلقت عليّ ، فإنّ هذه الأطروحة السماوية المتمثلة في النبيّ وعليّ وفاطمة والأئمة (عليهم السلام) لا تكمل إلاّ بفاطمة ، فولاك لما خلقت الأفلاك .

أنا أريد أن أبين لك أنت أفضل الناس وأكمل الناس .

إذن خلقت الأفلاك لأجلك ، ولكن رسالتك لا تتم إلاّ بعليّ ، فولا عليّ لما خلقتك ؛ لأنّ الرسالة لا تتم إلاّ به ، وليس فيها تفضيل عليّ على النبيّ ، وكذلك

1- مستدرک سفینه البحار ٨ : ٢٤٣ .

هذه الرسالة لا تتم بالنبيّ وعليّ وإنما لا بد من وجود أئمة اثني عشر (عليهم السلام) يحفظون السنة حتى يودعها الناس وتكتب في موسوعاتهم ، وهذا الإسلام العظيم لا يكتمل إلاّ بفاطمة التي ولدت الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ، فولا فاطمة لما خلقتكما . الرسالة لا تكمل إلاّ بهذه الأطروحة السماوية لأجل إظهار الدين بصورته الناصعة ولا يكون إلاّ بهذه الكيفية ، فجاء الحديث بهذه الصورة .

أين تفضيل عليّ على النبيّ وأين تفضيل فاطمة على النبيّ وعليّ ؟ لا يوجد هناك تفضيل ، فيخضع هذا النصّ إلى عقله ورفضه مع أنّه هو لم يفسّره التفسير الصحيح .

على كلّ حال هناك من يهاجم هذه الأفكار الصحيحة الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهاجمها بحجة أنّها لا يقبلها عقله .

أنت متى درست ومتى وصلت إلى القمة حتى تعرف هذه الأحكام ؟ ست سنين يدرس في الحوزة ثم يأخذ في الفتوى ثم

يأخذ في إعطاء الأحكام الشرعية .

هذه مشكلة ، ست سنين ، الإنسان يدرس إلى أن يوصل إلى ثمانين سنة وهو موجه ويقول : أنا مثلاً بحاجة إلى اطلاع أكثر في القرآن والسنة ، فهذا الذي يدرس ست سنين ، سبع سنين ثم يأخذ في الفقى هذا مشكلة ، يخضع الأحكام إلى عقله ، فيضوب الأفكار ويضوب رموز هذه الأفكار .

لا يوجد عندنا في هذا اليوم رمز نلجأ إليه في المحافظة على الدين إلا المراجع المطلعون على الشريعة المتضلعون فيها ، أتقى الناس وأروع الناس وأقل الناس تمتعاً بهذه الأمور التي نحن نتمتع بها وأفضل الناس هؤلاء نأخذ منهم الدين ، هم الذين يفسرون الطريق الصحيح ، هم الأمان لنا ، فإذا ضربوا هذا الرمز وهذه الأفكار إذن من الذي يكون حافظاً لهذا الدين المتمثل بهذه الشريعة العظيمة القرآن والسنة ؟

الصفحة 409

إن الذي يحفظ الدين هؤلاء العلماء الموجودون عندنا ، فضوبهم تضعيفهم تسقيطهم خيانة وحوام ليس فوقه حرمة . وأيضاً ضوب الأفكار التي لا تقبلها لأنك غير مطلع عليها غير متضلع فيها ، لا تعرف عموم القرآن ، ولا تعرف خطوط السنة ، ضوب هذه الأفكار أيضاً جريمة ، لأنك تهد الناس في هذا الأثر الخالد الذي وصل إلينا من طريق الأئمة (عليهم السلام) ، وهدهم في هذا الأثر ، وتضعف هذا الأثر ، وتضوب رموز هذا الأثر .

إذن ، كيف تكون أنت مثاب عند الله وتطلب بذلك الجنة ؟ !

تقوية المراجع وتقوية العلماء والاستدلال على ما وصل إلينا وحفظه ونقله للآخرين والتمسك به هو الطريق للنجاة .
أنا أكتفي بهذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الصفحة 410

الصفحة 411

الأسئلة والأجوبة

سؤال : شيخنا كما ذكرتم أن السنة كتبت من قبل الإمام علي (عليه السلام) والنبي هو الذي قال له فلا بد في هذه السنة أن يذكر خلافة الإمام علي وإمامته ، فلماذا لم يتبع المسلمون الأئمة وهم يقبلون بهذا الكتاب كما ذكرتم ؛ لأن الأئمة يأتون بالكتاب أمام الرواة ويحتجون بهذا الكتاب ؟

ثانياً : لماذا هذا الكتاب لم يطبع ويكتب في زمن الأئمة (عليهم السلام) وينشر بين المسلمين ؟

الجواب : بالنسبة للسؤال الأول نقول : إن هذه الروايات أو السنة التي أمليت على علي (عليه السلام) وكتبتها ، موجودة عند الأئمة ، وفيها هذه الروايات التي يحتج بها على خلافة الإمام ، يعني حديث الغدير موجود فيها ، وحديث السفينة موجود فيها ، وحديث الكساء موجود فيها ؛ لأنه يقول فيها كل شيء حتى رأس الخدش ، ومعنى ذلك أن هذه موجودة فيها ، ولكن الطرف الثاني الذي كان حاكماً في ذلك الزمان حرف هذه الأمة إلى توجهات أخرى كما تعلمون أن خلافة الخليفة الأول وخلافة الخليفة

الثاني وخلافة الخليفة الثالث الذي دامت خمسة وعشرين سنة ، سار الناس على هذا النهج الذي ألفوه ، بحيث حينما جاء الإمام عليّ (عليه السلام) وهو كاتب السنة أراد أن يغير شيئاً واحداً فلم يتمكن ، أمر بعدم القيام بصلاة التراويح ، فضج الناس وقالوا : واسنة عمراه فسار الناس طيلة ٢٥ سنة على سوة الخلافة التي تسمى بالراشدة حينما ساروا ٢٥ سنة على سنة الخلفاء فكان تغييرهم أمراً صعباً ، رغم وجود الأحاديث النبوية في هذه الصحيفة وكان الإمام يحتج بها على الخصوم ، ولكن لم يتمكن أن يغير ؛ لأنّ الناس ساروا على نهج خاطئ ، وتغيير هذا النهج الخاطئ في يوم وليلة عسير وعسير ، وهذا حجة على العباد وامتحان للعباد أنّه ماذا يتبع ؟ يتبع الخلافة التي كانت موجودة في ذلك الزمان أو يتبع ما كان

الصفحة 412

موجوداً ومكتوباً عند عليّ (عليه السلام) بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) وخط عليّ ؟ هنا كانت هناك مصالح الحكام تتضرب مع هذا الذي هو موجود في هذه الصحيفة ، فكان البعض يقبل وكانت السلطة لا تقبل .
الأمر لم تكن هناك متيوسّة لطبع الكتاب ، ولكن هذا الكتاب المسمى بالصحيفة ومسمى بالجامعة ألقى على طلاب الأئمة ، فكتوه مع الروايات الأخرى المنقولة عن النبي (صلى الله عليه وآله) من قبل صحابة آخرين ، فهذا الكتاب الذي هو الصحيفة الجامعة موجود في ضمن هذه الموسوعات الحديثية الموجودة عندنا والموجودة عند غيرنا ، فهو مكتوب لا بعنوان صحيفة وجامعة وإنما بعنوان قال الصادق وقال الباقر وقال الإمام الحسن وقال الإمام موسى بن جعفر ، وقولهم هو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّ هؤلاء لا يقولون من عند أنفسهم شيئاً ، ولم يقولوا بالأي ، فقد طبع ولكن بصورة أخرى ، ألقى على تلامذتهم فكتب هذه الموسوعات ، ولولا هذه الموسوعات لا نعرف كيف نصلي ، ولا نعرف كيف نصوم ، ولا نعرف كيف نحج ، ولا نعرف المعاملات ، ولا نعرف الإرث ، كل هذا موجود في هذه الموسوعات التي هي فرع من الصحيفة والجامعة الموجودة عند الأئمة ألقوها إلى أصحابهم .

السؤال الثاني : سؤالي الأول ليس سؤالاً بالتحديد لكن قأت مقالة في مجلة من المجلات وأظنها مجلة المعرف العدد ٢٨ ،
٣١ بعض الأفاضل يقول ما نصّه ، هذه العبارات لم أفهم منها الكثير يعني هناك أمور قد تنافي بعض المعتقدات المزمع عليها في الطائفة الشيعية يقول ذلك المتحدث : إنّ الإمامة من المتحولات التي تتحرك في عالم النصوص الخاضعة في توثيقها ومدلولها للاجتهاد ما لم يكن صريحاً بالمسوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه ، ولم يكن موثقاً بالدرجة التي لا يمكن الشك فيه .

وقال أيضاً في نفس الصفحة من المجلة : ولاية المعصوم من المتحولات

الصفحة 413

التي تتحرك في عالم النصوص الخاضعة في مدلولها للاجتهاد مما لم يكن صريحاً بالمسوى الذي لا مجال لاحتمال الخلاف فيه .

يعني هذه العبارات أثرت بعض البلبلة لدى شبابنا في هذه البلاد ونوجوا من جنابكم الكريم التفضل بالإجابة على ذلك

وشكراً جزيلاً .

السؤال الثالث : سؤالي الثاني بالنسبة للأئمة (عليهم السلام) معروف عندنا في خط التشيع ، عندهم علم الكتاب ، فإذا كان عندهم علم الكتاب والأذن الواعية فما الحاجة إلى كتابة الصحيفة ومصحف فاطمة وغيرها من الكتب التي كتبها الأئمة (عليهم السلام) وخواكم الله خيراً ؟

الجواب : بالنسبة إلى السؤال الأول الذي يقول إن الإمامة من المتحولات أو ولاية المعصوم من المتحولات ، هذا كلام غير مقبول عند الطائفة الإمامية باعتبار أن الإمامة من لم يعتقد بها اعتقاداً جزمياً فهو خرج عن نطاق التشيع ، الإمامة من الأمور القطعية التي وردت بها النصوص المتضادة المتكاملة الكثيرة ، فهي ليست من المتحولات ، فيها المعنى واضح ، وفيها السند قوي وواضح ولا حاجة إلى السند بعد أن تكون روايات الإمامة متواترة ، المعنى أيضاً واضح ، ويجب على الشيعي الذي يعتقد ولاية أمير المؤمنين أن يقطع بذلك ، فإن كان عنده الدليل غير واضح سنداً أو غير واضح دلالة فهو بعد لم يعتنق مذهب التشيع .

وهذا الكلام الذي تكلم فيه تراجع عنه صاحبه إذ قال إن الإمامة من المتحولات عند المذاهب الأخرى لا عند الإمامية تراجع صاحبه عن ذلك ، الكلام الذي ظاهره أنه كلامه ، ولكن تراجع بعد ذلك وقال : مقصودي الإمامة من المتحولات عند المذاهب الأخرى .

نعم ، إذا كان عند المذاهب الأخرى المذاهب الأخرى تعترف بها بالأحاديث ولكن تؤول معناها ، ولكن معناها عندنا واضح ١٠٠% ولا يخفى على أحد أن الخلافة في ذلك الزمان هي الحكومة والولاية على تنفيذ تشريعات الله

الصفحة 414

سبحانه وتعالى ولا تكون إلا لمن هو مطلع على الشريعة .

أما بالنسبة للسؤال الثاني : الذي يقول : إنكم تعتقدون بأن الأئمة عندهم علم الكتاب والأذن الواعية وباب رسول الله إذن فما هي الحاجة إلى الصحيفة ؟ وما هي الحاجة إلى مصحف فاطمة ؟

يوجد هناك مصحف فاطمة يختلف عن الصحيفة التي ذكرناها ، الصحيفة التي ذكرناها والجامعة التي ذكرناها تحوي على أحكام شوعية قالها رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي (عليه السلام) فهي السنة ، أما مصحف فاطمة فهو عبارة عن أخبار ما يحدث على أولاد فاطمة إلى آخر الزمان حينما كانت فاطمة في ذلك الجو الذي هو بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتول عليها الملك يحدثها ويسليها ويخوها ما يحصل لأولادها من المقامات السامية على طول الزمان ، فمصحف فاطمة (عليها السلام) نخرجه عن الصحيفة وعن الجامعة .

نحن نقول : إن هذه الكلمات التي هي أن الأئمة هم عندهم علم الكتاب والأذن الواعية وباب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنما حصلت هذه الألفاظ بواسطة السنة بالإضافة إلى القرآن الكريم ؛ لأنهم عندهم القرآن وعندهم السنة ، وليست موجودة عند غوهم ، فحصلت لهم تلك الأذن الواعية التي يعرفون بها التشريع ، وحصل لهم علم الكتاب الذي تمثله السنة ، فإن علم

الكتاب بدون أن تمثله السنة لا يكون واضحاً ، وباب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن الرسول قال : «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (1) .

فتحصل أن الأئمة باب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هذه الأحاديث النبوية التي هي موجودة عندهم واكمل الدين عندهم ولم يكتمل عند غوهم ، فغروهم عنده شيء من الدين ، أما الدين الكامل المكتمل المحقوي على القوان الكريم والسنة بأجمعها ليس إلا عندهم ، فحازوا على تلك الألقاب من علم الكتاب ، الأذن الواعية ، باب علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)

1- المستدرك للحاكم النيسابوري ٢ : ١٢٦ .

الصفحة 415

ولا منافاة بين هذه الألقاب وبين الصحيفة والجامعة ، فإنهم بواسطة الصحيفة والجامعة بإضافة القوان الكريم حصلوا على هذه الألقاب التي هي عبارة عن معرفتهم بالدين معرفة كاملة .

السؤال الرابع : شيخنا الكريم الكلام حول أن اتباع العقل انحراف وبدون توضيح طبعاً والحال أن العقل رسول باطني والأنبياء (عليهم السلام) أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، والنصوص والأحاديث جاءت على قدر عقولنا وبقدر عقولنا نفهم النصوص وهناك أصل عند المتكلمين أن الأحكام الشوعية ، الباطن في الأحكام العقلية وأتصور أن المقتضى العقلي أن هناك بعض القضايا مقدّمة على الدين والشوع لا بد أن يكون الدين أو الشوع أو النصوص تابعة لتلك القضايا العقلية .

مضافاً إلى أن السيد الموتضى (قدس سوه) في كتاب الأمالي يقول . مضمون كلامه . نحن نتبع حجج العقول ، فإذا كان نص الحديث يخالف حجج العقول فنحن نؤول هذا الحديث ، وإذا كان النص غير قابل للتأويل نتبع دليل العقل ، وعلى هذا الضوء يؤخذ هذا الأصل ، وهو تأويل بعض الأحاديث لكن بعض الأحاديث يؤول بعض الآيات وهكذا .

الجواب : بالنسبة إلى سؤالكم الأول أنه اتباع العقل انحراف ، أنا لم أقل هذه الجملة ، وإنما أقول في الأحكام الشوعية التي هي فروع فقهية لا ينبغي أن يتبع العقل ويترك الفوع الشوعي ، والحكم الشوعي ، كان كلامنا في الفقه والأحكام وفي الشريعة ، ليس كلامنا في أصول الدين ، كلامنا في فروع الدين ، فالعقل يؤخذ به ويتبع ، ولكن في نطاق النص وفي ضمن النص ، لا أنه يؤخذ بالعقل ويترك النص ، يعني في واقعه إذا وجد نص ، ووجد حكم عقلي فهنا في واقعة واحدة يؤخذ بالعقل في نطاق النص ، مثلاً حينما تقول الآية القوانية : ﴿بَدُ اللَّهُ فَوْقَ﴾

الصفحة 416

أيديهم (1) ، هذا نص يؤخذ به ويؤخذ بالعقل في نطاق النص ، يعني تؤول هذه الآية بقورة الله فوق قدرتهم ، ولما تقول

الآية : ﴿وَجْهَ يُومِئذُ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (2) ، العقل ماذا يقول ؟

يقول : إن الله سبحانه وتعالى ليس بجسم وى ، فتأخذ بالعقل لكن في نطاق النص ، فالعقل يؤخذ به في نطاق النص .

هذا في الأحكام الشرعية الوعية أما في أصول الدين هناك إثبات الله سبحانه وتعالى لأبد أن يكون من طويق العقل ولا يجوز فيه التقليد ، والرسالة المحمدية النبوية هذه الرسالة لأبد من الإيمان بها لا عن طويق الآيات القوانية ، فإن هذا يوجب الدور فيؤخذ من طويق المعجزة التي جاء بها النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهو هذا القوان الذي تحدى العالم في المجي بمثله أو المجي بعشر سور أو المجي بسورة واحدة ، وقد عجز الجميع عن أن يأتوا بمثل هذا القوان ، فالإيمان بنوّة النبي (صلى الله عليه وآله) يكون عن طويق تحدى القوان للبشر في الإتيان بمثله ، فهذه هي المعجزة ، ولا يمكن أن نستدل على رسالة الرسول ونوّة النبي (صلى الله عليه وآله) بالقوان فإن هذا يؤرم منه الدور .

السؤال الخامس : هل الوجعة من المسائل العقائدية أم من المسائل الوعية ؟

الجواب : الوجعة ليست من الأمور العقائدية وليست من الأصول الخمسة التي نعتقد بها ، هناك عندنا من الأمور التي نعتقد بها نتيجة النصّ الورد فيها ، وليس هي من الأصول التي نعتقد بها بواسطة العقل ولا يكون فيها تقليد ، توجد أمور لا يجوز فيها التقليد ، وهو الاستدلال على وحدانية الله تعالى ، حيث لا يجوز فيها التقليد ، وكذلك

1- الفتح : ١٠ .
2- القيامة : ٢٢ - ٢٣ .

الصفحة 417

الاستدلال على العدل لا يجوز التقليد فيه ، وكذلك الاستدلال على الوسالة لا يجوز التقليد فيه ، ولا يجوز الأخذ من كلام الرسول أو من القوان ؛ فإنه دور .

لا يمكن الاستدلال بهذه الآيات القوانية على المعاد وإن كانت مؤيدة للاستدلال ، فلا بد أن يستدل الإنسان على العقائد الحقّة في أصول الدين بطويق قطعي ليس مستنداً إلى الشريعة .

فإن العقل نقول به في أصول الدين التي هي العدل والتوحيد والرسالة والمعاد ، وبالنسبة للإمامة فيكفي فيها الاعتقاد بما جاء فيها من النصوص ؛ لأنها هي من أصول المذهب كما عبر عنها بعض العلماء وليست من أصول الدين .

فإن ما قاله السيّد المرتضى أنه نتبع حجج العقول هذه في الأمور العقائدية ، وأصول الدين نتبع العقل فيها ، وكذلك نتبع العقل فيما يأمر فيه من الحسن وما ينهى عنه من القبح ، هذه الأمور التي تسمى بالأحكام العملية ، أنه هذا شيء ينبغي أن يعمل وهذا الشيء ينبغي أن يتوك ، يعني العدل ينبغي أن يعمل في الخرج ، والظلم ينبغي أن يتوك في الخرج ، هذا الذي تطابقت عليه آراء العقلاء الذي يسمّى بالآراء المحمودة ، هذا يتبع ؛ لأنه أمر عقلي قاله العقل ، فحينئذ هناك لا توجد مصادمة بين العقل والشوع هناك نتبع العقل ، والروايات التي تأتي مخالفة لهذه الأحكام العقلية التي عليها آراء العقلاء فيؤخذ بحكم العقل ونطوح الرواية ، أمّا هناك من الناس من يقول هذا يصادم عقلي ، يعني يصادم المصلحة التي واهها عقلي ، ولا يصادم الأحكام العقلية والآراء المحمودة التي تطابقت عليها آراء العقلاء ، إذا كان النصّ يعرض العقل البديهي يضرب عرض الجدار ، كما إذا كان النصّ يعرض القوان يضرب به عرض الجدار ، وعندنا روايات كثيرة تنصّ على أن النصوص المخالفة

(1) الجدار ، وكذلك الروايات التي تخالف البديهيات العقلية والآراء المحمودة التي تطابقت عليها آراء العقلاء فهذه تضوب عرض الجدار أما كلام هؤلاء الذين يقولون نحن نخضع الأحكام الشرعية لعقولنا مرادهم ليس هذه العقول التي هي الآراء المحمودة ليست العقول التي هي عبارة عن البديهيات ، وإنما نتبع المصلحة فإن رأينا أن النص فيه مصلحة نتبعه ، وإذا رأينا النص ليس فيه مصلحة نجتنبه ، والمواد من المصلحة أهوائهم .

من الأول بيئت أن هذه المصلحة التي يدعونها هي أهواءهم ، فإن وافق النص أهواءهم أخذوا به ، وإن خالف النص أهواءهم تركوه ، العقل هو حجة من حجج الله يتبع في الأصول ويتبع في الآراء المحمودة التي تطابقت عليها آراء العقلاء ، والنص إذا خالف الآراء المحمودة يطرح ، لكن هذا العقل الذي قلنا إخضاع الأحكام الشرعية ، يعني مصلحة الإنسان يعني ما يرتأيه الإنسان ، يعني شهوات الإنسان ، يعني هو الإنسان ، فيقبله إذا وافق هواه ومصلحته ، وليس تلك الأمور العقلية التي هي في أصول الدين والتي تسمى الآراء المحمودة .

السؤال السادس : فوصة تتاح لنا حقيقة أن نسأل لاسيما وأنا قلما أجد أحد مشايخ الإخوة الشيعة ، فأتمنى أن تتاح لي فوصة ، لاسيما وأنا أمثل الطرف الآخر ، معظم من في الغرفة إن لم يكن جميعاً من الشيعة ، وجهة نظر ليس إلا ، إن شئتم أقبلوا وإلا فلا ، رى أن تتاح لي فوصة ، طبعاً فوصة أن نلتقي بالشيخ حسن الجواهري ، وأنا أول مرة بصراحة أسمعته ، وكان كلامه قويا ولا يشك أحد منا في أهمية السنة فهي : ﴿ وَأَتْرَأْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (2) ، عسى أن لا أكون أخطأت في الآية لأتي أوأ على حفظي ، فالذكر الأول هو السنة : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ، اللؤان الكريم فولا السنة ما استطعنا أن نصلي ، ولولا السنة ما استطعنا أن نحج .

إن طبعاً لن تترك السنة هو كما ذكر الشيخ ، وذكر أن الرسول (صلى الله عليه وآله) أعطى الصحيفة عليا (عليه السلام) والتي حوت جميع السنة ، فأوكل هذه المهمة العظيمة التي بينى عليها عقائد البشر من لدن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الآن إلى أن يرث الله الأرض لعباده ، وهذه الصحيفة كما ذكر الشيخ تحوي جميع السنة فكيف الآن هذه السنة ليست موجودة ؟

وأيضاً نجد حتى في كتب الشيعة في الكافي عشرات الروايات بل مئات الروايات عندما نناقش إخواننا الشيعة فيها يقولون

لنا : إنّ هذا الحديث ضعيف ، فهل نقول : إنّ أئمة أهل البيت حذفوا هذه الصحيفة وتسببوا في ضياع السنة ؛ لأن الأسباب التي حفظت هذه الصحيفة هي نفس الأسباب التي دعت الرسول (صلى الله عليه وآله) - إن صح ذلك - أن يكتب في هذه الصحيفة إلى عليّ بن أبي طالب ، فما أخرجنا الآن للسنة النبوية ، وأنا أشعر أنها ضاعت ؛ لأن اختلط الحابل بالنابل ، فعثوات الروايات التي نقرأها سواء في كتب السنة أو الشيعة عندما تناقش يقال إنها ضعيفة ، وما ذلك إلا بسبب الصحيفة هذا سؤال ؟

الشقّ الآخر من السؤال قضية عمر بن الخطاب عندما قال : «حسبنا كتاب الله» ويذكر علماء الشيعة أن الرسول أراد أن يكتب الخلافة إلى عليّ بن أبي طالب إذا كان الأمر كذلك فما فائدة هنا الحديث فهو الموجود في الصحيفة ، وهو حديث الأئمة من عليّ إلى الإمام الأخير محمد العسكري ، فإذا كان هذا الحديث أصلاً موجوداً وقد كتبه علي (عليه السلام) بخط يده فما فائدة أن يطلب من أصحابه القلم ليكتب في الإمام الذي سيكون بعده ؟

وأيضاً عاش الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد هذه الحادثة ثلاثة أيام فلماذا لم يكتب (صلى الله عليه وآله) هذا ؟ وهل يستطيع عمر أو غير عمر أن يمنع أمر الله عزّ وجلّ وأن يمنع أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) لا سيما وأن علياً (عليه السلام) وبقيّة آل بيته بجوراه ؟

الجواب : بالنسبة إلى الصحيفة التي تكلمنا عنها هذارأي الإمامية من إنّ

الصفحة 420

هذه السنة التي قالها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تضع أو لم يضع أكثرها ، بل حفظ أكثرها ، فإن السنة إذا قلنا لم تكن مكتوبة كما هو مسلك جماعة كبيرة من المسلمين فهذا إشكال عليهم كما تكلم الأخ وقال ضاعت السنة ، فيأتي الإشكال كيف يكون هناك دين سموي أراد الله تعالى للبشرية إلى يوم القيامة وخزء كبير منه وهو السنة النبوية لم تكتب وبقيت في صدور الرجال ، والرجال تعرّضوا للقتل وللإستشهاد وللموت وللنسيان فإذا اعترفنا بأنه ضاع أكثرها فهذا إشكال على الإسلام ينبغي أن يجاب عنه .

أمّا جوابنا نحن فنقول : إنّ هذه السنة لم يضع أكثرها وانما كتبها علي بأمر من الرسول إذ قال الرسول (صلى الله عليه وآله) لأحد أصحابه : «أكتب فو الذي نفسي بيده لا يخرج من هذا . وأشار إلى فيه . إلاّ الحق»⁽¹⁾ ، فكان هناك جماعة يكتبون الحديث من الصحابة إلاّ أنّهم لم يجمعوا السنة بأكملها ، هذا كلامي .

أنا لا أقول إنّ بعض الصحابة لم يكتبوا السنة ، كتبت السنة لكن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعطي الحديث والحديثين والثلاثة والأربعة لبعض الناس ، قسم كتبها ، وقسم كانت عندهم السنة ، وقسم أحرقها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) خشية أن تختلط بالقوان الكريم ، هكذا قالوا ، هذه هي حجّتهم .

ونحن قلنا : إنّ القوان معجز ، والأحاديث أخذ في إعطائها الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الناس بصورة سهلة وبسيطة يعرفها الناس ، فهذه السنة معظمها أو كلها لم تذهب سدى ، وانما حفظ بعضها عند بعض الصحابة ، وحفظ كلها عند علي

وأولاده (عليهم السلام) وأعطوها إلى طلابهم ومن كان يدرس عندهم ، فكتبت بهذه الموسوعات الموجودة عندنا .
فالروايات الموجودة في هذه الموسوعات فيها السنّة .
نعم ، فيها ما هو ضعيف ، وفيها ما هو مجهول ، وحسب علم الحديث ينبغي

1- مسند أحمد ٢ : ١٦٢ ، سنن الدارمي ١ : ١٢٥ ، سنن أبي داود ٢ : ١٧٦ .

الصفحة 421



أن ندقق في سند الروايات ، وحتى كتاب الكافي وكتاب الشيخ الطوسي وكتاب من لا يحضوه الفقيه فيها الأحاديث الصحيحة الأعلانية التي يرويها الثقات من الناس ، وفيها الروايات التي يرويها بعض الضعفاء أو بعض المجهولين ، فهذه السنة نقول موجودة هنا ، ولكن بما أن الرواة الموجودين في ذلك الزمان هم كثيرون وكانوا يحضرون ، وكانوا يكتبون الأحاديث من الأئمة ومن الصحابة غير الأئمة فوجد الدس الذي كان من قبل بعض الكفار الذين رأوا أن يشوهوا هذا الدين ، فإما أن نقول بأن السنة ضاعت ، وهذا إشكال على الدين ، وإما أن نقول إن السنة حفظت بهذه الكيفية وأودعت في الموسوعات الروائية التي وصلت إلينا ، وفيها الغث والسمين ، فعلى العلماء أن يحققوا في هذه الموسوعات الموجودة عندنا ، فيأخذوا ما صح من الأحاديث من الرجال الثقات ويتركوا ما لم يصح عن الرجال الثقات ، وما لم يكن من الموثوقين أو المجهولين سواء كانوا ضعافاً أو مجهولين فهذه هي طريقة الإمامية .

نقول : إن السنة لم تضع وإنما كتبت عند علي ، وعلي والأئمة (عليهم السلام) من بعده ألّفوها إلى طلابهم ، وبعض الصحابة كتب بعض السنة وألّفها إلى أصحابه ، وكتبت الموسوعات الروائية عند السنة ، وعند الشيعة ولكن هناك من دس في هذه الأحاديث عناداً وتهديماً للدين .

إذن هذه الموسوعات فيها السنة وفيها غير السنة ، ومهمتنا نحن العلماء أن ندقق في كل حديث من هذه الأحاديث فمن كان رواته من العول أو الثقات أو المموحين يؤخذ به ، ومن كان رواته مجهولين أو ضعفاء يترك ولا يؤخذ به وليس بحجة . فإن ما نقوله نحن يزِيل الإشكال عن الدين .

وما نقوله أنت يثبت الإشكال على الدين ، إذ كيف يكون هذا الدين العظيم الذي يعتمد على القرآن والسنة مع أن السنة لم تكتب ؟

الصفحة 422

فإذا قلتم بمقالتنا نتيجة الروايات الموجودة عندنا ، أفحصوها فإذا كانت تامة السند لماذا لم تأخذوا بها ؟ خصوصاً مع تصحيح الأئمة (عليهم السلام) بأن ما نقوله ليس من رأينا وليس خراجاً عن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ما نقوله عن آبائنا عن رسول الله .

إذن الأئمة إذا كانوا هم ثقات عندكم وعندنا معصومون بالأدلة وما يروونه عن قبلهم وهم أبؤهم وهم أيضاً ثقات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فينبغي الأخذ بهذه الأحاديث ، فيندفع الإشكال عن الإسلام العظيم القائل إنه كيف لم تكتب السنة ؟ فيرتفع هذا الإشكال .

فما أقوله أنا نافع للمسلمين بأجمعهم وليس نافعاً لنا فقط ، فإنه يزِيل الإشكال المتوجه إليكم ، حينما نقول ضاعت أكثر السنة ، وهل يمكن لمبدأ قائم على القرآن والسنة أن تضع سنته فهل كان النبي مقصواً ؟ لو كان لا يعرف مدى الخسار الذي ينتج من عدم كتابة السنة ؟

نحن نقول كتبت السنة في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل بعض الصحابة ، وأودعت كلها عند علي (عليه

السلام) وما وصل إلينا هو السنّة ، ولكن فيه ما فيه من الدسّ الذي حصل في تلك الأيام تخريباً للدين وعناداً للحقّ .
 وأما بالنسبة إلى حديث : «حسبنا كتاب الله» ، هناك حديث الغدير الذي هو فيه هذه الجملة التي تقول : «من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهمّ وال من والاه»⁽¹⁾ ، وفي غيره حديث الثقلين الذي يقول : «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»⁽²⁾ . هذه الجملة كانت موجودة في أحاديث قالها رسول الله في مناسبات متعدّدة وكثيرة ،
 وحينما كان مريضاً في موضه الأخير قال : «إئتوني بواة وكف لأكتب لكم كتاب لن تضلوا بعدي

1- مسند أحمد ١ : ١١٨ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١١٦ ، مجمع الزوائد ٧ : ١٧ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٥ .
 2- مسند أحمد ٢ : ١٤ ، سنن الدارمي ٢ : ٤٢٢ ، المستدرک للحاکم ٢ : ١٤٨ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٢٠ .

أبدأ»⁽¹⁾ ، وجملة : «لن تضلوا» موجودة في حديث الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، فهنا أكبر الظنّ ولا نستطيع أن نقول على وجه القطع واليقين أكبر الظنّ أنّ الخليفة الثاني ربط بين ذلك الكلام الشفهي الذي لم يكتب وبين هذا الكلام الذي أراد أن يكتب ويثبت ، فمنع من كتابة الحديث ؛ لأنّه رأى أنّ المصلحة كما صوّح هو بذلك ألاّ تجتمع النية والخلافة في بني هاشم ، هذه الروايات التي في خلافة عليّ كثيرة ليست واحدة واثنين وثلاث وأربع بل بالمئات مثل حديث السفينة⁽²⁾ وحديث الطير⁽³⁾ وحديث : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽⁴⁾ ، هذه أحاديث صحيحة تزوونها في كتبكم فإذا كانت هذه روايات صحيحة فأكثر الظنّ أنّ الخليفة كان رأى أنّ ليس من المصلحة أن تجتمع النية والخلافة في بني هاشم ، رأى أنّ النية أن تكون في بني هاشم والخلافة تكون في فخذ آخر ، هذا أصلح للإسلام والمسلمين حسب تعبيره ولذلك رفض النصّ ، فإنّ النصّ موجود ليس في هذا الوقت فقط وإنما كان هذا النصّ موجوداً من قبل ، وهو موجود عندهم ويعترفون به ويعترف به كل علماء المسلمين ، ولكن يؤولون معناه ، حبّ عليّ (عليه السلام) والمحبة هي الولاية في ذلك الزمان والسيطرة والحكومة وليست المحبة المجردة ، فما يقولونه من المحبة هذا شيء في معنى الولاية ، ولكنه ليس المتبادر من اللفظ وليس المقطوع به من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) المتكررة الكثيرة ، فأنا أقول : إنّه ربط الخليفة بين ذلك الحديث الذي فيه لن تضلوا أبدأ وبين هذا لن تضلوا ، فأراد النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يثبته ، ولكن منع منه ، لأنّه رأى أنّ المصلحة أن تكون الخلافة في غير بني هاشم .

1- مسند أحمد ١ : ٣٤٢ ، صحيح البخاري ٤ : ٣١ ، صحيح مسلم ٥ : ٧٦ ، المستدرک للحاکم ٣ : ٤٧٧ ، مسند الحميدي ١ : ٢٤٢ .
 2- المستدرک للحاکم ٢ : ٤٢٤ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ ، المعجم الأوسط ٤ : ١٠ .
 3- المستدرک للحاکم ٣ : ١٣٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٢٥ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٠٧ ، خصائص النسائي : ٥١ .
 4- الشعراء : ٢١٤ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٢٦ ، نظم درر السمطين : ٨٢ .

مصلحة المسلمين أنّه ينبغي أن تتقاسم المناصب ! ! ولا أروي ما هذه المصلحة التي كان واها ، ؟ فأنا أقول هذا على وجه الاطمئنان والظنّ القوي ولكن لا على وجه القطع .

السؤال السابع : بسم الله الرحمن الرحيم ، تفضل سماحتكم بأنّ العقل يجب أن يكون ضمن الإطار التشريعي في حين أنّ علماء الشيعة الذين قالوا بانسداد باب العلم كالشيخ الأنصلي والشيخ المظفر وهو الذي قال : إنّ الشيعة لم يبحثوا في الاستدلالات العقلية ، والبحث العقلي في علم الأصول بما ينبغي أن يكون ، وفي الوقت الحاضر نشاهد التطور العلمي أو المسائل الاجتماعية التي أخذت بالمجتمع من نواح كثرة ، بحيث أصبح المفكر المعاصر هو فقيه يأخذ النصّ ليجابه الأمواج التي تأتيه ، والمعروف لدى المراجع الجواب النهائي لهذه المسائل في حين نرى أنّ المراجع يتحاشون بعض الأشياء لظروف سياسية أو لحاظية كما يقال عنها ، فما هو هذا الشيء الذي يحجب دور العقل في وقت بحيث نقول : إنّ العقل لمصلحة ما أو إنّ العقل لوء فتنه ما نتبعه وتلوة نتبع الشرع فهذا تناقض ؟

الجواب : بالنسبة إلى اتباع العقل نحن قلنا إنّ العقل متبع في الأمور العقائدية التي عليها أساس الدين ، والعقل أيضا متبع فيما تطابقت عليه آراء العقلاء ، ولكن الكلام في أنّ العقل إذا تصادم مع الشرع فبأيّهما يؤخذ ؟ قلنا يؤخذ بالعقل .

ثمّ نسأل بأيّ عقل نأخذ ؟

نأخذ بالعقل الذي هو عبارة عن : الضروريات والبديهيات أو الآراء المحمودّة التي تطابق عليها آراء العقلاء ، مثلاً يقولون بأنّ الظلم قبيح ، هذا حكم عقلي ، فإذا جاءت رواية وتقول اظلم أخاك أو اظلم جرك فنضرب هذه الرواية عرض الجدار ونأخذ بالحكم العقلي الذي يقول بأنّ الظلم قبيح وحرام ، وكذلك العقل يقول : إنّ العدل حسن وواجب ، فإذا جاءت رواية تقول : العدل لا يكون

الصفحة 425

واجباً أو العدل لا يكون حسناً نضرب هذه الرواية ونأخذ بالعقل الذي يقول بأنّ العدل حسن ، هذا ما تطابقت عليه آراء العقلاء وأيضاً العقل متبع في غير إطار النصّ .

وكلامي في المحاضرة حول أنّ العقل غير البديهي أو غير ما تطابقت عليه آراء العقلاء أو عبر عنه بالمصلحة إذا

تضربت مع النصّ الشوعي ، يعني النصّ يشير إلى شيء والمصلحة تشير إلى شيء مخالف للنصّ فماذا نعمل ؟

هنا كان بعض الصحابة يأخذون بالمصلحة ويتكلمون بالنصّ ، وأنا كلامي كان في هذه النقطة في غير العقائد يعني في

الأحكام الشرعية وفي غير ما تطابقت عليه آراء العقلاء من اتباع الحسن ونبذ القبح وترك القبح في غير هذا إذا كانت هناك شيء يُسمّى بالمصلحة ، وهي المصلحة الشخصية لجماعة أو المصلحة التي تدرّ قاندة على جماعة ويعرضها النصّ ، يعني النصّ يقول أعطي الحقوق الشرعية من الخمس والزكاة ، وأنت مصلحتك أن لا تعطي هنا هل نضرب النصّ أو نأخذ بالنصّ ؟

العقل يقول لك : أنت الآن لا يوجد عندك شيء ، يجب أن تبني بيت ، يجب أن تتزوج ، يجب أن تفعل كذا فلا تعطي خمس أموالك بعد أن حالت السنة عليها إلى الموضع ، هذه مصلحتك الشخصية التي يأمرك بها عقلك يقول لك : أنت غير متزوج ،

لم تشتتر درأ بعد ، لم تنه الجامعة ، ما هذه أموالك ، إذا حالت عليها سنة أعطي خمسها إلى الحاكم الشرعي فيعطي قسماً منها لفقهاء السادة ، ويعطي قسماً منها إلى طلاب العلوم الدينية ، أنت أخرج من طلاب العلوم الدينية ، عقلك يقول لك لا تعطي هذه الأموال .

هنا إذا أخذنا بالعقل يعني مصلحتك الشخصية وتركنا النص الذي يقول : أعطي خمس أموالك الزائدة على مؤنة سنتك إلى الفقيه فهذا الانحراف ، وهذا هو اضمحلال الدين ، وهذا هو محق الدين ؛ لأنه مخالفة للسنة .

الصفحة 426

ونحن قلنا المراد من إخضاع الأحكام الشرعية لعقل الإنسان يعني بهذا العقل الذي ليس هو بديهي ، وليس من الآراء المحمودة التي تطابق عليها آراء العقلاء ، وليس من العقائد التي هي في التوحيد والعدل والنوّة والإمامة والمعاد ، مثلاً إذا قلنا الإمامة عليها أحكام عقلية غير الروايات الواردة في ذلك الشأن فإرادنا من العقل الذي يتصادم مع الشوع ، هذه مصلحة تخالف الشوع ، فكل الأمثلة التي ضربناها انه مصلحة تخالف الشوع .

حينما أسقطت جملة : «حي على خير العمل» كان الخليفة يرى أن المصلحة في ذلك ، وأن خير العمل في ذلك الزمان هو الجهاد ، وليست الصلاة ، وإذا قلتم الصلاة فلا يتوجه الناس إلى الجهاد ، فغيروا حي على خير العمل ، ولا مانع أن يذهب الإنسان إلى الجهاد ، ويصلي في الطويق جماعة ما هو المانع ؟

لكن يقول لك لا أنا أبقى حي وأصلي ثلاثين سنة أفضل من أن أستشهد ، لأن الصلاة خير الأعمال ، فلماذا أنا أستشهد ؟ لا أذهب إلى الجهاد وأصلي خمسين سنة ، بينما إذا ذهب إلى الجهاد قد استشهد في الطويق أو في المعركة ، فكان يرى أن المصلحة في حذف هذه الجملة ووضع مكانها الصلاة خير من النوم .

أو مثلاً حينما يأتي الأسوي من الفوس حين الفتوحات الإسلامية التي حدثت في زمان الخليفة الثاني يأتي الأسوي من الفوس ويدخلون على الخليفة الثاني ، يدخلون بهذه الكيفية ، ينكتفون فيقول لهم . لماذا تقفون هذا الموقف ؟ يقولون نقف هذا الموقف أمام عظمائنا .

يقول : إذن فلنقف أمام الله بهذه الكيفية ، وسنة التكتف من ذلك الزمان ، وإن وجدت روايات تقول بأن التكتف كان موجوداً في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أن هذه الروايات وجدت لتوجيه الخط الحاكم الذي أمر بالتكتف أمام الله ؛ لأنه يرى أن المصلحة هكذا .

الصفحة 427

كما في زواج المتعة التي كانت فيها آية وآنية ، وكان موجوداً في زمان النبي (صلى الله عليه وآله) وفي زمان الخليفة الأول وزمان الخليفة الثاني إلى قسم من خلافته حتى حرمها ، لكن وجدت بعد ذلك روايات تؤيد الخط الحاكم وهي موضوعة مدسوسة في أن النبي نهى عن الزواج المؤقت ، هذه الروايات موضوعة مدسوسة ، تأييداً للنظام الحاكم ، إنما هو كان يرى المصلحة في أن يرفع جملة حي على خير العمل من الأذان ، فإذا تعرضت مصلحته أو المصلحة التي رآها . هذه مصلحة قد

تكون مصلحة شخصية ، قد تكون هوى ، لا نعلم بها . مع النصّ يقدم المصلحة على النصّ ، فيضوب النصّ . وهذا خطأ ينبغي أن نبتعد عنه .

السؤال الثامن : هولانا الشيخ سؤال أو مداخلة مع سؤال ، نصيحتكم وإرشادكم لأبنائكم وإخوتكم في الغرب في أوروبا وفي القارة الأمريكية وفي كل مكان يتواجد فيه المسلمون لا سيما أتباع ولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في خصوص قضية تعلّم العلوم الشرعية والعقائدية والفقهية لا سيما وأنّ سماحتكم يعلم بمقدار الهجمة والحملة الكبيرة الشاملة على المذهب بكلّ أصوله وفروعه . هذه هي المداخلة .

وهناك أكثر من سؤال يطرح ويبرز بين أبناء الجالية المهاجرة إلى الغرب حول قضايا كثرة منها قضية الشهادة الثالثة لأمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ، ومنها أفضلية أمير المؤمنين (عليه السلام) على باقي الصحابة والخلفاء ، حقيقة نحن نجيب بما نعلم ، ولكن شيخنا الفاضل إجابتم إجابة عالم جليل مجتهد نريد أن تقيوا بها أبنائكم وإخوانكم وخوكم الله خير الجزاء وشكراً لكم .

السؤال التاسع : شيخي الكريم سؤال يقول : هل الإمامة شيء من التزيخ كان ومضى ونحن أبناء هذا اليوم و المفروض أن لا ندخل في مثل هذه المواضيع ؟

السؤال العاشر : بسم الله الرحمن الرحيم ، الشيخ جزاه الله خوا إذا يتفضلّ علينا بالجواب عن السؤال الذي دائماً يطرح في المنتديات وفي كل مكان

الصفحة 428

وهو أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) سلم الأمر إلى معاوية ، بينما الإمام الحسين (عليه السلام) قاتل يزيد لعنه الله ، فإذا كان الإمام الحسن إمام وإذا كان الإمام الحسين إمام فكيف يسلم المنصب الإلهي إلى إنسان فاسق ومتهتك ؟

الجواب : بالنسبة إلى الأخ الذي طلب النصيحة والإرشاد لمن كان في الغرب أنا أقدم النصيحة لكل إنسان مهاجر إلى تلك الأماكن البعيدة أن يتواجد في العوازل الإسلامية الصحيحة التي تتبع آثار أهل البيت (عليهم السلام) ، ويلتزم بالشعائر الحسينية الموجودة هناك من قبيل التعري والبكاء على سيد الشهداء ومن قبيل اللطم أو من قبيل الغناء الذي يوجد في تلك الأماكن ، فإنّ التمسك بهذين الأمرين ، الارتباط بعوازل العلماء وعوازل المسلمين الصحيحة غير المنحرفة والتمسك بشعائر أهل البيت (عليهم السلام) والارتباط بالعوازل العلمية في إيران عن طريق الانترنت أو عن أيّ طريق آخر ، هذا هو الضامن لسلامتهم من الاتخاف في تلك البلدان ، التمسك بالشعائر الحسينية كما أوصى بذلك الإمام الخميني (رحمه الله) حينما قال : كلّ ما عندنا من عاشوراء ، وكلّ ما عندنا من هذه الشعائر التي نقيمها في تعظيم الأئمة وفي تأييد الأئمة وفي ذكر ماؤهم ، فإنّ هذه المجالس هي دروس علمية ودينية يتقبلها الإنسان منذ نعومة أظفاره إلى أن يكبر .

فنصيحتي لهم أن يدوموا على الحضور في هذه العوازل والحضور في الشعائر الحسينية والارتباط عن طريق الانترنت أو عن طريق التلفون بالعوازل العلمية في قم ، فإنّ هذا هو المنهج الناجح وهو الذي يضمن لهم الطريق الصحيح .

طبعاً تعلم الأحكام والعقائد في تلك البلدان أمر ضروري ولا بد منه ، ولا بد لهم من أن يطلوا من المسؤول هناك ومن وكلاء العلماء والمراجع في فتح نورات تربوية وفقهية وعقائدية في كل ثلاثة أشهر ، لا بد من إيجاد نورة يرتبط فيها المسلمون هناك لتعلم الأحكام الفقهية والعقائد والتربية الإسلامية ، بالإضافة إلى حضورهم في الشعائر الحسينية التي تقام والمناسبات التي تقام في مواليد الأئمة

الصفحة 429

وفي وفياتهم ، فإن فيها النفع الكثير والخير العميم ولا ينسوا الارتباط بواجب المسلمين عن طريق الاتصالات الحديثة . بالنسبة إلى الشهادة الثالثة لعلّي (عليه السلام) هذه التي يحربها بعض الناس ، طبعاً فيها أدلة كثيرة تقول كلما ذكرت الوسالة يستحب أن تذكر الإمامة والولاية ، ونحن حينما نقول في الاذان مثلاً : أشهد أن علياً ولي الله لا يقول أحد من العلماء بوجوبها وإنما يقولون باستحبابها ، والقول بالاستحباب نتيجة قول الأئمة (عليهم السلام) إذا ذكرت الوسالة فاذكروا الولاية ، وحينما يذكر أشهد أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتذكر الولاية ويذكر علي من باب الاستحباب الشوعي . بالإضافة إلى أن ذكرها قد يكون واجباً من ناحية دفع الشبهة التي توجه إلى الإمامية من أنكم تقولون بأن علياً هو الله أليست هذه الشبهة موجودة للشيععة وهي أنكم تقولون بأن علياً هو الله ؟ فالجواب أننا نقول في الصلوات الخمس أن علياً ولي الله ، وليس هو الله ، من هذه الناحية لنا الحق أن ندافع عن تلك الشبهة الباطلة التي تدس في الكتب وتنتشر ضدنا ، فنحن نقول إن علياً هو الولي بالأدلة الثابتة من الولاية له ، وطبعاً لا تقبل الأعمال إلا بالولاية أمير المؤمنين ، هذه فتوى العلماء بأجمعهم أن الأعمال لا تقبل إلا بالولاية .

وسرّ هذه الفتوى هو هذا أننا لا بد أن نأخذ أحكامنا ممن هو ولي علينا وممن ، هو حفظ السنة ، فلا بد أن نأخذ الأحكام من هذا الطريق ، وإذا لم نؤمن بالإمامة فسوف نأخذ الأحكام من طريق آخر ، والدين الصحيح هو الموجود عند الأئمة وعند النبي (صلى الله عليه وآله) الذي أودعه الأئمة ، فإذا أردت أن تكون أعمالك صحيحة لا بد أن تكون هذه الأعمال منسقة من هذا الطريق من طريق الإمامة وإلا فأعمالك تكون باطلة ، ومعنى أنه من لم يؤمن بالولاية يكون عمله باطل يعني يأخذ الأحكام من غير هذا الطريق ، وأخذ الأحكام من غير هذا الطريق لم يكن صحيحاً ؛ لأن السنة في هذا الطريق ، حفظها وأودعها وكتوبها وأودعها الكتب

الصفحة 430

من هذا الطريق فمن أخذ أحكامه من طريق آخر لا تكون صحيحة ولا تكون مجزية ، وهذا ما يفتي به علمائنا أن الشهادة الثالثة هكذا من لم يؤمن بها لم تكن أعماله صحيحة بمعنى أنه من لم يؤمن بها سوف يأخذ أحكامه من طريق آخر ، والطريق الآخر ليس بحجة ، هذا الطريق هو الذي ثبتت حجتيه فمن أخذ الأحكام منه فعمله صحيح ، من أخذ الأحكام من طريق آخر فعمله غير صحيح .

بالنسبة للأخ من أوروبيا يقول : هل الإمامة من الدين وبدونها الدين يكون ناقصاً ؟

نعم الإمامة من الدين وبدونها يكون الدين ناقصاً ، وليست الإمامة شيئاً تليخياً ، الزاع بيننا وبين غورنا من أبناء السنة حول الإمامة هو زاع عن أعمالنا في هذه الأيام ، و . . ؟ نحن لم ننتزع على من هو الخليفة ؟ هل الخليفة هو عليّ (عليه السلام) أو الخليفة أبو بكر ، ماذا أراد الإسلام ؟ أراد الإسلام أن يكون الخليفة عليّ (عليه السلام) أو أراد أن يكون أبو بكر ؟ نعم ذاك زمان مضى وانقضى تليخه ، ولكن عملك في هذا اليوم متوقّف على أن تعرف في ذلك الزمان من هو الخليفة ، لأنك إذا عرفت الخليفة الحقّ ، وعرفت من هم الخلفاء من بعده ، فسوف يكون عملك صحيحاً ، أما إذا قلت بأن الخلافة لم تكن لعليّ وإنما كانت بالانتخاب لأبي بكر وبعد أبي بكر لعمر بالتعيين وبعد عمر لعثمان بالشورى التي هي ستة وبعدها لعليّ ثم معاوية فسوف يكون عملك على طريقة أخرى ، طريقة الخلفاء ، وهذه الطريقة تختلف عن طريقة الإمامية . إذن زاعنا وتعيين من هو الخليفة ينفعنا في أعمالنا في هذا اليوم ، صحيح أنّ القضية تليخية مضى عليها أربعة عشر قرناً ، لكنها مرتبطة بعلمي في هذا اليوم ، كيف أفوغ ذمتي وكيف أعمل لواع ذمتي ، هل أتبع هذا الطويق أو أتبع هذا الطويق ، وبينهما بون شاسع ، طريقة الإمامية ، طريقة الأئمة تختلف عن طريقة

الصفحة 431

الصحابه الذين اتبعوا الخلفاء هذه طريقة مختلفة فكيف أوي ذمتي ؟ هناك الكثير من الخلافات ، خلاف في الوضوء ، خلاف في الصلّاة ، خلاف في الصوم ، خلاف في مغطات الصوم ، خلاف في الحجّ ، وهكذا في كلّ الأحكام تقريباً يوجد خلاف ، فما هو الذي يوي ذمتي ؟ الذي يوي ذمتي لا بد أن أعين الخليفة وأتبعه حتى يكون هو الحجة وأنا متبع للحجة فأوي ذمتي . أما إذا لم أبحث عن هذا فكيف يكون عملي ؟ عملي على أي طريقة وعلى أي حجة ؟ فلذلك الإمامة من الدين وبدونها يكون الدين ناقصاً والأعمال ناقصة ، فلا بدّ من معرفة الإمام حتى تكون أعمالك على وفقه وعلى وفق طويقته حتى تكون مواء لذمتك يوم القيامة . بالنسبة إلى الإمام الحسن (عليه السلام) حينما سلّم الأمر إلى معاوية ، الأئمة (عليهم السلام) كلّ واحد منهم له مهمة يقوم بها ، ومهمّتهم حفظ الدين ، وحفظ القوان ، وحفظ السنة ورد الشبهات وإيصال الأحكام إلى الناس حتى تصل إلى الأجيال اللاحقة ، هذه هي مهمّة الإمام ، وليس همّ الإمام أن يكون حاكماً ، وليس همّ الإمام أن يكون سياسياً بالمعنى المصطلح هذا اليوم من السياسة التي هي عبارة عن رقة منحرفة ، بل مهمّة الإمام شيء فوق هذا ، مهمّة الإمام حفظ الدين . كيف يكون حفظ الدين ؟

في مرحلة وى أن حفظ الدين يكون بالاستشهاد كما تقدّم الإمام الحسين واستشهد ، فانفضح الخط المنحرف الذي كان عليه يزيد وأتباع يزيد وإلى اليوم المسلمون كلّهم . إلا ما شذّ وندر ممن يحترق يزيد . يقولون يزيد ظالم فاسق فاجر اعتدى وظلم

وفسق وفجر وشرب الخمر ، والذي فضحه هو استشهاد الإمام الحسين مع أهل بيته (عليهم السلام) .

الصفحة 432

وهو يرى أنّ حفظ الدين عن طريق السكوت كما سكت أمير المؤمنين - ٢٥ - سنة ، الحكومة بيد الخليفة الأول والثاني والثالث وهو قابع في بيته ؛ لأنّه يرى حفظ الدين في عدم التصديّ لهؤلاء ، لأنّه لو تصدىّ لهؤلاء فحينئذ لا يبقى من يحفظ السنّة ولا يبقى من يحفظ هذا الدين لنا وينقله إلينا ولا يبقى الخطّ الصحيح موجوداً إلى هذا اليوم ، وسيبقى .

فالمصلحة في حفظ الدين قد تكون في عدم التصديّ للقتال وإنّما في تأييد الخطّ الحاكم ، وكان الإمام عليّ يشوف على الخطّ الحاكم ويقدم له النصيحة رغم أنّه واه خطأً منحرفاً ؛ لأنّ الإسلام الناطق خير من اللاإسلام .

ففي ذلك الزمان حفظ الخطّ الصحيح وإيصال الخطّ الصحيح إلى الأجيال اللاحقة بواسطة الأئمة ومن بعدهم العلماء ، وحصل هذا ، فحفظ الدين في مرحلة من المراحل ، زى أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) رأى حفظ الدين بالمصالحة مع معاوية ولكن أيّ مصالحة ؟ أعطاه الحكومة والخلافة الظاهرية أمّا الخلافة الواقعية لأجل حفظ السنّة والخلافة الواقعية لأجل حفظ الدين فهي بيده ، كان يربّي تلامذة ويعمل أعمالاً لحفظ الدين من الضياع ومن الاندحار ومن الانحراف ، كان يردّ الشبهات ، فأعطى الخلافة الظاهرية والحكومة الظاهرية إلى معاوية ؛ لأنّ حفظ الدين يكون بهذه الصورة .

فمهمّة الأئمة هي حفظ الدين مثلاً الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) كانت له مهمّة حفظ الدين وحفظ الخلف من بعده وإطّلاع الشيعة عليه ، وحتّى يبقى في غيبته إلى أن يمهدّ للغيبة الكبرى ، كانت مهمّة هذه . وأنجز المهمّة التي كانت على عاتقه من ولادة الإمام وإطّلاع الشيعة عليه ، اطّلع عليه أكثر من ثلاثمائة من علماء الشيعة في ذلك الزمان ، وحصلت الغيبة الصغرى واستمرت سبعين سنة ، ثمّ حصلت الغيبة الكبرى . فقام الإمام بمهمّته خير قيام مع أنّه لم يستلم حكماً .

الصفحة 433

فمهمّة الأئمة (عليهم السلام) حفظ الدين نحن ننظر إلى الأئمة من ناحية أنّه لماذا لم يكونوا حكاماً ؟

نقول : هؤلاء الحكّام الذين كانوا في ذلك الزمان ماذا حصلوا ؟

الحكم ليس هو الهدف الأسمى للأئمة (عليهم السلام) الهدف الأسمى حفظ الدين ، وحفظ الدين يختلف باختلاف مراحلها ، فحينما يسلم الأمر إلى معاوية يرى أنّ حفظ الدين في ذلك الوقت مع انكسار جيشه وخيانة بعض أقربه ومع التذمّر الذي كان موجوداً وحيل معاوية الذي كان يدسّ في صفوفه من لا يجعل الجيش منسجماً ، كلُّ هذارأى الإمام أنّه إذا بقي في حالة حرب فسوف تزول هذه العصابة المؤمنة الخوّة التي كان على عاتقها نقل الإسلام إلى الأجيال اللاحقة ، فقبل بالصلح على أن يحكم معاوية حكماً ظاهرياً ، وظهر خزيه حينما تسلّم الحكم ، صعد على المنبر وقال ذلك الكلام : أعطيت للإمام الحسن عهداً وها هي تحت قدمي !

فعرف المسلمون أنّ هذا الحاكم ظالم فاجر لا يلتزم بالعهد الذي أعطاه للإمام الحسن ، والعهد يجب الوفاء به ، فكشف

الإمام عن حقيقة معاوية بإعطائه الحكم وحفظ الدين يعني حفظ الدين يكون بعدم تسلّمه القيادة وأعطائها لمعاوية حتّى ينفذ معاوية بما فعله بعد تسلّم الحكومة من الإمام الحسن (عليه السلام) فالأئمة تورهم حفظ الدين ، وحفظ الدين يختلف من مرحلة ، إلى مرحلة وهم يشخّصون المرحلة التي يعملونها ، فكلّ الأئمة تورهم واحد ، الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين وكل الأئمة تورهم واحد ، حتّى الإمام زين العابدين كان تورهم حفظ الدين بواسطة الدعاء ؛ لأنه كان ممنوعاً من التبليغ ، ممنوعاً من التريس ، كان يدعو وفي دعائه يُعطي الأحكام الشرعية ويعطي النبي الصحيح إلى تلامذته بواسطة الدعاء ، وكان يوصل هذا الدين بعظمته إلى الناس عن طريق الأدعية .

أنظر إلى أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام) ستاها محاضرات متكاملة عن

الصفحة 434

الدين الإسلامي ، وفيها ضوب للخطوط المنحرفة بواسطة الدعاء ، فكلّ إمام له مهمة وهي حفظ الدين ، وتختلف أولورهم وتختلف أوقاتهم في حفظ هذا الدين .

بالنسبة إلى السؤال الآخر يقول : ما هو الدليل على أنّ الخليفة الثاني حرّم المتعتان وكيف سرت الأمة على ذلك ؟
طبعاً هي الرواية المروية عن عمر برويها علماء السنة والشيعية : «متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج»⁽¹⁾ ، لو لم يقل إلى يوم القيامة لقل إن هذا حكم حكومي ، وكان هو حاكم ، إذن يمكن أن يحرم المتعة تحريماً مؤقتاً ، ولكن حينما يقول إلى يوم القيامة معنى ذلك أنه خالف النصّ وحرّمه حرمة أبدية إلى يوم القيامة .

هذه الرواية مروية عن عمر ، وقيل لعبد الله بن عمر : لماذا تخالف أباك في حلية المتعة ؟
قال : «لأن أتبع رسول الله خير من أن أتبع أبي»⁽²⁾ ، فهذه الرواية هي عن ابن الخليفة ، وهي الدليل على أنها كانت محللة وورد فيها النصّ ، ولكن حرّمها .

وأيضاً حرّم متعة الحجّ ، ولكن أبناء السنة لم يتبعوا عمر في تحريم متعة الحجّ ، وقالوا بحج التمتع إلى هذا اليوم ، فمن الحجّ الذي هو مسوح عندهم حج التمتع الذي تتقدم فيه العمرة على الحجّ ، فيعتمرون كما نحن نفعل من البلاد البعيدة ويحرمون للعمرة ، فيأتون بالطواف والسعي ويقصرون ، ثمّ يحلون ثمّ ينتظرون إلى اليوم الثامن يحرمون مرة ثانية من مكة إلى عرفات .

هذه متعة الحجّ التي حرّمها عمر ، لكن السنة لم يتبعوا عمر في متعة الحجّ ، ولكن اتبعوه في متعة النساء . وهذه من المفوقات ، فهو نهي عن متعتين فاتبع في متعة النساء ولم يتبع في متعة الحجّ .

1- المحلى 7 : 107 ، شرح معاني الآثار 2 : 126 .
2- نحوه في مسند أحمد 2 : 90 ، السنن الكبرى للبيهقي 5 : 21 .

السؤال الحادي عشر : ماذا تقولون فيمن قال من مراجعنا بالنسبة للشهادة الثالثة ، بعض المراجع وأظنهم اثنين أو أقل قالوا بوجوبها في الأذان فما هورأي سماحتكم الكريم ؟ هل كانوا مع الحق ومع الصواب في فتواهم هذه أم لم يكونوا على صواب

؟

السؤال الثاني عشر : وهناك سؤال آخر وهو أن هناك كتاباً اسمه (الحلال والحرام في الإسلام) للدكتور يوسف القرضاوي مع تعليقات هامة ومفيدة جداً لجنابكم الكريم ، وقد نفعتنا كثيراً هذه التعليقات المبركة ، وسؤالي هو لماذا لا يصدر كتاباً من قبل الحوزة العلمية المبركة أو من قبل المراجع الكرام (حفظهم الله) مثل هذا الكتاب ، علماً بأن الكتاب المذكور آفاً كتاب فقهي جاء مبسطاً وبعيداً عن اللغة المعقدة في إلتقاط العبارات والمصطلحات الفقهية ، ونحن نعلم أن هناك الكثير من الشباب شبابنا المؤمن الملتزم لا يتمكّن من الوسائل العملية بالصورة المطلوبة ، والوسائل العملية تحتاج إلى المعلم والمفسر والي الفقيه الشرح لها ، فلماذا لا يصدر مثل ذلك الكتاب الجليل في أبوابه وتقسيماته وفصوله وشكراً ؟

السؤال الثالث عشر : عندي سؤالان السؤال الأول الحديث الذي يقول : «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت ، وما عرفني إلا الله وأنت ، وما عرفك إلا الله وأنا»⁽¹⁾ بودي تفسير هذا الحديث ؟

السؤال الرابع عشر : والسؤال الثاني : بالنسبة للإمام عليّ (عليه السلام) والرهاء (عليها السلام) عندما اعتزضت بالباب عند هجوم القوم الذي لم أفهمه أن الإمام عليّ (عليه السلام) إذا كان موجوداً في البيت وكان قد سمع الضوضاء خرج البيت فكيف تفتح الراهاء (عليها السلام) الباب ؟ وهل معروف أنه إذا كان الرجل موجوداً داخل البيت الزوجة هي التي تقوم وتفتح الباب ؟ إذا تكرّمتم بشرح السؤالين وبارك الله فيكم .

1- مختصر بصائر الدرجات : ١٢٥ ، مدينة المعاجز ٢ : ٤٣٩ .

الصفحة 436

السؤال الخامس عشر : شيخنا الأجل في النول الغربية ما أواك ما النول الغربية ، هموم الضياع والأفكار المضلّة ، الفساد الذي يشم مع الهواء والنظرة والكلمة والأفكار الضالّة المضلّة ، سماحة الشيخ الجليل هناك من يشغل الراكز ولكنه روى ذكر سيّد الشهداء (عليه السلام) واللطم عليه تخلف ، هناك من يأتي ليستفيد من هذه التكنولوجيا ويقول إن الحوزة في قبضة الانحراف ، فلا بدّ من وقفة تجعل الأمة في كل لحظة في يقظة كاملة .

وهناك من يقول : إنّ عصمة الراهاء شرفية ، ولم أجد في قاموس علم الكلام ولا المنطق هذه العبارة ، ويقول الشهيدة بمعنى الشهادة هذه الأقويل موجودة لا بدّ من تشخيص الذين هم في الخطّ الصحيح من الذين يرتدون رداء العلم ، نحن أصبحنا في هذه البلاد مصداقاً لقول الأئمة (عليهم السلام) : «القابض على دينه كالقابض على جمرة من نار»⁽¹⁾ ، الذي يتكلم في العقائد المسلمة عند قادتنا الروحانيين ومراجعنا الكرام يحارب بالكلمة ، بالوزق في كلّ ما يتمكّنون عليه من إشاعة وبغضاء .

إنّ أبنائكم معوّضون إن لم تسعفهم فإنّ الذناب كثوة ، وأنتم أهلاً أن تسددونا ، وأرجو من سماحة الشيخ الفاضل الجليل أن يقدم كلمة لكلّ إخوانه وأبنائه وأخواته في الغيبة ، وخراكم الله خير الخراء وشكراً ؟

الجواب : بالنسبة إلى من قال إنّ الولاية قال بعض العلماء بوجوبها في الأذان ، أنا ما عندي اطلاع عمّن قال بوجوبها في الأذان ، وإنّما عندي اطلاع على استحبابها في الأذان والإقامة ، ولكن أقول قد تكون واجبة بالعنوان الثانوي .
أنا قلت : قد تكون واجبة بالعنوان الثانوي ولدفع التهمة التي توجه إلى الإمامية من أنهم يغالون في علي (عليه السلام) ويقولون إنّه هو الله ، فنقول لهم نحن نقول في الأذان والإقامة في اليوم مرات عديدة بأنه ولي وليس بإله ، فبالعنوان الثانوي

قد

1- عون المعبود ١١ : ٣٣٣ ، تحفة الأحوذى ٨ : ٣٣٨ .

الصفحة 437

تكون واجبة ، لكن لا أعلم من قال بوجوبها من علمائنا ومراجعنا .

بالنسبة إلى كتاب الحلال والحرام في الإسلام كتاب قدّم لي وهو كتاب الدكتور القرضوي قبل سنين متعددة لعله خمسة عشر سنة قدّم لي هذا الكتاب وقالوا لي : أدكر المولد الخلفية بيننا وبينهم ، واذكر أدلتها ، فأنا طالعت الكتاب ورأيت كتاباً حسناً ، يشتمل على أحكام عديدة في السوق وفي البيت وفي أشياء أخرى ، فعلقت وذكّرت المسائل الخلفية بيننا وبينهم ، وذكّرت الأدلة ، وناقشت الدكتور يوسف القرضوي في بعض النقاط ، فأصبح كتاباً مختصراً فيه فقه مقلن ، فقه السنة وأدلتهم وفي الأسفل فقه الشيعة وأدلتهم .

وهذا الكتاب صحيح سهل العبارة وسهل التناول ونافع وترجم إلى الانجليزية وعليه إقبال شديد ، ولكن يوجد أيضاً لعلمائنا فتوى ميسرة مقبولة واضحة يعرفها المتقف ، منها الفقه الميسر الذي كتب على فتوى العلماء على فتوى السيد الكلبايكاني وعلى فتوى السيد السيستاني وعلى فتوى غوهم ، ويوجد أيضاً الفقه للمغربيين فيه أحكام واضحة بسيطة تنفع المغربيين .
هذه الكتب أيضاً نافعة جداً وخصوصاً أنها تبين رأي الموجه ، أما كتابي فأنا لا أبين فيه رأي الموجه وإنما أبين فيه الرأي المشهور أو الرأي الذي أميل إليه وأحذر أن يعمل الإنسان بهذه الآراء التي كتبتها في ذلك الكتاب أو الكتاب الذي قبله وهو الربا فقهيًا واقتصاديًا أو في كتاب الفقه المعاصر أنا كتبت في المقدمة أحذر من أن يعمل أحد بهذه الآراء التي لتأيتها ، فإن هذه الأفكار المعاصرة والأبحاث المعاصرة أنا بحثتها استدلالياً ولم يبحثها أحد قبلي ، فقد يكون هناك خلل في الاستدلال فالواجب على كل إنسان أن يوجه إلى رأي الموجه ويعمل وأيه فإنه الحجة عليه ، أما هذه الآراء التي كتبتها في الحلال والحرام في الإسلام أو في كتاب الربا فقهيًا واقتصاديًا أو في الفقه المعاصر أنا لا أجزأ أحداً أن يعمل بهذه الآراء ؛ لأنها ليست حجة عليه ، وإنّما هي آراء قابلة للمناقشة وقابلة للرد والأخذ .

الصفحة 438

على كل حال الكتاب إذا كان إنسان يستفيد من حكم لا بد أن يكون الحكم موافقاً لأي موجه حتى يعمل ويكون مواءمًا للذمة

بالنسبة للأخت التي سألت عن تفسير الحديث : «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت» ، هذا الحديث يشير إلى المعرفة

الكاملة بالله سبحانه وتعالى ، فإننا لا نحيط علماً بتلك القوة الإلهية ، والذي يحيط علماً بتلك القوة الإلهية بكل تفاصيلها وتشعباتها هو النبي وعليّ ، هذا حديث النبي (صلى الله عليه وآله) : «وما عرفني إلا الله وأنت» أيضاً المعرفة الكاملة بالنبي (صلى الله عليه وآله) لم يعرفها أحد من الصحابة إلا الله وعليّ .

«وما عرفك إلا الله وأنا» ، أنت أيضاً لا يعرفك يا علي معرفة كاملة إلا الله الذي خلقك وأنا الذي كنت معك الذي يوحى

إليّ .

نحن الكُمل ، نحن الذين نعرف المعرفة الكاملة .

وهناك معرفة ناقصة مثلاً أنا أعرف النبي (صلى الله عليه وآله) لكن معرفة غير كاملة ، وكذلك أعرف عليّ (عليه السلام) معرفة غير كاملة ، وأعرف الله بهذا المقدار ، أعرف الله أنه قوة قاورة مسيطرة مهيمنة مدوة لهذه الأمور ، ولذلك الإمام عليّ (عليه السلام) يقول : «لو كشف لي الغطاء ما لزدت يقيناً»⁽¹⁾ ، فهو على يقين بتلك القوة المسيطرة ، بحيث لو كشف له الغطاء لما لزداد يقيناً ، نحن لو كشف لنا الغطاء لزداد يقيننا ، فنحن بيننا وبين الحياة الأخرى غشاء ، حينما يكشف الغشاء ترى الملائكة وترى قوة الله تعالى ، وترى الجنة وترى النار وترى كل شيء من الأمور التي هي خافية علينا .

أما عليّ وهو في هذه الحياة يقول : لو كشف لي الغطاء ما لزدت يقيناً ، بمعنى أنه عرف الله حق معرفة الله تعالى وعرف النبي حق معرفته .

الله أيضاً يعرف عليّ ، ويعرف محمد النبي (صلى الله عليه وآله) هو الله ويعرف علي المعرفة الكاملة التي هي معرفة واسعة منتشعبة يعرفون دقائق الأمور .
هذه المعرفة مختصة بهؤلاء .

1- حاشية السندي على سنن النسائي ٨ : ٩٦ ، تفسير أبي السعود ١ : ٥٦ ، الوافي بالوفيات ٨ : ٧٧ .

وهذا الحديث ذكر عن النبي وهو حديث معناه معقول ومقبول أيضاً .

بالنسبة إلى سؤال المرأة حينما ضربت السيدة فاطمة في الباب تقول : كيف تخرج السيدة فاطمة لفتح الباب ، حينما كان النبي يأتي ويريد أن يدخل على بيت فاطمة كانت فاطمة تفتح له الباب ، فتح الباب من قبل النساء إلى من يطوق الباب كان أمراً مألوفاً ليس فيه استبعاد .

الآن نحن أيضاً عندنا أمراً مألوفاً ، وفي الزمان السابق حينما تطوق الباب قد تكون المرأة هي الفاتحة للباب من وراء

الباب محجبة ، فأبي استبعاد في ذلك ؟

وأيضاً بالنسبة للضرب هذا ذكره المخالف والموافق أنه كان هناك ضرب ، وكان هناك اعتداء ، وكان هناك سحب للإمام

عليّ إلى المبايعة ، هناك ثورة ضد التخلف عن البيعة ، وهذه الثورة استوجبت أن تعمل هذه الأعمال ، ونقلت في كتب

الفيقيين ، فما هو المانع من قبول هذه النقول التي نقلت في كتب الفيقيين ونحن بعيون عنها لماذا ننكرها ولماذا نستبعدنا ؟

هذا شيء مألوف ومعقول أن تفتح المرأة الباب وحينئذ الذي يريد أن يضرب الخطّ المخالف لبيعة أبي بكر يفعل ما يفعل ، هذا شيء منقول ومذكور وموجود ، وذكره المخالف والموافق ، وذكره في كتب القوم دليل على صدوره وإلا إذا لم يكن صائراً فينبغي أن يذكر في كتبنا فقط ، ولكن ذكره في كتب القوم دليل على صدوره في ذلك الزمان .

أحد الجالسين : شيخنا السؤال له تتمّة أنه كيف سكت أمير المؤمنين ؟

الشيخ الجاهري : هنا لا يوجد سكوت وإنما كان هناك سيف مسلول من قبل الذين جئوا لأخذ الإمام ، كان هناك سيف مسلول ، الكلام والاعتراض والمجابهة يعنى القتل ، وطبعاً هنا الإنسان يحافظ وخصوصاً الإمام المعصوم يحافظ على نفسه من تلك الثورة التي كانت موجودة ، لأجل أن يوصل رسالة الدين إلى الأجيال اللاحقة ، ولأجل أن تبقى كلمة الإسلام عالية .

الصفحة 440

هنا وراحم بين أن يسكت أو لا يسكت ، هو الذي يقول : «فصرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا»⁽¹⁾ لماذا سكت ؟

لأن مهمته حفظ الدين لا أن يكون رئيساً متسلطاً وأن ذهبت الرئاسة الظاهرية ، مهمته حفظ الدين ، هنا أيضاً كذلك إن تكلم تذهب مهمته ، إن سل سيفه تذهب مهمته لا إله إلا الله ترفع من الأذان ، يرتد القوم حينئذ . الآن متمسكون بالإسلام مع خط منحرف ، وهو أفضل من رفض ورفض كلمة لا إله إلا الله ورفض كلمة محمد رسول الله ، فقبل بالسكوت ؛ لأنه أهون الشون ، لا لأنه لم يكن بطلاً شجاعاً وأنما وقع الراحم بين حفظ الدين وبين حفظ مصلحته التي هي المحافظة على السيدة الزهراء (عليها السلام) لها ، فقدّم مصلحة الدين على مصلحته .

هذا كله كان وراحماً مثلاً الروايات التي تقول موسى بأن لا يشهر سيفاً ، وهذا كله لأجل المحافظة على الدين ، يعني عنده مهمة أخرى ، وليست المهمة أن يحفظ الزهراء من الاعتداء عليها أو من ضوبها أو من إجهاضها ، ليست مهمة أن يحافظ على نفسه ، لا ، وجروه كما يجزّ الجمل المخشوش كما تقول الرواية⁽²⁾ ، جروه إلى هناك ، ومعنى ذلك أنه بايع جراً وقها ، والمبايعه الجبرية والقهرية لا قيمة لها ؛ لأنها ليست اختيرية .

هذا كله لأجل أن يبقى الخطّ الأصيل إلى أن يصل إلى مثلنا وأمثالنا ، وسيبقى إلى الأخير .

عندهم مهمة هذه المهمة أهم من وصولهم إلى الحكم وأهم من معرضتهم .

بالنسبة إلى الذين يعيشون في أوروبا طبعاً هناك فساد يشم مع الهوى كما يقول ، وهناك أفكار مزلّلة ، هناك المتصدّي

للأمور التبليغية ليس له اطلاع في الدين ، وهذه مشكلة أنه بعض المتصدّين في المراكز الموجودة في الغرب ليس

1- نهج البلاغة ١ : ٣١ .

2- نهج البلاغة ٢ : ٣٣ .

الصفحة 441

لديهم اطلاع على الشريعة وإنما عندهم ثقافة عامة ، درس سنتين ثلاثة ، محاضرة محاضرتين سمعها وأخذ يدعو للإسلام ، هذا لا يعرف كيف يدعو للإسلام ، هذا يضرّ أكثر مما ينفع ، فلذلك وجدت هناك مراكز لأجل وقف هذا الضياع والوقوف في

وجه الأفكار المضلّة الموجودة هناك ، وتنبّه المسلمون إلى وجود خطّ منحرف ، هذا شيء حسن ، أنه سابقاً لم يكن هناك مراكز تنبّه المسلمين بوجود انحرافات ، الآن تنبّه المراكز المسلمين والشيعية في تلك المناطق بوجود انحرافات ، وهذا شيء حسن ؛ إذ عندما يتنبّه إلى وجود الانحراف حينئذ سوف يختار الطريق الصحيح .

فمن يشغل تلك المراكز يمنع من البكاء على سيّد الشهداء بل يمنع من التوعية لا يرضى بالتوعية يقول محاضرة وكفى ، وهذا غير صحيح التوعية مهمّة ، ربط الناس بالأئمة عن طريق العواطف مهم ، ليس كلُّ يعرفون الإمام الحسين عن طريق أفكاره وعن طريق سيرته المثلى ، بعض الناس لا يعرفون الواءة والكتابة وإنما يرتبطون بالإمام الحسين وبالأئمة (عليهم السلام) عن طريق العواطف .

فنحن لا بدّ من تحريك هذه العواطف حتّى يرتبطوا بالأئمة ، وإلاّ لماذا الإمام الصادق يستأجر نوادب يندبته في منى يوم العاشر ويوم الحادي عشر ويوم الثاني عشر ويوم الثالث عشر ؟ يستأجر نوادب ونوائح يندبته في منى عند اجتماع الناس .

عندما يندبته في منى تبيّن المظلومية ، يبيّن الاعتداء ، يبيّن أنه قتل واستشهد بواسطة السم . لماذا كل هذا ؟ لأجل فضح الطريق الثاني والخطّ الآخر المنحرف المتصدّي للأمر ، وفضحه يكون بطريق مصائب أهل البيت (عليهم السلام) ، باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) .

لماذا استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) ، فإنّه لم يخرج أشواً ولا بطراً وإنما خرج لطلب الإصلاح .

التأكيد على المجالس الحسينية وعلى الشعائر الحسينية وعلى البكاء على

الصفحة 442

سيّد الشهداء ذكوه الأئمة لنا ، وأوصونا بالبكاء وأنّ الدمعة التي تخرج من العين لها ثواب كذا وكذا ، هذا كله لربط الناس بأئمّتهم عن طريق العاطفة ، وهو أمر حسن .

نعم ، أنت أجعل كلّ الناس يفهمون الإمام الحسين والأئمة عن طريق الفكر وعن طريق سيرتهم عند ذلك أمنع هذه الشعائر ، أمّا تمنع منها وليس لك بديل فهو عين الخطأ .

لماذا تمنع هذه الأمور المهمّة التي انتشر التشيع بواسطتها ؟

لم ينتشر التشيع إلاّ بعلمائه وبالمنبر الحسيني ، فأنت تمنع المنبر الحسيني ، وتمنع التوعية التي أمر بها الأئمة (عليهم السلام) وتمنع البكاء الذي أمر به الراجع من نون أن توجد البديل هذا عين الخطأ ، فإنك لا تستطيع أن تدافع عن هذا الدين من نون دعاة ، هذا الدين قائم بالمنبر الحسيني وبالعلم والعلماء الراجع ، فأنت تحارب الراجع وتحارب المنبر الحسيني

فكيف تستطيع أن تنحو بهذه الأئمة نحو النجاة وتحافظ عليها ؟

على كلّ حال الفساد الموجود هناك يمكن أن نحدده ونقيده بالارتباط بالمراكز وربط العائلة والأطفال بالمراكز الدينية وبصلاة الجماعة وبالتقاة من الوكلاء الموجودين هناك ، وبالنسبة للأفكار أيضاً لا بدّ أخذ هذه الأفكار من الراجع لا من

على كُـلِّ حال ذكر مصيبة الحسين (عليه السلام) أمر مهم ولا بد منه ، وهي تقوية للمذهب الشيعي ، الشهيد الصدر كان يأمر بالالتفات إلى هذه التعلي ، السيد الإمام الخميني كان يأمر بهذه الشعائر وهي التي أدت إلى انتشار التشيع في العراق وأمثال العراق .

بالنسبة إلى الحزبة العلمية الذين يقولون : إنها في قبضة الانحرف ، نقول : إذا كان هناك انحرف فهو خروج حدود الحزبة ، فمن يدرس في الحزبة لمدة قليلة ثم يخرج من الحزبة هذا احتمال أن ينحرف ، وأما من يكون في الحزبة ابن لها ،

الصفحة 443

السيد الشهيد كُـلِّ مراحل رواسته في النجف لم يخرج من النجف ، لن نجد عنده أي انحرف ، قوئ التشيع بكتاباتة وبفكوه العملاق ، وكذلك الإمام الخميني لم يدرس خروج الحزبات الدينية ووصلوا إلى ما وصلوا إليه ، وأوصونا بحفظ هذا الدين . فإذا كان هناك انحرف فهو خروج نطاق الحزبة ، من لم يتمحض في الحزبة فهو قابل للانحرف ، أما من تمحض وأخذ الدين من ينابيعه وأخذ القرآن وتفسوه وأخذ الفقه والأصول من علمائه هذا بعيد عن الانحرف غاية البعد .

على كُـلِّ حال لا تستمعوا إلى من يقول بأن المراجع بعيدون عن الوعي ، ولا يعرفون ماذا يجري في الدنيا ، كلا ، المراجع يعرفون كُـلِّ شيء يحصل في هذه الدنيا ، ما ذهبت إلى بعض المراجع وأخبرته بخبر في أقصى الأرض إلا وقال أنا مطلع عليه ، ولكن علمائنا مع الأسف وأنا أنتقدم في هذا لا يظهرون بالمظهر الذي ينبغي أن يظهروا عليه في تأييد الدين ، يرون أن تأييد الدين مثلاً نأخذ صورة لمجلسهم في الروس ، مثلاً نأخذ صورة لكلامهم وننشوها في الخرج فقط ، يتصور أن هذا تبليغ له لا للدين ، وكلمنا قلنا له هذا ليس تبليغ لك ولشخصك إنما هو تبليغ للرسالة ، وللدين وللمذهب يقول إذا قطعت بذلك أقوم بذلك .

هم مخلصون يعملون على حفظ الإسلام ويعملون على حفظ الدين ليلاً ونهلاً ، ولكن لا يريدون سمعتهم أن تظهر إلى الخرج ، وأنا أخالفهم .

يعرضون في أن يؤخذ لهم كاسيت فيديو لأجل الخرج ، يعرضون أن يؤخذ منهم كلام مكتوب لأجل الخرج ، يقول هذا تبليغ لي أنا لا أقوم به ، بينما الآخرون يفعلوها ، أنا مع الآخرين . التبليغ لازم لأنه ينصر الدين والمذهب ، لا بد من التبليغ حتى إن بعضهم لا يرسل بعثة إلى الحج ؛ لأنه يقول هذه البعثات للحج تخدم الموجه لا تخدم الدين .

قلت له : إذا كانت هذه البعثات تخدم الموجه ولا تخدم الدين فلماذا ابن الموجه الفلاني يقول : إذا وافق الشيخ الوحيد على إرسال بعثة فأنا أقوم بكُـلِّ

الصفحة 444

التجهيزات اللازمة من إيجار البيوت وتغطية كل النفقات ، فإذا كان التبليغ لهم فهو يقول لك : وافق وأنا أقوم بكل ما يؤرم

يقول : إذا قطعت بأنه خدمة للدين فأنا أقوم بذلك .

فهو روى لرسال بعثة إلى الحجّ تبليغ لنفسه وتبليغ لموجعيته لذلك لا يقوم بها ، لا يقبل أن تؤخذ له صورة توزع على ناس ثقافات عدول ورعين لا يريدون الدنيا يريدون الآخرة ، عندهم طاقات يخدمون بها الدين ، ولكن بدون أن يكون لهم اسم يسمع ولا رسم ولا صورة .

طبعاً أنا أخالفهم أقول لا بدّ من أخذ الصور وتوزيع الصور ، توزيع الكاسيتات حتىّ الناس تنتفع ، فأنت يا أيها الشيخ الوحيد أو غير الوحيد ليس ملكاً لنفسك أنت رئيس طائفة من الشيعة ، وهذه الطائفة تريد أن تنتفع بأقوالك وبصورتك ورسالتك ، رسالته لا يعطيها مجاناً بل يبيعه بالنقود . طبعاً الأخ يقول لا بدّ من إيصال صوتهم وإيصال أفكارهم وإيصال صورهم وإيصال كاسيتات الفيديو وأنا وأفقه على ذلك ، لكن هم لا يوافقون ؛ لأنهم يعتبرون أن هذه الأعمال فيها خدمة لهم شخصياً فلا يقدمون عليها .

وأما السؤال الذي يقول : إن عصمة الزهراء (عليها السلام) عصمة ، وأنها عصمة شرفية .

أنا أقول أنّ العصمة للسيدة فاطمة يكفيها قول النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) : «إن الله يغضب لغضبك ويؤضى لوضاك»⁽¹⁾ ، يعني لا تقدم على عمل فيه مخالفة للقوان الكريم والسنة ؛ لأنّ الله تعالى يؤضى لوضاها ، فهي مزان الحق ومزان العدل ، وهذا يدلّ على عصمتها بلا كلام .

ويوجد دليل على عصمة الأئمة والسيدة فاطمة (عليها السلام) أنا لم أذكره ، هذا التلريخ كتبه أعداؤنا وكتبته السلطة ، وكان بإمكانهم أن يعملوا شيئاً يخدم في أعلمية هؤلاء النوات (عليهم السلام) ويخدم في دينهم كان بإمكانهم ذلك بعض الأئمة كان

1- المستدرك للحاكم النيسابوري 3 : 104 .

عمره سبع سنين ووصل إلى الإمامة ، وبعضهم تسع سنين ووصل إلى الإمامة ، كان يمكن السلطة الحاكمة أن تغوي هذا الطفل الذي كان عمره سبع سنين وتجعله يشرب الخمر وتجعله يؤني وحينئذ تقضه أمام الناس لكن التلريخ لم ينقل لنا أنّ هؤلاء الأئمة على صغر سنهم أدنوا ذنبا أو أفحموا في محاجة علمية .

هذا التلريخ الذي كتبه الأعداء وليس الشيعة دليل على عصمة هذه النوات ، والإلماذا هذه النوات معارضة للحكم وكانت متهمه بأنها تريد السلطة ؛ لأنّ الشيعة كانوا يتبعونهم ، فكان بإمكانهم أن يفضوا هذه النوات عند متبعيهم وهم الشيعة ، يفضونهم بأن يجعلوهم يفعلون شيئاً محرماً كأن يشربون الخمر أو يفضونهم في محاجة علمية ، بينما كل ألمحاجات العلمية التي صنعت لهم كانوا ينصرون بها ، ولم يكن لهم أي خلل وأي انحرف في الطريقة وفي السوة ، وهذا دليل على العصمة .

ما هي العصمة ؟

أن أنظر إلى الذنب وكأنه قانورة ، كيف أنت تنظر إلى القانورة ولا تأكلها فأنت معصوم عن أكلها كذلك الأئمة (عليهم

السلام) ينظرون إلى الذنب كأثمة قانورة ، لاطلاعهم على فساده وعلى عدم صلاحه ، فلا يقترفونه ، هذه هي العصمة ، ودائم الذكر بالله سبحانه وتعالى فلا يغفلون عنه فلا يحصل نسيان ولا يحصل خطأ ؛ لأنهم دائمو الذكر مع الله سبحانه وتعالى ولا يغفلون عنه ، هذه هي العصمة ، وهذه ليست بعيدة عليهم والسيدة فاطمة (عليها السلام) يقول النبي (صلى الله عليه وآله) لها : «إن الله يغضب لغضبك ويغضبك» ، وهذا أقوى دليل على عصمتها ، فليست عصمتها عصمة تشريفية أو شرفية ، وإنما عصمة حقيقية ، ونهجها التي سلت عليه أدل دليل على ذلك .
والحمد لله رب العالمين .

الصفحة 446

الصفحة 447

(٧٤) دور الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في تثبيت العقيدة وبراء الشبهات

الشيخ محمد هادي اليوسفي

الصفحة 448

الصفحة 449

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمجد والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا وشفيع ذنوبنا وطبيب نفوسنا أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين ، والصلوة والسلام على السيد الإمام أبي محمد الحسن المجتبي الإمام الحليم كريم أهل البيت سلام الله عليه ، يوم ولد ، ويوم اضطرّ لتحمل عنة ، والذي في الواقع كان عدو الإسلام ، ويوم انتهى تحمله للمضض بتجوعه لغصص السم ، فاستشهد ، ويوم يبعث حياً ، ثم أُلِّم عليكم أيها الإخوة الكرام ورحمة الله وبركاته .
كفتنا هذه المقدمة الطيبة التي قدمها أخونا الفاضل الشيخ أمين نجف حفظه الله ، فموضوع النورة وعنوانها معلوم ولذلك ندخل رأساً إلى صميم الموضوع ، ومن صميم الموضوع نستلهم ونستوحي ونستطق كلمات الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وما ينوج تحت هذين العنوانين أو شقي العنوان محاولته (عليه السلام) لتأصيل وتوسيح العقائد الإسلامية ، والشق الثاني والمكمل للشق الأول بواء الشبهات عن العقائد الإسلامية .

مقدمة تمهيدية :

نطوف معكم في هذه الليلة أو نجول تجوالاً بين كلمات الإمام (عليه السلام) ودفع الشبهات عنها . الأساس الأول للإسلام القرآن الكريم فهو كتاب الإسلام ومبدأه الأساس ، وله (عليه السلام) في تأصيله وتوسيحه كلمات وأحاديث نقتطف بعضها .
منها : ما رواه علي بن عيسى الأبلبي في كشف الغمة عنه (عليه السلام) قال : «إن هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصور ، فليجل جال بضوئه . يعني يتجول متجول في ضوء القرآن الكريم ليحاول المسلم المؤمن بالقرآن الكريم أن يكون

الإفواك في الإنسان ، يحلول أن يركّز مركز إواكه حول القوّان الكريم . فإنّ التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»⁽¹⁾ ، الذي يريد أن يمشي في الظلمات لابدّ له من نور ، فاجعلوا نوركم للمشي في ظلمات الحياة القوّان الكريم ، استنبروا بنوره ، أترون لولا هذا الاعتناء وهذا الإلفات لأنظار المسلمين من هؤلاء الأولياء لا تبعد الناس عن القوّان ، ولو لم يكن له نور في احتفاء المسلمين وإلفات أنظرهم إلى كتاب ربّهم وأساس دينهم لا يتعدوا عنه .

علي بن عيسى الإبلي نقل هذا الكلام عن حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني الشافعي وهو من علماء القرن الرابع الهجري ، وهو جدّ المرحوم المجلسي (رضي الله عنه) .

ومنها : ما في إرشاد القلوب عنه للدليمي عنه (عليه السلام) قال : «إنّ هذا القوّان يجيء يوم القيامة قائداً وسائقاً ، يقود قوماً إلى الجنة ، وقد أحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، وآمنوا بمتشابهه ، ويسوق قوماً إلى النار ضيعوا حدوده وأحكامه واستحلوا محلّمه»⁽²⁾ .

تحذير من الإمام المجتبي (عليه السلام) للأمة المسلمة لكلّ من يؤمن بكتاب ربه القوّان الكريم أن لا يصبح ممن يسوقه هذا الكتاب إلى النار ، بأن لا يكون ممن يتصف بهذه الأوصاف ، يضيع حدود الكتاب ويستحلّ محلّمه ، بل يكون ممن يقوده هذا الكتاب يوم القيامة إلى الجنّة بمحاولة الاتصاف بأوصاف من يقودهم إلى الجنّة بأن يحلوا حلاله ويحرّموا ما حرّمه ، ويؤمنون بمتشابهه .

وتحذير آخر عنه (عليه السلام) عن التفسير بالوأي للقوّان الكريم ؛ لأنّ القوّان أساس الإسلام ، وعلى المسلم أن يأخذ منه ، ولا يحمل رأيه عليه ، إن استطاع أن يفيد منه حسب الأصول المقرّرة فليفد والإفلا يحمل رأيه على كتاب ربه ، قال (عليه السلام) :

1- كشف الغمّة للأربلي ٢ : ١٩٥ ، بحار الأنوار ٧٥ : ١١٢ .
2- موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) : ٢١٣ .



«من قال في القرآن وأيه فأصاب فقد أخطأ»⁽¹⁾ ،

لماذا ؟

لأنه أخطأ في تحميل رأيه على كتاب الله ، قوله وأيه بدون دليل في كتاب الله وفي تفسير قوله وهذا أيضاً من إرشاد

القلوب للدليمي .

وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي الْعِلْمِ بِرُؤُوسِ الْعُرْسِ وَمَعْرُوفٍ فِي الْأَخْبَارِ الْمُرُوءِ عَنْ أُمَّةٍ ﴾⁽²⁾ وأهل البيت (عليهم السلام) أنهم يرون أنفسهم المصدق الأتم الأكمل والأجلى للأساسين في العلم في الآية الكريمة ، قال (عليه السلام) من جملة هذه الأخبار كما في بلاغة الإمام الحسن (عليه السلام) ، هناك محاولة قبل ما يقرب من خمس وعشرين سنة أو في هذه الحدود قبل ربع قرن تقريباً في كربلاء المقدسة لجمع كلمات سائر المعصومين بعد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كمحاولة لإعطاء صورة ولو مصغرة مثل نهج البلاغة من سائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أبناء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، هناك بلاغة في الإمام الحسن (عليه السلام) للشيخ عبد الوضا الصافي ، لمعة من بلاغة الإمام الحسين (عليه السلام) للروح السيد مصطفى آل اعتماد ، وإن كان بعد ذلك كتبت كتب أوسع من ذلك الكتاب ، أدب الحسين وحماسته ، وموسوعات أخرى أيضاً ، وهناك أيضاً بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) للشيخ جعفر عباس الحاوي ، ولمعة من بلاغة الإمام الصادق (عليه السلام) للشيخ عبد الرسول الواعظي ، ومن جملة هذه الكتب بلاغة الإمام الحسن (عليه السلام) للشيخ عبد الوضا الصافي ، ينقل عن مروج الذهب وبقدر محاولتي لم أجد الكلمة فنقلتها من كتاب بلاغة الإمام الحسن (عليه السلام) ، قال (عليه السلام) : «ما يعلم المخزون المكنون المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وورثته»⁽³⁾ .

1- موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) : ٢١٣ .

2- آل عمران : ٧ .

3- مدينة المعاجز ٣ : ٢٤١ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٢٨ .

كلمات الإمام الحسن في القرآن وأبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)

نكتفي بهذا المقدار من مقتطفات كلماته (عليه السلام) حول أساس الإسلام القرآن الكريم وننتقل إلى عدل القرآن في

أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) أبي الإمام المجتبي علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلمات الإمام الحسن (عليه

السلام) بشأنه ، وله في أبيه علي (عليه السلام) والقرآن ما في مناقب آل أبي طالب قال : «كل ما في كتاب الله إن الأوار

فوالله ما أراد به إلا علي بن أبي طالب وفاطمة وأنا والحسين ؛ لأننا نحن أوار بابائنا وأمهاتنا . ولعل في هذا إشارة إلى طهارة

أوقافهم ما في معتقدات أتباعهم أتباع مرساة أهل البيت وشيعتهم . وقلوبنا علت بالطاعات والبر . يعني ليس برّ الأصول

النسبية بل برّ العمل الاختياري بالطاعات . وتوأت من الدنيا وحبها . وأنت تقول وما علاقة حب الدنيا والجواب من الرسول

الكريم (صلى الله عليه وآله) : «حَبَّ الدنيارأس كلَّ خطيئة ، ورأس كلَّ خطيئة حب الدنيا» ، فإذا تَوَّأ من حب الدنيا تَوَّأ من رأس كثير إن لم يكن كُـلَّ الخطايا ، وتَوَّأت يعني قلوبنا يعني مدركنا مشاعرنا من الدنيا وحبها . وأطعنا الله في جميع فوائضه ، وآمنَّا بوحْدانيته ، وصدقنا برسوله (صلى الله عليه وآله)»⁽¹⁾ كما في مناقب آل أبي طالب .

وعنه (عليه السلام) قال : «إنَّ الله تَبَرَّك وتعالى علَّم رسوله الحلال والحرام والتَّوْبِيل والتَّوْبِيل ، فعلم رسول الله علياً علَّمه كلُّه»⁽²⁾ ، هذا في محاولة من الإمام المجتبي (عليه السلام) لتأصيل وتوسيح الاعتقاد بأمر المؤمنين علي (عليه السلام) ، وما علمه ردّاً على بعض الشبهات كما يأتي هذا في بلاغة الإمام الحسن عن مروج الذهب كما تقدّمت الإشارة إليه .

وعنه (عليه السلام) كما في ينابيع المودّة أنه خطب الناس على المنبر على عهد أبيه بأمر من أبيه وقال فيما قال : «أيها الناس سمعت جدّي (صلى الله عليه وآله) يقول : أنا مدينة العلم

1- مناقب آل أبي طالب ٣ : ١٧٠ .
2- بصائر الدرجات : ٣١١ .

(1) ، الظاهر أنّ هذه الجملة تعليقة الإمام المجتبي (عليه السلام) على الحديث ، يعني كأنَّ الإمام المجتبي (عليه السلام) يستند إلى حديث فيقول لا يمكن أخذ على الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) وحامل رسالة الإسلام لا يمكن الوصول إلى علم رسالة الإسلام أو إلى العلم برسالة الإسلام إلا من خلال أمير المؤمنين (عليه السلام) . عن ينابيع المودّة .

والحديث الأوّل وإن كان يشمل الخمسة من أهل البيت (عليهم السلام) ولا يختصّ بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، لكن الأمير سيدهم وأبوهم وورد اسمه فيهم .

الإسلام في مدرسة أهل البيت يرتكز على المعرفة بإمامتهم وولايتهم ومودّتهم ، وللإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في ذلك أخبار وأحاديث ، منها أنّه خطب فقال : «إنّا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كلِّ مسلم ، فقال تعالى شأنه .

وهذا تعريف للناس بالتفسير الصحيح للآية الكريمة . : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّجِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا ﴾⁽²⁾ قال (عليه السلام) : فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»⁽³⁾ كما في مناقب آل أبي طالب .

سفيان بن أبي ليلى وبعضهم قال سفيان بن ليلى بسقوط أبي ، والظاهر أنّ الصحيح كما في رجال الكشيّ سفيان بن أبي ليلى دخل عليه فسلم عليه بذلك السلام المشين بعد ما يسمّى بصلحه مع معاوية قال : «السلام عليك يا مذلّ المؤمنين . نعوذ بالله . ولكنّه (عليه السلام) قال له : يا سفيان ما جاء بك ؟ فقال : حبكم والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ، فقال له : أبشر يا

سفيان إنّي سمعت . وشاهدنا في هذا الحديث الآن قد نمرّ على الحديث مرة أخرى في دفع الشبهات لكن الآن هذا المقطع منه

بشأن أهل البيت (عليهم السلام) . عليّاً (عليه السلام) يقول : قال سمعت

رسول الله (صلى الله عليه وآله) . يعني يحدث الإمام المجتبي (عليه السلام) نقلاً عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) جده . يقول : إن أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي يردون على الحوض أو يردون علي الحوض كهاتين ، وأشار بسبابته والوسطى . يعني من تقدم ومتأخر إشارة إلى النقل الأكبر والثقل الأصغر⁽¹⁾ كما في بحار الأنوار عن المعتولي ابن أبي الحديد الشافعي عن الأصفهاني أبي الفوج الأصفهاني الأموي الزيدي في كتابه مقاتل الطالبين . وقال (عليه السلام) في محبتهم أهل البيت : «والله لا يحبنا عبد أبداً ولو أسوا في الديلم إلا نفعه حبنا ، وإن حبنا ليساقت الذنوب من بني آدم كما يساقت الريح الورق من الشجر»⁽²⁾ كما في بحار الأنوار عن رجال الكشي . وأيضاً في التعريف بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) قال : «نحن الأولون ، والآخرون ، . . . ننور بنور الله ، ونروح بروحه . روحنا ومجيتنا أو غونا ورواحنا ذهابنا وإيابنا بروح الله . يعني بعناية الله سبحانه وتعالى . فينا سكنه ، والينا معدنه ، . الضمير يوجع إلى روح الله ، روح الله فينا ومعدن روح الله ومسكن روح الله ، روح الله بمعنى عناية الله فينا . الآخر منّا كالأول ، والأول منّا كالآخر»⁽³⁾ .

هذه من جملة الأحاديث التي عرفت في المعروف من ثقافة أتباعهم (عليهم السلام) بـ «أولنا محمد ، أوسطنا محمد ، وآخرها محمد»⁽⁴⁾ ، كلهم نور واحد كما في الاحتجاج للشيخ الطوسي ، وفي النصّ على الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما رواه علي بن محمد الخزاز القمي من قدماء رواة أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في كتابه كفاية الأثر ، وهذا الكتاب من أقدم الكتب بهذا الشأن ، كفاية

1- مقاتل الطالبين : ٤٤ .
2- الاختصاص : ٨٢ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٢٤ .
3- دلائل الإمامة : ١٦٨ حديث ٨٢ ، ونوادر المعجزات : ١٠٣ حديث ٨ .
4- الغيبة للنعماني : ٨٨ حديث ١٦ .

الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر من الكتب النفيسة القديمة التي كانت مفقودة لحين من الدهر ، ثمّ عثر على الكتاب وطُبع ونشر ، قال (عليه السلام) : «إنّه لعهد لعهد إيلينار رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) ما منّا إلاّ مسموم أو مقتول»⁽¹⁾ هذا الحديث المعروف المشهور «ما منّا إلاّ مسموم أو مقتول» مصوه الأول كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر للخزاز القمي من أواخر القرون الثالث الهجري ، وعنه المرحوم المحدث القمي في الأثر البهية .

ولقائل أن يقول : يملكه اثنا عشر إذا كان بمعنى الملك الظاهر فأئمة أهل البيت (عليهم السلام) لم يملكوا لئلا يشتهبه الأمر في قوله في الحديث : «يملكه اثنا عشر إماماً» أن يكون بمعنى تملك الأمر ، والظاهر تملك أمر الإمامة ، ونجد تفسيره في

قوله في خبر آخر عنه (عليه السلام) قال : «ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة» الذي يقول وهو يحدث عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «يملكه اثنا عشر» ، ثم يقول : «ما منا إلا ويقع في عنقه أو وقع في عنقه بيعة ما معنى ذلك ؟ معنى ذلك أن تملك ليس بمعنى التملك الظاهر في ظاهر الأمر وإنما بمعنى الحقّ الشوعي في هذا التملك والإمامة الواقعية الحقيقية عند الله .

طبعاً هذا الحديث : «ما منا أحد إلا وقع في عنقه بيعة صحيحة لطاغية زمانه إلا القائم . عجل الله فوجه . الذي يصلي خلفه عيسى (عليه السلام) ، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ، وحديث ولادة الإمام الغائب (عج) في الاحتجاج عن الإمام المجتبي : «يخفي ولادته ، ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء ، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهوره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم ان الله على كل شيء

1- كفاية الأثر : ٢٢٧ ، والأنوار البهية : ٩١ .
2- كفاية الأثر : ٢٢٥ .

الصفحة 456

قدير» (1) ، والناس كانوا ولا زالون مختلفين فيهم (عليهم السلام) فلا بدّ من أن تبيّن نظرتهم (عليهم السلام) في اختلاف الناس فيهم وما هو موقفهم ونظرتهم بشأن اختلاف الناس في أهل البيت ؟ يقول في ضمن كلامه : «إنما الناس ثلاثة : مؤمن يعرف حقّاً ويسلم لنا ويأتّم بنا ، ذلك ناجح محب لله ولي ، وناصب لنا العدو يتوّأ منا . بالعكس تماماً فيتوّأ منا . ، ويلعننا . ولعلّ هذا بعدما يسمّى بصلحه مع معاوية وإعلانه بسبب عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) . ويستحلّ دماننا ويجحد حقّاً ويدين بالوادة منا فهذا كافر به مشرك» (2) .

ثمّ يستدل على كونه : «وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسووا الله عوا بغير علم ، كذلك يشرك بالله بغير علم» (3) ، يعني كأنما الآية عوت عن الذين يسوون الله عوا بغير علم ، قالت : بغير علم يسوون الله عوا ، كذلك يستشهد الإمام المجتبي (عليه السلام) ويقول : الكفر من هذا القبيل ، ورجل لا يعرف حقّاً ، هذا الحدّ الوسط العام يشمل كثير من الناس حتى من الداخلين في إطار الإسلام ، ورجل لا يعرف حقّاً فلا يأتّم بنا ، ولكن لا يعادينا ، بل مع ولايتنا ، الولاية ، الظاهر هنا بمعنى صوف المحبة مع ولايتنا .

«ورجل أخذ بما لا يختلف فيه ، وردّ علم ما أشكل عليه إلى الله تعالى ، . فنحن نوجو أن يغفر الله له ، ويدخله الجنة ، فهذا مسلم ضعيف» (4) .

وهذا المعنى متكرّر كثيراً في أخبارهم (عليهم السلام) ، ولكن نحن بصدد أخبار الإمام المجتبي وجاء في هذا الخبر عنه (عليه السلام) ، ربّما أراد لرشاد مثل هذا الرجل فقال

1- المصدر السابق والاحتجاج ٢ : ١٠٠ .
2- كتاب سليم بن قيس الهلالي : ٣٧٠ ، والاحتجاج ٢ : ٧ .
3- الاحتجاج ٢ : ٧ .
4- الاحتجاج ٢ : ٨ .

لرجل : إنك البرحة حدثت فلانا بكذا وكذا ، فعجب الرجل وقال لصاحبه : إنه ليعلم ما كان . على نحو الاستفهام ؟
فقال (عليه السلام) : «إن الله تبرك وتعالى علم رسوله الحلال والحرام ، والتويل والتأويل ، فعلم رسول الله علياً علمه⁽¹⁾
كله» ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) علمنيه كله

أما كيفية هذا التعليم كل علوم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمر المؤمنين (عليه السلام) ، لعله من قبيل ما جاء في
ذلك الحديث المعروف : «علمني رسول الله ألف باب ، يفتح كل باب ألف باب»⁽²⁾ ، فطريق هذا التعليم بهذه الكيفية إنما هو
طريق غيبي كما علم الله رسوله . كذلك علم رسوله أمير المؤمنين ، وهو لأبنائه .

وكأن هذا وأمثاله من علومه (عليه السلام) من جدّه بلغ عنوه معلومة فكذبه ، وقال : «متى سمع من جدّه» ، كأنما هو ينظر
إلى أنّ الحديث يجب أن يكون على النحو المتعارف ، والحديث المتعارف من إنسان لإنسان ، من رسول الله (صلى الله عليه
وآله) مثلاً للإمام المجتبي ، فيود السؤال متى سمع من جدّه على صغر سنه ؟

يستند إلى صغر سنّ الإمام الحسن على عهد جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فيكذب أحاديثه عن رسول الله ، فبلغ
ذلك الإمام (عليه السلام) فقال له يوماً : «يا معلومة أما والله لولا أنك تكفر لأخوتك بما تعمله وذلك أن رسول الله (صلى الله
عليه وآله) كان في زمان لا يكذب وأنت تكذب وتقول متى سمع من جدّه على صغر سنّه . والله لتدعين زياداً ، ولتقتلن حواً ،
وليحملن إليك الرؤوس من بلد إلى بلد»⁽³⁾ ، وهو أول من حمل إليه الرؤوس في الإسلام رأس عمر بن الحمق القزاعي من
الصحابة .

بيان صلح الإمام الحسن (عليه السلام) والدفاع عنه

ونكتفي من هذا القسم الأول يعني توسيح وتأصيل العقائد الحقّة إلى دفع

1- الخرائج والجرائح ٢ : ٥٧٣ حديث ٣ .

2- مناقب آل أبي طالب ١ : ٣١٥ .

3- بحار الأنوار ٤٣ : ٣٢٩ - ٣٣٠ .

الشبهات عن صلحه (عليه السلام) ، وهي أكبر الشبهات في حياة الإمام المجتبي (عليه السلام) ومن أهمّ الشبهات منذ ذلك
الحين حتّى اليوم في إمامته ألا وهي صلحه مع معلومة ، وأنا لا اتحرّر من التعبير بالصلح ، لأنّ هذا ورد كما ترون في صلب
ونصوص أحاديثهم وأحاديثه (عليه السلام) بالخصوص ، يعني الزاع يصبح زاعاً لفظياً نقول صلح أو نقول هدنة أو ما شاكل

وقد كثر الكلام في ذلك ، وتبعاً له كثر كلامه (عليه السلام) في راحة تلك الشكوك والشبهات ، فمن كلامه في ذلك من قبيل
التحديث بعلمه عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما رواه من غير أتباع مرساة أهل البيت (عليهم السلام) ابن عساكر
في تزيخه قال الإمام المجتبي (عليه السلام) لمن اعترض عليه في صلحه : «ألا إنّ أمر الله واقع ؛ إذ لا له دافع وإن كره

الناس ، إني ما أحببت أن ألي من أمة محمدٍ مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم ، قد علمت ما ينفعني مما يضرني فالحقوا بطيبتكم» (1) . فحتى هذا المقدار لا أرى أن يكون لي من أمة محمد (صلى الله عليه وآله) .

ومن هنا يتبين أن هذا كان قبل أن يتفوق عسكوه عنه يومئذ

ومن هذا القبيل قوله (عليه السلام) : «إنما هادنت حقناً للدماء [وَضناً بها] (2) وصاينتها واشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي» (3) . أنا أطلب من الإخوة أن يصيروا أنفسهم مع سائر أحاديث الإمام بهذا الصدد لعله في حديث يكون الإجمال ثم يكون تفصيله في حديث آخر ، لعله لا يقنع الشخص بما احتوى هذا الحديث فيقتنع بمضمون حديث آخر أوسع وأكثر تشريحاً وتبيانياً «حقناً للدماء ووضناً بها» . ظناً بمعنى شحاً وبخلاً بدماء المسلمين . «واشفاقاً على نفسي وأهلي والمخلصين من أصحابي» .

- 1- تاريخ مدينة دمشق ١٢ : ٢٦٢ .
- 2- بحار الأنوار ٤٤ : ٢٧ .
- 3- مناقب آل أبي طالب ٣ : ١٩٦ .

الصفحة 459

طبعاً الظاهر من هذا النص أنه نقل بالمعنى .

يتعوض الموحوم السيد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) في آخر الكتاب لما أورد من الإشكال على صلح الإمام الحسن وقيام الإمام الحسين (عليه السلام) ، والكتاب أساساً لتتريه الأنبياء ، لكن يلحق بالأنبياء الأئمة والأوصياء ، ومن الأوصياء يعني أمير المؤمنين ثم الإمام الحسن ثم الإمام الحسين (عليهم السلام) ، ويقف الكتاب إلى هذا . ولعله كان يريد أن يكمل لكن الكتاب الموجود إلى هذا المقدار .

يقول السيد المرتضى : قال الإمام الحسن (عليه السلام) : «وأهلي والمخلصين من أصحابي» يعني ابقاء عليهم لئلا يقتلوا ، لعل من هؤلاء المخلصين من أصحابه عدي بن حاتم الطائي زعيم بني طي في الكوفة ، وكان من الشاكين في صلح الإمام الحسن فقال له : يا عدي «إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح وكوهوا الحرب» (1) إذا كان أكثرية جيشي وأكثرية عسكوي أنهم يكو هو الاستوار في الحرب ويحبون الصلح ، «فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون ، . . . فأبيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما . فإن الله كل يوم هو في شأن» (2) .

من هؤلاء المعدودين من أصحابه (عليه السلام) مسيب بن نجبة الوري زعيم بني فوار في الكوفة ، قال له الإمام المجتبي : يا مسيب «أنني إن أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني عند اللقاء» (3) . لعلكم تتصورون أو لعل التلرخ والأجيال القادمة تصورون أنني كنت خروعا عند اللقاء وعند الحرب ، وأن معاوية أصبر مني لمداومة الحرب .

ليس بأصبر مني عند اللقاء ولا أثبت مني عند الحرب ، : «ولكني أردت بذلك صلاحكم ، وكف بَعْضكم عن بعض . .

حتى يستويح برّ أو يستواح من

(1) «فاجر» . إشارة إلى معاوية

وقال المسيب . ، يتبين أنّ مسيب بن نجبة اعترض على الإمام عدّة مرات ، ولذلك الكلمة الأخرى لعلها في مجلس آخر . له : «الحمد لله الغالب على أمره ، لو أجمع الخلق جميعاً على أن يكون ما هو كائن ما استطاعوا»⁽²⁾ يعني إشارة إلى أنّي أعلم أنّ هذا الأمر لا ينتهي إلى ما ترى ، والحمد لله الغالب على أمره ، يعني نحن راضون بما قدر الله .
ومنهم من سلّم عليه بذلك السلام المعروف المشين : السلام عليك يا مذلّ المؤمنين ! نعوذ بالله ونستجير به .

ومن هؤلاء بشير الهمداني من همدان من الهمدانيين اليمنيين ، وهم عمدة أصحاب أمير المؤمنين في صفين وفي الجمل وعمدة أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) ، وهنزل عيم من زعمائهم : «لست مذلّ المؤمنين ، ولكنّي مؤمّم»⁽³⁾ في الواقع والحقيقة ، يعني : «ما أردت بمصالحتي إلّا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال»⁽⁴⁾ ، وهذا هو العمدة وهو الأساس ، يعني نفس العلة أو العلة نفسها في جلوس الإمام أمير المؤمنين أبيه عن القيام للمطالبة بحقه أكثر من إتمام الحجّة . كما في الأخبار الطوال للدينوري .

ولعلّ منهم أيضاً يعني من أصحابه . حينما نقول لعلّ باعتبار كلمة المخلصين من أصحابه حجر بن عدي الكندي قال له : يا حجر «ليس كلّ إنسان يحبّ ما تحبّ ولا رأيته كوأيك ، وانيّ لم أفعل ما فعلت إلاّ إبقاء عليكم والله تعالى كل يوم هو في شأن»⁽⁵⁾ . يعني لو كان بقية أصحابي مثلك في رأيه وحزمه لكنّا لا نستسلم لهذا الأمر إلاّ إبقاء عليكم ، والله تعالى كل يوم هو في شأن .

- 1- كتاب الفتوح ٤ : ٢٩٥ ، شرح نهج البلاغة ١٦ : ١٥ .
- 2- شرح نهج البلاغة ١٦ : ١٦ .
- 3- الأخبار الطوال : ٢٢١ .
- 4- الأخبار الطوال : ٢٢١ .
- 5- كتاب الفتوح ٤ : ٩٥ ، شرح نهج البلاغة ١٦ : ١٥ .

وكان في حديثه بعلمه عن جدّه (صلى الله عليه وآله) ما كان يخبر به أنّه (عليه السلام) ليس هو وحده الذي يضطرّ لبيابح طاغية زمانه ، بل كما في الحديث السابق عن الاحتجاج أنّ هذا ما يقع على كلّهم أو لا أقلّ من أن نقول جلهم ، يعني أكثرهم إلّا الإمام الحجّة (عليه السلام) قال (عليه السلام) : «ما منّا أحد إلاّ ويوقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام) . . . ، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ، ابن سيّدة الإمام»⁽¹⁾ ومرّ تخويجه عن كتاب الاحتجاج للشيخ الطوسي .

ومن كلامه (عليه السلام) في ذلك قوله لأحد العرب في المدينة : «كانت جماجم العرب بيدي ، تسالم من سالمت ،

ويحلزون من حربيت ، فتركها ابتغاء وجه الله وحقق دماء المسلمين»⁽²⁾ ، وهذا ما رواه الولابي من القرن الثالث في كتابه النرية الطاهرة . وهذا بحسب ظاهره مضمونه مخالف للمحتويات السابقة واللاحقة ، ولعلّه في موقف اقتضى أن يقول هذا وهو أنّه أنا تجرّعت هذا الأمر قربة إلى الله تعالى والإكّنت أستطيع أن أستمر في الحرب وكان معي جماعة ممن يستمرون . ولكن مع ذلك كان من المقدر عليّ أن نقل هذا من الولابي في النرية الطاهرة من غير الشيعة ومن الشيعة الموحوم الشيخ الصدوق وهو معاصر تقريباً للولابي أو متأخّر عنه بشيء قليل في كتابه علل الشرائع عن رسالة الشيباني وهي من أقدم الوسائل المختصّة في معالجة صلح الإمام المجتبي (عليه السلام) . هذا الرجل وهو أبو المفضل الشيباني له رسالة خاصّة في هذا الموضوع ، وأقدم مصدر بأيدينا ينقل هذه الرسالة بكاملها في ما يقرب من عشر صفحات كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق ، وفي هذه الرسالة ينقل هذا الخبر أيضاً

هذان مصوران لهذا التعبير الذي يختلف عن التعابير السابقة واللاحقة والتي

1- الاحتجاج ٢ : ١٠ .
2- الذرية الطاهرة النبوية : ١٠٤ ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٧٠ وصححه هو والذهبي في تلخيص المستدرک ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٧٤ وصححه ، علل الشرائع ١ : ٢١٩ .

تركز على قلة الناصر وخذلان الناصر ، لكنّه هنا يقول كانت بيدي جماجم العوب يسالمون من سالمته ، فلذلك قلنا إذا صحّ صدوره عن الإمام المجتبي (عليه السلام) فلعلّه موقف خاص اقتضى أن يعبرّ هذا التعبير ويقول تركتها ابتغاء لوجه الله تعالى .

ومنهم من سأله (عليه السلام) وأجابه بشيء من التفصيل ، يعني هذه الأخبار الملوّنة كانت كأنّها أخبار مختصّة بينما هناك بعض الأخبار فيها شيء أكثر من التفصيل لمعنى حقن الدماء المتكرّر في الأخبار السابقة ، حسب استعداد المخاطب وظرفيته ، مثل ما روي عن أبي سعيد عقيبه . هذا الرجل من التابعين والظاهر من الموالي الفوس في المدينة هذا الرجل أبو سعيد عقيبه وله رواية في بدء مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في حين خروجه من مدينة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) . قال : قلت للحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) : يابن رسول الله ، لمّ داهنت معاوية وصالحته فقد علمت أن الحق لك دونه ، وأنّ معاوية ضالّ باغ ؟

فقال (عليه السلام) : «يا أبا سعيد ألسنت حجّة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي (عليه السلام) ؟

قلت : بلى .

قال : ألسنت الذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لي ولأخي : الحسن والحسين هذان ولدائي إمامان قاما أو قعدا ؟

قلت : بلى يعني يحتجّ الإمام المجتبي بهذا الحديث النووي عن جدّه رسول الله ، إذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشار

إلى هذا القعود الذي أنا قعدت ، وهذا مشار إليه في حديث جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومشار بسكوت يعني بلا

قال : فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام لو قعدت . يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية انصرف . يعني رجع من الحديبية وقبل في الصلح على إلا يدخل مكة وأن يرجع . بعض أولئك كفاراً بالتزوير . يعني صريحاً . ومعاوية

الصفحة 463

وأصحابه كفار بالتزوير . يعني يتأولون كثراً من النصوص والظواهر الإسلامية ويحاولون تعريج أنفسهم بتطبيق ظواهر أمورهم على الإسلام .

يا أبا سعيد ، إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكوه لم يجز . بمعنى لا يجوز . أن يسفه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة . كلمة للتفويك في استعمال الكلمتين المهادنة أيضاً أتت في كلماته (عليه السلام) لكن إلى جانب هذا كلمة الصلح أيضاً أتت بدون تدقيق . وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً فالإمام كأنه يعترف إجمالاً بأنه نعم ، وجه المصالحة قد تلتبس على كثير من الناس ، لكن هذا الالتباس لا يُجوز اتهام رأيي في هذه المصالحة أو المسالمة بشيء من الخفة . ألا ترى الخضر (عليه السلام) لما حرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى (عليه السلام) فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخوه فوضي ، هكذا أنا سخطت عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ، ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا أحداً على وجه الأرض إلا قتله» (1) كما في علل الشرائع للشيخ الصدوق .

وهناك مصادر أخرى لكن أقدم المصادر علل الشرائع للمرحوم الشيخ الصدوق .

وأكثر تفصيلاً منه ما روي عن زيد بن وهب الجهني من بني جهينة قال : «قلت له : ما ترى يا ابن رسول الله فإن الناس

متحيرون ؟

فقال (عليه السلام) : رى والله أنّ معاوية خير لي من هؤلاء ، زعمون أنّهم لي شيعة ابتغوا قتلي ، وانتهوا ثقلي ، وأخذوا مالي ، والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فتضيع أهلي والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً ، والله لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمن عليّ فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر ولمعاوية لا زال يمن بها وعقبه على الحي من الميث . قال زيد : قلت تتوك يا ابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راعي ؟

1- علل الشرائع 1 : 211 ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف : 196 .

الصفحة 464

فقال (عليه السلام) : «وما أصنع يا أخا جهينة إني والله أعلم بأمر قد أدى به إلى ثقاته إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لي ذات يوم وقدراني فوحاً : يا حسن أتوح كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟ وكيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية وأمروها الرحب البلعوم الواسع الاعفاج ، يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ويدين له العباد ، ويطول ملكه ، يستنّ بسنن البدع والضلال ، ويميت الحقّ وسنة رسول الله (صلى الله عليه

وآله) ، يقسم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحقّ به ، ويذلّ في ملكه المؤمن ، ويقوى في سلطانه الفاسق ويجعل المال بين أنصاره أولاً ، ويتخذ عباد الله هولاً ، يدرس في سلطانه الحقّ . يعني ينترس الحقّ . ويظهر الباطل ويلعن الصالحون . أشوة إلى سبّه (عليه السلام) . ويقتل من نواه على الحقّ ، ويدين من لاواه على الباطل»⁽¹⁾ ، أقدم مصدر لهذا الحديث هو كتاب الاحتجاج ، مع الأسف . ولم نجد مصوراً أقدم منه ينقل الحديث .

وعن سفيان بن أبي ليلى وفيه بعض التفصيل هنا في دفع شبهة الصلح ، زراه سفيان بن أبي ليلى وقال السلام عليك يا مدلّ المؤمنين ؟ ! نعوذ بالله ونستجير به فقال له (عليه السلام) : «سأخبرك لم فعلت ذلك ، سمعت أبي يقول : قال رسول الله (عليه السلام) : لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي على أمّتي رجل واسع البلعوم رحب الصدر يأكل ولا يشبع وهو معاوية ، فلذلك فعلت . ما جاء بك ؟ قال : حبك»⁽²⁾ .

يعلّق على الحديث الذي رواه عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول الإمام الحسن (عليه السلام) فأنا عرفته أنّه معاوية ، يعني أمير المؤمنين إنّما نقل الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الأوصاف بدون تصويح بالاسم لكن أنا طبّقته على معاوية ، أنا عرفته أنّه معاوية ، وعرفت أنّ الله بالغ أمره . وأنا أهل بيت

1- الاحتجاج ٢ : ١٠ - ١١ .
2- الاختصاص : ٨٢ .

الصفحة 465

إذا عرفنا الحقّ تمسكنا به ، يعني لا تأخذنا الغوة بأن نمتنع على ما هو مقدرّ وكائن وما فيه العذر الشوعي الكامل . ثمّ يقول : «أبشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر»⁽¹⁾ ، يعني ليست الدنيا للأوار بلا مجال بل هي تسع البرّ والفاجر ، هذه حكمة الله في الحياة لا حتى يبعث الله إمام الحقّ ، يعني هذا مقدرّ أن تكون الحكومة العالمية لإمام من أئمة أهل البيت ، لكن ذلك ليس أنا وإتّما هو من ولد أخي الحسين ، ففي آخر الزمان : «يبعث الله إمام الحقّ من آل محمد (صلى الله عليه وآله)»⁽²⁾ كما في رجال الكشي ومقاتل الطالبين وهما متعاصران تقويماً .

وليس معنى أنّ الأمة تجتمع عليه أنه على الحقّ فلا يتصور أحد ذلك ؛ لأنّ هذا العنوان أخذ في التريخ كأنه مدح للطرفين لمعاوية والحسن (عليه السلام) ، بأن اجتمع أمر الأمة بهذه المصالحة ، وهذا ليس معناه نوع من الإمضاء لشوعية خلافة معاوية ، ليس معنى أنّ الأمة تجتمع عليه أنه على الحقّ ، وقد تشبّث معاوية يوماً في عهده باجتماع الأمة عليه محتجاً بذلك على الحسن (عليه السلام) إذ قال للإمام (عليه السلام) : «أنا خير منك يا حسن

قال : وكيف ذلك يابن هند ؟ . وهنا في نفس الخطاب أبطل حجّة معاوية ؛ لأنّه خاطبه يابن هند ، كفاك أن تكون ابن هند

ولا تكون خيراً منّي

قال : لأنّ الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك

قال : هيهات هيهات لشّر ما علوت يابن أكلة الأكباد . إذن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) إذا صالح معاوية في القتال

لم يسالمة في جهاد الكلمة .

إنّ المجتمعين عليك رجلان بين مطيع ومكوه . هؤلاء الذين اجتمعوا عليك ، لم يجتمعوا كلهم بطواعية ورغبة . فالطائع لك عاص لله والمكوه معنور

1- مقاتل الطالبين : ٤٤ .

2- هذه الإضافة تجدها في الملاحم والفتن : ٢٢٩ ، مقاتل الطالبين : ٤٤ ، شرح نهج البلاغة ١٦ : ٤٥ .

الصفحة 466

بكتاب الله ، وحاشا لله أن أقول أنا خير منك ، فلا خير فيك ولكن الله وأنا من الودائل كما وأك من الفضائل»⁽¹⁾ كما في مناقب آل أبي طالب عن كتاب أخبار أبي حاتم .

بعض الكتب التي نقلت هذه المصادر عنها مفقودة اليوم ، يعني لا طريق لنا إليها إلا هذه الوسائط ومن جملتها كتاب أخبار أبي حاتم نقل عنه ابن شهر آشوب في كتابه المناقب في عدّة مواضع ، والرجل ليس من شيعة أهل البيت ، ولكنه يتبين كآبي الفوج الاصفهاني وكبقية المنصفين الآخرين نقلوا أخباراً في مناقب أهل البيت (عليهم السلام) أمثال هذا الخبر .

ومن كلامه للودّ على المشكّكين في صلحه بأنه عار عليه وعلى شيعته ، وهذا أيضاً خبر طريف ومن أقصر الأخبار في هذا الباب ما في تحف العقول عنه (عليه السلام) قال : «العار أهون من النار»⁽²⁾ ، كالمقول عن أخيه الحسين (عليه السلام) : «القتل أولى من ركوب العار ، والعار أولى من دخول النار»⁽³⁾ .

نعم ، نحن لا ندخل تحت العار إذا افترق العار عن النار ، أما إذا كان العار مستثماً للدخول في النار لأنه مخالفاً للوظيفة والتكليف فنحن لا ندخل النار شروداً عن العار وهوباً منه بل تحمل العار أهون من أن أعصي ربيّ في ما كلفني بالصلح في هذا المقام .

ومن آخر هذه الأخبار في هذا المضمار ما روي عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من قومه دخل على الحسن بن علي وقد دسّ إليه الطاغية سماً وقع على كبده ، طبعا هذا التعبير وقع على كبده فيه نوع من المسامحة ؛ لأنّ السم لا يقع على الكبد ، لأنّ الكبد خرج عن المعدة والأمعاء ، ومعنى وقوعه على الكبد أنه

1- مناقب آل أبي طالب ٣ : ١٨٦ .

2- تحف العقول : ٢٣٤ .

3- مشير الأحزان : ٥٤ ، اللهوف في قتلى الطفوف : ٧٠ .

الصفحة 467

تقطّع في المعدة والأمعاء واختلط الكبد فخرج من البريء والحلقوم ، على كلّ هذا التعبير كما تزون معروف في أمثال هذا الخبر ، وقع على كبده فهو يخرج قطعاً مع ما يخرج من جوفه من الدم ، في طست بين يديه ، هذا الرجل دخل عليه وهو لا يعلم بحاله فقال له : «يا بن رسول الله ، أدنلت رقابنا ، وجعلتنا معشر الشيعة . انظروا إلى كلمة الشيعة موجودة حتّى في ذلك الزمان يعني مستعملة الكلمة ومفهومة ومتداولة . عبيداً ، ما بقي معك رجل .

فقال الإمام : ممّ ذلك ؟

قال : قلت : بتسليمك الأمر لهذا الطاغية .

فقال (عليه السلام) : والله ما سلّمت الأمر إليه إلاّ أنّي لم أجد أنصلاً . العذر الوحيد والأهم هو أنّي لم أجد أنصلاً . ولوّ وجدت أنصلاً لقاتلته ليلى ونهري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكنّي عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمّة في قول ولا فعل ، إنهم لمختلفون إنهم . هذا المضمون المشهور في النقل عن الفرزدق صاحب هذه القصيدة حين التقى بالإمام الحسين (عليه السلام) في طريق الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العواق وطريق الفرزدق إلى الحجّ ، التقى بالإمام خوج مكة وسأله عن أهل العواق ، فقال : قلوبهم معك وسيوفهم عليك ، هذا المضمون في هذا الحديث منقول عن الإمام المجتبي (عليه السلام) ، ولعلّ الفرزدق وقف على هذا التعبير نقلاً عن الإمام المجتبي (عليه السلام) ويقولون لنا إنّ قلوبهم معنا وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا»⁽¹⁾ يعني استمرّيت في تلك الحرب لكأنت سيوفهم بدل أن تشتهر على عدونا اشتهرت عليّ فيأخذوني ويسلموني كما وعدونا معاوية أن يسلموني إليه سلماً . نكتفي بما ذكرنا من هذه الأخبار عن الإمام المجتبي (عليه السلام) في دفع شبهة المصالحة .

1- الاحتجاج 2 : 12 .

الصفحة 468

بيان وظيفة الإمام (عليه السلام)

وننتقل إلى بعض التحريفات الأخرى في آخر هذا المقال من أهمّ مهام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قيام الإمام بمهام الإمامة وقيادة الطليعة والنخبة من الأمة في مواجهة التحريفات والانحرافات وما يعتبر من الانحطاط الفكري في الإسلام عقيدة أو شريعة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، المنكر العقيدي أو العملي ، وأول إمام بادر إلى ذلك هو الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) حيث قام بمقاومة المنكوات ، فقد روي أنّه دخل المسجد النبوي الشريف يوم الجمعة في أوائل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وآه على المنبر ، ولعلّه قبل الخطبة فقال له : «أقول عن منبر أبي . وكان الحسنان (عليهما السلام) يقولان لجدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا أبا ، فحينما يقول عن منبر أبي لعلّ المقصود ليس علي بن أبي طالب وإنما المقصود جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) . ، فلم يجد عمر بدأ من ذلك فتول من المنبر وقال للحسن : صدقت يا بني منبر أبيك لا منبر أبي ، وتوجّه إليه وأخذ بيده وأخذه إلى المنبر فأجلسه إلى جنبه وخطب الناس والحسن جالس معه على المنبر»⁽¹⁾ كما في مناقب آل أبي طالب عن ثلاثة مصادر ، وأكثر تفصيلاً في علل الشوائع عن الإمام الصادق (عليه السلام) .

وفي عهد عثمان لما سير عثمان أبا ذر الغفري إلى الربذة يعني إلى مهاجره في الجاهلية بلدة الربذة ونهى الناس عن توديعه وأمير المؤمنين (عليه السلام) روى ذلك مخالفاً للشوع ووى ذلك من المنكر ، وأنّ عليه أن ينكر ذلك ، فخرج ومعه خواص أصحابه لتوديع أبي ذر (رضي الله عنه) ومعه الحسنان ، وكُلّ منهم خاطبه بكلام ينكر فيه ذلك على عثمان ويسليّ أبا ذر ويصوّه عليه فقال له الحسن (عليه السلام) : «يا عماء إنّ القوم قد أتوا إليك ما قد ترى ، وإنّ الله عزّ وجلّ بالمنظر الأعلى

، فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها وشدة ما يرد عليك لرخاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك (صلى الله عليه وآله) وهو
عنك راض إن شاء الله تعالى»⁽²⁾ كما في روضة الكافي .

1- مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٠١ .
2- الكافي ٨ : ٢٠٧ باب تسيير عثمان أبا ذر إلى الربرة .

وأيضاً في تريخ اليعقوبي وكذلك المعتولي ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة وبعد صلحه مع معاوية لما خالف
معاوية بنود الصلح من سبّه لأمر المؤمنين (عليه السلام) ؛ لأنّ الإمام المجتبي اشترط عليه أن لا يثلب أمير المؤمنين (عليه
السلام) ، فلما خالف هذا البند وثلب أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته قام إليه الإمام الحسن (عليه السلام) وقال له :
«ويلك يابن آكلة الأكباد أو أنت تسبّ أمير المؤمنين ؟ ! وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه : «من سبّ علياً فقد
سبني ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله أدخله الله نار جهنم خالداً فيها مخلداً وله عذاب مقيم . . .»⁽¹⁾ كما في الاحتجاج
للشيخ الطوسي .

وروى منه الجاحظ في المحاسن والأضداد أنه (عليه السلام) دخل على معاوية وعنده عمر بن العاص فقال عمر بن
العاص وأشار إلى الإمام المجتبي (عليه السلام) وتحوّراً بوقاحة : قد جاءكم كذا وكذا وسبّه ، سب الإمام المجتبي مستنداً
مستظهِراً بمعاوية ، فلما أخذ الحسن مجلساً قال لمعاوية : «يا معاوية لا زال عندك عبدٌ . عمر بن العاص راتعاً في لحوم
الناس ، أما والله لئن شئت ليكوننّ بيننا ما تتفاقم فيه الأمور . يهدده باعادة الحرب . وتتحوّج منه الصور ، ثم أنشأ يقول :

أتأمر يا معوي عبد سُهْم بشتمي والملا منا شهود
إذا أخذت مجالسها قوِيش فقد علمت قوِيش ما تريد
قصدت إليّ تشتمني شفاهاً لضغن ما يزول وما يبيد
فهل لك من أب كأبي تسامى به من تسامى أو تليد . أو تكيد .
ولا جدّ كجدّي يابن هند رسول الله إن ذكر الجدود
ولا أم كأمي من قوِيش إذا ما بيّن الحسب التليد . العويق .
فما مثلي تهكم . يستهزء به . يابن هند وما مثلي ينهنه الوعيد
فمهلاً لا تهج منا أمراً يشيب لهولها الطفل الوليد»⁽²⁾ .

1- الاحتجاج ١ : ٤٢٠ .
2- المحاسن والمساوي ١ : ٢٩ .

ومن البدع التي ابتدعتها الخلفاء لما أوصدت وسدت باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن عمدت إلى

القصاص فأذنت وسمحت وفسحت لهم المجال في المساجد والجوامع حتى في المسجدين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف أن يقصوا على الناس ما يهون كبديل كاذب عن الحديث الإسلامي الأصيل ، والإمام الحسن (عليه السلام) واه منكراً من القول وزوراً ، فروى اليعقوبي في تزيخه أنه (عليه السلام) مر يوماً وقاص يقص على باب مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأنكر عليه وقال له : «ما أنت ؟

فقال : يا بن رسول الله أنا قاص

فقال (عليه السلام) : كذبت بل محمد (صلى الله عليه وآله) القاص ، قال الله عز وجل : فأقص القصص ، قال : فأنا مذكر

قال : كذبت ، بل محمد المذكر (صلى الله عليه وآله) قال له عز وجل ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾⁽¹⁾ . قال فما أنا ؟ قال : المتكلف من الرجال»⁽²⁾ .

وبإزاء ذلك ذكر الشؤون الإسلامية للمساجد في حديث عنه في تحف العقول قال : من أدام الاختلاف إلى المساجد أصاب إحدى ثمان : آية محكمة وأخاً مستفاداً أو علماً مستطرفاً أو رحمة منتظرة وكلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى ، وترك الذنوب حياءً أو خشية . . . »⁽³⁾ .

الإمام المجتبي يذكر هذه الشؤون الثمان للمساجد في مقابل ما حرّف الخلفاء فاستتروا إلى القصاص يقصون على المسلمين في المساجد ، ولم تكن

1- الغاشية : ٢١ .
2- تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٢٧ .
3- تحف العقول : ٢٣٥ .

مدرسة الخلفاء تُعنى بدفع أثار الجاهلية ومصطلحاتها بآثار الإسلام ومصطلحاته مما كان يهتم به أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، فمن ذلك أن كان العرب في الجاهلية يجهلون أو يتجاهلون ما للمرأة من مكانة على صعيد الإنسانية ، بل يكادون أن يروها حيواناً خلقت لخدمة الذكور ، وأن القيمة كل القيمة للوالد الذكر ، فإذا ولد الذكر هنأوا أباه يتفألون بفروسيته ، يقولون له : ليهنئك الفرس . فلم تكن مدرسة الخلفاء تغير عليهم مثل ذلك إن لم تكن تساعد عليه على نشر وبث المصطلحات الجاهلية حتى في الإسلام ، حتى أن بعضاً من قريش بلغهم أن الحسن (عليه السلام) ولد له مولود فدخلوا عليه وقالوا له : يهنئك الفرس ، فقال لهم (عليه السلام) : «وما هذا الكلام ؟ ! قولوا : شكوت الواهب وبورك لك في الموهوب ، وبلغ الله به أشده ورزقك وه»⁽¹⁾ .

ومن أنكر منكوات مدرسة الخلفاء خلافتهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمره وحته وتشويقه وتوغيبه في طلب العلم والفقه والحديث وبنه ونشوه وتعليمه وكتابته ، فمنعوا من ذلك وشدتوا فيه وضيّقوا على أهله أشد تضييق ، بل لم يكتفوا بذلك حتى افتروا عليه أحاديث في النهي عن كتابة حديثه وتوينه ، والحسن (عليه السلام) روى ذلك أيضاً منكراً من القول

وزوراً ، فروى الحرّ العاملي في الفصول المهمة في أصول الأئمة عن الإمام المجتبي (عليه السلام) كان يقول لبنينه : «تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار لقوم تكونوا وكبلهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم فليكتب»⁽²⁾ في مخالفة واضحة لمدرسة الخلفاء ، يعني قبل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد الإمام الحسن (عليه السلام) مدرسة الخلفاء استمرت إلى زمن عمر بن عبد العزيز أي إلى حدود نهايات القرون الأوّل الهجري في المنع من كتابة حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحجة مخالفة اختلاطه بالقآن الكريم أو اختلاط القآن به ، وهي حجة واهية .

1- الكافي 6 : 17 ، باب التهنة بالوليد ، تحف العقول : 235 .
2- جامع بيان العلم وفضله 1 : 82 .

الصفحة 472

ومن المبادئ الإسلامية السامية صيام شهر رمضان المبارك للتوكل بركاته ولم يشوع عيد الفطر للهو واللعب فمرّ (عليه السلام) في عيد الفطر بقوم يلعبون ويضحكون فوقف عليهم وقال لهم : «إنّ الله عزّ وجلّ خلق شهر رمضان مضملاً لخلقهم ليستبقوا فيه بطاعته إلى رضوانه فسبق فيه أهوام ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب كلّ العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخيب فيه المقصّرون ، وأيم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسييء بإساءته»⁽¹⁾ .

وفي نهاية تطوافنا في الإمام المجتبي (عليه السلام) نذكر دوره في تأصيل العقيدة الإسلامية وتوسيعها ومواجهة الشبهات والانحطاط الفكري فنقف وإياكم على حديث أخير عنه (عليه السلام) رواه العروم المحدث المجلسي في كتابه جلاء العيون الذي أعاده إلى أصله العربي باعتبار أنّ جلاء العيون في أخبار الأئمة الأطهار بالعربية ونقلها العروم المجلسي إلى الفارسية تأليفاً وتصنيفاً وبياناً ، ومرة ثانية أعادها إلى العربية العروم السيد عبد الله شبر ، جلاء العيون الآن مطوع ومنشور بالفارسية للعروم المجلسي وبالعربية على مجلد الكتاب باسم العروم السيد عبد الله شبر ، لكن في مقدّمة الكتاب يصوح بأنّي لم أفعل في هذا الكتاب إلاّ إعادة لكتاب العروم المجلسي من الفارسية مرة أخرى إلى العربية . ننقل حديثاً يفيد توسيع العقيدة بإمامته (عليه السلام) وولايته لله ولتباطه به وعلاقته على مستوى سوعة استجابة دعائه . وهذا الحديث أيضاً من طوائف ما روي عنه (عليه السلام) قال : «استغاث الناس إلى الحسن (عليه السلام) من كثرة مظالم زياد ابن أبيه أو زياد بن عبيد الثقفي وشدّتها وبطشته وقسوته فوقع يديه دعاءً وقال : «اللهمّ خذ لنا ولشيعتنا من زياد ابن أبيه ورأنا فيه نكالا عاجلاً إنك على كل شيء قدير .

1- الكافي للكليبي 4 : 181 ، باب النوادر .

الصفحة 473

(1) فخرج خراج في إبهام يده اليمنى وتورّم حتّى بلغ عنقه فمات منها» .

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ثمّ التّسليم عليكم ورحمة الله .

الأسئلة والأجوبة

هل المصالحة تنازل عن الإمامة ؟

وهل المصالحة تدعم نظرية فصل الدين عن السياسة ؟

سؤال ١ : ذكرت في كلامكم سبب صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية ولكن مما يطرح كثيراً من قبل أهل السنة قديماً وحديثاً أن صلح الإمام الحسن (عليه السلام) إنما هو نزول عن مقام الإمامة ؛ لأن الإمامة مقام إلهي وجعل رباني لا يحق للشخص التنزل عنها وتركها ، وهل يكون دليلاً على تسليم الإمامة ؟ طبعاً هذا الإشكال قد يطرح بصورة جديدة وحديثة من قبل من روى فصل الدين عن السياسة أو العلمانيين من أن الإمامة غير الخلافة ، الإمامة منصب أخروي والخلافة منصب دنيوي ، فهل يمكن أن يستنتوا إلى الصلح الذي وقع بين الإمام ومعاوية ؟

الجواب : طبعاً المطلوب في هذه الأجوبة أن تكون مختصة ولذلك نعيد إلى الأذهان ما مرّ في الأخبار الواردة عنه (عليه السلام) باضطوره إلى هذا الأمر وفي نفس الوقت يتوكّزه على إمامته وأنه حجة الله على الخلق من بعد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فإذا كان مستند من يستند في هذا السؤال أو في هذا الإشكال إلى أقواله (عليه السلام) فأقواله (عليه السلام) بين فيها سبب الصلح وهو أنه لعدم وجود الناصر أو لقلّة الناصر ، والي جانب ذلك بين بأنه إمام ، ويستند في ذلك على حديث الرسول المتواتر أو المستفيض ، يعني الحديث متسالم عليه بين المسلمين جميعاً .

ثمّ الشق الثاني من السؤال مسألة احتمال الفصل بين الإمامة والخلافة الظاهرية أو الحكومة الظاهرية ، هذا بحث طويل فيكفينا لود عليه منطلق أنمة أهل البيت (عليهم السلام) حيث يرون عدم فصل الدين عن الدولة أو الدولة عن الدين وأنّ الحكم الظاهر هو من حقهم ولذلك كانوا يصرون على أنه مغضوب منهم ، والإكاثوا يقولون نحن على إمامتنا ولا حاجة لنا بالخلافة والحكومة الظاهرية ، وهذا متواتر عن كلّ أنمة أهل البيت (عليهم السلام) الاثني عشر بما فيهم الإمام المجتبي (عليه السلام) .

السؤال الثاني والثالث والرابع : لماذا لا يذكر الحسن عند ذكر الحسين (عليهما السلام) وهل أعطى الإمام الحسن (عليه

السلام) الشيعة لخلافة معاوية في صلحه ؟ ولماذا لم يحقق الحسين (عليه السلام) الدماء كما حققتها الإمام الحسن (عليه

السلام) عندما صالح ؟

سؤال ٢ : لماذا لا يذكر اسم الإمام الحسن (عليه السلام) عند ذكر شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) ، مع أن الإمام

الحسن (عليه السلام) مات شهيداً بالسمّ ؟ وهل أنه كان مزوجاً ومطلقاً كما في بعض الأخبار ؟ وهل هو كان مسالماً ؟

سؤال ٣ : تعتبر المدارس الأخرى أنّ صلح الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية إعطاء صفة الشوعية لمعاوية بأنه خليفة المسلمين حقاً وعلى المسلمين إطاعته وعدم الخروج عليه ؟

سؤال ٤ : إذا كان صلح الإمام الحسن (عليه السلام) وبيعته لمعاوية لغرض حقن دماء المسلمين لماذا لم يفعل الإمام الحسين (عليه السلام) ما فعل الإمام الحسن (عليه السلام) ؟

الجواب ٢ : بسم الله الرحمن الرحيم السؤال الأول وهو عمدة الأسئلة من أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) لا يذكر مع الإمام الحسين (عليه السلام) فنقول : هذا يرتبط بواعي الذكر ، يعني ليس هناك فوع من التعمد لمن يعتقد بأهل البيت (عليهم السلام) أو بالخصوص يعتقد بإمامتهم وولايتهم ومودّتهم ومحبتهم ، وإذا ذكر الحسين (عليه السلام) يذكر الحسن (عليه السلام) معه إلا ما يقتضي الداعي أحياناً من ذكر الحسين (عليه السلام) وحده .

وهناك تأكيد من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كما تعلمون على ذكر الحسين (عليه السلام) ، يعني هناك واعي لذكر الحسين (عليه السلام) أكثر من واعي ذكر الإمام الحسن (عليه السلام) من نون أن يكون هناك فوع من التعمد لتقليل ذكر الإمام المجتبي (عليه السلام) ، وكلّ أمر يتبع علله وعوامله الطبيعية ، وهنا العوامل الطبيعية استدعت ذكر الحسين (عليه السلام) أكثر من ذكر الحسن (عليه السلام) ، وكما ذكرت فقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) إلى شيعتهم بذكر الحسين (عليه السلام) ، فهناك فوع من الاحتجاج في قيام الإمام الحسين (عليه السلام) وفوع من

الصفحة 477

الحكم والفوائد والمنافع والآثار والبركات الموثّبة في ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) . طبعاً هذه الآثار وهذه البركات بعضها موجودة أيضاً في ذكر سائر المعصومين (عليهم السلام) ، لكن لكل خصوصيته ، وهناك خصائص لبعض المعصومين وهناك خصائص للإمام الحسين (عليه السلام) ، وهذا من خصائص الحسين (عليه السلام) وهو التأكيد على تكثير ذكوره .
أمّا بالنسبة إلى كونه مزوجاً ومطلقاً فهذه المسألة لا صحة لها بعد ملاحظة كونه إماماً معصوماً لا يرتكب المخالفات الشوعية ، والطلاق من الأمور البغيضة شوعاً وغير محبّب به في الشوع الإسلامي .

أضف إلى ذلك أنّ الإنسان العادي يتحوّى كثراً لأجل الحصول على زوجة ذي خلق جيد بحيث تتسجم معه وتواصي حقه كي يعيش معها مدّة من الزمن ، ويكون منها عائلة لها مكانة عنده وعند المجتمع فما بالك بالمعصوم (عليه السلام) ، خصوصاً بعد ملاحظة أنّ الطلاق الاعتباري الذي يكون لا عن سبب مذموم وقبيح .

فهذه المسألة طوحت للنيل من مكانة الحسن سلام الله عليه كما رأوا النيل من أبيه (عليه السلام) عندما اتّهموه بأنه أراد الزواج في حياة فاطمة سلام الله عليها من ابنة أبي جهل حتّى غضب النبي عليه الصلاة والسلام وقام خطيباً في الناس يحذر علياً من ذلك وعلى أؤها امتنع علي (عليه السلام) من الزواج . وكم من محاولة للنيل من البيت العلوي الطاهر الذي تول فيه الوحي من أجل تحريف الإسلام وإبعاد الناس عن منبعه الحقيقي .

أمّا بالنسبة إلى أنه هل كان مسالماً ؟

هذا سبقت الإشارة إلى ذلك من خلال مواقفه الجهادية بجهاد الكلمة مع خصمه اللود الثوس معاوية بن أبي سفيان التي

تقدم ذكورها والتي تنبئ بما فيه الكفاية عن أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن مسالماً بذلك المعنى ، بمعنى أنه سالم عملاً وقولاً ، فتوك الجهاد في ساحة القتال لا يعني ترك جهاد الكلمة في المواقف المناسبة حينما يسمع أو يرى منكراً ، بل كان

يلتزم بجهاد الكلمة وإن ترك جهاد

الصفحة 478

السيف والسنان لكنّه لم يتوك جهاد القلم والبيان واللسان ، ولا أقل حينما أقول جهاد القلم لأنّه كما ذكرنا في الحديث الأخير

أوصى بنيه أن يكتبوا العلوم الإسلامية وبالخصوص أحاديثهم (عليهم السلام) .

الجواب ٣ : أمّا بالنسبة إلى إعطاء الشرعية لمعاوية في صلحه ، فهذا غير صحيح لأنّ هذه المسألة الاضطرورية ليس

معناها إعطاء الشرعية أو نقل الشرعية ، وإنّما الضرورات تقدّر بقورها ، فهو تنزل عن أنّ مملّسة الحكم ظاهراً ولم يتنزل

عن حقّه الشرعي الواقعي ، وليس في بنود الصلح ما يدلّ على ذلك ، أي يعني لا يمكن لأحد أن يضع يده على كلمة للإمام

المجتبى (عليه السلام) ينص فيها على نقل الشرعية منه إلى عوه معاوية ، وإنّما تنزل عن الحكم الظاهري وتوك القتال وفسح

المجال ليحكم هذا العدو حكماً ظاهرياً ، وهو لا يعني نقل الشرعية إلى معاوية ؛ إذ لا ملازمة بين هذين الأمرين . والذي

يدّعي الملازمة عليه أن يقيم الدليل ،

بل الدليل قائم على نفي هذه الملازمة ، وهو الأخبار الواردة عنهم (عليهم السلام) والتي تولد منه التواتر الإجمالي بشكل

عام ، يعني كلّ المعصومين (عليهم السلام) منطقتهم أنّ الشرعية لهم بينما ظاهر الحكم لغوهم ، وهذا لا يختص بالإمام

المجتبى (عليه السلام) فقط ، بل يشمل سائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكرنا الخبر عن كمال الدين للشيخ الصدوق

عن الاحتجاج في قوله : «ليس منّا أحد إلاّ وفي عنقه بيعة لطاغية زمانه» ، فهل يعني ذلك أنّ الشرعية انتقلت بهذه البيعات

إلى طواغيت زمانهم ؟

في الجواب نقول : كلاً ، لم تعط الشرعية إلى الطواغيت ببيعة الأئمة (عليهم السلام) مجبورين تحت حكام طاغين وفاسدين .

فالمَنْصَف الذي ينظر بعين العدل لا يرى مجالاً لصحة هذه الادعاءات ولا يرى الملازمة بين الحكم الظاهري والحقّ الشرعي

وأما مسألة الفرق بين موقف الإمام الحسن وموقف الإمام الحسين (عليهما السلام) .

الصفحة 479

هذه المسألة من الشبهات ولو كان مجالنا يسع لدخلنا في هذا الباب ، وهناك كتب كتبها علمائنا والمفكّرون في هذا المجال ،

وأنا من باب المثال أذكر كتاب (دفاع عن العقيدة) لأخينا الفاضل السيد فاضل الحسيني الميلاني كتبه قبل أكثر من ٢٥ سنة ،

ونُشر في العراق في النجف الأشرف ، في دفع الشبهات عن الأصول الخمسة المعروفة عند شيعة أهل البيت (عليهم السلام)

وهي : التوحيد والعدل والنوّة والإمامة والمعاد ، ففي بحث الإمامة يقف على شبهات الإمامة ، ويقف عند هذا الأمر وعلى

الفروق بين الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام) ، فعلى الطالب أن واصل تلك الكتب للوقوف على بعض الإجابات التفصيلية التي هي بحاجة إلى التفصيل . الفرق بين العدوين وبين صحابة الجيشين يعني صحابتيين صحابة الإمام الحسن وصحابة الإمام الحسين (عليهما السلام) ، وكذلك الفرق بين العدوين وبين الظرفين ، هذا بالإجمال عنوان المطلب وتفصيله في الكتب .

ما هي المناشئ الحقيقية لخدلان أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) ؟

سؤال ٥ : شيخنا الجليل حسب الروايات أنّ قبول الإمام الحسن (عليه السلام) الصلح بسبب تخاذل أصحابه ، فما هي المناشئ الحقيقية لهذا الخذلان ؟

الجواب : بالنسبة إلى عوامل هذا التخاذل نستطيع أن نقف على طول المدّة ، يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) بالكاد استطاع أن يحملهم معه في حربي الجمل وصفين ، وحتى في حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) زى آخر خطبة له خطبة نوف البكالي في نهج البلاغة . وهناك تخريجات عديدة لهذه الخطبة وليس مصورها الوحيد هو نهج البلاغة . يقول نوف البكالي : خطبنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في آخر جمعة قبل ضوبته قبل الشهادة لما عقد أمير المؤمنين (عليه السلام) لحسين بن علي (عليه السلام) على عشوة آلاف ولعبيد الله بن العباس على عشوة آلاف ولقيس بن سعد على عشوة آلاف وبعث بهم إلى النخيلة معسكر أهل الكوفة ليجهز بهم إلى معاوية لينهي الأمر معه ، ولكن ما دلت الجمعة إلّا وبلغنا أنّ ابن ملجم ضوب رأسه (عليه السلام) بالسيف ، فوّاجعنا كأغنام فقدت راعيها .

الصفحة 480

وفي خطب عديدة زى أمير المؤمنين (عليه السلام) يشكو من تخاذل أصحابه ، فيقول في الخطبة المعروفة في فضل الجهاد زى أمير المؤمنين (عليه السلام) يشكو من أصحابه ، ففي الصيف يقولون ننتظر انتهائه وفي الشتاء كذلك ، فهذا المضمون متكرّر في أخبار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى درجة أنّه حينما خرج وواجه الخوارج ولم يكن مصمّمًا منذ البدء أن يذهب لحرب الخوارج ، وإنّما كان ذلك في طريقه وكان مصمّمًا على الذهاب إلى الشام لمعاوية ، لكنه اضطرّ للوَجوع لرؤيته التخاذل في أصحابه وعدم الاستوار معه في الحرب .

إذن هذه المسائل بورت بواورها مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومن الطبيعي أنّ الأمر تكاثر تكاسلاً وتخاذلاً بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) . ولا شك أنّ من عمدة العوامل في هذا التخاذل سياسة معاوية ودهاءه وكان يغدق بالأموال على رؤساء العشائر والوجهاء ، بخلاف أمير المؤمنين (عليه السلام) فكانت سياسته المساواة بين الناس ؛ لأنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) له حاجز دينية وشوعية إسلامية تمنعه من ذلك ، وهذا ما شرحه ابن أبي الحديد لما تعرض للاعتراضات على سياسة أمير المؤمنين .

نعم هذه عوامل أثرت في تخاذل أصحابه ، يعني أهل العواق بشكل عام وأصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) ، ومن أهم هذه العوامل التي كان يسير عليها ، وهي شراء الذمم والوصول إلى هدفه بأي طريقة كانت .

سؤال ٦ : في معوض حديثكم ذكروا رواية تقول : إنّ الإمام الحسن (عليه السلام) رأى في أصحابه ميلاً إلى الصلح فهل هذا الحديث بيان لحال الأمة آنذاك أم أنه من باب أن الإمام المعصوم يرى حال أو راعي حال الأمة في أحكامه وأعماله ؟

سؤال ٧ : نحن نعلم أنّ الإمام علي (عليه السلام) كان لا يرغب في عائلة الأشعث ، ونعرف أنّ الأشعث حرب الإمام علي (عليه السلام) وكذلك حرب الإمام الحسين (عليه السلام) فما نقول في زواج الإمام الحسن (عليه السلام) من جعيدة بنت الأشعث ؟

الجواب : أمّا السؤال الأول فالجواب أن هذا الميل لم يكن ميلاً يصل إلى



حدّ اضطرار الإمام الحسن (عليه السلام) وحسب الأخبار السابقة فإنّ هذا الميل كان إلى حدّ تأثّره في كراهيتهم للحرب وتخاذلهم فيها .

ومن المعلوم أنّ أشدّ ما يحتاجه المحارب إلى المعونة والمعاضدة والحماة ; لأنّ الجندي إنّما يحارب بالرجة الأولى بمعنوياته ، فالإمام (عليه السلام) بناءً على هذه الأخبار يقول : إنّ هذه الكراهية كانت إلى درجة التخاذل الشديد بحيث اضطرت معه إلى قبول هذا الصلح كما حصل ذلك في عهد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ لم يجد ناصراً كما في الخطبة الشفشفقية يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : «فطفقت رُتأي بين أن أصول بيد جذاة . يعني مقطوعة وكناية عن قلّة الناصر . أو أصبر على طخية عمياء ، يهجم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدر فيها مؤمن حتّى يلقي ربّه ، فأيت أن الصبر على هاتا أحجى» ، كما وفي آخر الخطبة يقول : «فولّا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غربها ، ولسقيت آخوها بكأس أولها»⁽¹⁾ ، فلا حجة إنّه فالملاك في الموحلتين ملك واحد وهو عدم وجود الناصر كانت حجة لجلوس الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ووجود الناصر مؤدّ أخرى بعد الخليفة الثالث كانت حجة عليه للقيام بأعباء الإمامة . كذلك بالنسبة إلى ولده الإمام الحسن (عليه السلام) وبالنسبة إلى أي إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والمسألة مسألة تكرّر وليست لأول مرة .

وإنّما اختلفت بين الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين ولده الإمام الحسن (عليه السلام) ، الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن له جيش بحسب الظاهر ثمّ روى تخاذل هذا الجيش فيضطرّ إلى الصلح ، ولم يكن له أحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ظاهر الأمر كان له جيش ولكن هذا الجيش لا معنوية له للجهاد وكتمة للسؤال هل كراهية الناس للجهاد مؤثّرة في رادة الإمام ؟

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في زمنه أراد أن يمنع من صلاة التلويح كما في

1- نهج البلاغة ١ : ٣٧ .

عدّة أخبار ومن جملتها ما في روضة الكافي أنّه بعث ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) ، ولعله بعث ابنه الحسن ليستعطف الناس للتذكير بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما فعل ذلك في حرب الجمل حينما بعث الناس ليستتصروا أهل الكوفة فلم ينصوه منهم قليل ولا كثير حتّى بعث ابنه الحسن مع عمار بن ياسر فخرج من أهل الكوفة عشوة آلاف ، فحضور الإمام الحسن (عليه السلام) كان مؤثراً في شحذ الهمم والخروج للحرب ، لكنّه هذه المرة لم يكن مؤثراً إلى درجة أن الإمام الحسن (عليه السلام) اضطرّ إلى المصالحة ، أمّا في مسألة صلاة التلويح فقد ارتفعت أصواتهم في المسجد قائلين : «وا سنة عواه»⁽¹⁾ ، بمعنى أنّ هذه الصلاة وإن لم تكن جماعة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) لكن لما شوّعها الخليفة الثاني صعب عليهم تركها ، وكذلك صوّح بأنّه لو كان يستطيع لنقل مقام إواهيم (عليه السلام) من مكانه الذي غوّ الخليفة الثاني بعد سيل جلف زوخ المقام عن جدار البيت إلى هذا المكان الموجود الآن ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) قال : هذا مكانه

في الجاهلية ورسول الله (صلى الله عليه وآله) ردّ مقام إواهيم (عليه السلام) إلى جدار البيت ، فلو كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يستطيع لردّه موهة أخرى إلى جدار البيت .

على كلّ هناك شواهد عديدة بأنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عزّ عهده لم يستطع أن يغيّر بعض ما غير وُبدل من مظاهر الشيعة .

أمّا بالنسبة إلى السؤال الثاني وهو زواجه من جعيذة بنت الأشعث فنقول : ذكر الشيخ المحقق باقر شريف القوشي في كتابه حياة الإمام الحسن (عليه السلام) يذكر خواً أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أرسل بعض مشايخ الكوفة ليخطب لابنه الحسن (عليه السلام) من قبيلة ، ولما فهم الأشعث بن قيس ذلك عرض عليهم ابنته فتزوجها الحسن (عليه السلام) ؛ لأنّ أهل البيت (عليهم السلام) ليس من شأنهم أن يرتوا أحداً يطلب منهم شيئاً وخصوصاً العوض والناموس ؛ لأنهم يعملون بالظواهر الشرعية ولا يتعاملون بحسب الواقع والمستقبل الذي يرونه ، فهم وإن كانوا يرون أنّ الأشعث وبنته من

1- الكافي 8 : 63 .

الصفحة 483

الأخبار لكنهم مع ذلك لا يتعاملون معه بما يرونه ، وإنّما يتعاملون معه بحسب الظاهر والعام للناس .
كذلك كانت زيجات الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فهي لم تكن حسب رغبتة ورضاه عنهن جميعاً ، بل بعض أزواجه كان زواجه منهنّ حسب الظروف والبيئة الاجتماعية السائدة آنذاك ، وإنّما مراعاة لمصالح اجتماعية وسنن عرفية قائمة

ما هو ردكم على الأكاذيب التي نسجها المستشرقون وبعض كتاب المسلمين على الحسن (عليه السلام) ؟

سؤال ٨ : بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، السلام عليكم جناب الشيخ ، تعلمون أنّ بعض المستشرقين فتحوا جبهة مع ریحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونسج على متوالهم بعض كتاب المسلمين ، المستشرقون منهم من كان هدفه المال ومنهم لأنسه بالكذب على الإمام الحسن (عليه السلام) ، ومن كتاب المسلمين طه حسين حيث قال : إنّ الحسن كان مشاكساً لأبيه ! وكثير من هذه الأكاذيب التي انتحلوها ووضعوها ونسوها إلى الإمام الحسن (عليه السلام) إضافة إلى أنّه كان مزوجاً ووضعوا عدة لرقام منها ستين زوجة و ٩٠ زوجة و ٢٦٠ زوجة و ٣٠٠ زوجة إلى غير ذلك من الأحاديث المكشوبة ، فبماذا ترتون على المستشرقين جزاكم الله خيراً ؟

الجواب : سلام عليكم ورحمة الله بسم الله الرحمن الرحيم ، المستشرقون كما أثوتم أخذوا ذلك من المتقدّمين من الأوائل ، يعني ولا كان ما هناك ما يمكنهم من التشبّث به لما كانوا يذهبون إلى ما ذهبوا إليه ولما كانوا يحوّلون هذه الحوأة والمنصف لا يمكنه إلغاء الأخبار المشيدة بالإمام الحسن (عليه السلام) ریحانة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، إلا أنّ الظروف أجبرته على المصالحة ، وبعد ذلك أصبح القلم بيد عدوه ، واستخدم العدو شتى السبل للتقليل من شأن الإمام الحسن (عليه السلام)

(السلام)

كموضوع كثرة زيجات الإمام الحسن (عليه السلام) ، حتى أن أقدم الكتب وهو كتاب قوت القلوب ذكر أن السبب في كثرة الزوجات لأجل التبرك بالإمام (عليه السلام) ، فكان يطلق حتى يفسح المجال للنساء الأخريات للتبرك به . وهذه دعاية أموية وصنيعة عدائية وُجدت من أجل الحطّ من مقامه (عليه السلام) .

هل يعود الإمام وقيامه باختيار منه أم بتقدير من الله سبحانه وتعالى ؟

سؤال ٩ : هل يعود الإمام الحسن (عليه السلام) وقيام الإمام الحسين (عليه السلام) اختياري أي يقوّه الإمام أم هو أمر من الله سبحانه وتعالى وليس لهما أن يختلرا فيه ؟

سؤال ١٠ : الإمام الحسن (عليه السلام) خطب في النخيلة والخطبة معروفة برويها أبو الفوج الإصفهاني في مقاتل

الطالبين فيقول : «إنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً ، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين : ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصّابرين﴾ .

الجواب : أمّا بالنسبة إلى السؤال السابق من أن الأئمة (عليهم السلام) هل هم مأمورون في الواقع بأمر غيبية ؟

المرحوم الشيخ جعفر الشوشوي أعلى الله مقامه في الخصائص الحسينية يريد أن يشرح الواعث للإمام الحسين (عليه السلام) لخروجه يشير إلى هذا المعنى فيقول : إنّ للإمام الحسين (عليه السلام) تكليفين أحدهما واقعي والآخر ظاهري ، أمّا الواقعي فهي الصحيفة المعروفة والتي عليها أسانيد متعدّدة ، فإن لم تكن مسلمة عند غير أتباع مدرسة أهل البيت فهي مسلمة لدى أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، وأنّ لكلّ معصوم صحيفة مختومة حينما يصل إلى الإمامة عليه أن يفضّ ذلك الختم ويعمل بما فيه من أوامر الله سبحانه وتعالى من تكليف بالنسبة له .

يقول المرحوم الشيخ جعفر تواب هذان التكليفان الواقعي . يعني الحقيقي يعني الغيبي . والظاهري ، ثمّ يشرح العوامل

لمواكبة هذا التكليف الظاهري مع ذلك

التكليف الواقعي في قيام الإمام الحسين (عليه السلام) . هذا الأمر يصلح بالنسبة إلى أي إمام آخر من الأئمة .

نعم ، هناك أمر غيبي لكن ليس معنى ذلك أنّ ذلك الأمر الغيبي لم يكن مواكباً مع العلل الظاهرية كما ذكر الشيخ جعفر ، فبالنسبة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) هذا الذي يذكر صحيح ، وأما سائر المعصومين فهناك علل ظاهرية تتواكب مع ذلك الأمر الغيبي الواقعي .

إذن فهناك أمران واقعي وظاهري ، والأمور الواقعية لا تطبق إلى كشفها إلا عمل الإمام ، ووجود هذه الظواهر يعني

العلل الظاهرية التي تعدّر الإمام ظاهراً فضلاً عن ذلك التكليف الغيبي الواقعي .

نعم ، لفتل أن يقول : أنا لم أقتنع بهذه الأعدار والعلل والعوامل والنوافع والواعث حتى التي رويت عن المعصومين

(عليهم السلام) .

نعم ، إذا كان يحتفظ بالجانب الآخر ، يعني يحتفظ بالجانب الغيبي يقول أنا اعتقد بصحة هذه الأحاديث وبأن الإمام على إمامته وإمامته له وأمر غيبية تغيب عنا عللها وعواملها الواقعية الحقيقية التي تكفي للقناعة أما هذه العلل الظاهرية لا تكفي ، فهذا لا يتنافى مع عقيدة الإمامة ولا يروح بعقيدتنا به من أن كل معتقد بإمامتهم معتقد بصحة ما يصدر عنهم من أفعال وأقوال .

فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرون .

إنه بلغني أن معلوية بلغه أنا كنا رُمعنا المسير إليه فتحرك لذلك ، فأخرجوا رحمكم الله إلى معسركم بالنخيلة حتى ننظر وتتظرون ووزى وترون» .

قال الولي . وهو قيس الهمداني . : «وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس إياه .

قال : فسكتوا فما تكلم منهم أحداً ولا أجاب بحرف ، فلما رأى ذلك عدي ابن حاتم قال : أنا ابن حاتم . سبحان الله . ما أقبح

هذا المقام ؟ ! ألا تحبون

الصفحة 486

إمامكم وابن بنت نبيكم ؟ ! أين خطباء مضر ؟ أين المسلمون ؟ أين الخواصون من أهل المصر الذين أسنتهم كالمخريق في الدعة ، فإذا جد الجد فواغون كالثعالب ! أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعلها»⁽¹⁾ ، فالسؤال هو : ألا يكفي خذلان الناس من أول الأمر لعدم القيام بالحرب والمصالحة ؟

أما بالنسبة للسؤال الآخر نعم ، كان للإمام (عليه السلام) أن يتوك ذلك ، لكن لا تتم الحجة على الناس ، ونستطيع أن نقول إن للإمام أو على الإمام أن يحاول لأنه مكلف بهداية الناس ، ومن هدايتهم محاولة لشادهم إلى الطريق الصحيح ، يعني تأتي هنا قاعدة اللطف ؟

قاعدة اللطف عبارة عن تقريب الناس إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية ، أي الحصول على أكثر قدر ممكن من تقريب الناس إلى الطاعة وإبعادهم عن المعصية .

الإمام مكلف بهذا اللطف بالمقدار الممكن ، ومن رعايته لهذا اللطف من جانب الله سبحانه وتعالى أن يحاول إلى حدّ إيجاب الضرورة ، أما من دون إيجاب الضرورة ، يعني حينما لا مانع منه من أن يجهز هذا الجيش ويذهب به إلى ساحة القتال فعليه القيام بذلك ، إلا أن يجبر فعند ذلك يسقط عنه تكليفه كما قرأنا في الخبر من أنهم هجموا عليه ونهوا بيته ودره وأمواله وضروه بالخنجر على فخذة ، عند ذلك أصبح للمصالحة عذر وظاهر للناس السبب وراء هذا الصلح .

عظة للإخوة المغتربين

سؤال ١١ : شيخنا العزيز وصف الإمام الحسن في بعض الأبيات أنّ من صفاته أنه كان غليظاً في قومه فهل هذا صحيح ؟

ومن جانب آخر الأوضاع التي تمرّ بها الأمة وخاصة المسلمين المغتربين الآن في أمس الحاجة لكل كلمة تصوهم وخاصة

مطلعون عليها عن كتب ، فنحتاج إلى كلمة تصبر الإخوة المغتربين جميعاً بما تجول به ضماؤكم ؟

سؤال ١٢ : هناك شروط كانت بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين معاوية والإمام الحسن (عليه السلام) يعلم علم اليقين

غدر معاوية حتى أن الإصهاني يذكر أن الحسن طلب إلى معاوية أن لا يشتم علياً فلم يجبه ، وأجابه على أن لا يشتم علياً وهو يسمع ويقول ابن الأثير ثم لم يف به أيضاً معاوية ، فإذا كان الإمام يعلم (عليه السلام) هل على هذا يقال من باب إلقاء

الحجة على معاوية أم لا جواب آخر ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، بالنسبة للطلب الأول لنا جميعاً أسوة بإمامنا المجتبي (عليه السلام) الإمام الممتحن من

أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، طبعاً يتقل على إمام هو حجة الله على خلقه أن يتحمل من عدو معاوية هذا المستوى من

الإحرام ، يتحمل منه الخضوع للأمر الواقع ويستسلم لظواهر الأمور حتى يكون في بيته من يعاكسه إلى حد قصد قتله

والمحاولة والعملية لقتله (عليه السلام) بالسم ، ونحن مهما كان وضعنا حتى ولو كنا في ديار الغربة لا يصلون إلى هذه

المستويات ، وإنما من لا يهتدي بهديهم (عليهم السلام) ولا يعرف مصوره وما تحملوا من المصائب يصعب عليه ذلك ، لكن

الذي روى أن سيرة الأنبياء كلهم يلحظ أنهم تحملوا أعباء زمانهم ، أولياء الله بشكل عام على طول التاريخ تحملوا من أعداء

دين الله ومن أعداء شريعة الله ما تحملوا ، وكل مقتد بهم ومستن بسنتهم عليه أن يتحمل الهوة التي تحملها كثير من إخواننا

المسلمين إنما تحملوها شروداً بجلدتهم ودينهم وعقيدتهم من الطواغيت في العواق أو في المناطق الأخرى .

إذن فالاضطرار الذي حملهم على حملهم دينهم وعقيدتهم إلى ديار الغربة هذا يجعلهم لا ينسون أن أولياء الله جميعاً كانوا

في مثل هذه الأحوال من الظروف المضنية والمنهكة ، ولنا بأولئك الأوار الأطهار الأسوة والافتداء والاستئنان بهم والتصبر

بما جرى عليهم .

أما بالنسبة إلى علم الإمام المجتبي (عليه السلام) بنقض معاوية لشروط الصلح ، نعم ، الإمام كان يعلم وأنت يا أخي تشير

إلى أن الإمام اشترط هذه الشروط ، ونحن نعتقد علم الإمام (عليه السلام) نقض عوة لهذه الشروط ، ولكن كما ذكرت اشترط

إتماماً للحجة ، بمعنى أنه هل من الصحيح للإمام المجتبي أن يستند إلى علمه الغيبي بنقض معاوية لشروط الصلح ويقول : أنا

أعلم أنني مهما اشترطت عليه سينقضها فلا اشترط عليه أي شرط ؟

طبعاً هذا خلاف الحكمة ، الحكمة تقتضي أنه حتى ولو كان يعلم بأن هذه الشروط لا يفي بها العدو لكن لا يترك هذه

الفرصة ، ليحتج بها ظاهرياً إذ ليس كل الناس يعلمون بأن معاوية سينقض شروطه ولا يفي بها ، وأيضاً لأجل التسجيل

والتوين في التاريخ وللأجيال القادمة لئلا ينسوا التقصير للإمام الحسن (عليه السلام) ، فحتى في هذا المقدار الإمام (عليه

السلام) عليه أن يعمل بمقتضى الحكمة بالأُمور الظاهرة حتّى وإن علم بعدم وصولها إلى غاياتها ومقتضياتها فيما يستقبل من الأمر .

والحمد لله ربّ العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

